

BOBST LIBRARY

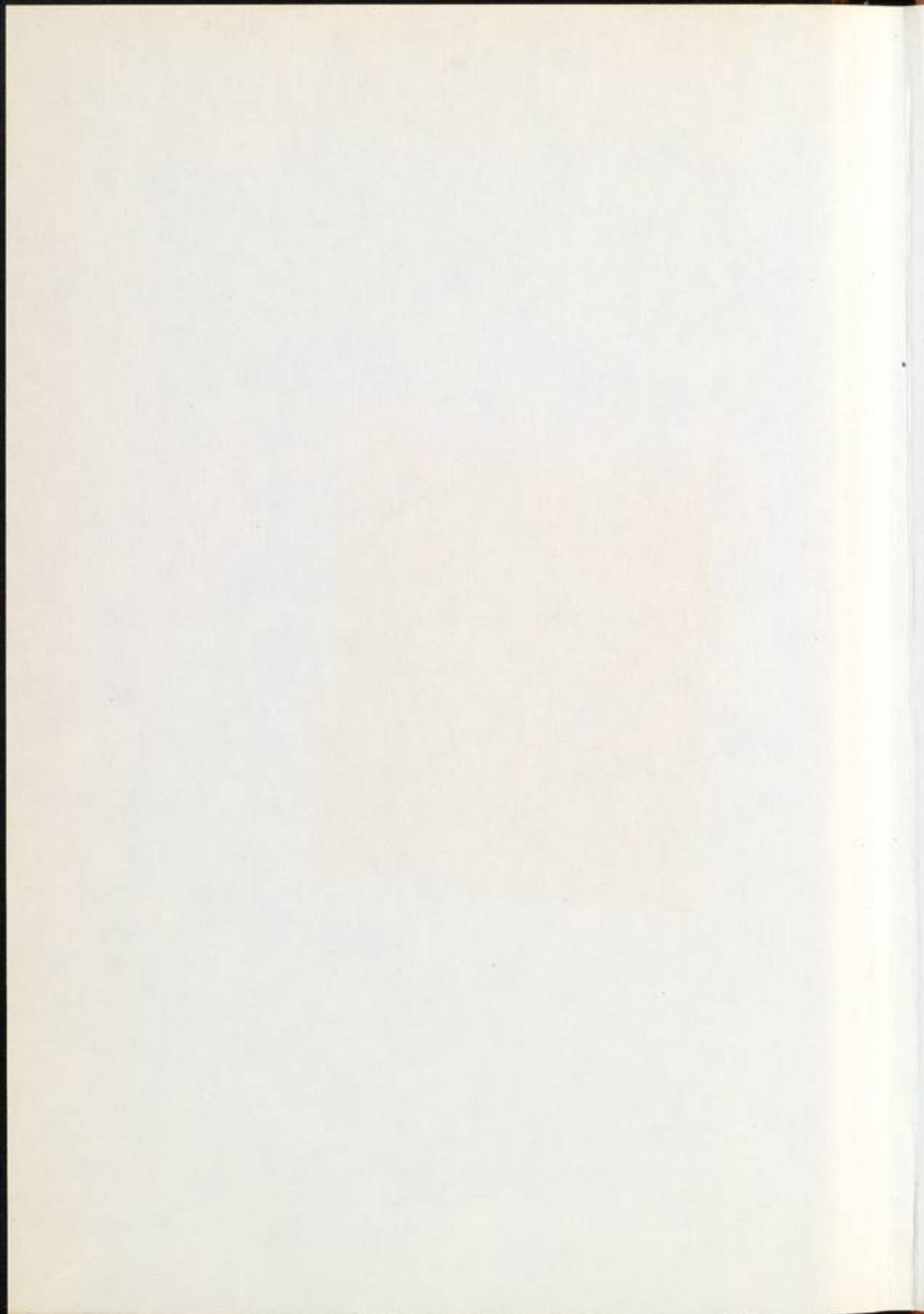


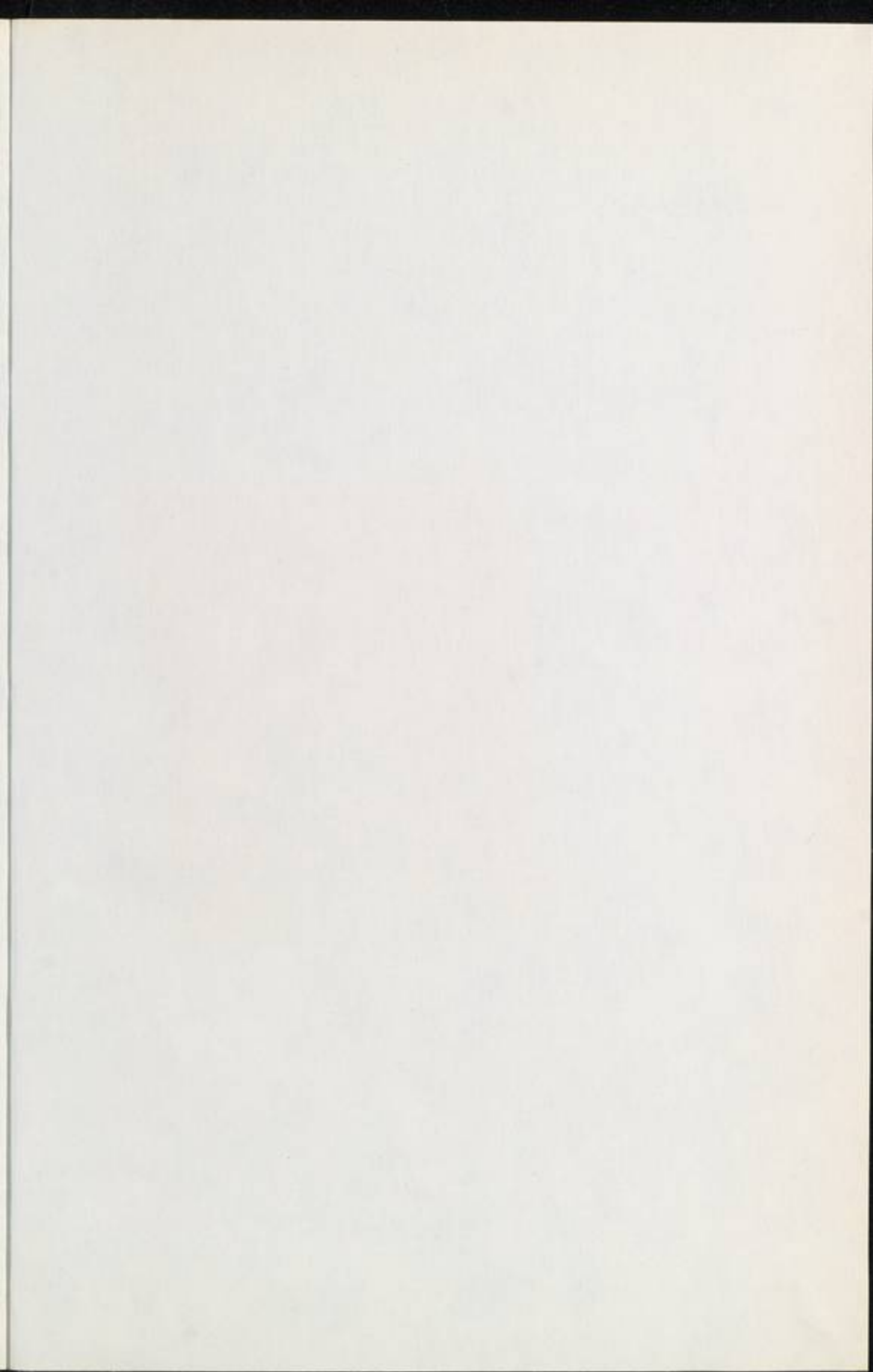
3 1142 02809 5068

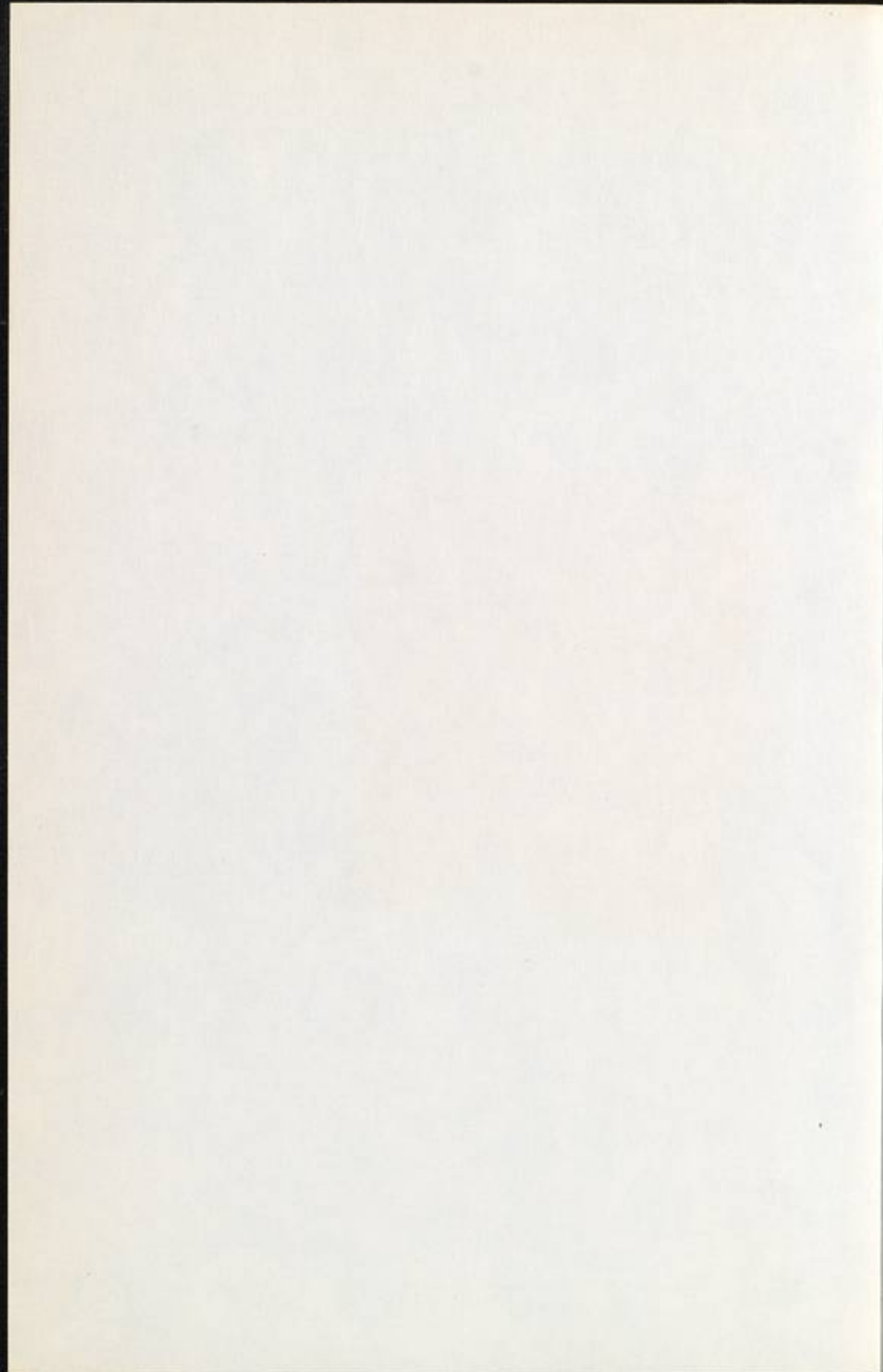
Property of

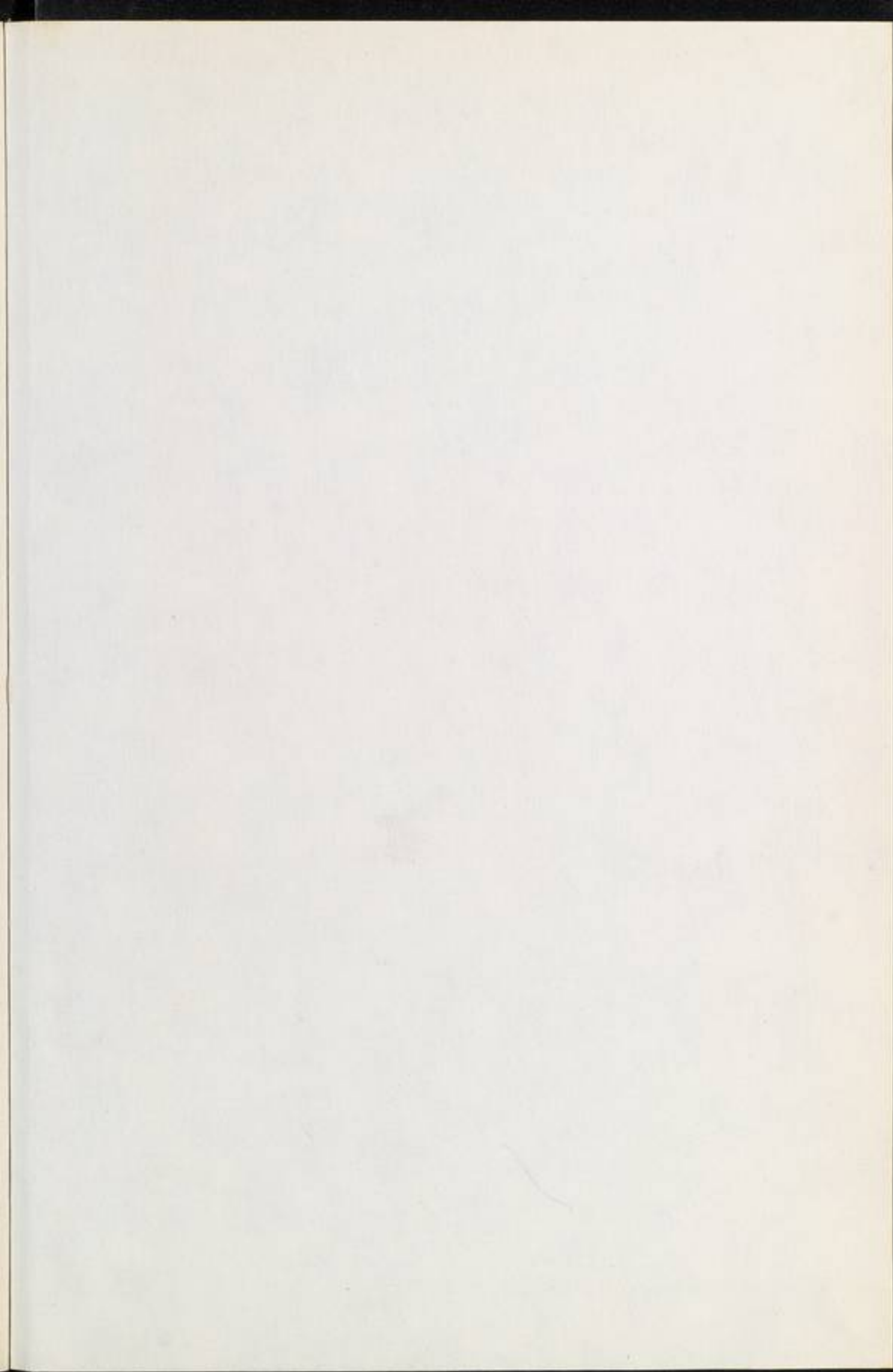


NEW YORK UNIVERSITY
Libraries









al-khalilī, Ja'far

/Hākadhā 'arāftubun/

هكذا عرفتهم

خواطر عن اناس افذاذ عاشوا بعض
الاحيان لغيرهم أكثر مما عاشوا لانفسهم *

تأليف

جعفر الخليلي

BP

193

R52N

1963

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هكذا عرفتهم

هذا عرض موجز لجانب من حياة بعض الاشخاص الذين كان لهم ذات يوم بعض الشأن في الحياة العامة والخاصة أو هو في الواقع عرض موجز لبعض ما احتفظت به الذاكرة عن بعض من عرض لي في طريق الحياة وكيفية تعرفي بهم وماهية هذا التعرف ولونه، وهو لون من الادب والتاريخ المبكر ، وليس من الغرور ولا التمدق ان اقول انه لون قائم بنفسه ، وانني لم اجار في عرضه احدا من قبل ولم يسبق لي ان قرأت عرضا على هذا النسق يجمع بين الادب والتاريخ ، ويربط بين النواحي الخاصة والعامة ، جمعا وربط لا تكاد تتبين او لا تكاد تعزل ما يخصك منه وما يهتك وما يخص اصحابه وما يهمهم ، وما يخص الناس ويعنيهم •

والواقع اني لم احس بانى بدأت اكتب شيئا جديدا مبتكرا يحسن ان تكتب به التراجم وتوضع على نمطه الاحاديث حتى نهني الى ذلك عدد من الادباء ، وحتى صار يسألني الكثير حين يتوفى الله شخصا من معارفي عما اذا كنت ساكتب عنه كلمة من هذا القبيل؟ والذي زادني يقينا بان الذي كتبه كان نوعا جديدا : هو ان بعض الذين تلذذوا به لم يكن لهم باى وجه اى اتصال او معرفة سابقة بمن تحدثت عنهم ، وقال لي هذا البعض - ان حقا ام باطلا - ان هذا العرض على رغم كونه يخص جماعة عاشوا في جهة معينة ، وفي محيط خاص وعلى رغم انه جانب من تاريخ معرفتي انا بحفنة من الرجال ، لقد قال لي هذا البعض ان ذلك لا يقلل من شأنه

كأدب جديد يلذ اي قارىء عربى فى أية بقعة من البقاع ان يقرأ سواء عرف
المحدث والمحدث عنه ام لم يعرفهما •

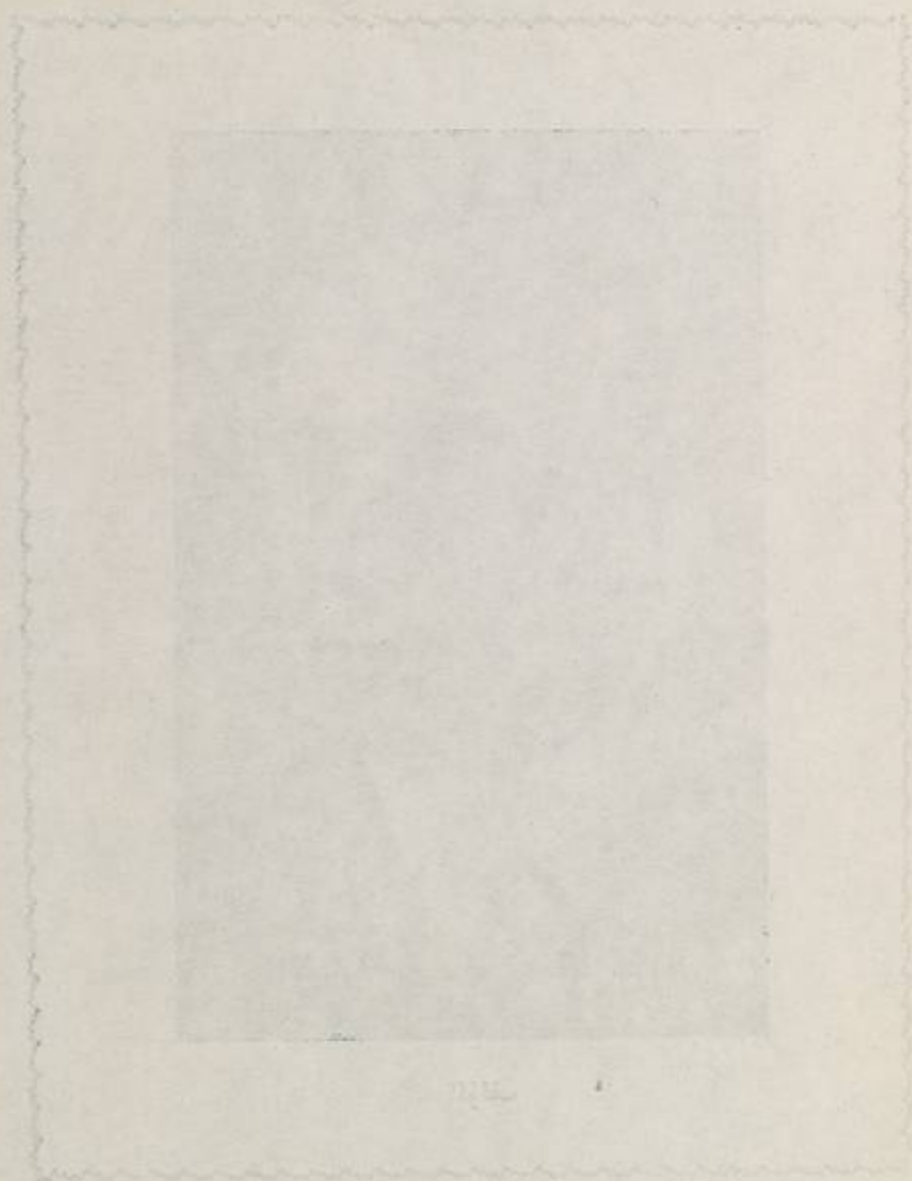
وسواء صح هذا الذى قيل ام لم يصح فقد وجدتني أومن بعض الايمان
بصحته ، واتقدم لجمع ماتاثر منه هنا وهناك فى هذا الكتاب على اعتباره عرضا موجزا
غير كامل لبعض من عرفت من الاشخاص الذين صادفتهم فى حياتي ، اقول عرضا
غير كامل لانه ما من شخص - ممن ذكرته هنا - الا وكان الذى اعرفه عنه اكثر
مما ذكرته وقد اضطررت بل واضطرتني ما تباني عليه الناس واصطلحوا عليه:
بان (ليس كل ما يعرف يقال) اجل اضطرتني هذا الى ان اقتصد فى القول الذى حسبته
مستساغا ، واوردت بعض ما عرفت عن بعض من عرفت ، فان صح انني قد جئت
بشيء جديد من الادب فى سياق الترجمة وكيفية العرض فضلا عما تضمن الكتاب
من الوقائع التاريخية والادب الذى قد ينطبق عليه قول حبيب جاماتي (تاريخ ما اهمله
التاريخ) - اقول ان صح هذا ، فهو المقصود ، والا فلست بأول من ظن انه فاعل
شيئا بينما هو لم يقدم شيئا ولم يؤخر •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِإِذْنِ اللَّهِ
مَجْمُوعَةُ كِتَابَاتِ
مَرْيَمَ كَرَادَةَ

بغداد - كرادة مريم



المؤلف



السيد مير علي^(١)

كنت ابن عشر سنوات او اكثر قليلا حينما كنت اختلف الى مدرسة اسرتنا الدينية المعروفة بمدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي في النجف لاحمل الى اخي الاكبر الطعام والالبسة او بعض الحاجات فقد كان اخي يقيم في احدى غرف الطابق الاعلى من هذه المدرسة ولا يتركها الا حينما تضطره الحاجة الى الخروج لزيارة أحد او حضور البحث ، او الذهاب الى البيت . وكنت ارى - في جملة من ارى بين اسبوع واسبوع أو يوم ويوم من طلاب الدين الداخلين الى المدرسة والخارجين منها ، المنكبين على المطالعة والجالسين القرفصاء في زاوية من الايوان ، او ركن من الاركان ، ليدخوا غليوناً ، او يسرحوا الطرف في الافق او ليتناقشوا في مواضع دروسهم مناقشة تكون فاترة حيناً ، وحادة في اكثر الاحيان - اجل لقد كنت ارى بين هؤلاء الطلاب بمختلف صورهم سيدي في العقد الثالث من العمر ، اسمر اللون ، خفيف اللحية ، ربع القامة تملو رأسه عمة سوداء قد تكون اكبر عمة رأيتها على رؤوس أقرانه وزملائه الطلاب ، وهو يرتدي ثياباً مترفة تدل على تألق باعتدال ، ويحتذى جورباً ابيض ، ونعالاً اصفر من النوع الجيد ، وهو يتحرك باتزان ، ويخطو باتزان ، ويتكلم بصوت هادئ في نبرات موسيقية جذابة ، ولست اذكر الان متى القيت النظرة الاولى عليه وكيف؟ وكلما اذكر هو انني رأيت في هذه المدرسة وفي غرفة اخي ثم في منزلنا وقد دعاه اخي لتناول العشاء مرة او غير مرة وهناك عرفت انه السيد مير علي ابو طينخ .

(١) الهاتف السنة (٨) العدد ٣١٨ الجمعة ٢٥ كانون الاول ١٩٤٢ ومن هذه الكلمة انتزعت مقدمة ديوان (الانواء) . للسيد مير علي ابي طينخ .

ومرت الايام سراعاً وغادر اخي النجف هارباً من وجه السلطة الانكليزية ولم تعد تلقني رجلاى الى المدرسة ، ولا المرور عليها على رغم وجود اقارب لى فيها ، وعلى رغم كونها مدرسة الاسرة ، وذلك لان بيتنا يقع فى طرف آخر من هذه المحلة ، ولاننى اصبحت غير ملزم بنقل الطعام او الحاجات الاخرى لاحد آخر ، أو قل اننى كبرت فلا يسوغ لاحد اقربائى ان يسخرنى لمثل ما كان يسخرنى اخي قبل هربه ، ولم اعد ارى السيد مير على الاماما ، وفى فترات قصيرة ، فى الطريق ، او فى الصحن الشريف ، فلا تزيد تلك الفترات على القاء السلام منى عليه وتلقى الجواب منه بشيء من الاعتداد بالنفس ، او عدم المبالاة ، حتى لقد حسبته غير مرة كثير الرضا عن نفسه ، عظيم الاعتداد بها ، فلم اشعر نحوه بما كنت اشعر به من ميل نحو اصدقاء اخي الذين ما التقوا بى مرة حتى سألتونى عن اخبار اخي وشؤونه ، او راحتى انا وشؤونى ومع ذلك فقد كنت احترمه كثيرا ، وابلغ فى احترامه كلما انتقيته فى الشارع ، او فى مجلس ، فالقى عليه السلام كما يلقيه شبابنا الصغار على علماء الدين الكبار ، ويرد هو على السلام كما يرد اباؤنا على ابنائهم ، ثم يمر زمن آخر فألقى نفسى وقد انتقلت من دور الى دور قد لا تكون له بالماضى اية علاقة او اى اتصال ذلك هو دور الشباب الذى اذا اجتازه الشاب بسهولة فلن يستطيع ان يجتاز زهو وغروره وكبرياه بتلك السهولة ، فاجدنى معتزا مغرورا بكلمتين تعلمتهما من النحو والصرف ، وآخرين من المنطق والمعانى والبيان ، وثالثة بما بقى فى ذهنى أو استعدته فى ذاكرتى من دروس المدرسة الحديثة ، فاذا بى شامخ بعض الشموخ ، واذا بى وانا التقى السيد مير على مرات فأصفح عنه دون ان احببه او اسلم عليه كأن ليس لآخى حرمة فى نفسى ، وكان ليس لاصدقائه اثر فى ذاكرتى ، ويسدو لى ان هذا السلوك منى قد لفت نظره الى فلم يلاق عنده القبول ، او انه عز عليه ان يرى اخا صديقه جافيا ، قاليا ، خارجا على الادب .

وذات يوم وانا ادخل مجلسنا من مجالس المكتظة بالفضلاء والادباء لفت نظرى ازدحام صفوف الجانسين فاهم بالجلوس فى مكان قصى من الحضار وقد

احسست بالخجل يستحيل الى قربة من العرق البارد ، واذا بصوت من صدر المجلس
وبكل لطف واحترام يدعوني الى الجلوس عنده وما كادت تحين التفاتني الى مصدر
الصوت حتى رأيت السيد مير علي واقفا ، ومفسحا لي في المجال ، واذا بي اجلس
اليه جنبا الى جنب فيسألني عن حالتني ، ويسألني عن اخي ويكثر من السؤال
والاستفسار ، ويقص على قصة كان لها مغزى عظيم في عالم الغرور والكبرياء
فانلقاها صدمة عنيفة منه كانت بمثابة قرص الاذن ، كما كانت السبب المباشر لان
يثوب الى رشدي قبل اوان ثوبانه عند الشباب ، فعدت كلما رأيتة انمق له اسنى
التحيات واعطرها ، فيقبلها قبولا حسنا ويرد عليها باحسن منها ، فصرت ارى فيه
رجلا غير الذي ظننت ، وارى قلبا غير الذي حسبت ، واشعر بجاذبية تجذبني اليه ،
وتحبيه الى نفسي على رغم تباين هدفني وهدفه ، وسلوكي وسلوكه ، ووجدتني
اذكره بشيء من الارتياح في كثير من المناسبات الادبية ولم يمر بعض الزمن حتى
اشتدت بيننا اواصر المودة وحتى بدأت ارى في شخصه الرجل الطيب المفعم باسمي
العواطف نحو البشرية وارى في احاديثه اصدق الدعوات لانتشال الانسان من
هوة الوحشية وارى في حركاته وسكناته شيئا غير قليل من المثالية فاعجب به غاية
الاعجاب ، واكبره غاية الاكبار ومع ذلك كله فلم تكن لي به تلك الصلة التي تخولني
ملازمته ملازمة اخي أو اى صديق اخر ، فهو قد توغل في دراسة الفقه والاصول
والحكمة ومقتضيات الدين والآخرة ، وانا توغلت في (السطوح) ومقتضيات الدنيا
لحد اذا لم يكن بعيدا فهو حد فاصل بين غايتي وغايتي على الاقل ، فكان التقاؤنا
مقتصرا على الصدف من غير ميعاد وعلى المنتديات والمجالس العامة والخاصة بحيث
لم تزد مدة هذا الالتقاء او المقابلة على نصف ساعة على الاكثر فلا اغادره بعدها الا وانا
مغمور ومسحور بعقله وحديثه واهدافه ، ولا اراه الا وانا مشتاق للاستزادة من تلك
الذهنية الفياضة ومن ذلك القلب النابض بحب الانسانية والفضيلة .

وفى اثناء السنة كنت احس بخلو مكانه في المجالس والمنتديات زمنا قد يطول
حيناً ، وقد يقصر حيناً آخر ، فاعلم انه يقضى بعض ايام عطلاته عند قسم من اعمامه

فى (غماس) او عند القسم الاخر من اعمامه فى (الطابو) فقد كانت المودة بينه وبينهم على غاية الصفاء ، وكانت عنايتهم به مفرطة وهو يكاد يدوب فى جبههم ، فلا تحين عطلة الدرس حتى يخفف الى زيارتهم ويقضى شطرا من الوقت فى ربوعهم ثم لا تكاد تنتهى ايام العطل حتى يعود الى التجف ليواصل درسه وبحثه .

وطالت ذات سنة غيبته فلم أسأل عنه حاسبا لتعلق اعمامه الشديد به وتعلقه الشديد بهم كل الاثر فى تلك الغيبة الطويلة ، ولكن غيبته قد طالت كثيرا ، وتجاوزت حد الحسبان ، وحينئذ علمت بانه مريض ، وانه يشكو وجعا حادا فى مفاصله ورجليه وان المرض قد الزمه البيت فلم يطق الخروج منه ، وبعد شهر او اكثر من ذلك التقيته فى الشارع بشيء كثير من انللفة والسؤال عن الحال والعافية ، وسررتنى كثيرا ان اجده مهتلا ، ومكثرا من الحمد لله كلما كررت عليه السؤال عن الكيف والاستفسار عن الصحة

ومر زمن اخر ، علمت ان مرض الروماتزم قد عاوده ، وان رجليه اصبحتا لاتطيقان النهوض به بدون واسطة ، وانه قد اضطر الى مراجعة الاطباء ببغداد كما اضطر الى السفر (لحمام العليل) فى الموصل وانه لم يترك وسيلة من الوسائل الحديثة دون ان يتمسك بها فى شفائه فلم يجده ذلك شيئا ، فراح يلتمس شفاؤه فى وصفات المجريين والعجائز حتى لقد جرب الف صنف وصنف من العقاقير المألوفة فلم يحصل على فائدة ، وشاء الله ان تقف رجلاه عن الحركة فوقفتا ، وان ينفض يديه من كل رجاء فنفض يديه ، وان يقتعد جانبا من البيت لا ينتقل من مكان الى اخر الا بحمله على الاكتاف فاقعد ، وان تظل اعصابه مرهفة الحس تشعر بالاوجاع حيناً بعد حين فظل كذلك . اما الشيء الذى لم يشأ الله ان يسلبه اياه فهو الابتسامة المرسمة على ثغره والصبر الذى يغمر وجوده .

ولم يجانب السيد احمد الموسوى الهندى الواقع حين رثاه بقوله :-

حوشيت لم تجزع ولا طول السقام زعزعك
قالوا تن للضنا فهل وساد سمعك ؟

أسهرك المجد وما سقم أفض مضجك
يا بطل الصبر الجميل أى قرن صرعت ؟
يا ذاهبا بالصبر محمود التنا قد رجعت

اجل لقد وقفت حركة رجليه ولم يبق ما يدل على وجود الحس فيهما غير
اوجاع شديدة طالما أفضت مضجعه فلأزم البيت كسيحا مقعدا لا يحدد عن مقعده
قيد شبر الا بمشقة كبيرة ، وجهد عظيم ، وراح اصداقؤه يزورونه صباحا ومساء
ويقصدونه كلما افتقدوه وشعروا بفراغ محله فى منتدياتهم ، وحلقات دروسهم ،
وكل زائريه من اولئك الذين قطعوا واياء شوطا كبيرا من مراحل العلوم والبحوث
الدينية ، فكانت هذه الزيارات المتتالية المتصلة سبب مشقة له اكثر مما كانت سبب
سلوى ، لاسيما والرجل مقعد لا يطيق ان يستغنى بنفسه فى خدمة نفسه ، ولو ترك
الامر له لظل فى قيد لانفصام له ، وعذاب لا انتهاء له ، من كثرة الداخلين عليه
والخارجين منه ، ولكن طائفة من اخواله آل الشيخ راضى واصدقائه المتفانين فى حبه ،
والمفكرين فى راحته وهنائه ، قد وقفوا سدا فى وجه الزائرين وخصصوا لزيارته
يوما واحدا فى كل اسبوع وهو يوم (الاربعاء) واعلنوا ذلك للجميع دون ان يهتموا
برضاه او عدم رضاه وصار يوم الاربعاء من كل اسبوع يوما يفتح فيه الباب على
مصراعيه لاصدقائه ومعارفه والمعجبين به ، واصبح يقضى كل ايام اسبوعه هادئا
بعض الهدوء ، ساكنا بعض السكون ، يقطع شطرا من النهار فى مطالعة كتب الفقه
والاصول والحكمة ويقطع الشطر الاخر منه فى قراءة بعض مؤلفى العصر كالرافعى
والعقاد ، والدكتور طه حسين ، وهيكىل ، قراءة دقيقة وبذلك استيقظت موهبته
الادبية فى نفسه وتنبهت ملكته الشعرية وكان قعوده فى البيت اول مرحلة لمزاوته
الشعر .

نعم انه كان يفهم الادب فهما جيدا وقد جرب غير مرة نظم الشعر فافلح ،
وتليت له بعض قصائده من قبل ، كما انه كان يحسن نقد الشعر وانتقاء ارق معانيه
ولكنه ما كان ليتخذ منه وسيلة تسلية ، ولم يشتهر به الا يوم قعد به المرض ، والا

يوم تفرغ من تبعات المجتمع وتقاليده ، فخلا بنفسه ليقراً ويتأمل ، حتى اذا مل القراءة ، وسأم التأمل ، عمد الى النظم يعبث بقوافيه واوزانه عبث الباطر اللاهى ، واذا بهذا العبث المقصود يجره الى نتيجة غير مقصودة ، ويخرج منه شاعرا من طراز خاص فلا يترك مناسبة تمر دون ان يصور فيها خاطرة من خواطره الشعرية فيقول عن كساحه وحمله على الاكثاف مثلا :

أنفت ان تصافح الارض رجلى فاستوت فى منابر الاكثاف
فكأنى وقفت فيها خطيبا او كأنى فى القوم (عد مناف)
ويكتب لصديق له معتذرا ويقول :-

هذا كتاب الله فينا ناطق لسانه : ليس على المرضى حرج
وقد شهدتم مرضى وحرجى فأسأل الله الشفاء والفرج

اجل لقد مضى يتخذ من الشعر وسيلة للتعبير عن خواطره وخواجه ، ويصور فيه لحد ما افكاره ، وجدده ، وهزله ، ولم يعد يوم الاربعاء مقتصرا على زيارته فحسب ، وانما صار يوما يتنافس فيه البعض من حضاره فى الآراء والافكار ، ويتنافر فيه الادباء بالشعر والنثر ، فيسمعون منه منظومه ومثوره ، ويرددون على مسامعه اصداه وما يعلق فى نفوسهم ، وطابت هذه المجالس ، ولذت احاديثها فى افواه زملائه واصدقائه من علماء وادباء ومحبين ، فمضوا يسعون لاستغلالها فى مجالس خاصة تقتصر عليهم وحدهم واقترحوا ان لا يتركوا دار السيد مير على نهار الاربعاء مع من يتركها من بقية الزائرين ، وان لا ينصرفوا عندما يحين وقت الانصراف فاذا ما حان الظهر حمل كل فرد من هؤلاء الاصدقاء غداه الى بيت السيد مير على ، ودعا هو بغدائه ، فكانت من كل ذلك مائدة واحدة وقد اطلق على طائفة خاصة من هؤلاء الاصدقاء اسم (الصفوة) كان منهم الشيخ حسين الحلى ، والسيد على بحس العلوم ، والشيخ محمد حسين المظفر ، والشيخ محمد جواد الحجامى ، والشيخ محمد حسين الجواهرى ، والشيخ كاظم على بيح ، وحضر هذا اليوم غير مرة ، الشيخ عبدالحسين الحلى والشيخ محمد حسن حيدر وغيرهما ، وحرصت هذه

الصفوة كل الحرص على ان تجعل من يوم الاربعاء بعد انصراف الزائرين يوم متعة ولذة ربما كانت تتجرد فيه من قيود المجتمع ، ليواجه بعضها بعضا بحقيقته ، وبذاته ، ومبازله ، ولم يكن هذا التجرد عن القيود والسلاسل والظهور بالحقيقة المطلقة من قبل (الصفوة) غير الافساح في المجال لانفسهم ليضحكوا ماشاء لهم الضحك ، ويلتقوا على الاخبار الادبية والمقاطع الشعرية بما شاءت لهم الحرية والفكاهة ويعطوا لانفسهم المتعة الكاملة في الاكل حتى وان جاءت هذه المتعة عند الصفوة عن طريق اختطاف اللقمة من فم صاحبها ، أو الاسراع بانتزاع اللحم من الحساء ، وحرمان الآخرين منه ، او بمهاجاة شعرية مستملحة مقبولة تتجاوز العشرات من ابيات الشعر المرتجل الهازل ، الى غير ذلك من اللذة البريئة التي تشدها نفوس ادباء تعبوا على انفسهم بعض التعب ، وعلى هذا فقد يتغير مجلس الواحد من الصفوة عدة مرات ، فحين يكون الى جانبك في هذه الدقيقة لا يلبث ان يكون في طرف بعيد الى جانب شخص آخر في الدقيقة الثانية ، اما الذي لا يتغير مجلسه ، وحديثه ، ولون وجهه ، فهو السيد مير على وحده ، وقد اعتاد ان يضحك كثيرا لنكت الزمرة ، اما نكته هو فقد اعتاد ان يرسلها هادئة بغير ضحك ولكنها على الغالب تكون من النكت المبتكرة الحازة ، واني لاذكر يوما من ايام مرح الزمرة حول الخوان وقد انقلبت دلة القهوة على الكعب وتسربت نار الموقد الى الفراش فأحرقته ، وادى عمل اخماد النار واطفائها ومزاج الصفوة الى نوع من الفوضى كان ممن جرائه اصطدام جبين السيد مير على با (المنقل) الحديدي عفوا .

نعم اني لاذكر ذلك اليوم واذكر تلك الابتسامة التي ارتسمت على ثغر السيد مير على واذكره حينما التفت الى الجميع قائلا - اشهد انه لا يلبق بسئل هذه الفوضى التي جثم بها غير بيت من شعر (الابوذية) العامي ، فمن منكم يجيز هذا الشطر :

(جماعته باكلهم كسفونه)

فضحك الجميع واجازوا البيت حتى جعلوه عشرين شطرا وليس ثلاثة شطور كما هي القاعدة في نظم (الابوذية) ، والتفت فاذا بكدمة وتوء بحجم الجوزة تملو

جيينه من اثر الاصطدام ، .. ولكن هل تغير وجهه ؟ هل تنكر لجلسائه ؟ وهل قال شيئا ؟

وشاع مجلس (الاربعاء) باحاديثه وأدب (الصفوة) وشعرهم ، وظرفهم ، ومبذلهم فى مجالس النجف ومنتدياتها ، واصبح الاستقراء والاستساخ والمساجلات فى الشعر وتبادل النكات وابتكار الملح والفكاهة كشيء ملتصق بنادى السيد مير على الادبى أو باسمه على الاصح ، حتى صار الكثيرون يحيلون النقاش والاحتكام فى بعض المشاكل الشعرية والمساجلات الادبية ليوم الاربعاء ، ولمجلس السيد مير على وكثيرا ماتكون هذه المشاكل من التعقيد بحيث تستعصى الاجابة عليها سريعا ، وتتطلب ان يتاولها من يحضر منتدى الاربعاء من العلماء الذين لم يخل ناديه منهم فى صباح الاربعاء ، وطالما اختير السيد مير على حكما مطلقا فيما اختلف فيه من بعض الاراء وبعض الافكار الادبية ولست انسى تلك الحلبة الادبية التى اشركت فيها طائفة من الادباء بالاراجيز حتى كانت منها مجموعة بلغت اثنتى عشرة ارجوزة طويلة وقد كتب لى انا ان اكون احد المشتركين بها فى وليمة غداء فاخرة اقامها الشيخ قاسم محبى الدين فى بيته ، اقول لست انسى تلك الحلبة الشعرية التى انتهت بمعركة ادبية اضطرت البعض الى اختيار حكم يضع حدا نهائيا لتلك المعركة فوق الاختيار بالاجماع على السيد مير على ورفعت اليه تلك الارجيز ومعه كتاب موقع عليه من قبلهم وهم يلتمسون صدور حكمه فى هذه المعركة العنيفة وكان ان صدر حكمه فى ارجوزة شعرية تجلت فيها قوة الشعر كما تجلت خفة الروح والدعابة التى قلما خلا منها ارباب الذوق والنفوس المتفتحة ، وكانت الارجوزة بمثابة انتصار لامع للمشتكى المقهور ضد جميع مهاجميه ، ومن المؤسف ان تودع كل تلك المقاطع والاراجيز عند الشيخ قاسم محبى الدين لسبب من الاسباب الخاصة فيحصر عليها الشيخ ، ولم يدعها ترى النور ومعه قصيدة عبر فيها الشيخ محمد طاهر الشيخ راضى عن رأيه وحكمه فى ذلك النقاش ، ومعه قصيدة السيد مير على التى كانت بمثابة التميز والاستيناف فى تلك المعركة .

وصار يوم الاربعاء من تلك الفترة من اشهر ايام النجف المعروفة وقد اشار
اليه الكثير ممن رثى السيد مير علي وكان منهم ابراهيم الواصل الذي جاء في
مرثيته قوله :

متدى العلم في الغرين اخفى الموت رمز الفخار من اعضائه
شاعر مرهف الاحاسيس ليس (البعض) من نده ومن اكفائه
حدث (الناس) عن سواه فصولا وحديث الزمان عن (اربعاة)

واهدى لي السيد مير علي ذات يوم (دلة) قهوة معدنية وارقها بقصيدة جاء
فيها :

منطق الفن وهو بعض الادلة دل ان الجمال في صنع (دلة)
صورتها كف الصناعات فوافت بمصب تصاغ منه الالهة
الى ان يقول :

شاقى ان ازفها باحترام (للخليلي) فهو زين الأخله
انا ما ان ازال أكبر منه قلما رائعا وأكبر عقله
أنحري نظيره جهد ما بي من نشاط لكنني لم اجد له ...

ونشر (الهاتف) هذه القصيدة وعلق عليها ولم تكذ تتشر حتى تناولها جمع
كبير من فحول الشعراء وباروها بقصائد رائعة وقد عزاني البعض في هذه المباراة
بابني الوحيد (هاتف) ، وكان من اولئك الشيخ محمد حسن حيدر ، والشيخ
عبدالحسين الحلبي الذي تفنن في قصيدته هذه تفننا عجبيا ، جمع فيها عددا من
الاعراض التي قلما جمعها شاعر كما جمع هو من غزل الى نسيب الى مديح الى
هجاء ، الى رثاء ، وقد تعرض في هذه القصيدة للسيد مير علي ولمن نظم على غراره ،
وهجا اولئك الشعراء وعدهم مخفقين في اعطاء قافية (الدلة) حقها من صوغ رثائهم
وتعزيتهم لي على ذلك النمط من الرثاء الباكي الحزين فقال مما قال وهو يخاطبني :-
لك اهدى نجية من نجيب اوقفوا قبلها بسابك بفله

ألبسوها من العويل ثيابا وسقوها من واكف الدمع وبله
وحشوها من القديم حديثا ما اجادوا وما استجدوا أقبله
وجلوها رسما اجل هي رسم قد دعوه قصيدة للتجله

وكان عنوان قصيدة الشيخ عبدالحسين الحلبي هو (دلة من قريض ؟) .
واغتاظ السيد مير علي ولكن غيظ السيد مير علي لم يكن مكشوفاً لكل احد ،
واغتاظ غيره من الشعراء وكان منهم السيد احمد الموسوي الذي حاول ان يناقش
الشيخ عبدالحسين الحلبي على رغم تهييه له فقال مما قال :

ايها الشيخ ان للحب ثله لاتي للذول في الشوق عدله
قد ينال الملام منهم ولكن هم على الحب في رحيل وحله
فاحسبني منهم فدينهم ديني ومالي سوى المحبة قبله
أأواري نوارتي ثم ارتد خليا - هذي حماقة (بقوله)

والتعريض باهل الحلة هنا واضح في قافية (البقوله) ، والقصيدة في نحو
مائة بيت واكثر وقد ارفق احمد الرضوي القصيدة بكلمة اعتذار نشرها الهاتف
يقول فيها مخاطبا الشيخ عبدالحسين :

« وبعد فمن التطفل على شيخنا قاضي القضاة ان ينشر لي (الهاتف) شعرا قد
يظن انه معارضة لقصيدته العامرة الخالدة ولكن هذا بمثابة الجلوس على مائدة
الكريم بغير دعوة يعده الناس تطفلا وهو احترام » .

والحق ان قصيدة الشيخ عبدالحسين كما اشار اليها السيد احمد قصيدة تفتن
فيها الشيخ تفننا عجيبا غريبا جمع فيها مختلف الاغراض الاجتماعية والادبية ووفق
بين حلقاتها المختلفة توفيقا منعدم النظر وهي تقع فيما يقرب المائة بيت منشورة في
الهاتف وقد ختمها الشيخ الحلبي بالابيات التالية التي عبر فيها عن ماهية قصيدته
وصفتها من حيث الموضوع ، اما ماهيتها الادبية فلا احسب ان من الهين حصرها في
جمل صغيرة كهذه ، وقد ختم الشيخ القصيدة بقونه :

لك منى تبدي التحايا هدى لك زفت من بعد بطء ومهله
 لست ادري ولا الهدية تدري ما الذى قد تكلفت لك حملة
 أرثاء أم دلة من قريض ام هجاء ام مدحة للاجمله
 أم عظة تضم جدا وهزلا ام تراها تحملت ذاك كله ؟
 جبر الله بالمسرات منى ثقل بعدى ومن (خلى) ثكله

ونظم السيد مير على قصيدة تضمنت شيئا من عدم رضاه ودفع الى بها لنشرها كرد على قصيدة الشيخ عبدالحسين الحلبي ولكنى لم استسغها لاشيء الا لاننى لم ارها جديرة بالوقوف امام قصيدة الشيخ الحلبي الزائفة التي حفظ الكثير من الادباء ابياتها ، فقد صور فيها الشيخ عبدالحسين الشعر بابدع صوره ، وتفنن في صياغة (الدلة) تفننا عجيبا ، وقد صارحت السيد مير على برأىي وواقفتي وقبرت القصيدة في مهدها . (وقد اوردت بعض الابيات من هذه القصيدة المعاصرة في كلمتى عن الشيخ محمد حسن حيدر من هذا الكتاب) .

وفي تلك الاثناء رأى الشيخ محمد جواد قسام ان يتم قصة (الدلة) بفنجان من فناجين القهوة الخاصة ، وتفضل على مشكورا باهداء فنجان عمل الفن فيه عمله ، فصيغت في وسطه قبة مشبكة من الفضة احتوت على مقدار من المسك لا يكاد الرائف يرشف منه رشفة حتى يحس بالعطر يضحخ انفاسه ، وارفق الفنجان بقصيدة نشرها له (الهاتف) في حينها وكان هذا مطلعها :

وافاك فنجان لدله يسقى بقهوته الأخله

وبالإجمال فقد صار (للدلة) وقع ادبي رائع بفضل السيد مير على ، ولم تنزل الدلة تشغل من خزانة محفوظاتي اسمى موضع واغلاه .

وكان السيد مير على سريع البديهة يأتيه الشعر عفو الخاطر معبرا به عن احساسه وكان بيته يقع على السور مطلا على صحراء النجف ومقبرة (وادى السلام) وكان لاعمامه (آل ابي طيخ) عبد يسمى (قنبرا) فاذا اتفق وجوده في النجف وفي بيت السيد مير على تكفل هو بنقله الى تلك العرقة المطلة على (الوادى) صباحا ثم قام بقله

الى الحرير مساء ، وقد اوحى اشتراك اسم هذا العبد مع اسم عبد لعلى ابن طالب يدعى (قبرا) واشترك اسم السيد على ابي طيخ مع اسم على ابن طالب ، لقد اوحى له مشاركة الاسماء وهو مستقل كفى عبده قبر هذين البيتين :

ان تكن (قبرا) فاني (على) بك اهلا فانت لطف خفي
قال: فارك فانت(درة) تاجي قلت فاغتم لكنني (نجفي)

والدرة النجفية اشهر من ان تعرف للقراء اما الاشارة الثانية للنجفية في هذه التورية فترك تقدير دعابتها لذوق القراء من النجفين وذكائهم * ولم يكن بيت السيد مير على القديم على هذا النحو من الموقع ، وانما كانت بينه وبين هذا الفضاء حوائل من ابنة استملكها بلدية النجف وشقت منها شارعا عريضا فتهدم من بعض البيوت جانب بسبب هذا الاستملاك ، وأضيف الى بعض البيوت جانب آخر من فضلات الطريق التي باعته البلدية ، وكنت انا من الساعين لشراء قسم من فضلة الطريق لبيت السيد مير على الذي تجدد جانب الديوان منه ، فكانت له من تلك الاضافة تلك الغرفة الجميلة المطلة على وادي السلام والتي تشرف منها على العابرين وعلى السيارات الجاثية من كربلاء والذاهبة الى كربلاء وهذه الاطلاة كانت من اهم وسائل التسلية عنده ، حين يكل من المطالعة ، وحين يختلي بنفسه ، ولقد عبر عن انتزاع بعض المساحات من بيوت هذه المنحلة الواقعة على هذا الشارع ، واطافة بعض المساحات من فضلات الشارع لبعض البيوت ومنها بيته احسن تعبير في هذين البيتين :

شوارع وسعوها كي يكونا على رفة بها المستطرقونا
فكم صلّموا بها أذنا وانا بحمد الله زادونا قسرونا

ومن أجمل ما قرأت له من البديع الذي تضمنه شعره تفرظه لكتاب (الضائع) وهو أحد مؤلفاتي الذي طبع ونفذ ولم تبق منه ولا نسخة عندي :

صناعة جلت تصاويرها فى النفس مذجلى بها الصانع
كم من كتاب باطل فى الورى يوجد والحق هو (الضائع)

وكت ادخل عليه كلما سنحت لى الفرصة دون الاهتمام بيوم الاربعاء الا نادرا ولا يكاد يصل صوتى الى اذنيه وانا انادى من وراء الباب :

- السيد موجود ؟.....؟

حتى ينطلق صوته من الديوان ناديا :-

- مولانا مولانا

ثم يردف ذلك بصوت عذب وبنغمة حلوة صائحا :-

- صدقى صدقى

ويمط هذا النداء بتلك النغمة الرتيبة ، ويمده حتى يبلغ مسامع ولده الاصغر (صدقى) فيخف ابنه مسرعا من الحرم الى الديوان وهناك تحضر دلة القهوة ، وتفتح نفسانا معا مستعرضين ما تقتضيه المناسبة ، وما جد لى اوجد له من خاطرة بمتها مطالعة كتاب جديد او سماع قصيدة حديثة ، وما اكثر المناسبات التى كانت تتلى فيها القصائد يومذاك فى النجف •

وعلى ان عددا من الامراض قد تضافرت على هدم عمره ، منها الرمازم الذى اقمده ، ومنها اعتلال الكبد الذى عانى منه الكثير من الالام ، ومنها السرطان الذى مات به •

وفى مرثيتى له اشرت الى ما كان يعانى من هذه الامراض والالام بقولى :-

دنيا الجميع لذاعة لكنما دنيك سلسلة من الالام

وحياتهم نعم موفرة وما خلقت حياتك من ضنا وسقام

اقول :- وعلى ان عددا من هذه الامراض قد تضافرت على هدمه فانى اكاد اجزم بانه لم يوجد بعد احد من اقاربه ، أو اصدقائه من سمعه شاكيا او رآه جازعا وقد ظلت تلك البشاشة تصحبه الى آخر ساعات حياته •

وكان آخر ما نظم مقطوعة رثى فيها نفسه ، وضمنها وصيته وليست وصيته

الا رغبة ملحة بان يقفوا به طويلا - اما مروا - على قبره ، ومن تلك المقطوعة هذه

الآيات :

واذا ما قضيت نحبي فخطوا لي قبرا بجنب (وادي السلام)
وقفوا وقفة الشحيح عليه لا تمروا به مرور الكرام
واذكروني مهما حيتم بخير رحمة واذكروا بها ايامي
كل حي وان يعيش ابد الدهر بدنياه سوف يسقى بجمامي

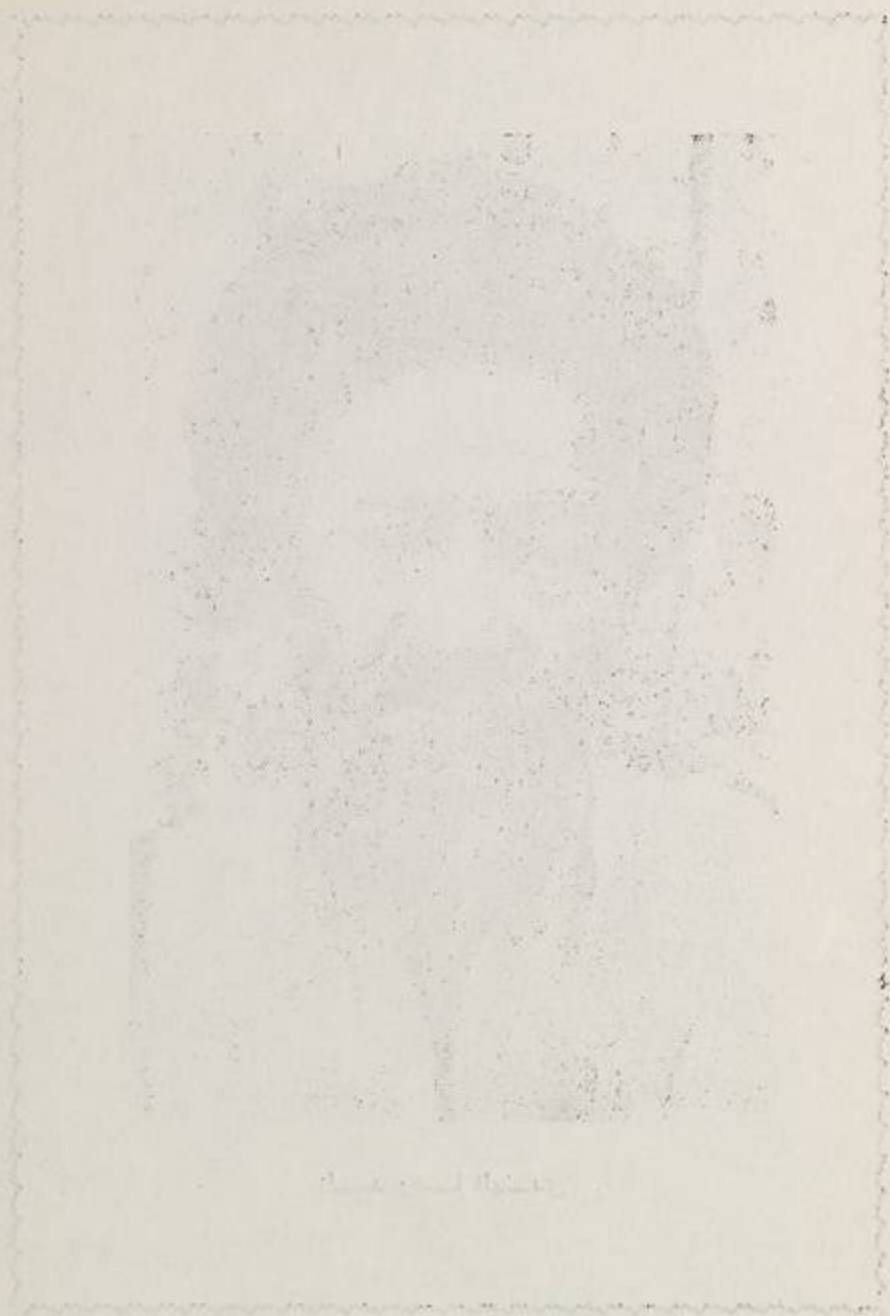
وانا اليوم امر على قبره واطيل الوقوف عنده ولا افارقه الا وقد ذرفت آخر

دمعة مما تخترنه ماقي ، غارقا في بحر من الذكريات والاحلام اللذيذة التي لن

تعود .



السيد رضا الهندي



Faint, illegible text or a signature, possibly a name or date, located below the main illustration.

السيد رضا الهندي^(١)

كان ذلك قبل خمس وعشرين سنة أو أكثر عندما علمت بان صديقي السيد احمد الهندي انما هو ابن السيد رضا الهندي ، أو قل انى عرفت ان لصديقى هذا أباً له فى عالم الادب والعلم شأن كبير ، ثم عرفت بان هذا الاب هو عم السيد صادق الهندى ، الذى تعرفت به فيما بعد ، ثم تحول هذا التعرف الى صداقة جد وثيقة ، ورحت كلما خطوت فى السن احس بشخصية السيد رضا الادبية تمتلك نفسى ، ويلذ صدق ادبه فى سمعى ، ولشد ما احببت ان استزيد سماع التذكرة اللاذعة، والنادرة المستغزرة ، والتهمك الادبى الهادى المروى عنه فى الاوساط النجفية ، وذلك اما لانى كنت مرحاً اميل الى الفكاهة والدعابة ، او لانى كنت لم افهم نلادب حينذاك معنى آخر غير هذا النوع انذى كان يملأ نفسى اعجاباً بالسيد رضا الذى يجيد هذا اللون من الادب اجادة عظيمة .

ثم خطوت خطوة اخرى اتيح لى فيها ان اسمع للسيد رضا شيئاً اكثر واكثر ، لقد اتيح لى ان اسمع اجود ما كنت افهم حينذاك من الشعر واسماء ، وابرع التكت الادبية واغزرها مادة ، واتيح لى ايضا ان ارى السيد رضا عن كتب فيما كنت ارتاد من المجالس الادبية ، وارى مقامه بين العلماء وبين الادباء ، فاسمع صوته الخافت واتميز نبراته بين مختلف الاصوات ، ولقد كانت بين مجلسى ومجلسه مسافة هي ما بين فهمى الادب وفهمه ، ومع ذلك فقد كنت اسمع احاديثه ، واسمع تعليقاته بكل وضوح ، واتسمع الى ما كان يراه ويبديه من آراء لم افهم اكثرها ، ونكنى كنت افهم بعضها ، وبعبارة اخرى اننى كنت افهم ما كان يتصل بالادب اكثر من فهمى للمواضيع الاخرى ، وكنت اطرب ايما طرب حينما كنت ارى نفسى قريبة منه ، وقادرة على سماع احاديثه بلا تكلف .

(١) الهاتف السنة التاسعة - العدد ٣٣١ - ٢٥ حزيران ١٩٤٣ .

وهنا خطوات خطوات اخرى الى الامام فاذا بي استطيع ان اتخذ من الفقيه حكما لرأى ارتثيه ، او مشادة ادبية تقع بينى وبين بعض الاصدقاء والادباء ، او استيضاح عن معنى مغلوط ، او جملة ملتبسة المعانى والأغراض ، ولقد حكم ذات مرة لخصمى فى قضية كنت احسبني فيها محقا ففضبت فلم يكن منه غير ان التفت الى وقال ما معناه :

« اذا كنت تريد العراك وكنت شجاعا فيجب ان تبحث عن (تركى) حاد المزاج لا ان تقصد (هنديا) بارد الطبع مثلى ، فخجلت ووليت . ولقد كان حقا - كما قال - كان بارد الطبع ، لين العريكة ، وقد ساعدت صفاته هذه المختلفين فى الكثير من البحوث ولاسيما الشعر والادب على اختياره حكما نهائيا فى اختلافاتهم ، وظل يتمتع بهذه الصفة وتلك القابلية قابلية اصدار الحكم بكل اناة فى القضايا الادبية الى حين وفاته .

واتسعت دائرة معرفتى به ، وقرأت له اثارا كثيرة رائعة ، وصار لى به اتصال شديد اتاح لى ان اعرفه معرفة جيدة ، واسمع منه اخبار اعلام الجيل الماضى بكل دقائقها فقد كانت له المامة واسعة بالمشاهير من ادباء الجيل الماضى وكان ملما باخبارهم الماما كافييا بل كان صدره عبارة عن سجل تاريخى لاهم ما قيل وما يجب ان يقال فى اسعد الساعات واكثرها رخاء ، واشدها حرجا ، وتوثقت عرى هذا الاتصال بينى وبينه فما وجدتنى بعد ذلك الا وانا اسير الحديث معه كما أشاء وكما يلذ لى أن يكون ، ووجد منى مصغيا فصار يجتهد فى نقل ما وسع ذهنه الى ذهنى من روائع الادب ، ويتحفى باسمى متوجه واغلاه ، وحتى غدا يزورنى فى مكتب جريدة الهاتف فى كثير من المناسبات ، وارتفعت الكلفة فيما بيننا ، وادرك انى لست ممن الذين يتخلون للعظمة صورة خيالية بحتة متى تجردت منها لم يعد للعظمة معنى عندهم ، كأن يطلبوا من العظيم ان لا يضحك مثلهم ، ولا يتحدث معهم والا فقد هبط من ملكوت عظمتهم مادام يحدثهم كما يحدثهم ند من اندادهم ، وكان اذا دخل مكتب الجريدة وهو متعطش لشرب الشاي - وكان منهمكا بالشاي كثيرا - نادى

(انا شايان) (انا شايان) ٠٠٠ واعترضته اول يوم سماعى لهذه الصيغة الغريبة
واستعماله كلمة (شايان) بقصد طلب الشاي قال :

اذا حق لذلك الفقيه العجمى ان يستعمل هذا القياس فى كلمات ابعدها ما تكون
معنى عن قياسى انا ويصيب المرمى بها فكم بالبحرى ان يحق لى انا استعمال هذا
القياس فى المعنى القريب •

ولما سألته عن قصة الفقيه العجمى قال :

هو فقيه عجمى لم يحسن غير اللغة العلمية الفصيحة وقد ضايقته بطنه ، وهو
فى السفينة مضايقة شديدة ارغمته على ان يطلب من الملاح الدنو من الساحل فنادى:
- ايها الملاح ادن من الساحل فاننى اريد الخلاء ٠٠٠٠ ولكن الملاح لم يفهم شيئاً
مما يقول هذا الفقيه فعاد الشيخ ينادى مرة اخرى - أن ادن من الساحل فاننى اريد
المرحاض ، فلم يفهم الملاح شيئاً ، وعاد للنداء ثالثة ورابعة وهو يستعمل اى رمز
للمرحاض فلم يفهم الملاح شيئاً ، وحينذاك سمع طفلاً فى السفينة يبكى ويصيح :
(جوعان) ، ويكررها مرات صائحا : جوعان ، جوعان ، فانتفت الشيخ الفقيه هنا
وقال :- الان فهمت ٠٠٠ ان القياس يجب ان يكون على (فعالان) ، فيا ملاح انا زربان،
انا خريبان ، انا بولان ٠٠٠ فضحك الملاح ومن كان فى السفينة وفهموا ما يقول
الشيخ •

وهنا قال السيد رضا - اذا حق لهذا الشيخ ان يستعمل قياسه المغلوط. على
(فعالان) وقد استطاع الملاح وغير الملاح ان يفهم مقصوده فكم بالاحرى ان تفهم انت
ويفهم الجميع قولى حين اقول انا (جيان) واقصد بذلك انى شديد العطش لشرب
الشاي ؟

وزارنى ذات مرة وانا اتلو قصيدة من هذه القصائد التى يظن اصحابها انهم
من الشعراء المنموطة حقوقهم ، والمجهولة اقدارهم ، وهى ابعدها ما تكون عن الشعر
من حيث المعنى ، والوزن ، والقافية واسمعه طرفا منها ، وتلوت عليه ما يلفت النظر ،
فاذا بالذكرى تعود به الى اربعين سنة خلت أو أكثر فتبدو على شفتيه ابتسامة خفيفة

كثيرا ما كانت هذه الابتسامة مقدمة لحديث ادبي طريف واذا به يقص على
القصة التالية :

قال - كنا جماعة ندرس العلم وتفككه بالادب ، وطالما تهادى بعضنا مع بعض
بالطرائف وما قد يتفق له في حياته اليومية الخاصة ، وما كان يتم له استكشافه في
اثناء العمل ، فكان احدا يهدى الى الاخر ما يعثر عليه من نوادر ادبية ، وطرف
سعرية كلما اجتمعنا ، وذات يوم تسوق المصادفة الى رجلا بغداديا جميل البزة ،
حلو الهندام ، نظيف الثوب والقلب ، تعلو رأسه (كشيدة) صفراء في غاية الاناقة
والزركمة ، فيشدني قصيدة من شعره المضحك المبكى وهي قصيدة اصدق ما ينطبق
عليها الوصف العامي الذي يجمع كل اطرافها بكلمة (خرايطط) ولكن خرايططها
كانت من النوع الجيد الممتاز الذي لا يطبق المرء أن يتماثلك نفسه من الضحك
امامها ، ومع ذلك فقد اطلقت انا ذلك ، وحسبت نفسي لغاية في نفسي وهي ان
اغري هذا الرجل حتى أهيبء منه هدية نفيسة اقدمها الى صديقي كبير الشعراء
السيد محمد سعيد الجبوبي ، فكان ما اردت ، وقد اغريت الرجل باز يعرض هذه
الجواهر النفيسة على مشتريها ، ومقدرى حقها ، وضربت له موعدا ، وحضرنا نادى
السيد السعيد معا وقدمته بهذه الالفاظ :

هذا الجلبى - قلت هذا وانا اشير اليه - هذا الجلبى شاعر ممتاز ولكنه كالقطف
ينتج ويخفى ما ينتج في صدره ... ، وسيقرأ لكم احدي قصائده العامرة لتروا
فيها مثال الشعارية الفياضة ، وكان تعريفى هذا قد اعمى الجلبى عن الالتفات الى
الغمز اللفظى ، والكناية المعنوية في تشبيهه بالقطف فصار ينشد بصوت اعلى ، واكثر
ترنمة مما تشدنى به شعره من قبل ، وما كاد ينهى مستهل القصيدة الا وانفجر
السيد محمد سعيد ضاحكا ، ثم اغرق الباقون في الضحك ، والشاعر مشغول
بتلاوة القصيدة ، ولكن الجبوبي لم يلبث دقيقتين او اقل حتى بدأت الضحكة تغور
في فمه كما تغور الشمس في السحاب ، وتنكمش منه السحنة ، وتخفى الابتسامة
في نفسه ، كما ينكمش الحلزون ويختفى في نفسه ، ثم اذا بالجبوبي يتوجه الى
الرجل بغتة ويقول :

- لقد غشك يا جلبي هذا (وقد اشار الى) فانت رجل لاتفهم الشعر ، ولا تحسنه ، واذا بقيت مغرورا بنفسك ، فستظل سخرية الساخر ، وهزؤ المستهزى ، واني ارى من واجبي الدينى ان انصحك ، واصرفك عن نظم الشعر نهائيا فهل انت فاهم ما اقول ؟••

- قال الرجل - نعم فهمت •

اما انا فكان الارض قد ماتت بى من شدة الحياء ، وقد تصبب العرق من جيني ، وبقيت كلما رأيت (مكشدا) من بعيد يعرفونى مثل هذا الخجل الذى لايحتمل ولا يطاق •

وعلى ذكر هذا النوع من الشعر تذكرت انه عرض مرة على السيد رضا الهندي بيتان من الشعر لاحد الذين عرفوا بان فيهم (خيوطا) والخيوط كناية فى الفرات عن المس والخبال ، وقد يصغرونها فيقولون (خويطات) اذا كان خباله قليلا ، اجل لقد عرض على السيد الهندي هذان البيتان لصاحب الخيوط :-

اذا زفت عروس نحو عريس تشوش فكرتى وتجنن بالى
وان جلست على الكرسي يوما يهب الريح من طرف الشمال
ثم طلب من السيد رضا ، ان يجيز هذين البيتين بيت مناسب من نوعهما فقال :-
لقد زعموا بان به خيوطا لقد صدقوا ولكن كالحبال
فذهب هذا البيت مثلا واصبح كناية للمخبولين فى جميع الاوساط •

قلت انى اعرف السيد رضا من حيث كنت افهم ، او مما يلذنى ان افهم ، على الرغم من ان النواحي التى كانت تجتذب المتصلين به كثيرة ، وعلى الرغم من ان ابرز صفاته لم ينحصر فى الادب وحده فقد كان فقيها ، غزير المادة ، واسع الاطلاع وكان من مشاهير تلامذة الاستاذ الاكبر (الاخوند) وله فى العلوم الدينية ولاسيما الردود على الذين تناولوا الدين الاسلامى جولات ، وصولات ، يعرفها المتصلون به والمحيطون بها • ولا شك ان الذى يتصدى لترجمته سيخرجه صورة كاملة من جميع جهاتها اما انا فلم احاول غير ان استعيد ذاكرتى واحكى شيئا عن كيفية معرفتى له واتصالى به •

اجل اننى عرفت السيد رضا من حيث اردت انا لا من حيث يجب ان يعرف، وعرفت انه زاوول الادب زمانا طويلا فابدع فيه ابداعا كان المجلى فيه بين جمع كبير من الادباء والعبارة فى زمانه ، ولقد ولع (بالبديع) ولعا سما به الى منزلة قل من ارتفع اليها من قبل ، وان لدى الكثير من الشواهد من نظمه ونثره ومنها (مقامات) اذا شئت شعرا كانت شعرا ببحور مختلفة ، وقواف مختلفة ، وان شئت نثرا كانت نثرا مسجعا او مرسلا ، ولم يكن هذا غريبا بمقدار غرابه خلو هذه المقامات من التكلف ، فقد كان بحق امام البديع وشيخ الادباء فضلا عن كونه عالما ومن علماء الفقه المعروفين .

ومن ابرع بدائعه فى وضع التواريخ الابدية التى سمعتها منه هو تاريخه لشهادة الامام ابى عبدالله الحسين الذى وقع سنة ٦١ هجرية وهو عدد صغير جدا كما يرى القارىء يستحيل على الشاعر ان يستخدمه لوضع تاريخ شعري متين وبدون تكلف ، ولكن براعة السيد رضا قد تغلبت على هذه الصعوبة فوضع التاريخ التالى وهو شاهد على منتهى ما يبلغ المتفنن مما يتصور المتصورون للملكات الصياغة اللفظية والفنون الادبية فى ذلك العصر فجاء التأريخ على هذا النحو :

صرخ النادبون باسم ابن طه وعليه لم تحبس الماء (عين)

لم يصيوا (الحسين) الا فقيدا حينما ارخوه (أين الحسين) ؟

وحساب هذا التأريخ يجرى بان تتبع الاشارة فى صدر البيت التى تقتضى تنزيل اسم (الحسين) باعتباره (فقيدا) من قوله (أين الحسين) فيكون التاريخ مجموع حروف (أين) وذلك سنة ٦١ هـ وهو المطلوب ٠٠٠٠

وعلى ذكر تواريخ الائمة من آل البيت اسجل بعض ما يحضرنى من تواريخ السيد رضا الهندى لباب حرم (العسكريين) بسامراء فلقد صيغ لحرم العسكريين باب فضى اجهد الصائغ المشهور (رجب على) نفسه فى اخراجه اخراجا بارعا من حيث الفن والنقش وقد اخرج من وسط الباب طغرى ذهبية ابداع فى صياغتها ابداعا كبيرا فعهد للسيد رضا الهندى تسجيل تاريخ الباب على هذه الطغرى الذهبية ففعل ،

الا انه لم يمض بعض زمن حتى اقتلعت الطغرى من الباب وسرقت ، وقد لها الناس
 بحديث الطغرى وسرقتها وكثر حولها اللفظ ونسوا الايات واثارىخ الذى وضعه
 السيد رضا لباب (الامامين العسكريين) والمنقوش عليها وهو :

عبدكما واقف بياكما	يعفر الخد فى تراكما
يلثم اعتاب بقعة فخرت	اركانها أنجم السما بكما
مذاثقلت جنبه الذنوب أتى	يلتمس العفو من جنباكما
يعتقد الفوز فى ولائكما	ويوقن النجاح فى اياكما
ويبتغى الأمن فى المعاد وأن	يسقيه الله من شرابكما
جاءكما زائرا وارخ (هل - يخيب - مستمسك - بياكما)	

وتاريخ اخر قائه السيد رضا فى باب (الامامين العسكريين) بسامراء وقد ركب
 قافية لا يستطيع ان يعطيها حقها الا الشاعر الفحل وقد كان شاعرها الفحل نفسه
 وهذا هو التاريخ :

قل لمن يمموا التقى وأموا	من حمى العسكرى افضل خطه
جثم (سر من رأى) فاقموا	أبدا اندهر فى سرور وغبطه
زرتم لجتى عطاء وفضل	يعتدى فى يديهما البحر نقطه
خيرة الناس هم ومن ذا يساوى	فى المزايا آل النبى ورهطه
قيل ارخ باب (التقى) فارخت	بيت فى قلبى الوحى خطه :
(ادخلوا الباب سجدا ان باب	العسكريين دونه باب خطه)

وللسيد رضا الهندى (تواريخ) فنية شعرية كثيرة وكلها من النوع الذى يدل
 على علو كعبه فى البديع ، وميزة البديع عند السيد رضا هو ان يأتي به فى الشعر أو
 يأتي به فى الحديث بعيدا عن التكلف كما لو كان يرتجله ارتجالا ويرسله ارسالا
 ومن ذلك كان التاريخ الذى وضعه لضريح زعيم الثورة العراقية السيد (نور)
 الياسرى والذى كتبه على قبره ، وقد اورده موريا بين اسم (نور) وبين معناه من
 قوله :-

وكيف يخشى ظلمات الثرى رخ (ضريح ملؤه نور)
واظن ان هذا التأريخ شطر من ابيات قرأها على مرة وقد كتبت على الضريح
المذكور فلم يعلق في ذهني غير التأريخ وغير هذا البيت :

هذا ضريح فيه (نور) الهدى وهو بلطف الله مغمور
ومن ابرع آثاره الشعرية المتضمنة لاروع انوان التورية والجناس المؤلف
في ذلك العصر قصيدة عامرة رثى بها اياه الزعيم الروحاني الكبير السيد
محمد الهندي .

والسيد محمد الهندي كاد ينفرد بالزعامة الاندية لو لم يحدث له حادث غير
ذي قيمة ولكن منافسيه قد اتخذوا منه ذريعة للدعوة الى زعيم روحاني آخر ، اما
الحادث فهو يتعلق بحكم رؤية هلال العيد لشهر رمضان ، فقد حكم السيد محمد
برؤية هلال العيد ثم ثبت بعد ذلك ان العيد لم يحل ، وان الرؤية لم تثبت ، فقامت
على أثر ذلك ضجة كبرى على ما كان يروى الشيوخ والمسنون ، سببت ان يرفض
بعض مقلديه من حوله ، ويتضعع الاجماع الكلي الذي اتجه اليه قبل هذا الحكم .
اقول ومن اروع آثار السيد رضا الهندي الشعرية تلك القصيدة العامرة التي
رثا فيها اياه وضمنها شيئا من (بديعه) الرائع في قوله :-

ولا بكين على نواك (متما) عمري لانك (مالك) لغساني

ومتعم هذا كما هو معروف شقيق مالك ابن نويرة الذي قتل ، والذي بكاه
اخوه متمم حتى دمعت عيناه العوراء . . . على ما روى المؤرخون .

ومثل هذا التفنن وان لم يتعاطه الادباء اليوم ولكنهم لا ينكرون انه يصلح ان
يكون وسيلة من وسائل قراءة الاديب وتبين ملكاته ومدى استعداده في علم الصياغة
وطرازها وطريقة نسجه في النظم .

وكان قد نقل عن السيد رضا الهندي بيتان من الشعر الذي تضمن هذا
النوع من البراعة الشعرية ، وحكى جانباً من تفننه في البديع ، وقد حفظ البيتين
المذكورين جميع من سمع بهما فكثر اللفظ عن قيل فيه البيتان المذكوران ، فقال

البعض انهما قد قبلا في السيد محسن الامين لتبنيه فكرة الاصلاح الديني والدعوة الى تحريم اللطم على الصدور وشج الرؤوس بالسيوف في يوم عاشوراء حزنا على الحسين ، تلك الدعوة التي كان لها انصار ، وكان لها خصوم فكان السيد رضا من خصومها على ما عرفت .

وقال البعض ان البيتين قبلا في السيد محسن (ابو طيخ) لان السيد محسن (ابو طيخ) كان قد هاجم الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في رسالة طبعت باسم (المبادئ والرجال) وفسر هجومه هذا تفسيراً غير مرضي اثار حماسة الدين واهله ، فقال السيد رضا فيه ما قال - وقال الآخرون غير هذا ، اما البيتان اللذان يحفظهما جميع من سمع بهما على اساس براعتهما البديعة او على اساس الغرض الذي يرمى اليه كل واحد وفق مزاجه فهما :-

ذرية الزهراء ان عدت يوما ليطرى الناس فيها الثنا
فلا تعدوا (محسنا) منهم لانها قد أسقطت (محسنا)
وسقوط (محسن) هو اشارة كما يعرف المتبعون الى انه كان لفاطمة الزهراء ولدان هما الحسن والحسين وكانت حاملا بثالث اسقطته وكان قد سمي با (محسن) عند سقوطه .

ولقد سألت السيد رضا يوما وهو عندي في مكتب (الهاتف) يحسو الشاي ويدخن ، وكان يسرف كثيرا في التدخين وفي شرب الشاي فاذا اخذ كفايته منهما تفتحت نفسه وفاضت بالرفيع من الادب نقلا ونقدا وانشاء .

لقد سألته عما اذا كان البيتان المذكوران قد قالهما في السيد محسن الامين حقا ؟

فقال لي وقد ظهرت آثار الانزعاج على سحنته قال :-

- انا راض ان توجه هذا السؤال لنفسك ، وترى أيليق بواحد مثلي ان يقول شيئا من هذا في السيد محسن الامين . . . ؟

وفاتني ان اسأله بعد ذلك عن البيتين المذكورين وفيما اذا كان هو قائلهما حقا ؟

وفيمن قالهما ؟ لاننا كنا قد انتقلنا الى مواضيع بعيدة ولم التفت لاهمية هذا السؤال
الا بعد وفاته .

ومن هذا اللون من الجنس ما قرأه على وهما يتان وجههما السيد رضا الى
ابنه السيد احمد انذى كان يزور (صيدا) بلبنان يومذاك فقد كتب لابنه قائلا :
وكنا ان اردنا منك وصلا أصبناه ولو نمشى رويدا
فصرنا نستعين على التلاقي باشارك الكرى لنصيد (صيدا)
ولست انا وحدى انذى أضعت فرصة الافادة من وجود هذا العالم الشاعر وانما
اضاعها الكثير ممن لم يحسبوا حساب الموت وفى مقدمتهم ابنه السيد احمد الهندي
الذى كان عليه وهو الشاعر والاديب ان يتنزه تلك الفرصة الثمينة فيسجل فيها
لابيه كل خواطره التى كان ينفرد بها فى عالم الفقه والتاريخ والادب والبديع الذى
لم يجاره فيه الا القليل القليل .

لقد كان السيد رضا الهندي من اهم اركان النهضة الادبية فى اوائل القرن
العشرين ولم تتل له قصيدة او مقطوعة او بيت من الشعر دون ان يحدث ذلك بعض
الاثر وقد كان لقصيدته الكوثرية التى افتتحها بقوله :-

أمفليج ثغرك ام جوهر وريحق رضا بك ام سكر ؟
قد قال ثغرك صانعه (انا اعطيناك الكوثر)

دوى كبير وقد صاغ على نمطها عدد كبير من الشعراء قصائد فخمة ولكنها
لم تبلغ شأواً قصيدة السيد رضا ، ومن تلك القصائد كانت قصيدة الشيخ محمد
السماوى الذى بارى فيها (كوثرية) السيد رضا وركب فى مباراته قافية الضاد
الصعبة على سبيل المنافسة فقال :-

سودت صحائف اعمالى وبمدح ابى حسن تبيض

والسيد رضا الهندي بعد ذلك كما قلت عالم فقيه وكنن الادب انذى اضفى
عليه بتلك الجلالة لم يدع من لم يعرفه جيداً ان يعرف براعته فى النواحي
الاخرى ، وقد طواه الموت فطوى به سجلاً حافلاً بارقى واسمى وارفع الفنون الادبية

وانمحت بموته صورة من صور النجف المعربة عن العناية الاصيلة بالبلاغة
والفصاحة والطرفة الادبية من هذا اللون في صياغة البديع الذي عرفته انا فيه ، وقد
كان لنصف قرن كامل احد فحول شعراء العراق لتلك الحقبة من الزمن الذي كان
يضم عددا من نوابغ الشعراء ممن كانوا يجرون على تلك الوتيرة ، وقد فقدت به
انا منبعا عذبا ، وملجأ روحيا ، كان يقضى الكثير من اوقاته في مكتب الهاتف فقد
كان العالم الروحاني لمدينة الفيصلية وكان يكثر التردد على النجف وحين يريد
العودة الى الفيصلية كان يمر بدار الهاتف منتظرا فيها تهيو السيارة القريبة من
مكتب الجريدة لنقله اليها ، وفي هذه الاثناء كنت اوصي بان يعدوا له شايا خاصا
وافتح امامه علبة السجائر ، وافتح معه باب الحديث حسب ما تقتضيه المناسبة .

* * *

وقد يصادف ان يمر بمكتب (الهاتف) في طريقه الى (الفيصلية) في يوم عطلة
الجريدة فيجد الباب مغلقا فلا يمتنع من ان يقصد احد المقاهي المجاورة لمكتب الهاتف
ويجلس في احدي ارائكها دون ان يهتم بالعرف الذي ينكر على العلماء الجلوس في
المقاهي او المجالس العامة ، والاكثر من ذلك ان مزاج السيد رضا الهندي والعرف
السائد كانا دائما على طرفي نقيض ، لذلك لا يبالي ان يكون جلسيه رجلا معروفا
في دنياه او نكرة مجهولا ليس له اصل او فرع ، ولذلك كثيرا ما تجده وهو يخوض
حديثا طويلا مع احد الناس فتعجب به كيف يأس كما لو كان يتحدث الى رجال
العلم والادب من انداده !!...!!

قال لي مرة : انه مر ذات يوم (بالهاتف) فالفى الباب مغلقا فاتحى ناحية من
المقهى المجاور لمكتب الجريدة وجلس الى جانب شخص بدا له اول الامر انه من
عارفيه حين وجده يقف على قدميه مفسحا له بالجلوس والبشر طافح على وجهه .
يقول السيد رضا : وما كدت احده حتى علمت بانه اخرس ... ولكن هذا
لم يكن بمانع من ان نتجرف انا واياه في الحديث بالاشارات ونشرق ونغرب ،
ونصعد وننزل بايدينا واصابعنا ، واتجاهات عيوننا ، وما كان يظهر على سحننا من

تغضن ، وانطلاق ، وكان ان طال حديثه معي ، وطال حديثي معه ، وليست أدري
 أكان صحيحا هذا الذي كنت افسره لنفسي من اشاراته ؟ وهل حقا انه كان يفهم
 ماكنت اقوله له بطريق الاشارة ؟ ولكني اعلم اننا كنا قد انسجنا ، وقد أنس بعضنا
 ببعض ، وزاد انسى حين وجدته غارقا وياه في ضحكة امتدت طويلا حتى لقد كان
 يضرب بكفه على فخذي من شدة الضحك فاحس بالآلم ، واجمع رجلي ،
 وانكمش ، وانا اكاد لا اتمالك نفسي من شدة الضحك والسعال الذي لازمني ، ولا
 يهمنى بعد ذلك أكان هذا الذي يقصه على باشاراته هو عين ما كنت افهمه منه ام انه
 كان شيئا آخر ...

وهنا قص على السيد رضا هذه الاسطورة الفكهية قال :-

قدم فيلسوف على احدى المدن فاحتفت به المدينة غاية الاحفاء ، وقد رأى ان
 يجلس للناس في احد الميادين ليختبر مدى فهم علماء هذه المدينة الرمزيين وادراك
 فلاسفتهم بما يوجهه اليهم من الاسئلة عن طريق الايماء والاشارة الصامتة . وقد
 تقدم الكثير اليه فلم يفهموا شيئا من اشاراته فانصرفوا مخذولين فاشلين .

وسمع بخبر هذا الفيلسوف جمال عرف بين الحمالين بشعث شعره ، واندلاع
 صدره ، وزراية هيكله ، كما عرف بطاقته الكبرى في حمل الاثقال والتهوض بها ،
 فأحب ان يرى هذا الفيلسوف الذي شغل الناس بحديثه ورجاحة عقله ، وغزارة
 علمه ، وعمق فلسفته بحيث استطاع ان يزيف كل فلاسفة البلد ورجال الفكر
 والعقل منهم .

وشق هذا الحمال القوى الجبار تلك الصقوف المتحلقة حول هذا الفيلسوف
 العظيم ، وتقدم اليه وجلس امامه ، فظن الفيلسوف وهو يسعن النظر في هذا الشعر
 المشعث ، والصدر المقنوح ، والثياب المهلهلة ، واللامبالاة البادية على هذا الحمال :
 بانه امام فيلسوف لايبعد ان يكون من كبار فلاسفة العالم ، فمد يده الى مخرصة كانت
 بجانبه ورسم بها دائرة بحجم الصحن على الارض ... فلم يكن من الحمال الا ان
 يسرع وينصف الدائرة باصبعه الى نصفين ...

وهنا علت وجه الفيلسوف دهشة واستغراب فمد يده الى جيبه واخرج منه

برتقالة وبدأ يحركها يمينا وشمالا بين اصابعه ••• فلم يكن من الحمال الا ان مد يده الى عبه واخرج منه رأس بصل كان قد احتزنه في رذنه ليؤدم به غدائه ، وقد قبض عليه بين انامله وبدأ يحركه ذات اليمين وذات الشمال على غرار حركة البرتقالة في راحة كف الفيلسوف ••••

وهنا ففر فم الفيلسوف من الدهشة والاستغراب ولم يكن منه الا ان اوما للحمال بسبابته وقد بدت على وجهه علامات الجذ والصرامة ، فرد عليه الحمال بان اوما له باصبعه محركا اياهما امام عيني الفيلسوف بنوع من التحدى العجيب • وزادت دهشة الفيلسوف ، وجحظت عيناه من العجب فرفع يده في هذه المرة الى الاعلى موميا الى كبد السماء •••• اما الحمال فقد رد على حركته تلك بان صفق الارض براحة كفه بقوة عجيبة •

وهنا علت ضحكات المتفرجين وحصل بين الجمهور ما يشبه الهرج والمرج ، وقال العقلاء ان هذا الحمال قد اخزانا ، واساء الى سمعة بلدنا بما ارتكب من مهزلة غير مغتفرة ، وطلبوا بان يسحب من الميدان حالا قبل ان تصل المهزلة الى الحد الشائن •

وهكذا حمل جمع من الاشداء على الحمال واخرجوه من الميدان ، وفي اقل من بضع دقائق كانوا قد غيبوا وجهه عن الفيلسوف ••••

ولكن الفيلسوف صاح باعلى صوته •••• لقد صاح باعلى صوته :

— لم لاتركون الرجل يمضى في اجوبته ؟ لم تحولون بين رجال الفكر والعلم فتحرمونهم من مواصلة بحوثهم ؟ آه لو عرفتم كم هو هذا الرجل الذى اخرجتموه عظيم لاستغفرتم عن ذنبكم ولا لقيتم بانفسكم على قدميه ، ولاعتذرتم بدموعكم وتوسلاتكم اليه •

فقال سكان البلدة :- اتنا لم نزل غير مدركين شيئا مما تقول : فهل بإمكان سيدنا الفيلسوف ان يفصح لنا ، ويقفنا على الحقيقة ؟

قال الفيلسوف - لقد سألت فيلسوفكم هذا وانا اخط على الارض دائرة بمخضرتي ، لقد سألته : هل الارض هذه التى نعيش عليها من نوع واحد ؟

فقام الرجل وقسم الدائرة الى قسمين وهو يعنى ان الارض عبارة عن ماء
ويابس *

وحين اخرجت البرتقالة - قال الفيلسوف - كنت اردت ان أسأله : وهل ان
قبة السماء كهذه البرتقالة ؟

فكان ان مد يده الى عبه واخرج رأس البصل ، وهو يعنى ان قبة السماء
كرأس البصل هذا : طبقة فوق طبقة ...

وعندما اومأت له باصبعي كنت اريد ان اعرف هل هو معتقد بوحداية الله ؟
فكان جوابه بتحريك اصبعيه مقابل عيني يعنى ان الله واحد لاشريك له .
وهنا رفعت يدي الى الاعلى - قال الفيلسوف - وانا اعنى بذلك السؤال منه
عن رفع السماء بدون عمد ...

وقد اجاب وهو يصفق الارض براحته : ان الذى رفع السماء هو الذى بسط
الارض ..

وقال الفيلسوف - ولكنكم يغفر الله لكم - أبيتم الا ان تنصوا علينا هذه
المتعة فاخرجتم الرجل من الميدان اخراجا لا يلقى بفيلسوف عظيم مثله ! ..
وجاء المتفرجون الى الحمال يسألونه :

- ترى ماذا قال لك هذا الفيلسوف ؟ وماذا قلت له انت ؟
قال - لقد قال لي وهو يخطط دائرة على الارض انه يأكل كل رغيف من
الخبز وحده ، فقلت له اما انا فأكل من كل رغيف نصفه واترك لزوجتي النصف
الآخر ؟

وحين اخرج الفيلسوف البرتقالة من جيبه - قال الحمال - كان يريد ان
يقول بانه انما يأكل البرتقال مع الخبز ، فقلت له : اما انا فأكل الخبز مؤدما
بالبصل *

فحملك الفيلسوف فى وجهي - يقول الحمال - وتحداني باصبعه زاعما انه
سيفقأ لي باصبعه احدى عيني ، فمددت له كلا اصبعي مشيرا الى اني سأفقأ بهما كلتا
عيني .

ثم رفع الفيلسوف يده الى الاعلى رامزا الى انه سيطوح بي في الفضاء باقصى
مالديه من قوة ومقدرة ويرمينى بعيدا عن الارض ، اما انا فقلت له - وانا اصفق
الارض بكفى - بانى ساضرب به الارض ، ولن اتركه الا وقد تلاشت جتته ، وقد
عدا اثرا بعد عين .

قال السيد رضا الهندي :- من يدريك انه لم يكن بينى وبين ذلك الاخرس
ما كان بين الفيلسوف المذكور والحمال من البعد الشاسع اكثر واكثر ، ولكن انهم
هنا اتنا كنا منسجمين ومأنوسين .

* * *

لقد كان السيد رضا يؤمن بانغيب ، ويعزو اسباب الكثير من الحوادث
والوقائع الى المغيبات ، فكان للاحلام عنده شأن كبير ، وهو يعتبرها بمثابة البشائر ،
والنذر للحوادث ، ويرى ان كثيرا من الامور التى يراها المرء فى منامه تتحقق له
فى يقظته فى اليوم الثانى او الايام القريبة الاخرى .

واذكرانى ناقشته رأيه هذا قبل وفاته بمدة قليلة حين قال لى ان مدته لن
تطول بعد اليوم فى الحياة لانه كان قد رأى فى المنام أباه وهو يدعو لمرافقته لزيارة
احد الاضرحة المقدسة ، وقلت له : اننى اعتقد ان تحقيق الحلم فى اليقظة ليس
الا من قبيل المصادفة ، وهى لا تزيد على ان تتوقع شيئا او تمناه فى يقظتك فيتحقق
لك ذلك بينما تنسى انك قد تمنيت اشياء كثيرة فى اليقظة ، ورأيت ملايين الاحلام فى المنام فلم
يتحقق شيء ولا بعض شيء منه ، ثم قلت : وهب ان مايقع فى الحلم سيقع فى
اليقظة فما علاقة دعوة ابيك لمرافقته فى زيارة الاضرحة المقدسة بانتقالك الى
الآخرة لاسمع الله ؟

فقال - ان الاختلاف فى هذه الامور لا يقتصر على عليك وحدنا بل ان لهاتين
العقيدتين المتضادتين اهلها والمؤمنين بهما ، ومنذ وقت طويل والفجوة بين هاتين
الطائفتين واسعة وواسعة جدا ...

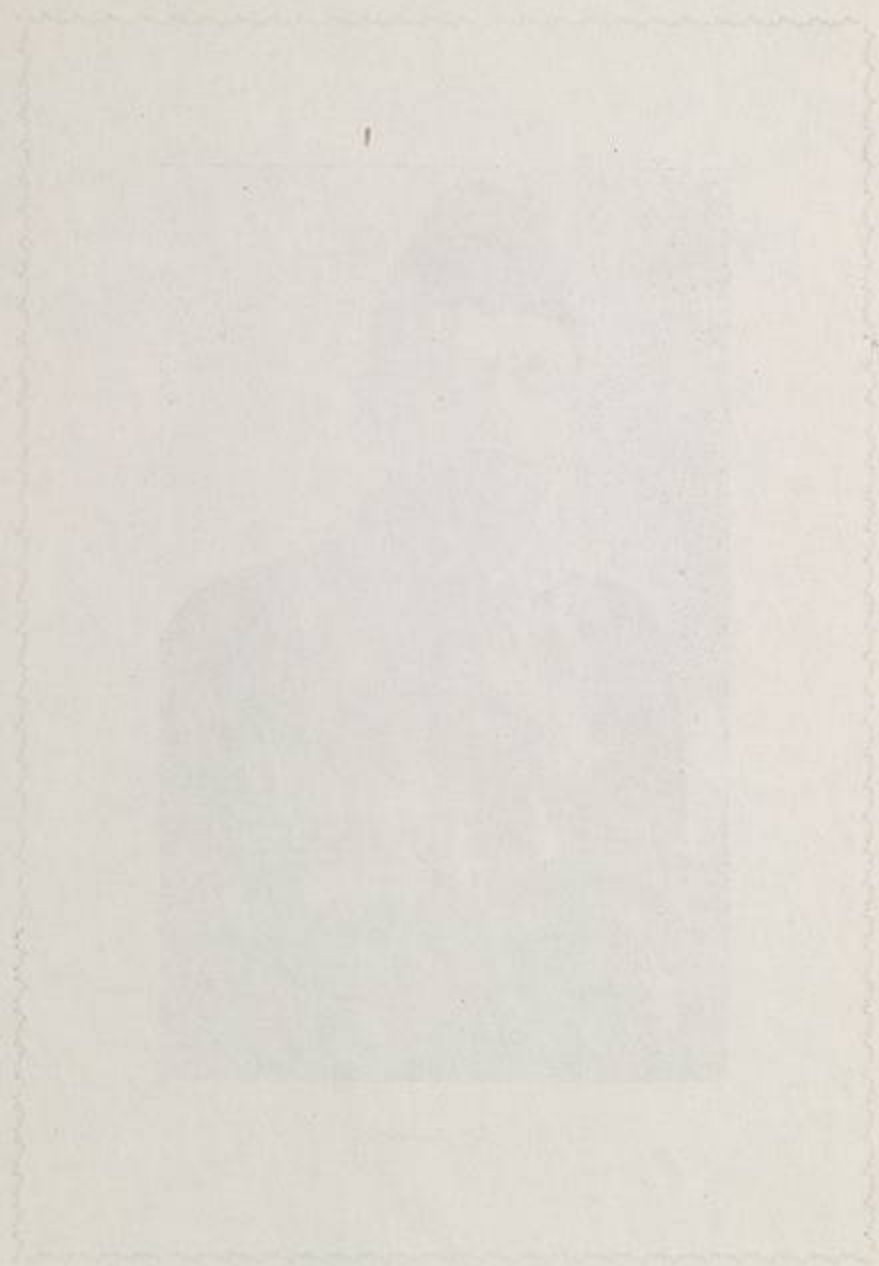
ومات السيد رضا بعد مدة قصيرة من هذا الحديث !!
الله كم هو قاس هذا الموت الذى يطوى مثل هذه الارواح الوادعة الظريفة
البريئة التى طالما كانت بلسما للقلب المكلم ، وملجأ لليأس المظلوم ، وعلاجاً روحياً

تقيم المعوج من النفوس ، وتبراسا يهتدى الناس بعلمها ، وادبها ، وسيرتها الحميدة ،
ونفوسها المنقمة بالطيبة والمرح ، وقد كان السيد رضا من هذه الأزواج التي طواها
الموت في الطليعة فكانت الخساسة بفقده كبيرة ولم تكن مقتصرة على ما اصاب الادب ،
والفضيلة ، والروحانية التي مثلها السيد رضا الهندي خير تمثيل حين توفاه الله ،
واتما فيما اصاب الانسانية والخلق المرح البريء الذي لا يخضع لقيد ، ولا يتأثر
بتقاليد ، هذا الخلق الذي قلما وجدنا نظيره مجتمعاً في شخصية روحانية •

لقد شق على فراقه وها هي ذى ايام تمر وانا اتصور مجلسه الذي لم يتغير من
ذلك الكرسي الذي اعتاد ان يقعده ، كأنه لم يزل حياً ، والحق انه لم يزل حياً في
نفوس عارفيه ومقدرى فضله •



حمید خان



حميد خان^(١)

لم يكن احد من التجفيين يرتدى (السترة والبنطلون) يوم كان حميد خان آل نظام الدولة ، يخظر في لباسه الملكي النجفيل فكان (طربوشه) الاحمر الذى يعلو رأسه ، وازرار سترته البراقة التى فى صدره ، وحذاؤه اللماع الذى فى قدميه ، كان ذلك ملفت انتظار جميع الناس فى هذه المدينة

ولقد قيل ان الحاج محسن شلاش قد ارتدى السترة والبنطلون حين انعم عليه بالوسام من الحكومة العثمانية ، وقيل ان محمود عجينة احد رؤوساء بلدية النجف فى العهد العثماني هو الاخر كان قد ارتدى اللباس الملكي ، ولكن ذلك - ان كان - فهو لمدة مؤقتة ، ولايام خاصة ، اما الذى لبس السترة والبنطلون منذ اول شبابه الى اخر ايامه فهو حميد خان الذى يكون اول نجفى ارتدى هذه الالبسة فى هذه المدينة ، واكثر ما كان يرى حميد خان فى اوائل شبابه فانه يرى فى الصحن الشريف وعلى دكة مقبرة ابيه (اسد خان) وكانوا يفرشون الدكة فى الصيف بعض السجاد فيتخذها البعض من موظفى الحكومة التركية ووجوه النجف مجلسا حين فراغهم وحين نشدانهم التنزه عصر كل يوم ، وفى صباح ومساء كل يوم جمعة ، فكنت انا اراه كلما مررت عصرا بالصحن الشريف ، لقد كنت اراه بين زمرة من الموظفين العسكريين والملكيين الذين تقع عيون الجميع عليهم فى اثناء المرور بالصحن ، وكانت البزة العسكرية تأخذ من عيون الجميع مأخذها يومذاك ، وقد علمت ان هذا الرجل هو حميد خان ، وانه يحسن اللغة الانكليزية وانه ابن اسد خان الموسر الكبير صاحب حمام (الحضرة) ونصف (القيصرية) الكبيرة كما يقولون ، فرحت وانا طفل صغير ارى كل اسرار العظمة مجتمعة فيه وزاد فى

(١) الهاتف - السنة التاسعة - العدد ٣٤٥ - ٧ كانون الثاني ١٩٤٤ .

عظمته عندي انه كان يتكلم الانكليزية ، وانه كان قد قطع مرحلة دراسته في الهند
اما اسباب تلقيه الدروس في الهند دون سائر الجهات فلان عمته (البيبي) كما
يسمونها كانت زوجة زعيم الطائفة الاسماعيلية وهي ام (اغا خان) الكبير .

ولقد جاءت هذه (البيبي) مرة الى النجف زائرة ، وكنت يومها طالبا في
المدرسة العلوية فاعانت (البيبي) المدرسة العلوية بمبلغ من المال ، وانعمت على كل
طالب بمبلغ (مجدي) واحد أو (ربية) واحدة على اغلب الفتن ، وهنالك ونحن
صغار علمنا ان هذه (البيبي) هي اخت اسد خان ، وانها ام اغا خان ، وعمه حميد
خان اضافة الى ان مدرستنا كانت من املاك اسد خان ، وهو البيت الذي يقع
في شارع مدرسة السيد كاظم اليزدي .

وثمة شيء آخر مما كان يجعلنا ان ننظر الى هذا البيت بيت اسد خان ونحن
صغار نظرة اعجاب ودهشة ، هو الذي كان يقصه كل نجفي عن تلك الابهة
والحفاوة التي حف بها زواج ولدي الحاج (على اغا) شقيق (الحاج اسد خان) وهما
اغا عباس واغا صدرى من بنتى عمهما اسد خان ، وعلى ان هذا الزواج كان قد تم
قبل ولادتي بنحو سنة واحدة اذ كان ذلك سنة ١٣٢١ هجرية فقد ظل حديث جميع
المجالس كما صار انشودة الصبيان لجيل آخر ، ولقد مر الان اكثر من نصف
قرن ومازال الكثير من سكان النجف اطرافها يهزجون بتلك الازوجة التي بعثها
مناسبة زواج ولدي الحاج على اغا من اختى حميد خان .

فلقد نقل ان زفاف العروسين الى ابني عمهما المذكورين قد جرى في عربة
تجرها خيول مظهمة اسرجت بسروج من الحرير المطرز بالقصب ، وألجمت
بالجمة من الفضة ، وزينت العربة تزينا بالغ فيه المتحدثون كثيرا ، وكان من ورائها
آلاف من النساء والوصائف والعبيد فلا تبلغ العربة مفترق أحد الشوارع في المدينة
وهي في طريقها الى بيت العريسين حتى تقف ، فيقف الموكب كله ولا يتحرك الا
بعد ان يجيء العريسان فيتنازلا للعروسين عن قطعة من املاكهما على سبيل الترضية
واشباع الدلال ، فتمشى حينذاك العربة ثم تقف عند مفترق شارع آخر ويعود

العريسان مرة اخرى فيهديان للعروسين شيئا آخر ، وهكذا حتى وصل الموكب الى بيت الزوجية .

كان هذا مما ينقل لنا ونحن اطفال عن زواج اولاد الحاج على اغا ، وينقل في صور مختلفة تركت لها آثارا عميقة في نفوسنا . اما قصة الهازيج او الاناشيد التي التصقت بهذا الزواج فتتلخص بان (الحاج على اغا) كان قد أقام الولايم بمناسبة زواج ولديه لجميع سكان النجف على الاطلاق مدة ثلاثة ايام فخص اليوم الاول منها بالعلماء والادباء ورجال الحكومة من النجف واطرافها ، وخص اليوم الثاني بالوجوه والتجار والكسبة المحترمين .

اما اليوم الثالث فقد فتح فيه الباب على مصراعيه للجميع ، وبلغ خبر هذا الفتح جميع القرى والقصبات القريبة من النجف فجاءت زرافات ووحدانا الى بيت الحاج على اغا ، والظاهر ان المشرفين على المطبخ لم يقدرُوا عدد الواردين في هذا اليوم تقديرا صحيحا فشحت عندهم مواد المرق ، اما اللحم ، والرز ، والسمن ، فقد كان لديهم منه الشيء الكثير ، فاستنفدوا كل ما استطاعوا ان يحصلوا عليه في السوق في تلك الساعة المتأخرة من النهار من (حمص) و (آلوجة) و (بخارا) و (اسيبياج) ولكن اين يكون بمستطاعهم ان يكفوا هذه الجموع المحتشدة في الشوارع والتي صارت تدخل البيت بالمئات فتناول العشاء وتخرج من البيت بالمئات ؟ . . . واخيرا ارتأى المشرفون على المطبخ ان يستعينوا بالسلغم والجزر دون ان يلتفتوا الى ان مثل هذا المرق والادام في الدعوات والاعراس لايعتبر مألوفاً ، لذلك لم يقتصر الداخلون في اواخر الليل لال الحاج على اغا مثل هذا السهو ، وعدوه اهانة للطبقة الثالثة من الفلاحين ، والعمال ، والفقراء ، ونسوا ما كانوا قد تناولوه من جيد المأكول ولذائد المطبوخ في الوجبات الاولى من العشاء وكان بين تلك الطبقة بعض شعراء الزجل العامي من العمال فلم ينفص هؤلاء ايديهم من العشاء حتى هزجوا ، وردد الآخرون اهازيجهم :

اطبخنا خوش اطبخ يا حيف مرقتنا جزر

ثم اردفوا ذلك بايات كثيرة من قبيل :

دزوا خبر لاسد خان وزنه جزر نص قران

ومن قبيل :

مرقة جزر بيها احدار بالانكرى ما تدار

وغير ذلك مما ظل يردده الكبار والصغار جيلا كاملا وبلغ من الامر ان تناول

القضية احد الادباء المتفنين ووضع لها تاريخا بقوله (عشا مرقت جزر) .

وكان اغلب التآت القصيرة في القواعد الاملائية التركية يكتب بالتاء الممدودة

ومن هذه كانت التاء في كنمة (مرقت) وهي تعنى (مرقة) ويبلغ مجموع هذه الجملة

(١٣٢١) وهي السنة التي تم فيها الزواج المذكور

كل هذا قد جعلني انظر الى حميد خان نظرة اكبار واتمعن من بعيد في

سترته وبنطلونه واعجب ان يرتدى احد من المدنيين السترة والبنطلون التي كانت

مقتصرة على موظفي الحكومة في النجف .

وبعد ذلك فقد كانت اشياء اخرى كثيرة تتولى تعريف الناس بحميد خان

في ذلك الوقت ، كان منها (مسعود) الزنجي النحاسي اللون ، ومسعود هذا عبد

اسود يمتلكه حميد خان ، وقل في النجف من لم يعرف مسعودا ، فقد كان رجلا

وقورا وعلى جانب كبير من الاناقة في ملبسه ، وحر كاته ، وسكاته ، فلا يمر بمكان

الا ويشير اليه المشيرون بانه عبد حميد خان الخاص ، ومنها كان الحاج اسود شيرعلى

الذي كان يلازم بيت حميد خان . ومنها كان حمد السنى ، وحمد السنى هذا ابن

قس من القسيسين اسلم على يد الزعيم الروحاني الحاج ملا على الخليلي ،

واستطاع في مدة قليلة ان يستلقت الاظفار الى ما استطاع ان يحيط به في مدة وجيزة

من علم الفقه والاصول والكلام والادب ، وقد تزوج بامرأة من آل قفطان فولدت

له ولدا سمي بحمد السنى ، ونست ادري لم سمي بحمد السنى فهذا السواد لايفهم

المنطق والمناسبة والمقتضيات ليحاسبه احد على مسمياته ومعتقداته ، وعاداته ، ويغلب

على ظني ان مفهوم السواد يومذاك لايتجاوز في الاديان والمذاهب اكثر من المذهبين

الشيعة والسني ، فكل من لم يكن سنيا كان شيعيا في نظر سواد السنة ، وكل من لم يكن شيعيا كان سنيا في نظر عوام الشيعة ، ولكن حمدا لم يكن الا شيعيا فمن اين جاءت هذه التسمية ؟ انها على ما يبدو لي نتيجة نسبة حمد لايه المسيحي الاصل فسماه السواد بحمد السني لانه لم ينحدر من اصل شيعي

ولم تكن شهرة حمد مقتصرة على هذه النسبة وهذا التاريخ ، وانما لشخصية حمد في عالم الفتوة والشجاعة شأن او بعض شأن في الاوساط. فلقد شب حمد شجاعا باسلا غير هياب وأسهم في حرب (الزكرت والشمرت) واعطى بندقيته مكانة قد تكون مرموقة بين البندقيات ، وكان يعمل في احد البساتين من الشواطئ القريبة من النجف مزارعا يفلح الارض بنفسه ، وكم يصادف ان يترك البستان في ساعات متأخرة من الليل ويدخل المدينة من فجوات خاصة في السور ، لان ابواب المدينة تكون مغلقة في تلك الاوقات . دون ان يخاف احدا .

ولقد افاد حمد السني من هذه النسبة السنية ذات يوم في نزاع وقع بينه وبين خصم له اشبعه حمد ضربا وصفعا وترك انفه ينزف بالدم ، حتى لجأ هذا الخصم الى القوميسر شاكيا داعما شكواه بعدد من الشهود على ما فعل به حمد السني الامر الذي حمل القوميسر على توقيف حمد السني وجلده ، وحين اخرج حمد السني من التوقيف ليجلد تيقظت فيه النباهة ، ووجه الكلام الى القوميسر قائلا :

— لا انكر يا سيدى ما فعلت يداى بالمشكى واني لاحمد الله ان تم الامر على هذه الصورة ولم يؤد الى ارتكاب جريمة ، فهل تدري لم كل هذا ؟ فاذا كنت لم تعلم فلتعلم الان اننى السني الوحيد في هذه البلدة ، والسني مكروه عند الشيعة ، وانهم ليضايقوننى فى حياتى مضايقة شديدة حتى لقد جزعت اليوم ونقد صبرى فبطشت بهذا الرجل كما ترى وانا مكلوم ، واذا لم تصدقنى فاسأل عنى الجميع فقد بلغ من كره المدينة لى انهم يلصقون مذهبي باسمى ويسموننى بحمد السني ليعرفنى من لم يعرفنى بعد .

ويظهر ان القوميسر وهو ضابط تركى وسنى قد اقتنع بما قال حمد فاكرمه على ما قيل واطلقه

وكانت لحמיד خان وعمه الحاج على آغا املاك من (فيصريات) وحمائم،
واسواق ، فانطقت حراستها بحمد السنى خصوصا فى الاوقات التى كان يسود
فيها الشغب وتقوم المعارك بين الزكرت والشمرت فى النجف ، فكان حمد فى
مقدمة جماعة حميد خان وآل الحاج على آغا ومن (الفتوات) الذين التصقت
اسماؤهم باسماء آل نظام الدولة مدة غير قليلة ، وكانت صورة حمد السنى وانا
طفل لآبارح ذهنى ولم اكن اعرف عنه الا انه من اتباع حميد خان .

ومما كان يرافق اسم بيت حميد خان ايضا هو وجود بغاء فى بيتهم وهى
من صنف خاص انفردت بصفات خاصة ، بين اصناف البيغاوات وقد اتصل خبرها
بجميع الناس ، ورووا عنها الاعاجيب وقالوا ان فى بيت حميد خان بغاء تتكلم
الهندية والفارسية والعربية بطلاقه ، وكانت تنادى (مسعودا) كلما رأت زائرا يدخل
البيت ويجلس فى الديوان صارخة بمسعود ان يجيىء بالشئ للزائر وكانت تسأل
قائلة : (من الطارق) اذا سمعت الباب يطرق ، وكانت تشتم ، وتسب بما تعرف من
اللغات كلما رأت شخصا يتحرش بها ، وكثيرا ما كانوا يعاكسونها بعود يدسونه
اليها من بين اسلاك القفص ، وكل هذا كان ينقل عن هذه البيغاء العجيبة وربما
بشئ كثير من المبالغة التى تحملهم على وصف اشياء ليست فيها .

ولقد اهدى حميد خان هذه البيغاء التى يسمونها (كاسكو) لقد اهداها الى احد
اعمامى وهو الميرزا محمود الخليلى ، وقد استطعنا ان نستعيرها ونأتى بها الى بيتنا
اياما ، ولم ازل اذكر ازدحام المعارف والاقارب على قفصها فى بيتنا كازدحام الناس
على الراديو والتلفزيون يوم اول تعرفهم به ورؤيتهم له ، ولما مات الميرزا محمود
اصرت زوجته على ان تكون تلك البيغاء من ضمن ميراثها .

كل ذلك واكثر مما كان يتصل بحميد خان او بيته عن بعد او قرب كان
مرسما فى ذهنى وانا صبى لم اعرف من العالم الخارجى غير المدرسة وما تقع عليه
عيني فى الطريق وغير ما كانت تستوعبه اذناى من المسموعات .

ومرت سنين تغيرت فيها الاحوال ، ودالت دولة الانراك وقامت حكومة الاحتلال
الانكليزى فعرضت على حميد خان وظيفة معاون الحاكم السياسى فى النجف وهى

وظيفة خطيرة جدا يومذاك فأبى قبولها واشتد أبأؤه ، وأجست حكومة الاحتلال بالحاجة الماسة اليه فسعت عن طريق الزعيم الروحاني المنفرد السيد كاظم اليزدي لحمله على تكليف حميد خان بقبول هذه الوظيفة ومازال به حتى قبلها خصوصا وان ثلثة من اصدقائه الخالص كالشيخ جواد الجواهرى ، والميرزا مهدي الاخوند ، والشيخ عبدالكريم الجزائري كانوا يرون فى قبوله لهذه الوظيفة ضربا من ضروب اداء الواجب نظرا لاحتياج الناس الى امثاله فى قضاء حاجاتهم ومن هنا بزغ نجم حميد خان لامن حيث المقدرة واللياقة فحسب وانما من حيث تصديه لقضاء حاجات الناس ، ولكن هنالك فئة من المتطرفين او غير المطلعين على مبدأ دخول حميد خان فى ميدان الوظيفة قد غالت فى تهجمها على حميد خان ولاسيما الشباب منهم وعدت قبوله الوظيفة ضربا من ضروب مماثلة سلطات الاحتلال ، واشتهر حميد خان ولم تقتصر شهرته على النجف وحدها وانما تجاوزت الفرات ، وصار يعد من ارباب الحل والعقد ، ولم يعد يحتاج احد من الكبار والصغار الى ان يمر بالصحن الشريف لتقع عينه على الدكة التى كان يقعدها هذا المطربش ليعرف هناك شخصيته ، فقد دخل اسم حميد خان فى كل حديث من الاحاديث السياسية والثقافية والاجتماعية أليس هو اليوم معاون المتنفذ ذا الكلمة المسموعة عند الحاكم السياسى بل عند الحاكم السياسى العام؟ أليس هو أول من تنقف من النجفين ثقافة عصرية حديثة ؟ ثم أليس هو ابن تلك الاسرة العريقة المعروفة فى النجف ؟ ذات الفضل فى حفظ النجف من الغزو بسبب ذلك السور العظيم الذى كلف بناؤه الشيء الكثير من المال ، ثم اليسوا هم الذين بنوا مدرسة (الصدر) وهى اكبر مدرسة دينية علمية فى النجف وخصصوا لها اوقافا تدر عليها وعلى طلابها ، الرزق ؟

وضاق بيت حميد خان بالوفود والزوار وارباب الحاجات ، بل ضاقت بيوت اصدقائه من الشيخ جواد الجواهرى والشيخ عبدالكريم الجزائري والميرزا مهدي الاخوند بالناس الذين يلتجؤون اليهم لقضاء حاجاتهم عند حميد خان ، وبدأ الناس يرون فى اعمال حميد خان صورة لانسانية قل عهدهم بامثالها ممن عرفوا فى حياتهم العامة والخاصة ، فقد زخرت شخصيته بالكثير من المرؤة والنبل والحلم والسخاء .

وانى لاذكر ان أبى قد جاء ذات يوم وهو فى اشد حالات القلق ليخبر اخى عباس الخليلى بان حميد خان قد أسره بان تقريراً سرياً قد رفع الى الحاكم العسكرى يتهم فيه اخى بالعمل على قيام ثورة فى النجف وان حميد خان قد فد هذا التقرير على رغم اعتقاده بصحته وقد طلب ابى من اخى ان يقدر العواقب ، وان لا يزوج نفسه فى هذه الميادين ، وكان اخى عباس من اولئك الشبان الذين يسيؤون الظن بحميد خان وكان ممن يرى فى صداقة ابى له شيئاً من الاساءة لاسرتنا ان لم يكن شيئاً من الخيانة ، وانا يومذاك لم ازل فى مرحلة الصبا ولم ابلغ بعد السن التى تخولنى ان افهم شيئاً أو أرى رأياً ، لذلك كنت الى جانب اخى فى العقيدة وفى فهمى للوطنية ، ولم نكن وحدنا من اسرتنا الذين نرى هذا الرأى فى حميد خان ونلوم أبانا على صداقته الاكيدة وانما جل اسرتنا كانت على هذه العقيدة .

ومرة اخرى جاء ابى الى اخى يخبره بان الازمة قد اشتدت وان التقارير بخصوصه قد تكاثرت وان حميد خان قد لايسطيع الدفاع عنه بعد هذا ، ولكن اخى - وكان قد غطس فى اعداد ثورة النجف الى شحمة الاذن - كان لايعير أباه اذنا مصغية .

وقامت ثورة النجف وعرفت مكانة اخى منها وتحقت مضامين التقارير ووقع شىء غير قليل من الكدر وسوء التفاهم بين السلطات الانكليزية وبين حميد خان بسبب اخى وبسبب عدد آخر ممن كانوا قد اسهموا معه فى الثورة النجفية فحال دفاع حميد خان بين السلطة والقبض عليهم قبل استفحال الثورة حتى فات الوقت على السلطة ، وفى مقدمة اولئك كان السيد محمدعلى بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائرى اللذان لم يعبئا بتحذير حميد خان ولم يهتما بدفاعه عنهما ، ان لم يكونا كاخى من الناقمين عليه . ولقد وقع بين السلطة الانكليزية وبين حميد خان شىء كثير من الاخذ والرد والكدر عند اندلاع ثورة النجف ولكن هل من حميد خان على أحد من اولئك انذين ذب عنهم ؟ وهل قال لاحد من اسرهم انه قد تحمل فى سيئهم ما تحمل من مؤاخذة وتجريح ؟

وقد ظل ابي حتى الموت وهو اشد ما يكون خجلا من حميد خان بسبب اخي ،
ويوم سجن حميد خان في طويريج قصده ابي مرتين وباذن خاص من عمران
الحاج سعدون وزاره في البيت المخصص لسجنه والمحظور دخوله على الناس الا
بصعوبة واطال المكوث عنده .

وكنت انا غير مدرك ما كان يدركه المجرب البعيد النظر اذ لم تكن تتجاوز
نظراتي حدود قدمي لذلك لم افهم حميد خان على حقيقته ، وكنت اسمع بالكثير من
فضائله الانسانية ونبله وكرم خلقه ولكنى كنت كالكثير من عميان البصيرة لا اقيم
وزنا لما اسمع حتى قامت الثورة العراقية ، وهم حميد خان ان ينجو بنفسه من هؤلاء
المتطرفين الذين يجهلون قيمة حميد خان وحقيقته وكانوا قد كثروا في النجف ، وقد
ركب الناس حماس وطني عارم حال بينهم وبين الادراك بان دخول حميد خان الى
الوظيفة انما جرى بناء على حث ائمة الوطنية وزعماء البلد كالشيخ الجزائري
وان البلد قد افاد من وجوده ما لم يفده من الكثير من أهل الحزم والاخلاص .

اقول وادرك حميد خان انه معرض نفسه للهلاك اذا بقي في النجف ساعة
واحدة فهم بان يخرج منها ويقصد مدينة كربلاء ويغيب نفسه فيها ، لان محيط
كربلاء كان ارحب صدرا من النجف يومذاك ، وكان للشيخ صادق الكبي في
النجف دين على حميد خان ، وكان قد بلغه خبر محاولة خروج حميد خان متسترا
من النجف فقصده حيث قد اسرجت خيول العربة المعدة لنقله خارج النجف ، وهناك
وقف حائلا بين حميد خان والسفر ، وعبثا اجهد حميد خان نفسه في اقناعه ،
وعبثا اكد له بانه سيكتب له حوالة على أحد التجار او على وكيله لكي يتسلم المبلغ
منهم ، فلم يفد الاجهاد مع الرجل شيئا ، حتى اضطر الى ان يبعث باحد العمال من
هناك ليأتي له بمن يلتقيه في الطريق او في بيوتهم ممن اسماهم له لكي يسددوا
للشيخ صادق دينه وبعد انتظار ساعة واكثر حضر السيد مهدي المحلاتي وقام بدفع
المبلغ للكبي ، وخلص منه حميد خان ، ولكن هذا التعطيل قد ادى الى ان يتسرب
خبر خروج حميد خان من النجف الى اولئك المتطرفين فاندفع البعض منهم وادركوا
العربة وهي على وشك الحركة ...

ومن حسن الحظ ان حضر تلك المعمة بعض من يعرف حميد خان بحقيقته
فحافظ على كرامته وتوسط في امره واكفى المتطرفون بسجنه في مدينة (طويريج)
تحت رقابة عمران الحاج سعدون رئيس قبائل بنى حسن ، فكانت هذه الحادثة اولى
حادثة غيرت تسيجتها وتبعاتها فيما بعد رأى الكثيرين في حميد خان ، فقد
انتهت الثورة ، وعاد الرجل الى النجف وازداد عدد انصاره واجباؤه وكان المنتظر
ان ينزل باولئك الذين خاصموه وآذوه وضايقوه ضربة مؤذية اذا لم تكن ضربة
منتقمة ، ولكن حميد خان لوى جيده ، واشاح بوجهه كانه لايعرف من الماضى
شيئا ، ومن ذا الذى لايعرف خصوم حميد خان ؟ لقد عرفهم حتى الاطفال أفيحفي
اذن على حميد خان احد منهم ؟ وتلك كانت من اهم سجايا الرجل التى انفرد فيها
في النجف •

ففى ذات يوم من ايام سجنه (بطويريج) وقد كان يعد البسته ليدخل حمام
البيت وكان الحارس الموكل عليه والخدام الخاص به يعملان في تسخين الماء في
الحمام وهو اول حمام أعده حميد خان في البيت بعد بذل جهود غير قليلة مع
الحارس الذى كان يخاف من ادخال العمال والبنائين الى البيت حذرا من عدم
موافقة المسؤولين في بناء حمام في البيت وان كان ذلك على نفقة السجين نفسه •

اقول ففى ذات يوم وحميد خان يعد البسته وكان قد التفع بعباءة اذ طرق باب
البيت طرقا عنيقا اضطره الى الذهاب بنفسه لفتح الباب وحين فتح الباب الفى نفسه
قبال رجل متجهم يتظاير الشرر من عينيه وهو فى وضع يدل على انه قادم على شر
أو ارتكاب جريمة ••••• فخافه حميد خان وسأله عما يريد ؟ فاجاب - أرنبى حميد
خان وسترى ••••• فتركه حميد خان فى الباب وجاء الى الحمام حيث الحارس
والخدام وتاداها فحفا الى الرجل واذا به فى وسط اندار وهو شاهر سلاحه فقبضا
عليه وانتزعا السلاح من يديه وساقاه الى عمران الحاج سعدون ••••• واعترف هناك
الرجل بانه فلان وانه من النجف وقد جاء ليقتل حميد خان تقربا الى الله ولوجه
الوطنية •••••!! وقال انه لم ير حميد خان من قبل ولا سبق بمعرفته !

وتمر الايام بسرعة ويخرج حميد خان من السجن ، ويعود الى النجف كأن

لم يكن شيء قد مر ، وكان الشيخ صادق الكبي الذي لولا مضايقته لحميد خان لكان حميد خان قد دخل كربلاء ونجا من السجن ، اذا بالشيخ صادق يقصد حميد خان في بيته ويلوذ به ليخلصه من ورطة وقع فيها فقد اصبح الشيخ صادق - بسبب تأجير مطبعته في النجف على حكومة الثورة - من غرماء الانكليز ، تلك المطبعة التي كانت تطبع بها جريدة الاستقلال التي كان يديرها السيد محمد عبد الحسين فكانت لسان حال الثورة ثم انتقل اسمها بعيد الثورة الى بغداد وبدأ يصدرها عبدالغفور البدرى كامتداد (لاستقلال) الثورة ، فقد صودرت مطبعة الشيخ صادق الكبي من قبل الانكليز وفرضت عليه غرامة من ائمال وعدد من البنادق يجب ان يأتي بها الشيخ صادق ويسلمها للانكليز ، ولكن أترى قال حميد خان شيئاً ؟ او اشار الى شيء مما كان من امر الشيخ صادق ؟ او ذكره بما كان له معه ؟ وكل ما فعل حميد خان هو انه سعى فرد له المطبعة وخفف الغرامة واسقط عن كاهله البحث عن البنادق وشرائها !!

ووقع مثل هذا بل واكثر من هذا يوم كان يهم حميد خان بدخول السراى بعد الثورة فاذا به وجها لوجه امام ذلك الرجل الذي كان قد قصده في تطويريح ليقنته متقربا الى الله بقتله ، وحين وقعت عين الرجل على حميد خان رجع الى الوراء قليلا ولاذ بباب احدي غرف السراى ولكن حميد خان اسرع اليه ، وامسك به من يده وهو يضحك والرجل ترتعد فرائصه من الخوف واخذته الى غرفته وسأله :

- أليس هو فلانا ؟

قال - بلى .

قال - فما الذي جاء بك الى هنا ؟ فانتى اخشى ان تكون قد جئت لتتقرب بي مرة اخرى الى الله . قال هذا وهو يضحك . . .

فاطرق الرجل ولم يجب من فرط الخجل ، وخرج حميد خان من حال الدعابة والمزاح الى الجد ، وسأل الرجل عما اذا كان يشكو شيئاً ، فقال انه يشكو ادبار الدنيا ، وقد حسن له بعض الاصدقاء ان يعرض نفسه على الحكومة كمتعهد أو

ملتزم لبعض الأشغال ، ومنذ اسبوعين وأكثر وهو يراجع الجهات المختصة في السراى فلم يوفق

ولم يترك حميد خان الرجل يخرج من السراى فى ذلك اليوم حتى اوجد له عملا مناسباً فى الكوفة !

وكم من مرة اساء السيؤون الى حميد خان واحسن حميد خان ، وأسأؤوا واحسن ، وظل يحسن حتى ذهبت الاساءة وتنوسيت وبقي الاحسان ، وحين كان متصرفاً للواء كربلاء اتسعت دائرة انفاقه حتى لم تعد واردات املاكه تكفى لمصروفه بالنظر لما كان يخصص من رواتب شهرية لجهات كثيرة وبيوت متعددة ، وكثيراً ما كان يخصص للطلاب المعوزين ما يستعينون به على دراستهم ، وقل من عرف بذلك الا القائمون بتنفيذ رغباته ، وبعض الحاشية الذين من الصعب ان يمر شيء بدون اطلاعهم عليه ، وقد اكد هؤلاء ان حميد خان لم يتقاضى فى ايام الاحتلال فلساً واحداً من الخزينة البريطانية فكانت السلطة تضيف راتبه الشهرى الى خيريات (اوده) التى يجرى تقسيمها على الفقراء فى كل ثلاثة اشهر عن طريق السلطات الانكليزية وهذا بالطبع قد ساعد كثيراً على نفوذ حميد خان واحترام السلطات الانكليزية لرأيه عند وقوع الاختلاف معه .

ويستقيل حميد خان لوقوع شيء من الاختلاف بينه وبين الملك فيصل الاول وذلك بعد زيارة الملك فيصل للواء كربلاء ونزوله ضيفاً على حميد خان فى النجف ، فيقرر حميد خان السكنى ببغداد بعد ذلك وينتقل اليها ، ويكثر اقترابى منه فى هذا التاريخ وتزيد معرفتى به فاندتم على ما فاتنى من وقت كان يجب ان اعرفه فيه بحقيقته قبل هذا التاريخ ، ووجدتني اخيراً امام رجل لا يكفى ان تتعته بالرجولة وحدها فهو انسان بكل معنى الانسانية وقد خصه الله بقلب كبير ، وشعور مرهف وطيبة تجاوزت الحدود وقد تضافرت هذه الصفات فخلقت منه نبيلاً شريفاً جواداً لم تر النجف نظيراً له منذ عشرات السنين اذا لم نقل منذ مئات السنين . وهناك لم يبق احد الا وقد عرف حميد خان بحقيقته واستغفر الذين اسأؤوا اليه لربهم .

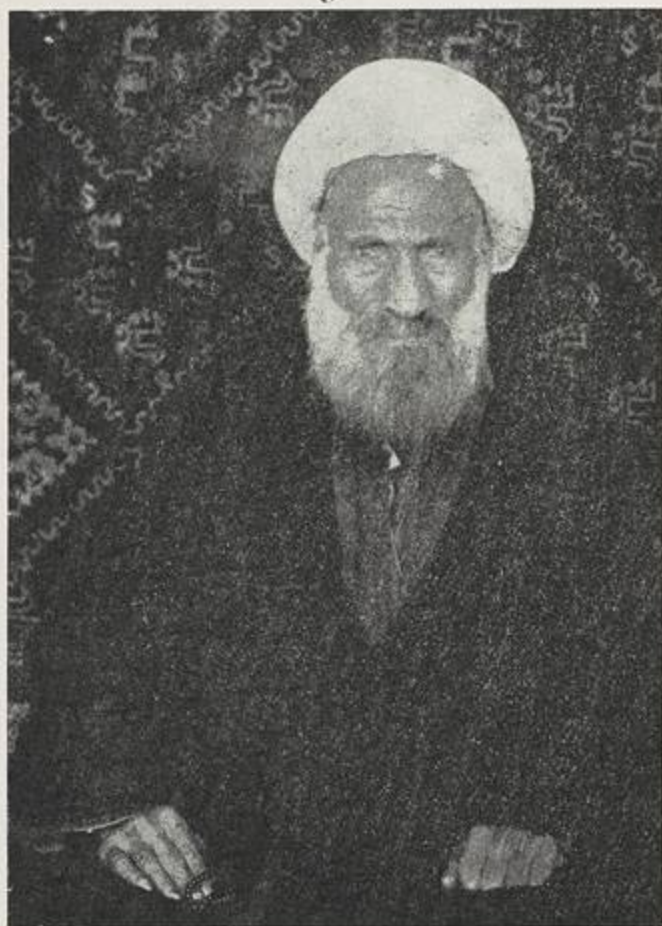
رأيت في ضهور الشوير في صيف ١٩٣٩ وكان يعانى ضغطاً عالياً فى الدم ،

وكان الى جانبي احد الذين انكر حميد خان يوم انكره الكثيرون وانا من بعضهم ،
 ولكنه حين عرفه لم يتح له ان يعتذر اليه عما سلف ، لان الايام كانت قد نأت به
 وحالت بينه وبين حميد خان ، وهو حين تلاقى واياها هنا وفي ضهور الشوير بعد
 ذلك الجفاء هم بان يعتذر اليه بل بدرت بادرة الاعتذار على لسانه ، ولكن حميد خان
 كان ينظر حينذاك الى الافق ساهايا واجما كمن لا يعنيه امر الاعتذار او كمن يريد
 الانتقام من الرجل بالاعراض عنه الامر الذي حمل الرجل على الغضب والندم على
 تقدمه بالاعتذار وسرعان ما انكمش على نفسه ، وتقلصت
 سحته ، وراح يشغل نفسه هو الاخر بناحية ثانية من
 الفضاء ليقابل الزراية بالزراية ، وبعد دقائق هم ان يقوم ، فامتدت يد حميد
 خان اليه مومية له بالبقاء وهو ساكت ، وهنا ادركت انا وادرك صاحبي ان الرجل
 يعاني عارضا نفسيا لا دخل له بسوء ظننا ، وبعد فترة قال ٠٠٠ قال انني مريض
 يا اخي ، ان قلبي ٠٠٠ يهددني بالوقوف عن الحركة ، وكنت - قال حميد خان -
 وانت تتكلم في حال من الانهيار الذي لا يطاق فلم يكن بوسعي ان ارد تحيتك ٠٠!
 وقبل ان يموت حميد خان بشهر وانا ببغداد علمت بانه يعاني نوبة من تلك
 النوبات القلبية التي اشار اليها وهو في ضهور الشوير فصممت على زيارته باسرع
 ماكنت افعل من قبل واذا بي في الطريق امام اخيه مصطفى خان يخبرني بان
 الطبيب قد اوصى بمنع الزيارات عنه وقال لي انه سيتولى ايصال تحيتي وزيارتي له
 وبعد عدة ايام لقيت حميد خان في المكتبة الوطنية بسوق السراي وهو يقعد الكرسي
 الذي كان يلذه ان يقعده من هذه المكتبة كلما مر بسوق السراي ، فاقبلت عليه
 معتذرا واخبرته بما كان في عزمي من زيارته واكفائي باخيه ولامني قائلا ان المنع
 كان صحيحا ولكنك لم تكن انت مشمولاً به ، وقبل ان امضي في الاعتذار منه بدأ
 يقدم لي اعتذاره لعدم استطاعته حضور حفلة تدشين (دار الهاتف) وقال لي انه
 ينتظرني في الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم في داره باب المعظم وكان قد
 انتقل اليها كما اخبرني ، وقد كرر هذا الطلب وهذا الرجاء اكثر من المعتاد حتى
 اثار في نفسي الشك وخلت انه ربما يريد تقديم هدية (للهاتف) بمناسبة تدشين دارها
 والا فما معنى هذا الرجاء بزيارته وعلى هذه الصورة الملحة وظللت اقدم رجلا

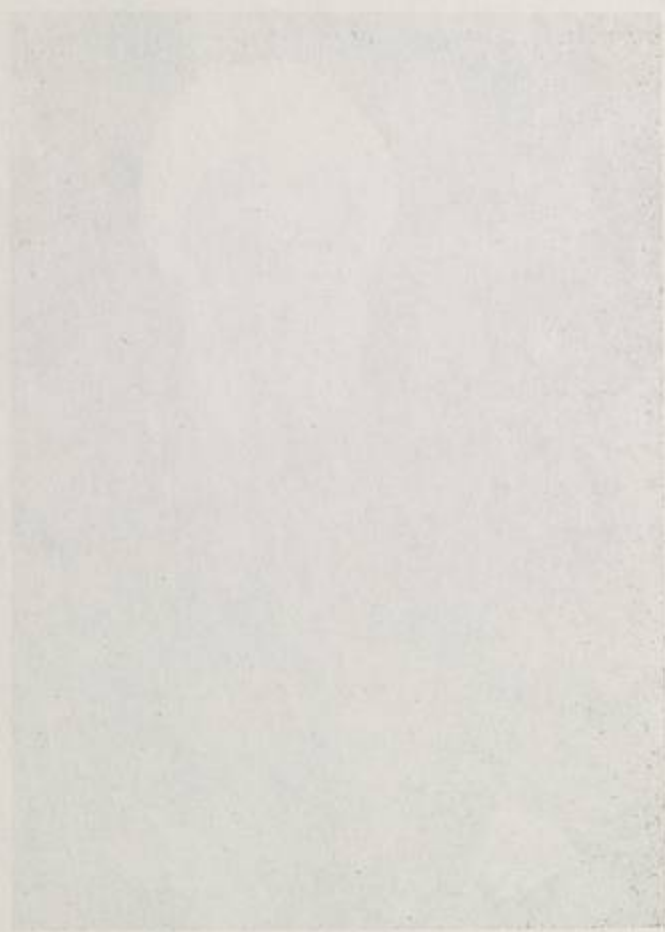
وأخز أخرى وأنا احدث نفسي أذهب اليه ام لا اذهب ؟ واخيرا قوى انشك في
ذهنى ساعة بعد ساعة حتى حان الموعد فالفيتى مصمما على عدم الذهاب ، وقد درت
برأسى الى جهة لعلها تعاكس تماما الجهة التى يقوم فيها بيته وكانت تلك آخر
رؤيتى له •

وتعددت النوبات القلبية ، وعلى انه كان شديد الحذر وانتوقى فانه لم يمتنع
عن زيارة الاصدقاء وتفقد محبيه ولم يمتنع اصداقؤه ومحبوه من ان يهيئوا له الجبو
الذى يأنس به ، وذات ليلة وهو على مائدة عبدالرزاق الازرى عاودته التوبة القلبية ،
وفى هذه المرة لم تمهله اكثر من ثوان معدودة ماكاد يحس بها الحاضرون حول
المائدة ، فانطقاً ذلك السراج الوهاج من الخلق الكريم ، والنبل الذى ظل تاريخ
النجف يروى عنه الكثير مما لم يجر على بال ، فكان اول نجفى ضرب اروع الامثال
للحلم والانسانية وتجاهل الحقد والانانية فى جميع ادوار حياته ••• كما كان اول
نجفى ثقاف ثقافة عصرية •

وحين توفى تبين ان عددا كبيرا من المعوزين كانوا يتقاضون من حميد خان
رواتب شهرية ومساعدات موسمية ، وان ماكان يحصل عليه من وارد املاكه الكثيرة
كان ينفقه كله وبدون ان يبقى شيئا منه على وجوه البر والاحسان على ذلك النسق
الذى كان مألوفاً فى ايامه ، فكانت فيجعتى به كبيرة وحزنى عليه عميقا • وكانت
خسارة الاخلاق به فادحة •



الشيخ جواد الشيبيني



الشيخ جواد الشيبى^(١)

وعيت ولشيخ الادباء الشيخ جواد الشيبى دوى هائل فى الاوساط الادبية .
والمحافل النجفية ، وكان اسمه من الشهرة بحيث لا يذكر اسم الادب يومذاك
بجميع فنونه الا وكانت له من المناسبة ما تجعل الاتصال وثيقا باسم الشيبى الكبير ،
وكان عدد ادباء العربية الموهوبين حينذاك كبيرا ، وعلى جسامه هذا العدد كان
الشيبى فى الرعي الاوّل من المتفوقين والعباقرة ، حتى لقد كان يجوز للاديب
- فضلا عن المتأدّب - ان يتجاهل او يجهل طائفة من اولئك الادباء الكبار ولا يجوز ان
يجهل او يتجاهل تلك القلة التى كان منها الشيخ جواد الشيبى فى الطليعة .
ولعلى قبل ان اعرف الشيخ جواد بالذات قد سألت عنه واكثرت السؤال ،
وبحثت عنه واكثرت البحث ، فكانت لى به معرفة ليست كمعرفة واحد يسمع باسمه ،
او يقرأ له ، او يصنعى الى ادبه وكلماته ، وانا هو شىء يفوق ذلك كله . ويدل
على زيادة فى المعرفة لم تتأت الا عن اسئلة واجوبة متواصلة ، وتبعات واستقصاءات
متعاقبة ، وانا حين استعرض صحيفة الذاكرة الان لا علم تأريخ اول معرفتى به لم
اجدى واصلا الى شىء اكثر من انى عرفته منذ استطعت ان اعرف الناس ، فقد كنت
اعلم انه من رواد مجلس آل الشيخ عباس كاشف الغطاء ، ومجلس السيد حسين
القزوينى ومجلس السيد على العلاق ، وانه من اقران الشيخ هادى الشيخ عباس ،
والشيخ عبدالكريم الجزائرى . والشيوخ عبدالحسين الجواهرى والشيوخ اغا رضا
الاصفهانى ، والسيد على العلاق ، والسيد جعفر الحلى ، وكنت اعلم ان لهؤلاء
تأريخا حافلا بالفضيلة والكرامة ، ودواوين عامرة بالشعر والادب والنوادر
والنكت ، وانه يرجع اليهم الفضل العظيم فى بناء النهضة الادبية ، وتكوين مجموعة
من روائع الادب العربى الرصين ، تلك المجموعة التى لاتجارى من حيث مراتبها ،

(١) الهاتف - السنة التاسعة العدد ٣٥٠-١٧ آذار ١٩٤٤ .

وقوتها وكيفية نسجها ، وكنت اعلم ان لشيخ جواد الشيبى مع هذه الزمرة الخاصة من طبقة ومع غيرها من زمر الادب التي تلى طبقة تاريخا ادبيا ممتعا ، وكان من هذه الزمرة الشيخ عبدالحسين الحلى قاضى قضاة البحرين ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ، والشيخ عبدالحسين الحياوى وغيرهم •

اقول ، وكنت اعلم ان له مع طبقة الخاصة والطبقات الاخرى نوادر ونكتا غاية فى الرقة ، وغاية فى سمو المعنى ، ومساجلات شعرية ربما طوقت جيد الادب بعمود قلت نظائرها فى كثير من الحقب التاريخية ، وكان الشيخ جواد الشيبى هو المجلى فى الغالب بشعره ، ونثره ، ونوادره ، وسرعة خاطره ، وقد قيل ان نوادره الادبية ، وتحفه الفنية من الكثرة بحيث تستوعب مجلدات ضخمة لو تصدى احد لجمعها •

لقد وعيت وانا واحد من عشاق ادبه ، ومتبعى بدائعه ونكته ، وكنت ابحت عن نماذج من رسائله وخطوطه بقصد التمتع الروحية ، وطلب الادب ، وكنت اقرأ ما احصل عليه بكل شوق ولهفة • فقد كان العلماء كثيرا ما يتخذون من قلمه ترجمانا للاعراب عن رغباتهم ، ومقترحاتهم فيبعثون بها للباب العالى باسطنبول ، او يخاطبون بها الولاة ببغداد ، وكثيرا ما يقصده ارباب الحاجة ممن يريدون ان يسجلوا وصيتهم بعد مماتهم • او يريدون وقف املاكهم ، او تأسيس شركة لهم ، او اجراء بيع او شراء على الوجه الشرعى فيما بينهم ، فيدبج لهم بانشائه وخطه وثيقة حسبها من القيمة الشرعية والعرفية ان يقال انها من وضع الشيخ جواد الشيبى فقد عرف ببراعة انشائه كما عرف بحسن خطه ليس فى النجف فحسب وانما فى جميع الاوساط الادبية فى العراق • وكثيرا ما كان ينظم الشعر الجيد ويعطيه لمن يتحلله لنفسه لغرض من الاغراض •

هكذا كان يقال لنا عنه ونحن شبان متأدبون حينما كنا نسأل عن شخصه ، وكنت انا اسمع عنه اكثر من هذا لاسباب كثيرة اهمها ماكانت تربطه باواصر المودة مع اسرتى خاصة ، حتى لقد قيل انه كان من اقرب اخضاء الحاج ميرزا حسين الخليلى المرجع الروحانى بعد انيرزا حسن الشيرازى • اما رابطته بالميرزا محمود

الخليلى فكانت رابطة مودة جد وثيقة يعرفها كل من وقف على شيء من تاريخ الجيل
الماضى •

وكانت هذه الاسباب بالاضافة الى رغبتى فى الادب جعلتني اسمع يومذاك عن
الشيخ جواد الشيبى اكثر مما يسمع اغلب اقرانى ومن كان فى مثل سنى ، وقد كان
يكفى ان ينطلق بيت الشعر من فمه • ويكفى ان يخط سطر من نثره على الورق
لكى تراه مرددا على الكثير من افهام الادباء ، اما النادرة فحسبك منها أن كان
يتلقفها الجميع من مختلف الطبقات ••• واننى لاحفظ نكتة (جويعد) من زمن قديم،
وقبل ان يتاح لى ان اعرف الشيخ جواد عن كتب ، وجويعد هذا فى الحقيقة اسم
مصغر لاسم (جاعد) اى (قاعد) وهو بعد ذلك اسم لاب الشيخ عبدالحسين الحياوى
وهو رجل قروى من اهل الحى ليس له شأن يذكر لولا ابنه الشاعر المعروف الشيخ
عبدالحسين الحياوى الذى انتقل من الغراف الى النجف طالبا للعلم ثم نال من العلم
والادب قسما وافرا ، وكان جويعد هذا ذات يوم فى زيارة ابنه الشيخ عبدالحسين
فى النجف ، وكان مجلس ابنه الحياوى غاصا بالادباء وفى مقدمة اولئك كان الشيخ
جواد الشيبى ، وقال بعضهم بل كان ذلك فى مجلس السيد على العلاق ، وكيفما كان
الامر فقد غاب الشيخ عبدالحسين الحياوى عن مجلسه برهة ثم عاد فالتقى الشيخ
جواد الشيبى يدخل المرحاض ، وتغافل الشيخ الحياوى وشاء ان يعرض بالشيبى
مداعبا وسأل بصوت عال :

- اين انت الان يا شيخنا الشيبى ؟

وكان الحياوى ينتظر ان يكون الجواب : انه فى المرحاض ، وفى ذلك
مافيه من تعريض لا يخفى المقصود منه على القارىء ، وسرعان ماسمع القوم صوت
الشيبى مجيبا •

- بالطهارة (جويعد) •

اى ان (جويعد) فى المرحاض ، فلم يبق احد فى النجف دون ان يروى هذه
النادرة ويذكرها كلما جاء ذكر سرعة الخاطر ، وجمال التورية بين معنى جويعد

(القاعد) واسم أب الشيخ الحياوى • وقد ضحك الجميع وضحك معهم (جويعد)
القروى الذى ظل يحدق الى الوجوه ولا يدرى لم يضحك القوم ••؟

وكان الكثير من كبار الادباء يتهيون مساجلة الشيخ جواد بالشعر واذا كان
لابد لنا ان نستتى البعض من اقران الشيبى فذلك هو السيد جعفر الحلى • وكان
الكثير يتهيون مداعبة الشيبى بالنكت والملح والفكاهة لانه كان من اقدر من عرف
بسرعة البديهة ، ولانه كان من ابلغ الشعراء واشرقهم ديباجة ، واوضحهم
اسلوبا ، بل كان نسيج وحده من حيث غزارة المعنى والعمق ، اضافة الى سرعة
الخاطر وحلاوة النكتة •

وان قصيدة الشيبى التى يداعب بها الشيخ عبدالحسين الجواهرى والد محمد
مهدي الجواهرى وخال الشيخ على الشرقى ، وقد كان من المع رجال الادب ومن
افضل تلك الزمرة بالاضافة الى جرأته وهيبته التى كان يحسب لها انداده كل
حساب ، اقول وان قصيدة الشيبى فى الجواهرى تعتبر من حيث ابداع من باب
(المدح فى معرض الهجاء) لوحة فنية من اسمى واغلى اللوح التصويرية ، ثم هى
بعد ذلك دليل على موضع الشيبى من الجرأة قبال الشيخ الجواهرى الذى كان
يهابه الكثير • وكان الشيخ عبدالحسين الجواهرى قد اصيب بالقرع وهو طفل صغير
وقد ترك القرع فى رأسه بعض الندوب ، والتواء ، والاتواءات فتناولها الشيخ
الشيبى يوم استدعت المساجلة الادبية والملحة والظرف - وكثيرا ماكانت حياة
الادباء فى النجف حينذاك تستدعى مثل هذه الدعايات - فصور تلك الاثار فى رأس
الجواهرى تصويرا يصلح ان يجيىء دليلا على ماكان يتمتع به الشيبى الكبير من
مواهب فنية غاية فى الروعة والعمق •

يقول الشيبى فى رأس الشيخ عبدالحسين الجواهرى :

لك رأس مرصع ومدبج	دوحة الجسم انبتت فيه بستج
روضة تبت الشقايق فيها	أحوانا وسوسنا وبنفسج
قد قرأنا حديثه من قديم	فرأيناه عن جمود مخرج
خط (ياقوت) فيه جدول تبر	نقطوه من (قبحه) بزبرج

فوق كافوره من الشعر مسك
 فيه بحر للقار من ظلمات
 ارضه عسجد وحصاه در
 (كم بموسى الحجام) عاد كليما
 لو على ابن الهموم ضاق خناق
 عمموه بلؤلؤ وعقيق
 كورة فيه يطبخ الجص والاجر
 وهو وادى العقيق كم جمرات
 موقد شعله كفكرة عمرو
 ذوبان لو خاصم الجمر فيه
 واديب لا بابلى ولكن
 ذو سبال يسيل عذابا ولكن
 انا ظام ولم أرد نهر فيه
 كيف ارجو من ورد خديه قطفا
 هو ذئب ان أبصر اللحم يشوى
 اكر الارز دحرجتها يداه
 ان تمشى تها من الدل أمسى
 ايها الصقر فى حدودك شعر
 كيف يرجى لناظر لك عدلا
 لك ريق يحموه يا حمانا الله منه
 ولك اللحية التى الف بيت
 باعد الحسن منه اعظم ثغر

ولم يكن هذا اول تعريض وقع من الشيبى برأس الجواهرى على سيل
 المزاح ، وانما كتب له مرة على اثر قضية خاب الرفاق ان يظفروا بشيء منها عند
 الجواهرى ، لقد كتب له من الشطرة الى النجف يقول :

خابت رفاقي منه بالذي طلبت كما يخيب برأس الاقرع المشط

والمناسبات التي تهيج قرائح الشعراء وتشيح السرور في نفوسهم كثيرة في النجف ، واذا عز وجود المناسبة التي تستدعي المساجلة والمباراة الشعرية والسلوان ، فان الشعراء هم انفسهم يخلقونها خلقا ويوجدون لقول الشعر دواعي متعددة ، وفي تأريخ الشيبسي الادبي كثير من هذه المناسبات العامة والخاصة التي جلي فيها وكان له القدح المعلي ، واني لاروي ان رهطا من الابداء كان بينهم السيد جعفر النحلي ، والشيخ جواد الشيبسي ، والشيخ اغا رضا الاصفهاني وانشيخ هادي الشيخ عباس كاشف الغطاء ، كانوا قد اجتمعوا في بيت السيد باقر الهندي في النجف وقرروا هناك خطف خروف لعمي الشيخ اسماعيل الخليلي كان قد عنى به واعده اعدادا خاصا لعيد الاضحى ، وكان الفصل خريفا • وانهاوا عليلا يساعد على نشاط النكتة وهياج القريحة ، وقد تم لهم خطف الخروف من بيت الشيخ اسماعيل بطريقة خاصة ، وجاءوا به الى بيت السيد باقر الهندي وذبحوه هناك ودعوا عليه صاحبه ، وبعض الرفاق الاخرين ، ثم رثوا الخروف ، ورثوا لحال عمي الشيخ اسماعيل وهو يرى خروفه مجندلا فوق خوان الرفاق ، واشترك في هذا الرثاء كل اولئك او معظمهم ، ومن المؤسف اني لم احتفظ باكثر من هذه الابيات من تلك القصيدة التي قيل انها كانت كبيرة ولم استطع تبين ما يعود للشيبسي ولغيره منها ، وهذه هي الابيات احتفظ بها عسى ان يحصل من يحفظ كل القصيدة ويعين قائل كل بيت منها •

قف برمل الحمى ورو الطلولا	بدموع تحكي السحاب همولا
رحل انقاطون عنها وقلبي	شاء في ساعة الرحيل الرحلا
اي بدر للمجد كان ضيلا	وبليل التمام شاء افولا
يا لفصل الخريف أي خروف	فيه أمسى مجندلا مقتولا
هو فصل اهل العراق نفاقا	ذبحوا فيه كبش (اسماعيل) (١)
فتمنى انذبح لو يقبل الحنف	بديلا بان يكون بديلا

(١) هو عمي الشيخ اسماعيل •

يا سليل الخليل صبيرا وان كان
 وكأني به يقول دع العذل
 عزيزا فقد (الخليل) الخليل^(١)
 فلن يسمع المشوق عذولا
 (وخلاف الجميل قولك للذاكر
 عهد الاحباب : صبيرا جميلا)
 لهف نفسى (ليوسف)^(٢) وهو يكي

ويطيل الشجا ويدي العويلا

قلنا ان الشيخ جواد الشيبى كان سريع البديهة . حاضر انكسة يعطى
 الظرف والندعابة ما يعطى الجرد من الاهتمام بل يضع كل شيء فى موضعه ومقتضيات
 حاله ، فلا يمتنع ان يعلق على ما يعرض امامه بكل ما يحضره من تعليق يناسب
 المقام ، وقد وجه ذات يوم الى الشيخ ابراهيم الاطيمش ، وعلى حين فجأة وبغاية
 السرعة بقصد المزاح وهو العارف بذهول الشيخ الاطيمش وما يحتمل ان يشتمل
 عليه جوابه من المنضحكات لقد وجه له هذا السؤال مباحثا :

- ما اسمك بالالف ؟

وهذا السؤال هو جزء من نسلية ادبية طالما كان الادباء يتسلون بها فيسأل
 بعضهم بعضا عن اسمه بالباء او القاف او اى حرف آخر مثلا ، فيجيب المسؤول
 بمجلة وبدون تباطؤ ويورد اسما مبدوءا بالحرف المطلوب وبغاية السرعة ...

والشيخ ابراهيم - كما ذكرنا - معروف بانذهول والسيان فى اكر الاحيان ،
 وحين فاجاه الشيبى بسؤاله : (ما اسمك بالالف) نسى الشيخ ابراهيم اقرب الاشياء
 اليه وهو اسمه (ابراهيم) المبدوء بالالف وراح يبحث فى ذهنه بمتهى السرعة عن
 اسم مبدوء بالالف ، ولكن الاسماء كلها قد طارت من ذهنه ولم يحضره اسم غير
 اسم (حسين) منطوقا به على السنة العوام الذين يبدؤونه بالالف فيقولون (احسين)
 بكسر الالف ، لذلك اجاب الشيخ ابراهيم وهو فى غاية الارتباك قائلا :

- احسين .

ولم يجد الشيخ جواد جوابا يناسب مثل هذا الحال او قل لم يجد جوابا اشفى

(١) المقصود بالخليل فى صدر البيت هو جد الاسرة الخليلية والخليل فى عجز

البيت هو الابن الاكبر للشيخ اسماعيل .

(٢) هو الابن الثانى للشيخ اسماعيل الخليلي .

لنفسه من ان يورد همزة على أحد الاسماء وينطق به كما ينطق العوام ليكون
الجواب مطابقا *

وهكذا رد عليه الشيبى بنفس السرعة قائلا :
- احذار *

والحدار بدون همزة في اللغة - تعنى مرضا جلديا معروفا بالتورم وطالما
استعمل الفراتيون هذه الكلمة للدعاء بالشر ...
* * *

وكان الشيخ الاطيمش يلازم الشيخ الشيبى ملازمة الظل في حله وترحاله ،
فهو فضلا عن كونه من ارحام الشيبى فان ادبه وظرفه وما ابتلى به من نسيان ،
وذهول قد حبه الى الشيخ جواد والى جميع شيوخ الادب ، ومن ذهوله المضحك
انه نظم ذات يوم قصيدة لامية القافية ولكنه لم يتمها في تلك الليلة ، وحين عاد في
الليلة الثانية لاتمامها ركب قافية الميم ونظم عليها احد عشر بيتا قبل ان يلتفت الى هذا
السهو ، والغريب المضحك ليس في هذا وحده - كما روى لى الشيخ ابراهيم نفسه
هذه الحكاية - وانما فيما كان قد وقع دون اتفات الشيخ ابراهيم الى ذلك فقد وجد
ان بحر الابيات اللامية السابقة كان من (المتقارب) والبحر الذى اكمل به الابيات
في الليلة الثانية كان من (البيسط) !!.....

وتقد جرى مرة حديث عن الصحف العراقية ، وما قد اصابها من ركة وخروج
على قواعد اللغة ، وكان الشيخ ابراهيم اطيمش حاضرا فقال :

- ومن آية هذا الخروج على القواعد العربية ان هؤلاء الصحافيين قد بدأوا
يرفعون المرفوع ، وينصبون المنصوب ، ولم يلتفت احد منا للسهو الذى وقع فيه
الشيخ ابراهيم لو لم يعقب الشيخ جواد الشيبى على قول الشيخ ابراهيم قائلا :

- ويجرون المجرور ، ويتبعون فيما يكتبون كل القواعد العربية .. أليس
كذلك يا شيخ ابراهيم ؟

وهنا التفت الحاضرون لسهو الشيخ ابراهيم وتهكم الشيخ الشيبى وضحكوا .
قلنا ان الشيخ الشيبى كان معجزة من المعاجز في سرعة البديهة ورهافة
الحس وقد تعرض به ذات مرة احد العلماء مداعبا وقال له :

- ليس ثمة شك في انك كنت احد الذين ولدوا في سنة وفاة الشيخ
الانصارى •• (وكان الذين ولدوا في تلك السنة عددا من مشاهير اهل الفضل
والادب كان منهم الشيخ الشيبى وصديقه المداعب) •
فقال الشيخ الشيبى :

- وهب انى ولدت في سنة وفاة الانصارى فما الضائر ؟
قال الصديق - لاتنس ان وفاة الانصارى يجمعه تاريخ قولك : « ظهر الفساد
بحساب ابجد •••

قال الشيبى - وانت الاخر على ما ادرى من مواليده تلك السنة ، ومن
المشمولين بظهور الفساد ••

قال - بل ولدت انا قبل هذا التاريخ باربع سنوات •
قال الشيبى - فعلى هذا يكون تاريخ ولادتك (ظهر الفسا) بحذف الدال الذى
يساوى اربعة في الحساب •••• وبكسر الفاء •

ولا حاجة للتنبه الى سرعة هذه البديهة وكيفية صياغة الجواب البليغ
المرتجل فهى من الواضح بحيث لاتغيب عن ذهن القارىء •

وعلى اساس الشىء بالشىء يذكر ، اذكر ان الشيخ جعفر الشيخ راضى وكان
من كبار علماء النجف وزعمائها الافذاذ قد ولد هو الاخر في سنة وفاة الانصارى
فشمّل هو والشيبى وطائفة اخرى من كبار العلماء بالقول المؤرخ (ظهر الفساد) ،
وحين ولد الشيخ عبدالرزاق ابن الشيخ جعفر الشيخ راضى داعب احد الاصدقاء
اباه بان وضع لميلاد ابنه الشيخ عبدالرزاق تاريخا يجمعه قولك (لب الفساد ظهر)
فكانت يومها من النكت البديعة •

* * *

ولست اذكر اول اتصالى بالشيخ الشيبى تماما ، وكلما اذكر هوانى كنت
اختلف الى بيت الشيبى وكنت اطليل الجلوس هناك ، وكان يبهرنى منه حديثه ،
وتعليقه ، وشواهد ، وكنت فى كل مرة اجد روحا جديدة ، وأدبا جديدا وسرعة
خاطر وبراعة قد يفقدهما الكثير من العباقرة فى الوقت المناسب وفى المكان المناسب
من الايجاز والاسهاب ، وفى كل مرة كنت اشعر شعورا اعمق بقيمته ، وعلو كعبه

فى عالم الشعر والادب ، فهو على رغم تقدم سنه فقد كانت روحه لاتزال فى اسمى مراتب المرح والشباب ، وكان ذهنه لايزال فى غاية الخصب والنشاط ، وانك حين تقرأ قصائده ومقاطعته المتأخرة تكاد لاتصدق بان منتجها رجل فى غاية الخسور والضعف من حيث الصحة ، وانه قد جاوز الثمانين من العمر ، وعلى ذكر الثمانين وذكر المرح اذكر بانه كتب مرة الى الشيخ عبدالرضا الشيخ راضى - وكان قد سمع بان الشيخ جواد عليوى الذى أربى على الثمانين قد تزوج بفتاة صغيرة السن ، وانه بدأ يعالج نشاطه الجنسى بمختلف الوسائل والعقاقير ، والشيخ جواد عليوى يمت الى الشيخ عبدالرضا بنسب من القرابة - ولذلك كتب الشيبسى للشيخ عبدالرضا يقول :

(جوادك) من بعد الثمانين صاهل فمن ذا يجاربه ومن ذا يطاول
وقائلة ماذا تحاول نفسه فقلت لها فتح (الحصون) تحاول
فقلت أبا لسيف الذى هو حامل وما سيفه فى الروع الا حمائل
ومن عجب ان الصياقل لم تكن تعالجه ، بل عانجته (الصيدال)
ومن الذين بلغوا الثمانين او اوشكوا ان يبلغوها كان الشيخ ابراهيم الاطيمش وهو الاخر كان قد تزوج امرأة كان بين سنه وسنها من الفوارق ما كان بين الشيخ جواد عليوى المتقدم وزوجته واكثر ، وذلك بعد زواج الشيخ عليوى بايام فكتب عن اطيمش معقبا :

أناك الصاهل الثانى عقيب الصاهل الاول
كلا الطرفين لم يعثر وان خب على الجندل
ولكن طرفنا استعصى على السائس فاسترسل
اردنا منه امهالا على الوثبة فاستعجل

وحين تزوج الشيخ عبدالمحمد زاير دهام على هذا النحو من الفارق بين العمرين عده الشيبسى (صاهلا) ثالثا ونظم فيه ابياتا افتتحها بقوله :

« وجاء الصاهل الثالث »

ومن المؤسف اننى لا احفظ هذه الايات وليس الامر من الاهمية التاريخية بحيث يستلزم البحث والتعقيب •

واقدم السيد ابو الحسن المرجع الروحاني الاعلى خابا على ذلك النمط من
المفارقة بين سنة وبن زوجته فقال فيه الشيبى :

أتاك الصاهل الرابع فهن الشرع والشارع
ثمانون لعشرين فأين (التقدر الجامع) ؟

والقدر الجامع كما لا يخفى هو الناموس العلمى الذى ينبنى العلماء والفقهاء
عليه تشريعهم •

ومن أحسن ما شئت به مسمى من اوصافه وتشبيحاته المبتكرة وصفته
(للعربات) فقد جاء مرة ذكر السيارة وسرعتها وقول السيد مير على (ابو طيىخ)
القائل :

ما بين أقصى شرقها او غربها فى السير الا ان تقول لها اقدمى •
فقال لى احسب ان هذا البيت مقوس ومؤشر عليه من لدن السيد مير على لانه
كان استعادة او اشارة لقولى عن العربات التى كانت تنقل المسافرين بين النجف
وكربلاء • وبين كربلاء والكاظمين ، وهى عربات من طراز خاص ادركتها انا
وركبت فيها وهى تحمل ثمانية انفار ، وتجرها اربعة خيول فتفادر النجف صباحا
وتصل الى كربلاء مساء - وقرأ على الشيخ الشيبى قوله عنها الذى وصفها به وصفا
شعريا جميلا تناول محمولها ، وسرعتها • وابتداء حركتها ، وموعد وصولها فى
تصويرة مبتكرة ، فذة ، اذ قال :

ما بين غاية مجراها ومبدئها الا بمقدار قول القائل : اندمى

تحملت وهى (حبل) فى ثمانية صباحا وقيل لها عند المساء ضعى

وكان نلاحتم فى الجيل الماضى شأن كبير ، وكان لضعفها واختيار الكلمات
المنقوشة عليها فن خاص لا يتقنه الا ادباء يحسنون وضع الكلم فى مواضعها ويدعون
فى استخدام الوان من بدائع الجناس والتورية فى صيغة الخاتم الذى يخصن المرموقين
والزعماء والوجهاء ، ولما لم يكن التوقيع بالقلم معروفًا يومذاك فقد اقتضى ان يتخذ
حتى العلماء والادباء اختاما لهم من الفضة او البرنز او العقيق واليواقيت ، والكثير

منهم كانوا يتخذون من اختامهم فصوصا لخواتيم يلبسونها بقصد الزينة ، ويستعملونها في ختم الكتب والرسائل والوثائق والاسناد عند الحاجة ، ولما لم يكن طبع الابهام شائعا ايضا ، فقد يضطر الفلاح والعامل والقروي ومن شاكلهم ممن تلجؤهم الحاجة الى حفر اختام باسمائهم .

وكان نواضمي صيغة الاختام وانتقاء الكلمات المناسبة من تضمنين الايات القرآنية او الحديث الشريف والامثال والنصوص الادبية التي تناسب واسم صاحب الختم ومقامه ومنزلته الاجتماعية . كان لهؤلاء مقام مرموق في الاوساط الاجتماعية والادبية اذ ليس بمقدور كل اديب ان يدع في اختيار ما يناسب اسماء الشخصيات البارزة من علماء ووجهاء ويختصرها في كلمتين او ثلاثا . وكان السيد جعفر الحلبي ، والشيخ جواد الشيبسي ، والسيد رضا الهندي ، من اشهر من عرف في وقته بهذا الفن من البديع والايجاز ،

وعلى هذا الاساس قصد مرة الحاج (وناس) وهو من التجار الامين وكان قد اصبح وجيها ولا بد ان يكون للوجه خاتم يليق به من حيث براعة الجناس والتورية لقد قصد الحاج (وناس) الشيخ جواد الشيبسي ليسأله عما يصلح ان ينقش على ختمه من آية قرآنية او حديث نبوي يتناسب واسمه - وكان الشيخ جواد الشيبسي كثيرا ما يقصد للاستعانة به حتى في اختيار اسم لكتاب يؤلف ، او مولود يولد ، او مؤسسة تشيد ، وذلك لما عرف به من سرعة البديهة وسلامة الذوق ، وحسن الطبع - فقال للحاج وناس .

- انقش على ختمك الآية الكريمة (من الجنة والناس «وناس») .

ولو لم يتدارك الشيخ الشيبسي الامر بعد ذلك ويفهم الحاج (وناس) بانه لم يقل ذلك الا مازحا لكان (وناس) قد حفر ختمه على تلك الصورة ، واصبح من الجنة بكسر الجيم شاء ام ابى .

ونظير هذا ما نقل عن (سميد ناجي) وقد كان من وجوه النجف واعيانها فقد طلب من السيد جعفر الحلبي ان يضع لختمه الكلمة المناسبة فكتب له السيد جعفر :
« بحب بنى النبي سميد ناجي »

وقد لقي هذا الوضع استحسانا كبيرا في الاوساط الادبية . وكانت له رنة بناء على شهرة الرجلين السيد جعفر وسعيد ناجي ، والمنقول والمهددة على الناقلين وعلى الشايخ طبعاً ، ان (سعيد عجينة) وقد كان من منافسي سعيد ناجي في الواجهة وكلاهما من البيوتات العريقة في النجف - لم يسره ان يتفرد منافسه سعيد ناجي بهذا الاعجاب والتحدث في المجالس عن براعة صيغة ختمه ، فجاها الى (جابر الكرمانى) وقد كان وحيد عصره في نقش الاحتام وحفرها على الاحجار والمعادن ، وطلب منه على ما يروى الرواة في ذلك اليوم ان يحفر له ختما على غرار ختم منافسه سعيد ناجي .

وحين استوضحه الكرمانى قال له سعيد عجينة :

- انقش على الختم ما نقشت على ختم سعيد ناجي وقل فيه :

« بحب بنى النبي سعيد عجينة » .

وبمناسبة ذكر الاحتام روى السيد محسن الامين يوم كان يدرس العلم في النجف : انه حضر مرة نزاعا بين قروى وحكاك كان يمتحن حك الاحتام ونقشها ، وكان القروى قد دفع (للحكاك) اجرة نقش اسمه على ختم من البرنز وكان اسمه (منتوش بن منكوش) ويبدو ان الحكاك قد نسي اسم القروى فحفر له الختم باسم (حتوش بن عنكوش) وحين جاء القروى في الموعد تسلم الختم وراح ، ولكنه عاد بعد برهة وهو يحرق الارم من الغيظ قائلاً :

- اريد ان اعرف كيف قد صيرت منتوشا حتوشا ؟ وكيف قلبت اسم ابى

منكوش فجعلته عنكوشا ...

اما الحكاك فكان يدافع عن نفسه كما روى السيد محسن الامين بان لا فرق بين منتوش وحتوش ، ومنكوش وعنكوش ، فكل المنايش خاتشة ، وكل المناكيش عناكشة قائلاً : أفليس الغرض ان تختم الورقة بختم يدل عليك ؟ فهذا هو الختم ، وانت تستطيع ان تختم به ماتريد ، وليكن الاسم منتوشا او حتوشا . ولا عجب فقد كان منطق الحضرة مع القرويين يجرى على هذه الوتيرة . وصار دنوى من الشيخ الشيبى اكثر وعرفت عنه ، وعن عمقه ، ومقامه

الادبي ، واتجاهاته اكثر مما تستطيع هذه الصورة العابرة المستعجلة ان تعبر عنه تعبيراً كاملاً ، وجرت بيني وبينه مكاتبات فى مناسبات مختلفة ، وعلى رغم تنوع المواضيع والاغراض التى كانت تتضمنها تلك الرسائل فانها لم تخل من براعة استهلال او مقدمات تعبر عن ملكاته الادبية ، وتفصح عما هو عليه من مقدرة فى عالم النظم والنثر .

ولقد كنت اجد فى كل رسالة من رسائله اشارة الى باب من ابواب جريدتى (الهاتف) او اى موضوع مما كنت اتناوله من مواضيع الكتابة فى كل اسبوع ، وقد كان يشير الى ذلك بأسلوب لم يتكرر وان تكررت الاشارة الى الموضوع ، ولقد قيل انه كتب مرة بضعة عشر كتاباً مرة واحدة على السنة العلماء الى الباب العالى باسطنبول فى موضوع عام يخص العراق ، فكتبها كلها بأساليب وعبارات تختلف كل الاختلاف فى الصورة ، وتتفق كل الاتفاق فى المعنى ، وكان وقوع مثل هذا فى يومه يقارب الاعجاز

اما نوع الاستهلال والمقدمات التى يبدوها قبل الدخول فى الموضوع فيكفى منها هذا المثل الذى اقتطعه من احدى رسائله التى كتبها لى وقد مر فيه على (خيال الظل) بالتميح ، وخيال الظل هذا باب من ابواب جريدة (الهاتف) التى عنيت بها اهتماماً بالادب التحليلى الذى لم يكن مألوفاً بعد عند الكتاب والقراء كما ينبغي ان يكون ، وعلى هذا النحو كان ينهج فى استهلال كتبه ورسائله فيقول :

«الفاضل المتقف ، والحاذق الذى هو بدء الايام اعرف ، ادام الله صحيفته المطهرة لساناً يعبر عن اصلاح الامم ، وقلمه سناناً يصيب مقتل الجهل ، ويرشد الى التى هي اقوم ، وجعل الافكار تقياً (خيال ظله) فتخرج بالوارف الظليل وابقاه (خليلاً) للاباء والعفاف ، ولا ينكر ذلك على آل الخليلى» .

ولدى عدد من تلك الكتب التى تفيض بالادب الحى والامثلة الرائعة والشواهد من بديع الشعر والنثر .

* * *

والى جانب سرعة البديهة التى عرف بها الشيخ جواد الشيبى فان له مواقع

ارتج فيها عليه ، وخاتمه سرعة الخاطر فلم يجر جوابا مع ان الامر لم يكن من
الاهمية بحيث يستدعى واحدا كالشيخ الشيبى ان يعين فى رد الجواب ، وانا ارؤى
من هذا النوع قضيتين احدهما قصها على هو نفسه ، والاخرى رواها لى احد
الاصدقاء فى حينها .

دخلت عليه يوما وكان يقضى دور النقاهة فى بيت ابنه جعفر الشيبى بشارع
السعدون (الذى هو الان المحل الرئيسى لمتجر حفيده صبيح الشيبى) فقال لى وهو
يضحك :

- لشد ما يؤلم المرء حينما يحونه ذهنه فى وقت غير مناسب
وحين استوضحته قال - وقد غرق فى ضحكة طويلة ، وضحكة الشيخ
الشيبى ضحكة ناعمة ليس فيها جمجمة وصوت ، وانما هى من نوع عميق هادى
لايين منها غير افتتاح الفم ببعض الاتساع ، وهزات متعاقبة من الرأس ، وبشر
طافح على الوجه ، وقد تخللها سعالات منشؤها كثرة تدخينه للسيكاير فتقطع
الضحكة ، يضع ثوان ، وحين تقف السعلة ، تواصل الضحكة بعد ذلك امتدادها
وتأخذ حقها الكامل ، ويبدأ اهتزاز الرأس الى فوق والى تحت بحركة شبه
ميكانيكية .

لقد قال لى :

- كان عندى قبل قليل هنا الشيخ مهدي سميسم ، وانا لا اعلم والله بترشيحه
قاضيا للمحكمة الشرعية ليحل محل الشيخ عبدالحسين الحلى الذى وضعوا العراقيل
فى طريق تعيينه فى المحاكم الشرعية فى العراق ورفضوا تعيينه - وكان الشيخ على
الشرقى حينذاك رئيسا للتميز الشرعى الجعفرى وقد شاع يومئذ انه هو الذى وضع
الاسئلة فسبب وضعها على تلك الشاكلة وقوع العراقيل فى طريق تعيين الشيخ
عبدالحسين الحلى على ما اشيع فى وقته ، وقد نفى لى الشيخ على الشرقى صحة هذه
الاشاعة نفيًا باناً (١) .

قال الشيخ جواد الشيبى - وتطرق حديثى مع الشيخ مهدي سميسم الى

(١) وقد مرت الاشارة الى ذلك فى عرضى لايام الشيخ عبدالحسين الحلى

العراقيل التي وضعت للحيلولة دون تعيين الشيخ عبدالحسين الحلبي قاضيا في محاكم العراق الشرعية - وكان حديث فشل الشيخ عبدالحسين الحلبي في الامتحان من اهم ما كان يشغل المجالس العلمية والفقهاء في النجف فقد كان الشيخ عبدالحسين من كبار العلماء والفقهاء ومن الشخصيات الالامة التي يشار اليها بالبنان فلم يكن القول بفشله في امتحان فقهى بالشىء المعقول والمقبول بسهولة .

قال الشيبى - فقلت للشيخ مهدي سميسم : حسنا فعلت الحكومة ، فاني لا اعهد برهاننا اكبر وادل على غباوة الحكومة وغرضها ودنايتها من رفض قبول الشيخ عبدالحسين وترشيح حمار لايدرى اى طرفيه اطول ليحل محله ...

ولم التفت - قال الشيبى - الا ووجه الشيخ مهدي سميسم يصفر ثم يلوح عليه شىء من الاضطراب الممزوج بالخجل ، وقال وقد بدأ العرق يتصب من جبينه ، لقد قال سميسم .

- استطيع ان اؤكد لكم باننى رفضت قبول القضاء في محل الشيخ عبدالحسين وفي مثل هذا الطرف ، ولكن وزارة العدلية هي التي اصررت والحت في ترشيحي للقضاء ...

قال الشيبى - فقلت له : وهل انت المرشح للقضاء ؟

قال - بلى .

قال الشيبى فسكت انا ، وسكت هو .. واعتراى ما كان قد اعتراه من الخجل واكثر ، على رغم سهولة الاعتذار لو كنت اردت ان اعتذر ولكنى وجدت جميع ابواب المذرة مغلقة في وجهى !!...

وروى لى احد الاصدقاء قال :

- استعار الشيخ جواد الشيبى يوما كتابا خطيا من الشيخ محمد السماوى لينقل نسخة منه عليه ، وحين اتم الاستساخ واعاد النسخة الى السماوى كتب فى صدر النسخة المنقولة والتي احتفظ بها لنفسه - ولكنه لايدرى لم كتب ؟ ولاى سبب من الاسباب ؟ لقد كتب الشيبى فى صدر نسخه كلمة تعنى انه نقل هذه النسخة من النسخة الاصلية التي استعارها من الشيخ محمد السماوى الذى ظل

مدة من الزمن - على ما كتب الشيبسي - محل ريبة وشك من حيث ايمانه وعقيدته
الدينية !!...!!

ومر على هذا الحادث اكثر من ثلاثين سنة انتقل فيها آل الشيبسي من النجف
الى بغداد ، وكان الشيخ جواد يقوم بزيارة النجف بين آونة واخرى فيمكث فيها
اياما ثم يعود الى بغداد ، وفي احدى هذه الزيارات مرض الشيخ جواد في النجف
واقبل الكثير من اصدقائه ومعارفه يعودونه في بيته ، وجاء الشيخ محمد السماوي
ذات يوم يعود الشيبسي ، وكان الوقت قبيل الظهر ، واغلب زوار الشيخ الشيبسي
وعواده قد خرجوا منه ، وهو في غرفة مكتبته ممدد في فراشه ومغطى باللحاف الى
ما فوق صدره ، وبعد ان استفسر السماوي عن صحة الشيبسي وتبادلوا اياه
الاحاديث التي يجري تبادلها عادة في مثل هذه المناسبات ، لفتت نظر السماوي هذه
الصفوف المتراسة من الكتب فوق رفوف الغرفة ، والسماوي من اكبر عشاق الكتب
وهواتها ، واكثرهم حرصا عليها ، وتقديرا لقيمتها وقد كان يملك مكتبة نفيسة
ثمينة حوت الكثير من نوادير المخطوطات ، وبلغ من عنايته وخوفه على الكتاب ان
تعلم تجليد الكتب واشترى اللوازم والادوات الخاصة بالتجليد وعكف على كتبه
الخطية يجلدونها بيديه حذرا من المجلدين ، اذن أفيمكن للسماوي - وهذه
حاله - ان يدخل بيتا ويرى فوق رفوف الغرف كتبا مسطرة ولا يمد يده اليها ،
ويتصفح اولها وآخرها ، ويستعرض فهرسها على الاقل ؟

وجريا على هذه العادة مد الشيخ السماوي يده الى أحد الكتب على غير تعيين
وسجبه من وسط الصف ، وتشاء المصادفة ان يكون الكتاب المسحوب هو تلك
النسخة الخطية التي نقلها الشيبسي من نسخة السماوي قبل ثلاثين سنة ، وتشاء المصادفة
ايضا ان يقرأ السماوي ما كتب عنه الشيبسي في صدر تلك النسخة مما مرت
الاشارة اليه !!...!!

وحين اتم قراءتها اعاد ما قرأ على مسامع الشيبسي وقال :

- ما الذي دعاك ان تكتب عني ما كتبت ؟ وما الذي بان لك من قلة ايماني

وانحرافي لتقول في ما قلت ؟

فارتج على الشيبى ولم يدر ما يعمل سوى انه مد يده الى اللحاف وسحبه
الى الاعلى مخفيا به وجهه وهو يقول ويكرر :

- هذا من سوء الطالع يا شيخنا من سوء الطالع وليس من شئ
آخر !!

* * *

وكان بعد انتقاله الى بغداد ، شديد الحنين الى النجف ، كثير التشوق الى
معرفة اخبار التجفين بجميع طبقاتهم ، وقد قال لى غير مرة انه يقرأ
من جريدتى (الهاتف) كل شئ حتى اعلاناتها ، متسقطا اخبار
الخاصة والعامه من التجفين ، ومثله كان الكثير وكان منهم
الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والسيد محسن الامين ، والشيخ
عبدالكريم الجزائرى ، والشيخ عبدالحسين الحلى ، وكانوا يقرؤون حتى اعلانات
الطابو اتى يقوم بنشرها الهاتف وذلك تعمقا منهم فى الاحاطة والتذاذا باخبار البلد ،
وهذا ما سمعته منهم مباشرة !!

وكانت للشيخ جواد الشيبى تعليقات ادبية ذات قيمة على بعض مواضيع
(الهاتف) وحينما كنت اتناول بعض الاشخاص بالتحليل واصفهم بصفاتهم المعنوية
دون ذكر الاسم كان هو اسرع من غيره تعرفا باولئك الاشخاص ، وكان ينهى
عندما تيسر لى زيارته ببغداد الى ما كان قد فاتى من الصفات التى تخص اى شخص
كنت قد تناوته فى عرضى الاسبوعى ، وكنت قد عرضت مرة صورة معنوية للشيخ
ابراهيم الاطيمش دون ان يشوبها اى وصف مادى يقربها للذهن من هذا الطريق
وسألت القراء عن هذه الشخصية قائلا : من هو ؟ كما كنت افعل مع الاخرين ، وكان
الشيخ ابراهيم الاطيمش يقضى وقتا طويلا من كل سنة عند آل الشيبى ببغداد
فقال لى الشيخ جواد الشيبى :

- لقد رأيت ان احتبر مدى تغلغلك فى طبيعة الاشياء فعرضت ما كتبه عن
الاطيمش على جمع من اهل الكراة والزوية ممن اعتادوا ان يرتادوا مجلسنا
وسألتهم عما اذا كانوا يعرفون هذا الموصوف بمعناه فى الهاتف ، فأجاب الجميع
بانه الشيخ ابراهيم الاطيمش •

قلت ان الظرف من احدى مميزات الشيخ الشيبى البارزة ، واذا كان قد
يز الكثير من الشعراء والادباء المعاصرين شعرا ونثرا ، وضرب لسرعة بديهته
وحضور ذهنه اروع الامثال ، فقد كان من اطرف من رأيت من مشايخ الادب واكثرهم
شاشة واشراقا ونشدانا للمرح الذى يتولى صقل الفن والادب ، ولم يفارقه هذا
الظرف حتى فى مرضه مع انه من اشد من عرفت خوفا من المرض وهلعا من
الموت •

وورث كل اولاده شيئا غير قليل من ظرفه وكان صديقى محمد حسين
الشيبى من اكثر الادباء ظرفا وميلا للدعابة والمزاح ، واذا ذكر من مرحة مرة ان قبض
على الشيخ مولى الطريحي هو وجماعة كان بينهم السيد محمود جوبى ولفه بالحاف
ثم قمطه بالحبل كما يفعل بالاطفال فى المهد والشيخ يصيح ويستغيت وهم يتداولون
حملة من يد الى يد ويرقصونه كالاطفال وهو يصرخ وقد افهمه الشيبى ان الخلاص
من القماط منوط بسكوته فما دام هو صارخ فان الايدي ستظل تتلاقفه وسيظل
يتراقص على ايديهم طوال الليل والنهار ، ويضطر الشيخ الطريحي الى السكوت
فيطرحونه على الارض وتبتدى هناك ترنيمة مرتجلة من الشعر حتى يتظاهر الشيخ
بالتوم فيفكون القماط عنه ويهرب كل منهم ويلوذ بزاوية منيعة من البيت •

ولقد اتخذ محمد حسين الشيبى ذات يوم على اساس ما طبع عليه من الظرف
والادب وحب النكته من (عباس عدوه) موضوع تفكهة وأنس فى مجلس ادبى
رائق ، فمهد لعباس عدوه الظروف التى طالما حملته على قول الشعر العامى على طريقة
تقارب بند ابن الخلفة ، بل الصحيح على طريقة الشعر الجديد فى هذه الايام ، تلك
الطريقة التى يعتبر (عباس عدوه) مكتشفها الاول اذا اردنا الانصاف •

وعباس عدوه هذا شاعر عامى ذهب الحوادث بنصف قواه العقلية ، فاذا شرب
الخمرة ، واخذ منها كفايته ، تحول النصف الآخر الى لون لطيف ، خفيف ، مرح ،
محب للنفس ، مثير للضحك ، وبدأ حينذاك مزيج من الشعر العامى والقريض
يتدفق على لسانه ، فيشرق فيه ويغرب ، وعلى الاخص حين يجرى على نسق البند
حيث لا يبقى من لم يشرق بالضحك ويفرق فى القهقهة •

وكان الفصل فصل شتاء ، وكان الهواء بارداً ، فجاء محمد حسين (عباس عدوه) الى أحد الخياطين وخاط له عنده من قماش (الململ) الشفاف الناصع البياض سترة وبنطلونا ، ثم اغرقه بالمرق نهلا وعبا ليهيج له قريحته ، ثم انزعه قباءه وعباءته ، والبسه تلك البذلة الصيفية الشفافة في ذلك الزمهرير القارص ، ووضع على رأسه قبعة من القش وقال له :- لتدخل علينا مجلسنا ، ولتشنف اسماعنا بشعرك المرتجل فانا اليوم وصحبي اشعر بانقباض وضيق صدر ، وكان من المجالس العامرة التي ظلت حديث الادياء الظرفاء زمنا طويلا وقد القى فيه عباس عدوه قصيدة رائعة وكنتم انوى نشرها في (الهاتف) ولكن لم يصلنى منها غير هذا المقطع :-

أيا والجسم بردان
وانى اليوم عريان
ومولاى الشيبى
وكل الناس والعالم يدرى
ما بجيبى
سوى بيزة، وثلك آفات ، وقران
أيا والجسم بردان
وانى اليوم عريان

وليس من شك ان محمد حسين الشيبى قد ملأ جيوب عباس عدوه بكل ما يستطيع من النقود ، وخاط له بذلة كاملة وسرحه ، فقد كان محمد حسين ولا يزال اكرم من رأيت من الادياء واسخاهم .
وها هو ذا الشعر المسمى بالشعر الجديد اليوم يجرى على نمط شعر عباس عدوه ، ويقتفى نهجه حذو النعل بالنعل .

* * *

وآخر ما نظم الشيخ جواد الشيبى كان قصيدة نظمها

في حفيده أحمد المظفر ابن المجتهد الشيخ (محمد حسن) المظفر وقد نشرها له الهاتف في حينها ، واحمد المظفر^(١) صبي ذكي تولع بجده وتولع جده به ، وقد جاء الى بغداد من النجف عائدا لجده وهو في فراش المرض ومكت عنده اياما مواسيا ، وعند رجوعه الى النجف تلقى من جده كتابا وفي ضمنه القصيدة التي كانت اخر منظوم الشيبسي على ما اعلم وهي منشورة في اواخر السنة الثامنة من (الهاتف) ، ومن هذه القصيدة التي ودع الشيبسي فيها قول الشعر وودع حفيده بها نقتطف الآيات التالية :-

نزل الهلال وانت تصعد	يا كوكب المجد المخلد
قسما بشرعة أحمد	اني ادين بحب (احمد)
ولد يشاطرنى الضنا	ولتلها الاسباط تولد
ادركت فيك توسمي	ولست ما أملت باليد
أبني هل من عودة	عود اللقا لاعدود عود
اتبع اباك لفضله	واعرف مقام العلم تسعد
لبس العفاف وانه	عن زخرف الدنيا مجرد ^(٢)
عجبا يقلد بالهبات	وانه العلم المقلد
(حسن) ابوك وانه	في كل مجتمع (محمد)

* * *

اقول ان الشيخ الشيبسي كان كثير الحنين الى النجف والنجفين ، وكان يستقصي اخبارهم من زواره الكثيرين ، وكان اذا زار النجف مكث فيها شهرا او اكثر ، وكنت اعرف انه لا يترك بيتا من بيوت جيرانه ومعارفه الا ويمر به متفقدا صغار اهل البيت وكبارهم فقد كان كثير العطف ، رقيق الحاشية لا يلتقي احدا دون ان يسأله بكل ما

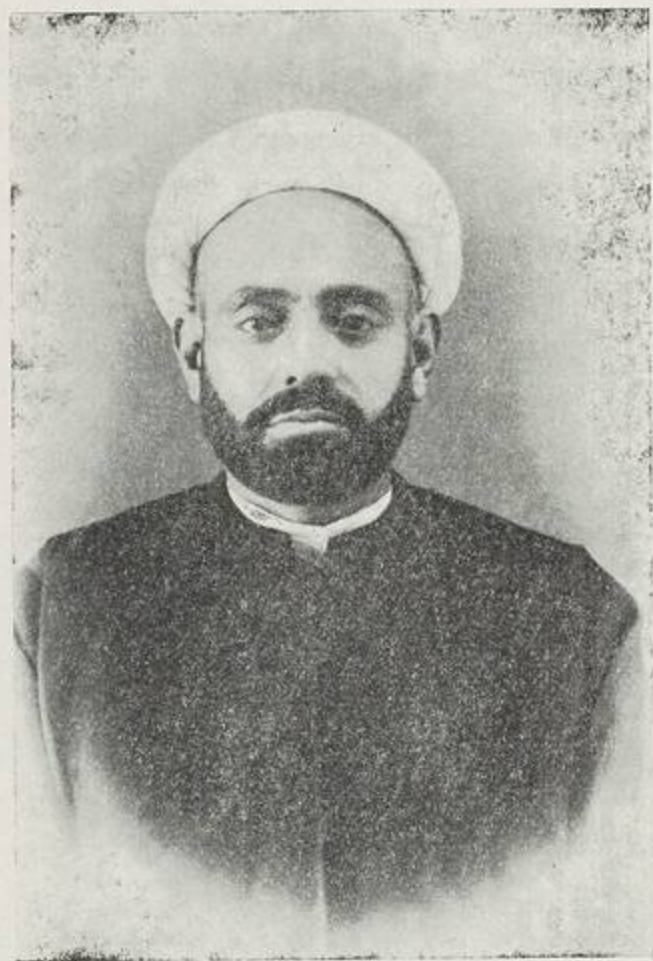
(١) هو اليوم يزاول تجارة الاقمشة بسوق المرادية .

(٢) كان الشيخ محمد حسن المظفر من اروع العلماء واتقاهم ومن اكثرهم عزوفا عن الدنيا .

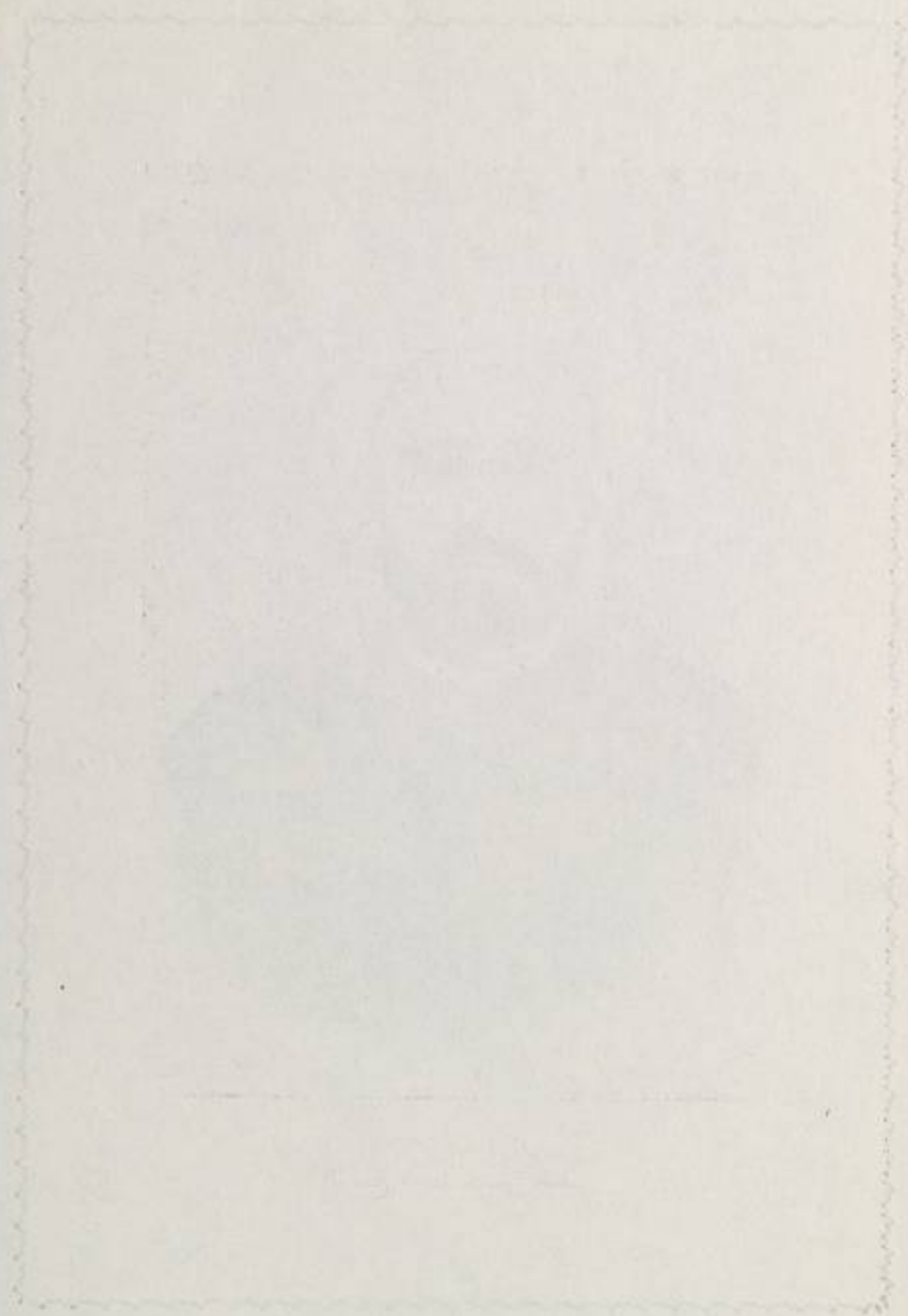
تسع له دائرة السؤال عن جميع شؤونه ، وحين يكون في النجف تتجدد حركة
الادب ، وتعمر المجالس وتصبح داره كعبة الادباء ، ومنتدى العلماء ، وكنت الازم
مجلسه هذا على الغائب لانني كنت قد انقطعت عن زيارته في بغداد (لبرودة) حدثت
بيني وبين بعض اولاده لم اجد متسعاً لذكرها في هذا العرض السريع من تاريخ
معرفتي به .

لقد مات الشيخ جواد الان ، وحالت بينه وبين الابصار حجب كثيفة من الظلام
ولكن صورته برغم ذلك كله ستبقى ماثلة للعين والقلب بقدر ما تستطيع آثاره من
الثبوت والبقاء والخلود .

لقد مات الشيخ جواد ولكنه ترك لنا ثروة طائلة من نفائس الادب ، وقلائد
الشعر ، كما ترك اولادا اورثهم الكثير من مزاياه ومواهبه وملكاته .



الشيخ محمد حسن حيدر



الشيخ محمد حسن حيدر^(١)

كنت في سنة ١٩٣٠ في عداد معلمى المدارس الرسمية ولامر ليس هذا محل ذكره اقتضى ان اكون في (سوق الشيوخ) لمدة ٤٥ يوما فقط كنت احسب انها ستكون من اكثر ايامى ضنكا وضيقا فقد كانت لسوق الشيوخ حينذاك سمعة غير طيبة من حيث المناخ ، والمياه ، والامراض ، ولكن سمعة آل حيدر والمزايا التي اتصف بها اهل السوق عموما كانت تشغل من ذهني حيزا كبيرا فتساعد على تخفيف قلقي بعض المساعدة ، ولم اكن اعرف من تلك السمعة السابقة الى ذهني من سوق الشيوخ شيئا ملموسا غير بعض الشعر الذي كنت قد قرأته للشيخ محمد حسن حيدر في مجلة العرفان ، والذي نشرته له في الفجر الصادق ، اما الشيخ محمد حسن نفسه فلم اعرف عنه الا انه خلف الشيخ باقر حيدر الرجل الذي جمع بين الرياستين الرياسة الروحانية والرياسة القبلية ، كذلك كنت اعرف ان الشيخ محمد حسن من نواب المجلس النيابي ، وكنت قد حجزت جانبا من الفندق الوحيد المعمور عند نزولي في القصبه وهو اجمل جانب من اجمل بقعة من (سوق الشيوخ) اذ كان يطل على النهر وقد اتخذت لي منه مسكنا ومنتزها ، وفي عصر اليوم الثاني من نزولي ، وكنت قد اقتعدت كرسيًا من كراسي الراحة وانا في شبه ذهول من امر نفسي والتفكر فيها اذ دخل على ثلاثة يقدمهم رجل متوسط القامة ، صبيح الوجه ، حاد النظر ، حلو الالتفات تدل مظاهره على طيب سريره ، وصفاء نيته ، وهو انيق في ملبسه وعمته البيضاء ، ومد رأني فتح لي يديه وضمني الى صدره ، كاتني صديقه منذ عشرين سنة واكثر ، ولا تسل عما كالى من اللوم والتعنيف لنزولي في الفندق ، وعدم نزولي في بيته وراح يلح على بمغادرة الفندق والانتقال على وجه السرعة الى بيته ، وهنا عرفت

(١) الهاتف - السنة العاشرة العدد ٣٦٩ كانون اول ١٩٤٤ .

ان الرجل هو الشيخ محمد حسن حيدر وعرفت لأول مرة من بين اوائلك الذين
صحبوه السيد عبدالصاحب السيد ادريس •

وكانت جلسة استغرقت ثلاث ساعات واكثر ، قام بعدها الشيخ محمد حسن
ورفيقاه وانا اشد ما اكون لهم شوقا وكان المجلس النيابي في عطلة فتكررت زيارته
لى مرة ثانية ، وثالثة ، وخمسين ، ومائة واكثر وصار لا يقضى اوقات فراغه من
مساء كل يوم الا عندى ، والا معى حيث اكون من مجالس العزاء التى كانت لا تحصى
حينذاك بسبب شهر المحرم ، وانعقاد الماتم الحسينية ، وكان الملا محمد الخطيب من
اكثر الاشخاص اتصالا بنا ، وقد استدعى من (قلعة سكر) الى (السوق) لقراءة الماتم
الحسينى فيه ، وقد كان لسعة اطلاعه وقوة حافظته شان مذكور فى الماتم الحسينية ،
والمجالس الادبية الخاصة ، وهو رجل قلما انجبت مثله (القلعة) قابلية ادبية ، وكفاية
خطابية ، فكنت كثير الانس به كما كان الشيخ محمد حسن حيدر ، حتى كنا لا نفرق
الا نادرا ، وكنا اذا اجتمعنا فانما نتحدث بما يؤنسنا ، ويلذنا ولم يكن الذى يؤنسنا
غير الاحاديث الادبية والتعليق عليها بما يناسب المقام ، ولم يكن يلذنا غير التندر بالشعر
والنكت ، وقد كان الشيخ محمد حسن من اكثر من رأيت ميلا للنكته والدعابة الادبية
والمساجلات الشعرية ، ولربما كان هو السبب الاكبر لمقارضتنا الشعر فى مختلف
المناسبات •

ورسخت صداقتنا فى بحر الايام القليلة ، وبسبب هذه الصداقة قامت صداقات
متينة بينى وبين اهل السوق قاطبة ، وظفرت بكنوز ثمينة من الخلق الرفيع الذى
يحكيه الكثير من اهل السوق والفت البلد على رغم قصر المدة حتى غدوت وانا فى
السوق كاتنى فى محيط النجف لا يعوزه الا صحن ، وحرم ، وقبة ، ليكون النجف
بعينه •

وسوق الشيوخ بسبب آل حيدر وما بشوا فيه من روح ادبية والاختصاص الشيخ
محمد حسن نفسه قد اصبحت نزاعة الى الادب والشعر ، والفن ، حتى بالامكان
القول بانها ثمانية مدينة فى الفرات بعد النجف من هذه الناحية ، وذلك لكثرة ما خلف

فيها ال حيدر من راوية للادب ، وحافظ للتاريخ ، وناظم للشعر بنوعيه القريض
والعامى ••••

والحق ان الفضل الاكبر يرجع الى الشيخ باقر حيدر الذي جمع بين الرياستين
رياسة القبيلة الزمنية بصفته من زعماء قبائل (اجود) والرياسة الروحية بصفته من
كبار العلماء والادباء كما اشرت اليه ، فلقد كان له مقام مرموق في عالم الادب بهابه اجر الشعراء
ولم يكن يومذاك اجراً من السيد جعفر الحلبي الذي كان يتهب الشعراء مداعبته
ولكن الشيخ باقر هو الوحيد الذي كتب للسيد جعفر الحلبي مداعبا فلم يرد السيد
جعفر عليه بشيء ، لقد كتب له يقول :

تعالوا نشر الانساب منسا ليظهر بيننا النسب الصريح
(عذارى) فكيف يطيب ريحا وهل طابت من (العذرات) ريح

والعذار قرية بالقرب من الحلة هي موطن آل كمال الدين الاسرة المعروفة ،
ويضرب بغاوة هذه القرية المثل على سبيل المزاح ولكن من كان يستطيع ان يعرض
بها امام السيد جعفر ، ولقد مازح السيد جعفر مرة أحد انداده الفضلاء قائلاً :

من العذرات سادات العذار

فرد عليه السيد جعفر على الفور وهو يتم له بيته قائلاً :

أسمع مايقول ابن الحمار

وكان من اهم ما امتاز به الشيخ محمد حسن نوع خاص من الجاذبية لا ادري
بماذا اسميه ، اذ لا يستطيع المرء ان يقف امامه دون ان يؤخذ به مسحوراً ، ويعمل
فيه سحر الشيخ محمد حسن فلا يلبث ان يجد نفسه في (سوق الشيوخ) رضى ام
أبي وحينذاك يتلقفه (السوق) بيتا بيتا ومجلسا مجلسا ، وبدافع هذه الجاذبية وتأثير
الشعر قصد الكثير من الشخصيات المحترمة والادباء مدينة (سوق الشيوخ) وزاروها
من مختلف الجهات ، وتعرفوا بها ، وكان الشيخ محمد حسن حلقة ذلك الاتصال
والرابطة الوثيقة بين كثير من العلماء والادباء والوجوه ، وبين أهل السوق الذين
لم يكن ليكشف احد نبلهم ، وفضلهم ، لولا الشيخ محمد حسن .

وحينما غادرت انا (السوق) بعد مضي الايام المذكورة كان جل اهل السوق وابرز شخصياتهم وعلى رأسهم الشيخ محمد حسن فى توديعى ، فسافرت وانا لا اعرف معنى لسوق الشيوخ غير الشيخ محمد حسن نفسه ، ولا معنى للشيخ محمد حسن غير سوق الشيوخ نفسها ، فلقد ضحى آل حيدر بكل شىء من اجل سوق الشيوخ ، ومكاتها ، وسمعتها ، اما الشيخ محمد حسن فقد ذاب السوق فى نفسه حتى كان خير مرآة لاهل السوق جميعا بما عرف عن طيبة قلبه ، وحسن سريرته ، وغزارة شهامته ، ونبله ، ووفرة ادبه ، ومواهبه .

ومنذ ذلك اليوم اصبحت احب سوق الشيوخ كثيرا لاننى احببت الشيخ محمد حسن حيدر كثيرا ، وراحت المكاتيب بينى وبين الشيخ محمد حسن تتضمن كثيرا من نتائج تلك المودة حتى بات يعينى امر هذه القصة كما يعينى امر النجف ، وعلى كثرة من أوجد الشيخ محمد حسن من اصدقاء السوق الشيوخ فقد شعرت بانى من أقرب اولئك الاصدقاء الى أهل السوق ، وتحسست بمنزلتى عندهم حينما رأيت السيد وفيق حبيب متصرف لواء المنتفك يدعونى ذات يوم من النجف الى الناصرية بصورة خاصة لازالة ما كان قد حدث من سوء تفاهم بين بعض اهل السوق وبين الشيخ محمد حسن حيدر واذا بى اوفق غاية التوفيق فى حسم هذا النزاع واذا بطائفة من اولئك الرفاق يسجلون للشيخ محمد حسن مائر غراء ، ويعترفون له بافضال هى فوق افضال الاب على اولاده ، وكان لا بد ان تقوى هذه الصداقة بينى وبين الشيخ بعد مزاولتى الصحافة ، فقد كان يحب الشعر كثيرا وكان يستغل كل مناسبة - بصرف النظر عن أهمية الموضوع وعدم اهميته - لقول الشعر الامر الذى دعى كثيرا من الشعراء والادباء وغيرهم الى مساجلته ومباراته على صفحات جريدة الراعى ، وجريدة الهاتف اللتين اصدرتهما وغيرهما من الجرائد ، والمجلات ، فكان له فيها عدد من المقاطيع والقصائد وكان له مع البعض جولات تضمنت الشىء الكثير من الجد ، الى جانب الشىء الكثير من اللهو ، والتسلية ، وغير بعيد ، - على هذا - ان يكون له من الشعر ما يبلغ عشرة الاف بيت وأكثر ، وقد اعلمنى فى ايامه الاخيرة بانہ اعد لشعره مجلدا

ضحكا ، وهو شارع في جمعه ، وتسيقه ، وتبويه ، وعلى رغم ابتلائه بمرض القلب منذ سنة ١٩٣٩ ونصح الاطباء له بترك النظم وكثرة الحديث ، وكثرة الاكل ، فانه ما استطاع ولا يوما واحدا ان يبدل عاداته ، ويغير من سجيته ، بل صار ينشد السلوان بقرض الشعر اكثر مما كان يفعل قبل مرضه ٥٠!! حتى لقد خفت انا عليه مغبة هذا الامر وعاقبته وخفت عليه من عدم التوقى من الاكل ، ففتحت له من صفحة (الهاتف) قاعة للمحاكمة على سبيل اندطابة واتخذت من السيد عباس شبر (مدعيا عاما) ، ومن الشيخ جعفر نقدي (حاكما) ، ومن عيديد من الاباء محلفين ، واقمت الدعوى عليه من قبل المدعى العام ، اما وجه الادعاء فقد كان يتلخص في ثلاثة امور ، الاول الشكوى من كثرة نظمه ، وقوله للشعر وهذا مما يجهده فكرا فضلا عن ان السرعة في النظم والاكتار من الشعر قد يجعل الركة - رضى الشاعر ، ام ابى - تطفئ على خيار شعره وتذهب بحسناته ، والثاني لعدم توقيه واتخاذ الحيلة ونسيان نصائح الاطباء اذا ما مد الخوان وصفت الصحون بالماكل الشهية ، والثالث لما عود نفسه عليه من مجاملة الناس والتواضع للحد الذى يسيىء الى شخصيته .

وافترضت له دفاعا مطولا نشر في جريدة (الهاتف) وقد صدر الحكم بادانته ، والى هذا (الادعاء) والمحاكمة يشير السيد محمد جمال الهاشمى فى قصيدته الموجهة للشيخ محمد حسن حيدر من قوله :

ابا جواد ان هزلت بعد ذا عفوا فقد يذهب بالهزل الضجر
ظرافة الاديب ان تهيجه بنكة فيها من اللطف صور
يا ليت شعرى هل لما جاء به (هاتفنا) عين لديك او اثر؟
وهل من (الاكل) مرضت مثلما اورثك (الشعر) هزالا وخور
حقا علينا ان نقيم ثانيا عليك دعوى عند (قاضينا) الاغروء الخ
وقد ادت مناقشة رفع الحصانة عنه فى البرلمان ومحاكمته من قبل المجلس العرفى الى هياجه هياجا نفسيا صاحبيا والى ثورة عصبية عملت عملها فى جسمه وجعلت المرض يعيش فيه مشية سريعة .

وحيث صدر الحكم برأته واستعاد بعض عاقبته عرج على النجف فاحتفل به الاصدقاء والشعراء حتى تجاوز عدد الحفلات العشرين وقد تليت في كل حفلة عدة قصائد تحولت النجف فيها الى مهرجان ادبي في تلك الايام وفي ختام تلك الاحتفالات المتواصلة والولائم المتابعة التقى الشيخ محمد حسن قصيدة لعلها من احسن شعره واجوده. وكانت بمثابة شكر على تلك الحفاوات الابدية وكان من ملح ذلك المهرجان منلوج فكاهي شعبي نظمته عبدالمنعم العكام واستهله قائلا:

« ماش .. ماش .. ماش » واورد فيه على هذا النمط قوافي مضحكة صعد بها الى وزير المالية (شلاش) ونزل بها الى حسن (الفراش) فراش مدرسة العكام وضمنها الكثير من القوافي الاخرى ذات الارتباط بالمحيط النجفي ومحيط سوق الشيوخ .
ومن اهم ما قرئت في تلك في تلك المجالس قصيدة للسيد محمد جمال الهاشمي وقد قرأها في الحفلة التي أقمتها انا للشيخ محمد حسن في بيتي وجاء منها:

تسابق القلب عليك والبصر فحاز كل منهما بك الظفر
يا قمر الفضل الذي لا تختفي آثاره عنا وهل يخفى القمر ؟
ان قصر اليراع في تكريمه فعذره قصوره اذا اعتذر

* * *

واينما حل الشيخ محمد حسن يهيجها ثورة ادبية صاخبة في اغلب الاحيان فهو حينما يكون في الحلة يتاولها بما تستحق من ثناء من حيث صفات اهلها وما جلبوا عليه وما يستحقون من تعنيف ولوم جزاء اضاعتهم لمواهبها الابدية واهمال ناحية الشعر التي كانت من ابرز نواحي الحلة مستعرضا في شعره (آل القزويني) واثارهم ، فينفرج هذا التحرش عن ثورة تشمل الكثير من شعراء الحلة وفي مقدمتهم كان الشيخ عبدالرزاق السعيد .

وحيثما يكون في البصرة يحاول ان يبني من الحجة قبة في مزاحه فيهيج طائفة من العلماء ، والفضلاء ، وفي مقدمتهم السيد عباس شبر والسيد محمد علي الكاظمي من اجل (عصا) اضاعها عندهم لا اظن قيمتها كانت تبلغ ثلاثة دراهم او اكثر قليلا ولكنه أنزلها منزلة عصا موسى واكثر ، فنظمت الارجيز والقصائد وتناولتها بعض

الجرائد واشترك في تلك المعركة شعراء اخرون من مدن اخرى ، وفي طليعتهم كان الشيخ جعفر نقدي من العمارة •

وعندما يمر بالنجف - وكثيرا ما يمر بها ويقضى فيها اكثر ما يستطيع من اوقاته - يشعر الكثير من الابداء بحركة غير اعتيادية تدفعهم الى الملاطفة ، والدعابة ، والمساجلات الشعرية ، والمباراة الادبية ، من تشطير ، وتخسيس ، وغير ذلك ، ولم يكن هناك من سبب غير وجود الشيخ محمد حسن الذي يحب الشعر كثيرا ، ويحول بين ركوده ، وخموله ، حيلولة ، قوية ، فعالة •

ولقد وقفت ذات مرة على مراسلات شعرية له تناول فيها الشيخ عبدالغنى الخضري بهجاء غاية في الضحك ، وغاية في الدعابة ، وذيلها بتوقيع رمزى واتخذ له رسولا امينا على سره ، فكان هذا الرسول ينقل قصائده الشعرية الى الشيخ عبدالغنى ، ويحيى منه باردود دون ان يعرف الشيخ عبدالغنى مهاجمه ، ودون ان يدري من اين ياتي هذا الرسول الذى اقسام ان يظل حافظا لهذا السر حرمة الى الابد ، واحسب ان السر لم ينكشف لحد الان ، وهكذا فعل مع محمد على الحوماني الشاعر ، ومن هذا النوع كانت قصيدة بعث بها من سوق الشيوخ الى طائفة من اصدقائه تناولهم بها فاطلق عليها الاصدقاء اسم (يرملون) وراحوا ينظمون على منوالها ولم يعرفوا قائلها الا بعد زمن ••

ومن طرائف الشيخ محمد حسن حيدر الادبية طريفة نشرها (الهاتف) في العدد ٣٢٩ من السنة التاسعة تضمنت - دعوى - شعرية اقامها الشيخ ضد السيد حمودى عبدالمجيد مدير معارف نواء الناصرية (الدكتور حمودى عبدالمجيد اليوم) لدى حاكم صلح سوق الشيوخ السيد عبدالحميد على مشترك مع السيد سعيد كمال الدين قاضى شرع الناصرية طالباً منهما الحكم على (حمودى) باقامة وليمة كبيرة لعدد من الابداء وفي ضمنهم السيد كاظم القزوينى مدير ثانوية الناصرية ، وتقى الشيخ راضى مدرس الثانوية ، وعدد من ادباء سوق الشيوخ ، لان (حمودى) كما يقول الشيخ محمد حسن كان قد اتصل به تلفونيا من الناصرية واخبره بان جماعة من رجال المعارف ، وعلى رأسهم حكام الناصرية وقاضيتها والسيد حمودى من ضمنهم سيتناولون

طعام الغداء عند الشيخ محمد حسن بسوق الشيوخ غدا من نهار الجمعة وقد اولم
الشيخ محمد حسن على مجرى عادته - وليمة فاخرة حضرها جميع من ذكر في
الموعد المعين الا (حمودى) الذى حالت بين حضوره بعض المشاغل كما قال *

وقد رتب السيد عبدالحميد على ، والسيد سعيد كمال الدين مجلسا ادبيا خاصا
لمحاكمة السيد (حمودى) ، وصدر القرار بوجوب قيام السيد (حمودى) بدعوة
جميع الادباء الى وليمة عين الحاكمان لونها ، وصنفها ، وزمان اقامتها بالتفصيل وقد
عز على السيد حمودى ان ينفذ هذا الحكم فدافع عن نفسه واعترض على الحكم حتى
رضى الحاكمان بان تميز الدعوى عند جريدة الهاتف *

وكتب الشيخ محمد حسن الى الهاتف يصف له اصل الدعوى فى ارجوزة
لطيفة ، كما كتب السيد حمودى شرحا كافيا لقصته ، وهذه قطعة مختزلة من
ارجوزة الشيخ محمد حسن المتضمنة عرض القضية *

شكرى الى الوزارة النييلة	وزارة المعارف الجليلة
اذ انها اختارت لنا (حمودى)	يسير بالنشر الى التجديد
فالكل منا شاكر لفعله	مقدر وذاكر لفضله
لكنه نادى بصوت الهاتف	ذات ضحى من (شعبة المعارف)
يقول لى غدا نهار الجمعة	يجيئك الجمع واننى معه
ققمت بالواجب تلك الساعة	منتظرا تشريفة الجماعة
فحضروا كلهم الا هو	لم ادر اى شىء اعتراه
فحكم الحاكم فورا وله	قد قرر (القاضى) وما مهله
حكما عليه لثبوت الجرم	حسب شهادات جرت بعلم
حكما حوى شرائط مرضيه	مقبولة فى نظم العديلة
بان يقيم عنده للصحب	وليمة من مأكلى وشرب
جامعة لا حسن المأكلى	ترضى جميع اخوتى الافاضل
وبعد ما بلغ بالقرار	تأثرا اصيب بالدوار
ولم يجد من حجة لديه	برد دعوى المدعى عليه

قال اذن امير القراة قرار حاكم الجزا جهارا
 عند خليلى (جعفر الخليلى) فهو الذى يهدى الى السبيل
 لايد ان يحكم بالعدالة ولم يغير ابدا اقواله
 فاحكم بما تراه حكما صادقا مناسبا الى المقام لائقا

ونظرت انا باسم (الهاتف) فى هذه الدعوى وقد رددت الحكم ، وطلبت
 من المحكمة ان لا تكفى بالحكم على (حمودى) وحده بل عليه ، وعلى (تقى الشيخ
 راضى) (١) الذى اعتبرته مسؤولا عما وقع (لحمودى) من مخالفة وقد تألف
 حكمى من ارجوزة على نفس النسق وهذه بعض آياتها الصادرة باسم مجلس
 التميز .

* * *

وقد تلا الحكم الذى قد صدرا
 فلم يدع بندا من البنود
 الا وفلاها بكل دقة
 فصدر القرار بعد التجوى
 والعود للتحكيم من جديد
 فانا نعلم فيا نعلم
 وان اصعبا له فى الامر
 مشاغب من الطراز الاول
 غير بعيد ان يكون السببا
 هو الذى جنى على (حمودى)
 فليس حكمكم من الانصاف
 ويترك الاخر يمشى حرا
 وباختصار ان ما نراه
 منكم وقد احاط بالذى جرى
 مما اذتم بها (حمودى)
 لم يكثرن بالجهد والمشقة
 برد ما كان نكم من دعوى
 عند (حميد) الحاكم الرشيد
 ان تقى الشيخ راضى مجرم
 ان كنت لا تدري فانا ندري
 يحسن خلط جده بالهزل
 فى الجرم ان لم تعتبره المذنبيا
 ولج فى اقامة الحدود
 ان يوخذ الواحد بالخلاف
 مستهزئا بالعدل مشمخرا
 ان ينظر الحاكم فى دعواه

(١) المفتش بوزارة المعارف اليوم .

فيصدر الحكم على الاثنين مشتركين في اداء الدين
بأكله لذينة وحيدته يحضرها صاحب ذى (الجريدة)

وتوسعت هذه القضية وعلق عليها الكثير بالاراجيز ودامت نحو بضعة شهور
تطوف المدن وتهيج فيها القرائح بقصد التسلية ، وكلها بداعي روح الشيخ محمد
حسن حيدر المرحه ، وجه للشعر .

ووجه الشيخ محمد حسن الى (الهاتف) دعوة باسم ادباء سوق الشيوخ
لقضاء اسبوع في قبة السوق ولقد لبثت الدعوة وقضيت اسبوعا كاملا وسط
مهرجان ادبي اقيم طوال الاسبوع لتكريم (الهاتف) تلا فيه حمدي ال حمدي ،
وسالم الحسون ، وعبدالحميد السنيد ، والشيخ محمد حسن حيدر نفسه ، وعدد
آخر من ادباء السوق قصائد عاطفية رقيقة نشرها (الهاتف) في سنته التاسعة وسميت
تلك المهرجانات الادبية - التي اسهم فيها حتى الادب الشعبي الرفيع الذي انطلق به
السيد عبدالصاحب السيد ادريس في قصيدة عامرة - باسم (اسبوع السوق) فأعاد
(سوق الشيوخ) ذكرى (سوق عكاظ) وهاجها ثورة اديبة مشتعلة وسط صفوف
من المواثد التي اقامها عدد من كبار اهل السوق بهذه المناسبة واعتبر (اسبوع السوق
الادبي) فاتحة عهد جديد لادب سوق الشيوخ الذي ابتدأت تتناقله الصحف منذ
ذلك اليوم وتشير الى قيمته .

* * *

وليس هذا وحده الذي جعل الشيخ محمد حسن معروفا في اغلب المدن
العراقية وعند جميع الشعراء والادباء بكونه حركة فعالة في بعث الروح الشعرية
من مرقدتها وخلق جو شعري اينما حل ، وانما هناك صفات عرف بها بين جميع اقرانه
ويعرفها كل من كانت له اليه حاجة ، وكل من استعان به على امر ، فقد كان كثير
الاهتمام بشؤون مدينته وسكانها ذلك الاهتمام الذي كان يحمله على التحدث عن
(سوق الشيوخ) والذب عنها في كل وقت واذا لم يكن الوقت مناسباً سهل على الشيخ
محمد حسن حيدر ايجاد المناسبة لرفع شأن هذه المدينة ، ولفت الانظار الى حاجتها ،
من عناية الحكومة ، سواء كان ذلك امام البرلمان او امام اهل القعد ، والحل من رجال

الحكومة ، او في معرض الشعر والادب ، حتى لقد صار احق بالتصاق صفة مريض
(الذات) من السيد عبدالوهاب الصافي .
وصفة السيد عبدالوهاب الصافي - وقد كان معتمدا لجمعية (الرابطة) في
التجف - تلخص في انه كان لا يترك حديثا يمر دون ان يحشر فيه اسم (الرابطة)
والدعوة للاهتمام بها والسعي لمساعدتها ، الامر الذي جعل الشيخ محمد احضا
الشيبي يقول عنه قولا فيذهب مثلا -

نقد قال الشيبي ان الامراض المبدوءة (بالذات) اربعة .

١ - ذات الرئة ، ٢ - ذات الجنب ، ٣ - ذات السحايا .

اما الرابع فهو (ذات الرابطة) وهو المرض الذي يلزم السيد عبدالوهاب
الصافي ويحمله على ذكر (الرابطة) في كل مكان وزمان اقول لقد كان الشيخ
محمد حسن حيدر احق من السيد عبدالوهاب الصافي بهذا النعت لكثرة ما اذاب
نفسه في خدمة هذا البلد . وكثرة ما كان يتردد اسم سوق الشيوخ - على لسانه
وملاحظته لرجال الدولة في الاهتمام برى البلد وزراعته وسوقه واليه وحده ينسب هذا
الفضل في التفات السلطات لوضع بعض الخطط في تأسيس (التواظم) واشغال
سوق الشيوخ بعض الحيز من اهتمام الحكومة بمشاريعها فكان احق بان يعتبر
مصابا بمرض (ذات الشيوخ) .

كان الشيخ محمد حسن مرآة لعدد من الصفات الحميدة وكان مثلا من امثلة
الوداعة والطيبة وحسن النية اضافة الى ما عرف به من السخاء بالنفس وبما يملك
او ماهو تحت يده .

لقد كنا عنده ذات ليلة (بسوق الشيوخ) وقد طابت نيلتنا وعذبت وكان وجود
السيد محمد جمال الهاشمي الذي كانت الشاعرية ، والظرف ، والعذوبة ، تطفئ
عليه يؤمئذ اكثر من اى لون آخر من الوان التصدى للصلاة بالناس والانصراف الى
دراسة الفقه انصرافا كليا فيشرح صدر الشيخ محمد حسن في تلك الليلة ويتغلب
على الهاشمي فيما يكيل له تعريضا من نظم مرتجل واسجاع فكاهية مضحكة ،
وارتج على الهاشمي المعروف بسرعة البديهة فلم يستطع ان يأتي بالجيد من الشعر

المرتجل بالهجاء المستساغ قبال الشيخ محمد حسن ، فظل الشيخ محمد حسن يعلو في هجومه الشعري ، وظل السيد محمد جمال يهبط حتى فشل فشلا ذريعا . واقترح هناك المقترحون ان يتحول هذا السمر الى لون آخر من التهاجي ليس له بالشعر من صلة غير صلة المعنى وذلك بان يأتي احدهم بصفة فيأخذ الاخر الحرف الاخير منها ويأتي بالرد عليها بصفة مبدوءة بذلك الحرف كان يقول احدهم للاخر :

- بليد •

- فيجيه الاخر •

- دلو •

- ويقول له -

- واوى

فيجيه

- يزيد بن معاوية •

وهكذا يتخذ آخر حرف من الكلمة مبدأ تراعى فيه الحدود المعينة ، وهي لعبة شاعت بين جماعة من الادباء ، وتوسعت حتى حدد نكل مساجلة منها حدود معينة ، كان تكون المساجلة مقتصرة في تلك الجلسة على المديح ، او المهاجة ، او الصناعة والحرف . . . !! أما النجاح فيها فلمن يكون اوسع افقا في عالم اللغة والادب ، وأكثر انشراحا ، وتجاوبا للوقت ، واغلب ظني انى انا الذى ابتكرت هذه التسلية فشاعت يومها بين بعض الادباء •

وفي هذه المساجلة فشل السيد محمد جمال الهاشمي ايضا وتغلب عليه الشيخ محمد حسن حيدر للمرة الثانية وكان الشيخ محمد حسن قد ابدع في تلك المساجلة لما اتى به من طرائف انعمت والصفات المضحكة كل الابداع ونمت على وجه الهاشمي بعض الادلة من الخذلان فقام اليه الشيخ محمد حسن مستغفرا لانه قد بدر منه ما يخالف القواعد ، وانما لمجرد استظهاره على الهاشمي اجل لقد قام اليه معتذرا ومستغفرا وامسك بيده وقبلها عدة مرات ، ولم يتركه حتى اكد له السيد محمد الهاشمي بان المساجلة لم تترك في نفسه لما او اذى او اى شيء مما

يجرح شعور النفس ، وانما هو الفشل الادبي وحده ومع ذلك فلم ينم الشيخ محمد حسن في تلك الليلة حتى اطمأن بان السيد الهاشمي قد نام ملء جفيه وليس هناك ما يكدر خاطره

وحين اهدى لي الصديق السيد مير علي ابو طيخ (دلة) قهوة مصحوبة بقصيدة ، اهدى لي الشيخ عبدالحسين الحلبي من البحرين (دلة) من قريض ، وهي اول دلة شعرية في عالم الادب وفي هذه القصيدة عزاني الشيخ عبدالحسين بفقدى ابني (هاتف) وتعرض للشعراء الذين كانوا قد عزوني بشعر اعتبره الشيخ عبدالحسين الحلبي بمثابة (بغلة) اوقفوها الى جانب عدد من (نجائب) الشعر فكانت قصيدة الشيخ عبدالحسين قصيدة عامرة وقد تنقل فيها ، وابدع في التنقل الذي شهد ببراعته من غزل ، الى نسيب ، فمدح فراء فقد ، فقال من جملة ما قال :-

يا (خليلي) وذا الذ نداء	من خليل اذا يخاطب خله
انت من بعض فضلك القوم تجني	لبنها ونفسها افضل كله
انت احبى من ان تعزى بشعر	ما اقل الحجي اذا وأضله !!
لك من نفسك الكريمة سلوانا	وعرفانك التسلى وفضله
لك اهدى (نجيبة) من نجيب	اوقفوا قبلها ببابك بغلة
البسوها من العويل ثيابا	وسقوها من واكف الدمع وبله
وحشوها من القديم حديثا	ما اجادوا ولا استجدوا اقله

الى ان يقول :

ليت كانت هديتي لك (دله)	ذات نهد يزير صدر (المجلة)
فادعها دلة لتغنى صبا	في هواء عن نضد اقوى الادلة
وافترضها ان شئت دلة تبر	رب فرض يطنغي وينقع غله
واذا شئت سبكها من قريض	لم تصعب فدلة الشعر سهلة
واذا لم يصغ من الشعر ابريق	لماذا قد خيط او حيك حله ؟
هي ذى (دلة) تصاغ قريضا	لا بفرض ولا بطرق وشعله
لبست من ثواقب النجم تاجا	واعارت مصبها للاهلة

وهاج وصف الشيخ عبدالحسين الشعراء وهاجهم طعنه في شعرهم فزدوا عليه
بقصائد ومقاطع وكان من اولئك الشيخ محمد حسن حيدر الذي نظم قصيدة في
اكثر من خمسين بيتا امتدح بها الشيخ عبدالحسين الحلبي واعترف بمجزئه عن اقتفاء
آثاره ولكنه قال رادا :

يا (خيلي) وتلك دعوة مضي بك والشوق في هوائك أعله
قد قرانا (بهاتف) الحق شعرا من رثاء او من قريض بدله
طربا همت في معانيه حتى لمعناك من ضناه ابله
لك وافت هدية من (نجيب) حسب المهر في المضامير بغله

وعز على الشيخ محمد حسن حيدر ان يرى كل واحد يهدي شيئا للهاتف
وهو لا يهدي فقال :-

هو يهدي اليك دلة تبر او لجين من الصفاء - وخله
واخوك الوفي يملك نجلا وهو يسخو متى اردت (ينخله)
هذه دلتى اليك فخذها فهي تسقيك من سلافة زحله

والنخل انذى يشير اليه الشيخ محمد حسن هو كلما يملك مما تركه له
اباؤوه من بساتين وارضى واسعة ما لبثت ان تحولت الى نفقات ابوه جلها على
الناس وانفق الباقي الشيخ محمد حسن نفسه وصار يدلل بما بقى لكي ينفقه على
الغير استجابة لسجاء نفسه .

قال لي السيد عبدالمهدي المتفكي في اثناء تشييع جنازة الشيخ محمد حسن
حيدر قال :

لقد وجدت الشيخ محمد حسن كثير التأثر وهو على فراش الموت في
المستشفى حين سمع ان الناس كانوا يندفعون الى التبرع للمدرسة الجعفرية ببغداد
وهو لا يملك شيئا يجاريهم بالاندفاع ، فامسك يدي وقال : لي اليك حاجة يا سيد
عبدالمهدي ، وارجو ان تحققها لي وهي انه قد بقى لي من كل الذي كان وما خلفه
السلف من ذلك الارث بستان يبلغ معدل ايراده السنوي خمسة واربعين دينارا فاذا
مت فكل رجائي هو ان تتولى عنى اهداء الثلث الذي يخصني من هذه البستان الى

المدرسة الجعفرية ولا تأخذك الشفقة فيمن كان يجب ان يفق عليهم هذا البستان
وايراده .

لقد عدت في اواخر صيف ١٩٣٩ من لبنان فوجدت الشيخ محمد حسن
بمنزله في الكاظمين وقد علت وجهه صفرة باهتة وبدت آثار وعكة على مجياه وقبل
ان اسأله عن حاله قال :

- " اخي جعفر ... اوشكت ان اموت بعدك "

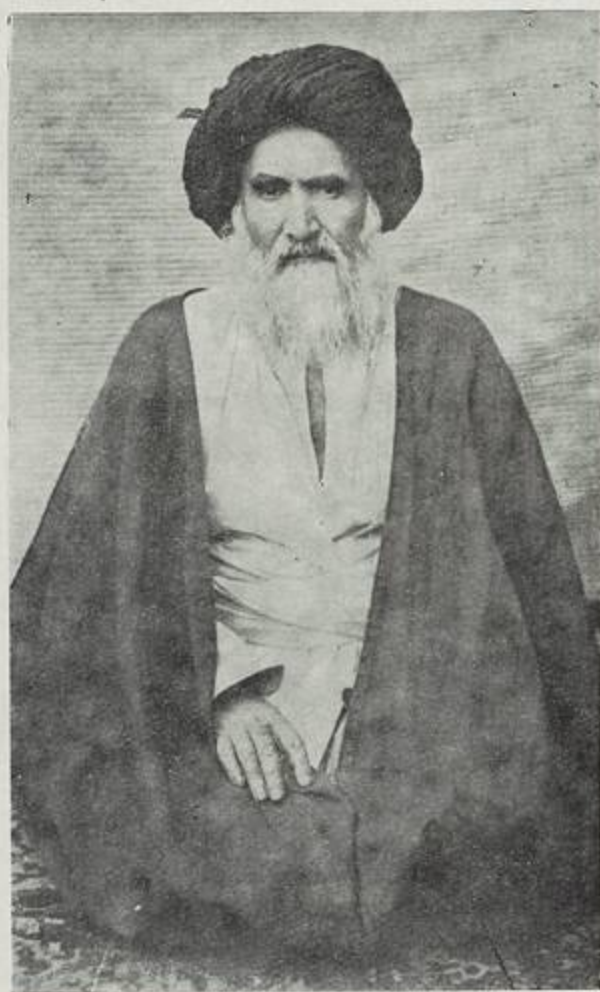
لقد قال ذلك بنبرة عاطفية فكأنه فرى قلبي بمدية ، ومنذ ذلك الحين لم يبرأ
الشيخ محمد حسن من علته ، ولم يشف من مرضه على رغم العناية الكبيرة التي
كان يبذلها الاطباء ، ذلك لان الشيخ محمد حسن كان مرهف الحس ، سريع الغضب
يثور لآقل حادث ، ولانه كان من جانب آخر كثير الاهتمام بالناس شديد الوفاء
للصديق . وكان من آية هذا الوفاء انه رقى منبر تأيين الشيخ جواد الشيبلي وهو
في اشد حالات المرض ، وتلا قصيدة في رثائه ولم يفد معه نصيح الناصحين وعذل
الماذلين .

وساءت صحته يوما بعد يوم منذ ان رفعت عنه الحصانة النيابية واحيل الى
المجلس العرفي للمحاكمة ، ولقد نظم عن مرضه وعما يكابد من علل وامراض
شعرا كثيرا وصور خيبة أمهه بالاطباء في أكثر من موضع واحد من قصائده ومن
ذلك هذه الابيات المقطعة من قصيدة كبيرة :

كم من طيب بانواع العلاج على يديه عالجت اسقامي ليريني
فما وجدت علاجا ناجعا ابدا بطلبه مذ به اضحى يداويني
فالسقم لم يبق من قلبي ومن كبدي الا بقايا براها برى سكين

ولم يزل يمشى به المرض حتى لازم المستشفى زمنا ثم لازم بيته ، وكنت على
صلة دائمة به وقد تولى السيد حمدي ال حمدي الاجابة على بريقياتي ومكاتيبى حين
عجز الشيخ محمد حسن ان يكتب ، وبلغني انه في مرحلته الاخيرة ، وحين ازمنت
النية على السفر الى السوق لزيارته ابرق الى حمدي ال حمدي بالتأخر لان المصلحة
اقتضت بنقله من السوق الى بغداد ، وحين صممت على السفر الى بغداد ، فوجئت

بخبر وفاته ونقل جثمانه الى مقره الاخير في النجف حيث مشيت مع المشيعين خلفه .
لقد فقدت بموته صديقا نبلا وفيما كريما طالما انست بروحه الطاهرة ، فكان
لموته وقع عظيم على نفسي وكان من اثره اني ظلمت لا اغمض جفني في كل ليلة الا
على ذكره الطيبة وهما مبتلتان بالدموع تلك الذكرى التي طالما ملأت قلبي دعة
ونفسي هباء ، وفراغ ايامي مسرات .



السيد ابو الحسن



Portrait of Mrs. [Name]

السيد أبو الحسن^(١)

يرجع اول معرفتى بامام الشيعة الكبير السيد ابى الحسن الموسوى الاصفهاني الى ايام الطفولة التى تبلى الاعمار ولا تبلى ذكرياتها ، تلك الايام التى كنت اجلس انا وابنه الشهيد (السيد حسن) على مقعد واحد فى المدرسة العلوية بالنجف ، وكنت ككل التلاميذ شديد الحرص على ان يكون زملائى من الاولاد الاذكياء المبرزين ، او من اولاد الذوات ، فكنت اذا لم اهتم بزميلى من حيث نبوغه ، ورجاحة ذكائه ، اهتمت به من حيث نسبه ، وحسبه ، وقد قيل لى عن هذا الزميل ، ان اباه عالم من العلماء ، وانه امام جماعة يأتهم به بعض الصلحاء ، ولقد اتيت لى ان ارى والد زميلى هذا مصليا فى جهة باب الفرج من الصحن الشريف فى النجف ، وهو المكان الذى يقع خلف مصلاه الاخير بنحو خمسين قدما ، فرأيت فيه رجلا متوسط القامة ، نجيف البدن ، ذا ناحية تناسب مع صورة وجهه ، وعمامة سوداء تتناسب مع رأسه ، وقد اتم به صفان من الرجال ، لا يزيد عددهم على عشرين فصليا ، عرفت منهم يومذاك اتاجر الحاج عبدالرحيم ابو شهرى ، والحاج اغا احمد الملا زكى ، عرفتهما لانهما كانا من اعضاء المدرسة العلوية ، وكانا من انشط العناصر الآخذة بساعد المدرسة المذكورة التى درست فيها ، وهما اول شخصين دفعا بالسيد ابى الحسن الى التقدم للصلاة والزعامة ، اما الباقون من المؤتمين فقد كانت هياتهم المختلفة تدل على تناقضهم من حيث قيمتهم الاجتماعية ، وظللت كلما دخلت الصحن عند الغروب رأيت فى المكان نفسه فصليا على فراش متواضع ، وسجادة بسيطة من المنسوج الرخيص ، فأخذنى شىء من الخيلاء والزهو لان لى صديقا ابوه عالم ، وامام جماعة ، فكأنى لم ار عالما من قبل السيد ابى الحسن ، وكأنه ليس لى فى اسرتى اكثر من عالم ، وكان

(١) الهاتف - السنة الثانية عشرة - العدد ٤٣٦ تشرين الثانى ١٩٤٦ .

زميلي (السيد حسن) هذا معوزا ، ولم يكن حالي باسعد منه لو لم اكن مجهزا باللوازم المدرسية والكتب تجهيزا على قلته احسبه كان قريبا من سد الحاجة ، وكان ذلك سببا لاستعارة بعض الزملاء مني بعض تلك اللوازم في اغلب الاحيان .

وذات مرة ذهبت الى بيت زميلي هذا ، وكان يسكن احد بيوت آل الشهرستاني بالقرب من سوق العمارة ، لاسترد كتابا لي لا ازال اذكر انه كان كتابا في (العقائد الشرعية) وهناك رأيت اباه العالم وجها لوجه ، فقد فتح لي الباب بنفسه ، وكس سرتي ان ادرى العالم الرباني يكلمني ، بل كنت فخورا اذ اتيح لي الكلام مع عالم علوي هاشمي مع ان في اسرتي عددا من العلماء لم اعجاب بهم .

* * *

ولا ادرى الى كم ظل المؤمنون بابي الحسن معدودين لانزيد صفوفهم على صفيين ، ولكن علمت ان آل (الاخوند) كانوا يؤيدونه بكل ما يملكون من قوة ، ومن وراثتهم بعض طلاب العلم الذين يحضرون درسه ، ولعل لتأييد آل (الاخوند) علاقة بتلمذة السيد ابي الحسن على يد ابيهم الاستاذ الاكبر الشيخ ملا كاظم الخراساني المعروف (بالاخوند) او لعل له علاقة بوفاته لايبهم ، ذلك السوفاء الذي تجلى في ساعة عسره واملاقه بابهي مثال ، واجمل صورة ، فقد بلغ السيد كاظم اليزدي وهو من مناوئي (الاخوند) يومذاك بسبب الفتوى المتضمنة وجوب اقامة الدساتير البرلمانية في الحكومة الاسلامية التي عرفت بحركة (المشروطة) ، اقول لقد بلغ السيد كاظم اليزدي ما هو عليه السيد ابو الحسن من عوز وفاقه عظيمين ، فارسل اليه بمشعر ليرات ذهبية وهو مبلغ نه قيمته امادية يومذاك ، ليسد به بعض حاجته ، فلم يستسغ السيد ابو الحسن ، - وهو على ما كان عليه من املاق - ، ان يتناول هذه المساعدة من يد منافس لاستاذه (الاخوند) وان كان غيره لم ير في ذلك بأسا ، فلقد استمال السيد كاظم اليزدي عددا كبيرا من تلامذة منافسه المقربين باعاناته ، وعلى رغم تأييد المؤيدين للسيد ابي الحسن فقد ظل عدة سنوات لايزيد على كونه امام جماعة صغيرة ، واستاذ حلقة اصغر ، وواحدا من عشرات الائمة والاساتذة الذين تعج بهم التجف يومذاك ، اللهم الا بعض مميزات كان ينفرد بها ، من قبيل نزوعه الى الحرية ،

وتشجيعه للاحرار ، والتبسط في القواعد الفقهية ، والتمسك بالجانب السهل المسموح من الاحكام الشرعية ، ومع كل ذلك فلم يكن من الاعلام الخفافة قبل ان يحيل المرجع الاكبر الناهض بالثورة العراقية ، الشيخ محمد تقي الشيرازي بعض الامور الشرعية اليه ، فقد كان الشيرازي كثير الاحتياط في اعماله الشرعية حتى لقد كان يحرم لبس (الشعري) على الرجال ، والشعري نوع من النسيج يأتي من الشام قبل ان جميع سداه ولحمته من الحرير الخالص ، فضاقت مقلدو (الشيرازي) ذريعا باحتياطاته الكثيرة لاسيما في لبس (الشعري) المألوف لبسه حينذاك في اوساط التجار والاعيان فرجعوا اليه يطلبون منه تعيين من يرجعون اليه في احتياطاته اذا لم يستطيعوا التمسك اتمام بتقليده فدعا الشيرازي وهو المرجع الاعلى حينذاك الى احد اثنين هما شيخ الشريعة ، والسيد ابو الحسن ، اما شيخ الشريعة فقد كان في مصاف الشيرازي ، وانداده علما واجتهادا لذلك لم تكن الدعوة له كبيرة الفائدة في شهرته واما السيد ابو الحسن فقد نال من هذه الدعوة شهرة مكنته من ان يخطو خطوة واسعة في ميدان الظهور ، ومنذ هذا اليوم اى منذ اشارة الشيرازي بالرجوع للسيد ابي الحسن والعمل في المواطن الشرعية برأيه بدأ نجم السيد ابي الحسن يتألق ، وبدأت صفوف المصلين والمؤمنين به في صلاته تزداد يوما بعد يوم ، ثم انضمت اليه بعض العناصر الالامة فزادته ظهورا وجلالا .

* * *

وقامت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وارتفع صوت الامام الشيرازي بوجوب الدفاع عن حرية البلد ووجوب طلب الاستقلال فكان صوت السيد ابي الحسن اعلى صوت بعد صوت الامام الشيرازي وبعد صوت الامام شيخ الشريعة ، واصبح للسيد ابي الحسن اجتهاده الخاص في المسائل الدينية ورأيه المستقل في الامور الاجتماعية ، لابل لقد اصبح يدنو بعد هذا التاريخ سريعا الى المرجعية العامة ، ومع ذلك كله فقد كان احب اليه لو ان يظل مع الناس غير مترفع ولا شامخ .
وكانت (الفترات) يومذاك من احد العوامل لتعريف الناس بالعلماء ، أو قل

كانت احدي الدعايات الكبيرة للاشخاص البارزين - و (الفر) عبارة عن اسطوانة من القماش الابيض المشمع قامت على قاعدة من النحاس تخرج فيها شمعة ، وتحمل بواسطة حلقة نحاسية في قاعدتها العليا يحملها الخادم امام العالم سراجا يضيء له الطريق ، وكلما كان العالم كبيرا او كان الرجل محترما جليلا كان (فره) اكبر وقاعدته اوسع ، فكان العوام والسوقة يرون في (الفر) ، وفي الخادم الذي يحمله من حيث عمته الكبيرة ولحيته البهية دليلا على عظمة العالم المجتهد ، او المخدوم الوجيه ، ولما كان الاطفال الصغار كالعوام ، وكالسوقة بدون اى اختلاف من حيث النظر الى الامور فقد كنت انا ارى رايبهم في هؤلاء العلماء الذين يغادرون الصحن الشريف بعد اداء صلاة المغرب والعشاء واحدا بعد آخر وقد حملت (الفرات) الكبيرة امامهم ، ولكني لم ادر لم لم تتغير عقيدتي في السيد ابي الحسن الذي لم يستغ حمل الفر امامه ، ولم يلجأ الى هذه المظاهر والتقاليد التي كان يلجأ اليها الاخرون .

وتقدمت بي السن قليلا ، فالفيت السيد ابا الحسن ينتقل من داره ليسكن دارا في رأس شارعنا ، وعلى بعد مئة متر لا اكثر من بيتنا ، فيسنى لي ان ازاه كل يوم ، وما اكثر ما رأيتة وهو يحمل الخبز بيده وقد جاء به من السوق ، اما زميلي ابنه فلم اعد اراه الا قليلا ونادرا فقد اغتم بعمه سوداء واتجه نحو درس الفقه والشريعة مقتفيا آثار رجال الدين ، وكان لا بد ان يفرق بيننا الاتجاه ويجعل كلا منا في ناحية ، ولو لم تكن جيرانا متقاربين لما رأى بعضنا بعضا .

* * *

وعرضت قضية انتخاب النواب لتأليف اول مجلس تأسيس للعراق فافتى العلماء بتحريم دخول معزكة الانتخاب والترشيح لدخول المجلس نوابا مالم ينجل الموقف ، ويؤيد الانكليز ان ليس هنالك شيء اسمه (وصاية) أو (اتداب) أو (معااهدة) ، وتأزم الموقف ، وكان السيد ابو الحسن من اشد العلماء تنسكا بهذا الرأي ، وكان يرى في مخالفته مخالفة للشرع الاسلامي ، وخروجاً على تعاليمه حتى آل الامر الى

نفى العلماء الروحانيين ، واخراجهم من العراق الى ايران ، وهنا ظهر تعلق الناس بالسيد ابي الحسن اشد واكثر ، واذا به مذكور اكثر من غيره من كبار العلماء - الذين نفوا معه كالميرزا حسين النائيني - على جميع الالسنه وحين عاد العلماء من ايران وعاد هو الى العراق كان هو السابق الى المرجعية الكبرى والزعماء الشيعة ، خصوصا وان شيخ الشريعة كان قد توفى قبل ذلك ، وقد فرغ الميدان الا من بعض اقران السيد ابي الحسن ، واذا بانطلاب الذين يحوطون منبره ، يفص بهم مجلس اندرس أو (البحث) كما يسمى ، حتى لم يبق متسع لاحد ، واذا بهذه الجهة الخاصة من الصحن الشريف تضيق بالمصلين خلفه ، ثم تحف به جماهير الطلاب والمراجعين في اثناء الخروج من بيته وعند العودة ، قبل الصلوة وبعدها فتحدث ضجة كبيرة وكثيرا ما تقدمتها موجات من التكبير وتهليل ومع ذلك كله فقد كان السيد ابو الحسن لا يملك دارا ولا يحمل امامه فتر وسراج ان مشى ليلا ، وليس لديه من المستخدمين الخاصين احد بالرغم من تلك الابهة والعظمة التي تحيط به عند خروجه من البيت للصلوة والدرس وعودته اليه وانتقل من داره ومن محله في رأس شارعنا من المشرق وسكن دارا اخرى في رأس شارعنا من المغرب ، وعلى نفس البعد ، وعلى مسافة لاتزيد عن مائة متر ، وكانت لوالدي به علاقة اعتيادية ما لبثت ان قويت ، واصبحت صداقة كانت تحمل والدي على زيارته مرة في الاسبوع أو اكثر .

واني لاذكر زيارته لبيتنا عصر يوم من الايام وكان معه اثنان من حاشيته وقد جاء لزيارة والدي عائدا على اغلب الظن ، وتناول عندنا الشاي ، وقد كنت انا الذي اقدم الشاي له ، فسمعتهم يطرى شاينا بشيء من العجب ، فاخبره والدي بان الشاي الذي يطريه انما هو شاي خاص يرسل لنا من ايران ، فقد كان لاخى الاكبر عباس الخليلي صديق ايراني من كبار تجار الشاي في شغانفهاى (الصين) اسمه الحاج عبدالرسول على ما اذكر ، وكان يبعث لاخى في كل ستة بعدد مسن علب الشاي المحتومة ، فيبعث اخى ببعضها الى والدي ، وكان والدي حريصا جدا على هذا الشاي ، وكان يتأنق في شربه ، ولا يسمح لاحد بان يشاركه فيه ، وقد بلغ

أخي حرصن إيه هذا واعتزازه بهذا الشاي ، فزاد حصّة إيه مما كان يصله في كل سنة ومع ذلك فقد ظل والدي عند حرصه وشحه ، حتى قال أخي لأحد أصدقائه النجفيين الذين يسكنون طهران - وكان قد اعتزم السفر إلى النجف لزيارة إيه وارضامه - لقد قال له أخي على سبيل الدعابة وهو يكلفه بحمل مقدار من الشاي البنا ، قال :

حذار إن تخون الأمانة ، وتلاعب بشاي أبي في الطريق ، فانك إن فعلت ذلك فمن الهين إذا كنت أنا (سألن لك أبانك هنا بطهران) ، فإن أبي في النجف سيلعن لك أبا إبيك هناك وهي أم المشاكل كما قد تعلم ...

أقول لقد أطرى السيد أبو الحسن شائنا ، وبشارة خفيفة لاحت لي من أبي أدركت مقصوده ، فأثبت للسيد أبي الحسن بعلبة مختومة من هذا الشاي الذي صرنا تبعث إليه بعد ذلك بعلبة منه كلما بعث لنا أخي شيئاً منه على ما أتذكر ...

* * *

وبعد مدة يتقدم (السيد أبو الحسن) فيشترى الدار المتصلة بدارنا تماماً من جهة الغرب ، وينقض بعض بناء البيت من أساسه ، ويدخل على البعض الآخر شيئاً من التحسينات ، ولما كانت العادة المتبعة أن يولم النجيران للجار الجديد وليمة عشاء أو أن يهادوه بمقدار من السكر والشاي ، فقد بعث والدي بعدد من الأوز (البط) وعدد من كؤوس السكر إلى بيت (السيد أبو الحسن) جرياً على هذه العادة ، ولا أدري إلى كم بقينا جيراناً ، ولكنني أعلم أنه لم يمر كبير وقت حتى كاشفنا السيد أبو الحسن باحتياجه إلى شراء دارنا ليتخذ منها ديواناً لزيائريه ومراجعيه ، فقد اتسعت دائرة أعماله كثيراً وأصبح لا يرى طريقاً لاتساع بيته إلا من جانبنا ، لأن الجانب الغربي كان يحد مدرسة (الايرواني) وهي مدرسة موقوفة لا يجوز بيعها وشراؤها ، وأما الجانب الخلفي فهو يحد شارعاً من الشوارع كجانبه الإمامي تماماً لذلك انحصر أمر التوسعة بدارنا ، فاشتراها ، ولا تزال الدار حتى اليوم على هيأتها وبنائها لم يتغير فيها إلا شيء يسير ، واني لأدخلها كلما طلبت زيارة (السيد) فاتحسب

باصبعي مواطن حياتي الخاصة في هذا البيت من محل نومي ، وقعودي ، وملعبي ،
 ومكبي ، فكنت أقول لنفسي : هنا كنت اجلس ، وهنا كنت العب ، وهنا كان مجلس
 ابي ، وهذه هي غرفة امي وكم حدثني نفسي ان اطلب الدار من (السيد)
 ليعيدها لي لانها مسقط رأسي ومهد احلامي وعش الذكريات التي تملأ
 قلبي دعة واطمينانا ولكني كنت ازي (السيد) اكثر مني حرصا عليها ، وانها
 احب سكن الى نفسه ، وادناه الى رغبته ، فاقع في خجلي ، واخرج وانا متقل
 بذكريات الطفولة ، مغرورق العينين بالدموع وكنا قد اشترينا احد بيوت
 اسرتنا وبعدها عن (السيد) ولم اعد اراه كل يوم كما كنت اولا ، ولكن
 صورته كانت قد ملأت نفسي كلها واتسعت شهرة السيد ابي الحسن وعبرت حدود
 العراق وايران الى جميع الاقطار الاسلامية وكان حديث علمه ورجاحة عقله في
 استنباط الاحكام الشرعية ، وسلامة ذوقه ، جعله حديث الناس في جميع مجالسهم
 فلم يكن يمر يوم دون ان يذكر له رأى جديد في الاحكام الشرعية ، وتبسيطه
 الكثير من المقدم الفقهاء ، فهو الذي حكم بان لكل قطر افقه في رؤية الهلال ، فاذا لم
 يثبت هلال ذي الحجة في العراق فليس من الشرط ان لا يثبت في الحجاز والاقطار
 الاخرى ، وان على كل حاج ان يتبع افق مكة دون الالتفات الى قطره وقبل هذا
 الحكم كان الجميع في اختلاف كبير بصدد موقف الحاج ، ولربما وقف المسلمون
 موقفين مغايرين في يوم عرفة لثبوت العيد عند البعض وعدم ثبوته عند البعض الاخر ،
 والى حد الان ولا يزال البعض من المسلمين غير متفقين في رؤية الهلال ، ولكن الذين
 يدركون قد اتبعوا رأى السيد ابي الحسن واعتبروا افق الحجاز هو المقياس
 الصحيح وليس افق اخر غيره في ثبوت الهلال وعدم ثبوته وهم في الحج .

والسيد ابو الحسن اول من اتي باباحة تأجيل الكفارة من الذبائح في الحج
 الى حين حصول القناعة بإمكان الافادة من لحومها ، ذلك لان (الكفارة) قبل فتوى
 السيد ابي الحسن كانت تفرض القيام بها حالا فيجري ذبح الذبائح وتكديس اللحوم
 بدون انتفاع لكثرتها في مواطن الحج .

والسيد ابو الحسن هو الذى جرى فحرم ضرب الرؤوس بالسيوف ، ولطم الصدور ، وضرب الظهر بالسلاسل ودق الطبول والصنوج ، والمزامير وما يجرى عادة فى ايام عاشوراء باسم الحزن على ابي عبدالله الحسين .
وهو الذى كان يرى ان الطهارة تشمل عناصر كثيرة ، ومواد كثيرة مما تضيق بها دائرة العلماء الاخرين فكان لا يستجس ارباب الاديان الاخرى من اهل الكتاب ، وله فى ذلك رأى خاص يخالف آراء الكثير من معاصريه من علماء الشيعة ، وهو الذى كان ينصح الراغبين بوقف املاكهم بالدول عن تنفيذ هذه الرغبة نظرا لكثرة البراهين الدالة على ضياع الوقف ، وانتهاؤه الى مختلف الايدى العابثة ، وكان يقول بافضلية الانفاق فى الوجوه المطلوبة عاجلا والتحرز على قدر الامكان من الوقف الايل لتلف والضياع المحتم .

وهو اول مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة من زوج كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات فلم تجد المرأة من يتفق عليها فتولى هو طلاقها ولربما كان هذا الحكم هو الاول من نوعه منذ اول قيام الاسلام حتى ذلك اليوم (١) .
واحدثت مرة كلمة نشرت لمعروف الرصافي عن وحدة الوجود - وهى كلمة من اصل كتاب خطي للرصافي (٢) - ضجة كبيرة اثار علماء بغداد فافتى السيد ابراهيم الراوى بكفر الرصافي وتبعه علماء آخرون فجاء أحد الفضلاء بتلك الكلمة موفدا من بغداد لاطلاع علماء النجف عليها واستصدار فتوى مؤيدة لفتاوى بغداد ، واستمهل السيد ابو الحسن الرسول القادم حتى يقرأها وفى اليوم الثانى قال السيد ابو الحسن للرسول: - انه لا يستطيع ان يوافق على اعتبار الرصافي كافرا بمقتضى منطوق هذه المقالة ، وذلك لان مثل هذا رأى كثيرا ما قال به بعض علماء المسلمين ولم يكفرهم فيه احد .

قال لى الشيخ عبدالحسين البشيرى ، وهو من العلماء الروحانيين الذين اوفدهم السيد ابو الحسن للشمال واليه يرجع الفضل فى اعادة قسم غير قليل من المغالين

(١) ظهر لى بعد ذلك ان الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء كان اسبق من السيد ابي الحسن فى هذه الفتوى .
(٢) لقد رأيت مسودة هذا الكتاب بكامله عند كامل الجادرجى ، وقرأ لى فضلا منه .
المؤلف

- الذين يصدقون على الامام على صفات لا يميزها الاسلام - الى حظيرة الاسلام ، قال لى
الشيخ البشيرى : لم يبق لدى شيء بعد ان غيرت لتلك الطائفة عقائدها ، وطقوسها ،
الا ان احملها على اكرام شواربها ، (وقد كان الجميع من تلك الطائفة تقديس
الشوارب ، وتعنى بها وتعهدها) ففقت ، قال البشيرى سأنتهز من يوم (زيارة الاربعين)
التي يقدم فيها الزوار على زيارة كربلاء والتجف من جميع الجهات ، لا عرض هناك
الفكرة على السيد ابى الحسن ، واطلب منه ان يشير على من يزوره من تلك الطائفة
اشارة خفيفة برغبته فى اكرام الشارب ، وتخفيفه على الاقل وانا الضمين بانهم
سيفعلون ذلك عن طيبة خاطر اذا احسوا برغبة السيد ابى الحسن .

وقال لى البشيرى - وحين ذآكرت السيد ابا الحسن بذلك انتفض السيد وقال:

مالك وهذه القشور ؟ ولم لاتترك الناس على سجيتهم !

وجعل علمه منه واجتهاده ، وسلامة ذوقه ، وحسن سليقته فى استنباط
الاحكام وتطبيقها ، رجلا فذا ومن الروحانيين الافذاذ فى التاريخ وبقي عليه ان
يثبت لياقته وحكمه الادارية لهذه الزعامة الدينية ، ولعل هذه اللياقة هى أهم بكثير
من اللياقة العلمية ، فلقد كان فى السلف من العلماء من كانوا كالشمس فى راحة
انهار من حيث المقدرة العلمية ، اما المواهب الادارية والحكمة التى تتطلبها الزعامة
فقد كان الكثير منهم دون درجة السيد ابى الحسن الاعتيادية اذ كان السيد على
جانب كبير من تلك الموهبة التى يفترق اليها المجتمع فيتطلبها فى الزعيم الروحاني ،
اضعاف ما يتطلب العلم والمعرفة وان العلم والمعرفة انما يطلبان فمن اجل الحياة
العملية ، والسيرة المستقيمة التى تحكيها اخلاق الزعيم وحكمته .

وجاء دور تجربة الاخلاق وما ينبغى ان يوصف به الانسان فضلا عن الزعيم
فكس السيد ابو الحسن عن نفسه صورا رائعة لسمو الخلق ، وعلو الهمة ، والنبل ،
والجرأة ، والسخاء ، وكان نقوة ارادته وعدم مبالاته بناوئيه وخصومه الذين
اطردت نسبتهم مع اطراد تقدمه فى ميدان الزعامة والشهرة شأن يذكر عند الذين
وقفوا على حقيقته وعند من يقيس اكثر الامور بمقياس منافعها الخاصة ، واضرارها .

وقد انتهز السيد صالح الحلبي فرصة تحريم السيد ابي الحسن شح الرؤوس بالسيوف ، في شهر (محرم) ، والضرب على الظهور ، والصدور بالسلاسل ، لقد انتهزها فرصة فشن على السيد ابي الحسن غارة واسعة عنيفة بكل معنى العنف ، ولم يترك لونا من الوان الزرابة بالكناية ، والتصريح ، الا وصنع به السيد ابا الحسن من فوق المناير التي كان يرقاها السيد صالح فكان يتصرف من فوقها بعقول المستمعين تصرف المالك ، ويميل بها اني شاء بما كان يملك من مقدرة ، وموهبة ، وجرأة رفعت الى اعلى الدرجات في سماء الخطابة ، والبلاغة .

والسيد صالح الحلبي نشأ او ما نشأ طالبا من طلاب الفقه والدين ، فدرس العلوم العربية على طريقة عصره وولع باستظهار طائفة من نصوص البلاغة فحفظ القرآن ، وحفظ (نهج البلاغة) عن ظهر قلب ، ثم رقى المنبر ذات يوم في بيت صديق له بمناسبة (محرم الحرام) حين استبطأوا مجيء الخطيب ، فآانس في نفسه مقدرة وزاده اعجاب المستمعين اليه رغبة في الاستمرار على صعود المناير ، فلم يلبث حتى امتهن الخطابة ، وصار اشهر خطباء المناير الحسينية على غير قصد سابق . واجتمعت المقدرة والجرأة واللسان الذرب فيه فأخرجت منه شخصا قليل النظير يهابه الجميع ، ويخافه الزعماء ، ولقد بلغ من مقدرته ان التزم قراءة المأتم الحسيني لجمعية (المكاريين) الذين يؤجرون حميرهم وبغالهم للمسافرين بين النجف والمدن المتصلة بها ، فقرأ لهم عشرة أيام بل الاصح انه حاضر لهم عشرة ايام لان خطب السيد صالح كلها اشبه بالمحاضرات منها باى شئ اخر فلم يخرج خلال هذه الايام العشرة عن حديث الحمير ، والبغال ، والقوافل ، واخبارها القديمة ، والحديثة ، وقصصها ، فكان الناس بمختلف طبقاتهم يعافون اشغالهم ويحضرون تلك المحاضرات التي ظلت مدة طويلة موضوع احاديث الناس وتفكهمهم ومثار اعجابهم وغبطتهم له على هذه الموهبة .

ومن ميزات السيد صالح انه كان سريع الحفظ ، وكانت بينه وبين الشيخ كاظم السبتي - وهو من مشاهير الخطباء المعاصرين - غضاضة ، فلم يكذب يسمع الشيخ كاظم يقرأ لنفسه قصيدة في رثاء الحسين على المنبر حتى يحفظ الكثير من

اياتها لأول مرة وهناك يصعد المنبر في نفس اليوم ، او اليوم الاخر ، ويقرأ شيئاً مما كان حفظ من قصيدة الشيخ كاظم السبتي ولربما اضاف اليها اياتا اخرى منه ثم يروح منددا بالسبتي قائلاً - ان هذه القصيدة قصيدة قديمة وهي لاحد الشعراء القدماء ، وذلك بدليل حفظي لها من ايام الصغر ولكن بعض المعاصرين - وهو يعنى السبتي - يستغلون جهل الناس فينسبون لها لانفسهم ...

هذا السيد صالح كان رجلاً شعيياً ، وكان كلامه يفعل في مستمعيه فعل السحر واكثر ، وكان يؤلف قوة جد كبيرة لمن يستطيع ان يستميله ، وقد وقف الى جانب الدستور (المشروطة) والانقلاب العثماني وقفة مشرفة ، كان لها قيمتها وشأنها في تهيئة النفوس لقبول الدستور ونشر الحرية .

ولقد بلغ من جرأته ان تحدى الكثير من كبار العلماء في عصره بشعره ، وكنائياته وامثاله فلقد قال عن السيد كاظم اليزدى :

فوالله ما ادرى غدا في جهنم (أيزديها) أشقى الورى او يزيدها

وقال عن الشيخ كاظم الخراساني (الاخوند) وقد كان السيد صالح من مؤيديه ولكنها التشنشنة التي عرف بها هي التي تحمله على ان يقول في الذين يؤيدهم او ان الذين يخاصمهم على السواء :

وفتاة تقول وهي تصب الماء قلدت (كاظما) قلت (صبي)

ويقصد بالصبي هنا (الصابئي) في اللغة الدارجة ، ثم هنالك تورية اخرى غير صب الماء وغير الصابئي وهي ان (كاظم صبي) وقد كان رجلاً من زعماء اهل السلاح في النجف ، وليس له بالعلم واندين شأن ... وقال البعض ان هذا البيت قد قاله في السيد كاظم اليزدى وليس في الملا كاظم الخراساني الاخوند - وقال الآخرون بل ان هذا الشعر ليس للسيد صالح وانما المنشد له كان السيد صالح .

وكان السيد صالح من مؤيدي الحاج ميرزا حسين الخليلي ، وقد جاء وهو جالس يتقبل تهنئي القادمين بمناسبة زواج ولديه ورجا منه ان يكتب له كتاباً في حاجة عسيرة شق عليه انجازها وطلب من (الشيخ) ان ينجز له الكتاب حالا ففعل ،

وحين ختم الشيخ الكتاب كما طلب السيد صالح ، قال السيد صالح للشيخ الخليلي
 لقد اعددت لهذا اليوم قصيدتين احدهما تتضمن تهنتي ، والثانية تتضمن هجائي ••
 وقلت اني سأقرأ قصيدة التهئة اذا انجز (الشيخ) مهمتي ، وسأقرأ الهجاء اذا امتنع
 الشيخ ان يقضى حاجتي •• وهنا قبض الشيخ على الكتاب ، وقال للسيد صالح - اذا
 كنت تريد انجاز مهمتك بهذا الكتاب الذي استكبتيه فلن تحصل عليه مالم ترق
 المنبر ، وتقرأ الهجاء الذي اعدته •• فاتوى السيد صالح وتمانع ولكن الشيخ
 أصر ، وأنس السيد صالح في الشيخ رغبة لسماع هجائه ، فاطاع ومع ذلك فلم يكن
 بهم السيد صالح ان يكون الشيخ راغبا او لا يكون ، كما لا يهمه اذا اقضى مزاجه
 ان يقول كل شيء في احد سواء كانوا ممن يدين لهم بالولاء او من صنف آخر •
 وصعد السيد صالح المنبر وهو يضحك ، وقرأ قصيدة هجاء فاحرة استطابها
 الشيخ ، واستعادها له مرات ومرات وهذا مطلعها :

الله آل النبي حقهم ما بين آل (الخليل) مقسم

لقد كان الجميع يخشون السيد صالح ، ويخشون صولته ، وانا اعتقد ان عمنا
 الحاج ميرزا (حسين الخليلي) لم يحمل السيد صالح على قراءة هجائه وارغامه على
 صعود المنبر بناء على عدم اكرائه به وعدم خوفه منه ، وانما لان طلب الشيخ ان
 يسمع هجاءه من السيد صالح يعتبر ضربا من ضروب التوقي من نشر السيد صالح
 هذا الهجاء ولونا من الوان مجازاة السيد صالح فضلا عن ان الحاج ميرزا حسين كان
 له طبع ادبي كثيرا ما دعاه ان يتحرى النكته ويأنس بها والا فاني لا اجرده من
 الخوف من السيد صالح بعد ان خافه الجميع وتوقوه وحاذروا منه وحاولوا ان
 يضموه الى جانبهم ليكسبوا به تحقيق اهدافهم ، او يأمنوا على الأقل من شره •••
 الا السيد ابا الحسن هذا الرجل الذي لم يهتم بالسيد صالح ، ولم يكثر بما لفق ،
 واشاع ، وعمل ، فلم يخف السيد ابو الحسن على مركزه الديني الذي كان ينافسه
 عليه انداد لهم شأنهم في الزعامة الدينية كالميرزا حسين النائيني ، والشيخ احمد
 كاشف الغطاء ، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، بل ابدي السيد ابو
 الحسن من الجرأة ما حملته على تحريم الاستماع الى قراءة السيد صالح ••!!

واندفع السيد صالح بكل قوته الى محاولة تحطيم شوكة السيد ابي الحسن بما كان يلقيه من خطب رناته ، ولكن القنوى بتفسيره ، وتحريم قراءته بدأت تعمل اكثر من سحر السيد صالح في نفوس مستمعيه ، وقد كثر الحديث في جميع الاوساط والمدن ذات العلاقة بقضية التحريم حتى لقد ارخ الشيخ على بازي هذا التحريم بالبيت التالي :

ابو حسن أفنى بتفسير صالح قراءته ارختها (غير سالحة)
وجاء وجوه الحلة وأكبرها بالسيد صالح مسترضين السيد ابا الحسن وملقين
به على قدميه ولكن السيد ابا الحسن لم يلبس ، ولم يغير رأيه فيه ، قائلا ان السيد صالح
كحرف (أى) التى قيل عنها (اى كذا خلقت) •

وعلم السيد ابو الحسن الكثير من العلماء درسا لم يعرفه الا اقليل منهم وهو ان مجازاة العوام الى منتهى حدود المجازاة على حساب المصالح الخاصة يجب ان يتجنبها المجتهد ، والزعيم الدينى ، وان كان فى ذلك خسران لزعامته ، وفقدان لمركزه ، لان السيد ابا الحسن حينما قام بتحريم الاستماع الى قراءة السيد صالح الحلى لم يتأكد من نجاحه فبال ما يملك السيد صالح من رصيد شعبى ، ومقدرة سحرية طالما ضمنت له التصرف بقول الناس تصرفا عجيبا ••• ومع كل هذا فقد اخذ على السيد ابي الحسن فقدان الجرأة وانصدع بما يعرف فى كثير من المواطن الاخرى •
وذبح ابن السيد ابي الحسن المدعو (بالسيد حسن) والذي كان زميلى فى المدرسة العلوية ، لقد ذبح وهو ساجد يصلى خلف أبيه فى احد صفوف الصلاة المتراصة ، كما تذبح الثعاج وذلك على يد احد طلاب العلم الذى ثبت جنونه بعد ذلك ، فما تحرك الاب من مكانه ••!
وما علق على ذبح ابنه بشئ غير حوقلة ما سمعها احد منه اكثر من مرة واحدة ••!! وفى اليوم الثانى مشى السيد ابو الحسن مع الماشين خلف جنازة ابنه الذبيح ، وبعد اداء الصلوة قصد بيت (الاخوند) حيث قضى بضع ساعات هناك لم يره احد جازعا ، ولا باكيا ، ولا متجهما ، وكان لصبه ، وحلمه ، كما كان لجرأته ، وقوة ارادته ، الشأن العظيم عند متبعي حر كاته وسكاته •

و كنت يومذاك اصدر جريدة (الفجر الصادق) فى النجف ، فحملتى حقوق الزمالة ، والصدقة للشهيد المرحوم (السيد حسن) وحملتى حقوق الجوار ، وما وقع من ظلم على هذا الشهيد ، ثم اعجابى بالسيد ابى الحسن ، كل ذلك قد دفعنى الى ان اعنى بقضية هذا الشهيد ، عناية فائقة ، واصدر ملحقا خاصا من الجريدة بمقتله ، واسباب هذا القتل ، ثم رحت اتبع محاكمة المجرم واولى اخبار النوفود ، ومواكب العزاء التى كانت تقدم النجف بهذه المناسبة من جميع المدن ، لقد كنت اولى ذلك اهتماما فائقا ، فكان ذلك اول حجر اضعه فى بناء صلاتى الخاصة بالسيد ابى الحسن ، فقد رأيت ذات يوم فى الطريق ، وحين اقبلت عليه مسلما تتم بضع كلمات فهمت منها انه يسأل عن احوالى ، ولم يكن يفعل ذلك من قبل . . .

وفى مجلس الفاتحة التى اقيمت بمناسبة وفاة والدى حضر (السيد) الفاتحة ثلاثة ايام متوالية ، وخصنى بعناية منه فى عبارات التعزية ، والدعاء لى بالخير ، وهو مالم يعمل للغير الا نادرا لكثرة اعماله ، ومشاكله ، ولمست محبته بجميع شعورى واحساسى ، ولا اعرف لتلك المحبة سببا غير ترفعى عن اى طمع فى جاهه ، وشهرته ، وماله ، ولم يكن ترفعى بداعى الاستكاف وما شابه ، وانما كان بداعى الحقيقة التى حببت لى هذا الرجل وانا صغير لم يزد عمرى على عشر سنوات ، واستطيع ان اقول ، ويدعم قولى المطلعون اننى كنت من اولئك القلائل - وهم معروفون - الذين نالوا شرف الاتصال بالسيد ابى الحسن على اساس الولاء والاخلاص ، بدون ان تشوب ولاهم واخلاصهم أية شائبة مادية او مصلحة خاصة ، والفيت نفسى اقرب اليه يوما بعد يوم ، كما الفيت نفسى واسع الجاه عنده فلم ابخل بجاهى على بعض المعوزين ممن يلتمسنى فى قضاء حاجته عنده ، واذكر مرة جاءنى فيها صديقى الشيخ (محمد رضا ذهب) يلتمسنى ان اكلم السيد ابا الحسن بمنح الشيخ عمران اندجلى (وكالة) تخوله ان يكون عالما لناحية (الحمزة) فرفضت ذلك لانى لم اجد من المناسب التكلم فى قضية تتعلق بالدين ، ذلك لان واحدا مثل لايسوغ له الادب والعرف ان يتدخل فى امر لايعنيه ، ولا يعرف مقتضياته ، خصوصا مع رجل كالسيد ابى الحسن ،

وفي امر يتعلق بوكالة الشيخ عمران ولكن الشيخ محمد رضا ذهب اصر واصر
وقال انه لا بد وان يكلمه واحد مثلى . . . وما زال بي حتى أفغنى بوجوب مواجهة
السيد والتحدث معه في هذا الامر ! . . .

وجئت الى (السيد) عصر ذلك اليوم ، وانا اكاد اذوب خجلا لارغام نفسى على
التدخل فى شؤونه الخاصة ، وقلت له اننى لا اريد ان ازج بنفسى فيما لا يعينى حينما
اطلب من سيدى منح الشيخ عمران الدجيلى وكالة يستند اليها فى ادارة شؤونه
بناحية الحمزة ، وانما ارجو ذلك اذا لم يكن فيه بأس شرعى او مشكلة اجتماعية
- قال - كيف تريد منى ان ابعثه وكيلا لجماعة فد لا يعتبرون الاصيل ، وهو انا ،
ولا يرجعون اليه فى تقليدهم ؟ قلت - اذا كان هذا هو السب وحده فانى واجد له حلا ،
وهو ان يكتب سيدى الكريم لشيخ عمران وكالة مطلقة ، لا يشير فيها الى ناحية
الحمزة ، فان نجح الشيخ فى (الحمزة) كان هو المطلوب ، والا فكأنه لم يوفد لهذه
القضية مادامت وكالته التى يحملها وكالة عامة وليس هنالك من يؤاخذ (السيد)
عليها ، اذ ليس من بأس اذا لم ينجح فى تمثيله الدينى هناك . . . فتأمل (السيد) قليلا .
ثم تناول القلم وكتب الوكالة المطلوبة ، ولم يكن هذا دليلا على ايثاره اياى كما كان
دليلا على سلامة ذوقه ، وتمسكه بالمنطق ، ولو كان آخر غيره لرفض كل حل
يأتى به واحد من امثالى ، وعن طريق غير طريق المعممين فى شأن دينى مثل هذا
ندى واحد من امثاله .

وكثرت زيارتى له فى مناسبات العيد ، والوعكة ، والعودة من زيارة العتبات ،
فكنت ارى من لدنه عطايا خاصا ، واهدى الى ذات يوم وانا عنده علبة من الكز
(من السماء) بدون أية مناسبة فاخذتها شاكرا .

لقد كان يتبع جريدة (الهاتف) ويقرأها دائما ويقرأ ما يخصه مما ينشر فى
بعض المناسبات ، فلا يشير الى ذلك بشئ ، كانه لم يكن قد رأى او قرأ ، وكان ذلك
مما يزيد عظمته فى عينى ، ويزيدنى اخلاصا له وعقيدة بكبر
نفسه ، ولقد علم ذات مرة بانى قد نشرت برقية جاءته من جلاله

شاه ايران ، وكان لنشرها اهمية عامة يومذاك ، ولا ادري لاي سبب لم يرد هو
نشرها ، وكانت الجريدة لم توزع بعد ، ولم تحمل الى البريد ، فجاءني صهره
السيد مرزوه حسن البجنوردي ، وابنه الحاج اغا حسين ، وطلبا الى اتخاذ كل تدبير
للجبلولة دون نشر هذه البرقية لان (السيد) قد علم بخبر نشر البرقية بطريقة ما
قبل توزيع الجريدة ، ولا ادري كيف علم ؟ وقد رأى من المصلحة اني قدراها هو ،
وجوب حذف البرقية قبل انتشار جريدة الهاتف وتوزيعها ، وكان الحل اما ان
يكون بتأخير العدد عن الصدور في ميعاده من الغد ، او قص الخبر من الجريدة ،
واخيرا فضلت الحل الاخير ، وكثر حول هذا القص السؤال والجواب من لدن جميع
الجهات ، وعلى الاخص الجهات الرسمية ، ومنه يتضح للقارىء اهتمام السيد ابي
الحسن بما كان ينشر ، وان لم يتظاهر بذلك ، وقد رأيت يدخل مجلسا عقيب هذا
الحادث بيومين ، وكنت انا فيه ، وكان مجلسي بعيدا عنه فخصني بالفتاة ، وسأل عن
حالي ، فلم اسمعه بذلك لم التفت اليه واذا بعدة اشخاص يتبرعون بايصال صوته الى
مسمعي ، وتنبهى الى هذا اللطف ، وكان لطفه هذا بمثابة الرضا مني ، لقيامى بحذف
الخبر من الجريدة ، وكان اتفاقا معززا لي عند من رأى هذه الالتفاتة .

وعلى كثرة مشاغله فلست اذكر يوما صدني عن مقابلته او ارجأ ذلك الى وقت
آخر ، وكنت كلما دخلت عليه القيت رزمة من الكتب المرسله من مختلف الجهات
كان يطالعها بنفسه ، ويجيب عليها بنفسه ، ولقد قلت له ذات مرة نم لم يعهد بهذه
الكتب الى معتمد يقرأها له ويعرض عليه مضمونها ليربح نفسه بعض الراحة ؟
فاجاب انه تعود هذا العمل ولا يرى فيه اى بأس . . . وانا اعتقد انه كان قليل
الاعتماد على الحاشية وقليل النوف منهم ، ولكنه لم يشأ ان يقول لي ذلك .
وعلى كثرة السؤال وارباب الحاجة على بابه فلا اذكر انه رد احدا عن نيل
كرمه ، وعطائه ، الا نادرا فهو والمال عدوان لئودان لا يجتمعان وانه ليحسن اتفاق
المال في محله ، ويحسن العطاء في محله ، لحد قد لا يحسنه زعيم ديني آخر
ولقد عرف فيما عرف به ان امام الثورة الميرزا الشيرازي حينما عرف حاجته وعوزة بعث

له بمبلغ خمسمائة ليرة ذهبية ليشتري بها دارا له وذلك فى ايام حاجته وضنكه ، فلم يمد يده الى المبلغ بل اودعه لدى بعض الخبازين وبدأ يحوله خبزا للطلاب ، والفقراء المعوزين ، ولقد كلمنى صديقى السيد (مير على ابو طيخ) مرة بالسعى فى رفع ما علق بذهن السيد (ابى الحسن) عنه ، وطلب منى استحصال موافقة على تصرفه اى تصرف (السيد مير على) بنصف المبالغ التى تخص احد ارحامه بصفتها حقوقا شرعية اشترط ذلك القريب ان تعطى بيد السيد (ابى الحسن) نفسه ليتصرف بها كيف شاء وحين كلمت السيد ابا الحسن بشأن هذا المبلغ اجابنى اليه ، وقال انه سيعت به حوالة الى السيد (مير على) ليتسلمه من قريه فينفقه حيث شاء اما سوء التفاهم الذى اشار اليه السيد مير على والذى تطرقت انا اليه لازالته فلم يعلق عليه (السيد) بشئ . . . ولم يثبت ولم ينف ، وحين اعلمت السيد (مير على) استعجل وكتب هو الحوالة بنصف المبلغ المودع وارسلها الى (السيد) لتوقيعها فوقها (السيد) فعلا ، وبعد اسبوعين او اكثر ، وفى مناسبة من المناسبات التى حملتني على زيارة (السيد) قال لى (السيد) ما مضمونه : « ان صديقك ابا طيخ قد تعجل واستعجلنا فى الانجاز فقد كنت اريد ان احول له كل المبلغ لانه ان لم يستفد منا معنى ، فليستفد منا اسما على الاقل » وقد كان يعنى ان هذه الحقوق الشرعية التى احلناها له انما هى من مال اقربائه وليس من ماله اى مال السيد ابى الحسن .

* * *

قلت انه كان يعرف اين يضع احسانه ومعروفه وانى لاذكر يوم قامت الشرطة - بناء على طلب مديرية الدعاية العامة التى كانت تعاكس (الهاتف) يومها معاكسة مقصودة مخصوصة - بوضع يدها على ما كان لدى الهاتف من ورق بلوغها ان الهاتف كان يشتري ورقة من السوق السوداء وحين بلغ الامر مسامع السيد ابى الحسن امر بحمل الورق المعد لطبع رسالته العملية الى دار الهاتف لئلا يقف الهاتف عن الصدور فى مياعده ، وقد حمله لنا التاجر الحاج مهدى البهبهانى ونشر الهاتف الخبر فى حينه ، و اشار الى عطف السيد ، فقامت قيامة مديرية الدعاية والنشر

يومذاك ، اما (السيد) فقد ساء نشر الخبر ولا ادري على اى اعتبار ؟ ألانا نوهنا
بمعرفة ام لانا عرضنا بمن حاول ان ينكل بنا ؟ وكيفما كان فقد عرف وقت
احسانه الينا معرفة جيدة

وحين قدم له احد تجار ايران مبلغا من المال ليشتري البيت المجاور للمسجد
الهندي ويتخذ منه مقبرة يدفن بها عند مماته ، تسلم المبلغ وقال ما مضمونه (يا لله
من هذه السذاجة التى تدع الناس يفكرون فى الانسان بعد مماته ولا يفكرون به
فى حياته) وانفق المبلغ فى وجوه اخرى .

وزرته ذات يوم بصحبة صديقى السيد باقر السيد احمد الحسينى ، وكان
يصحبنا صديقان آخران وكان (السيد) حينذاك فى الكوفة ، وفى ضمن الاحاديث
التي دارت عنده ، التفت السيد باقر اليه وقال :

- اظن يا سيدى انه اصبح من حقى ازاء اخلاصى ، وولائى ، وتفانى فى
حبك ان اطلب منك (فلسيا) واحدا او اى شىء نافع آخر لاتخذ منه رمز بركة لى
وتذكارا يذكرني بايمانى ، وتمسكى بولائك .

وحين اتم السيد باقر كلمته انفتحت الشخص الثانى واعقبه الشخص الثالث
وطلبا من السيد نفس العلب ، وبقيت انا حائرا أأطلب انا الاخر ما طلبوا ؟ وانا
اخشى احراجه بعد الذى رأيت من وجومه ؟ ام أسكت ؟ فقد يخالنى مستكفا عن
طلب مثل هذه البركة ؟ واخيرا وبعد دقائق معدودات قلت : وای الناس لايرجو
بركتك يا سيدى وانى لأمل ان لايقبل نصيبى من عطفك عن الاخرين ، وممرت اسابيع
نسيت فيها البركة واتبرك ، واذا بابنه الحاج اغا حسين يزورنى فى البيت ويضع
فى خنصرى خاتم درنيس ويقول :

ان والده قد انتزعه من اصبعه وبعث به اليك ولايزال الخاتل عندي ، وانا
محتفظ به كآمن ذخيرة من الذخائر الروحية ، وقد علمت انه اهدى الى السيد باقر
خاتما من العقيق هو الاخر قد انتزعه من اصبعه .

وحين ثقل كاهله بالعمل وضاق بالناس خصوصا فى اثناء خروجه الى الصلاة
الذى كان يستغرق وصوله من البيت الى الصحن الشريف نحو ساعة وأكثر على

قرب المسافة التي لاتتجاوز بضع دقائق للشيوخ والعجزة اتخذ الحمامة وسيلة للانتقال من بيته الى الصحن وكان يخف به ويمشى في ركابه عدد غفير من طلاب العلم ورجال الحاشية وفي ضمن اولئك بعض اصهاره واصهار اصهاره مثل الشيخ علي مردان الذي كثيرا ما كانت الحاشية والاصدقاء يتخذون منه موضوع دعاية قد تصل اخبارها بالسيد فيضحك لها .

وكانت حمامة السيد من اشهر ما يعرف تاريخ الحمير في النجف فقد كانت حمامة (حساوية) بيضاء جميلة تعرف وقت الصلاة ، وتعرف اين تقف في الطريق والسيد فوق ظهرها ، وتعرف حين وصولها الى باب الصحن اين هي من باب الصحن كأنها كانت تعلم بان احترام الطقوس الدينية لايجيز لها ان تخطو ولا خطوة اخرى من باب الصحن الشريف ، وقد ود الكثير وتمنى غير واحد لو كان سائسا لحمامة (السيد) ، ولربما رووا عنها صفات عجيبة مبالغه في قيمتها ، ولما ماتت هذه الحمامة اجتمع حولها الاطفال والنساء وبدأوا يسحبونها بالجبال الى خارج المدينة ، وكلما اجتازوا مسافة انضم اليهم ابناء محلات اخرى وكانوا يهزجون وفي ظليعة هذا الجمهور من الصبيان والنساء كان (عبايه) الفكه الذي انف هذا الموكب ، اما الاهزوجة فقد كانت :

وداعة الله يا جحش واليسه هاى هيه يو بعد تلفينه

ومن اشهر الحمير التي يعرفها تاريخ الحمير في النجف كانت حمامة الملا وحيدة ، وهي امرأة شاعرة عداة ومن العاقرة كانت تضطر لركوب الحمامة لكثرة مجالسها فاشتهرت حمامتها بالنظر لشهرة الملا وحيدة ، واشتهر مملوكها الزنجي وعرف بين اوساط الناس عن طريق هذه الحمامة التي كان يتعدها هذا العبد ويأخذ برسها كلما خرجت الملا وحيدة الى بيوت الغزاء ،

وكانت للميرزا جواد الطيب حمامة هي الاخرى كانت ذات شهرة في النجف وقد كان لها جحش طل حديث الناس زمنا طويلا وذلك ان بيت الميرزا جواد الطيب كان ملاصقا لبيت الزعيم الروحاني الشيخ حسن المايقاني فكثيرا ما

كان هذا الجحش يفلت من بيت صاحبه الطيب فيدخل بيت الشيخ الماقماني في
ثناء لقائه الدرس على طلابه ، وكثر هذا الانفلات فارسل الماقماني على الميرزا
جواد الطيب وقال له مازحا :

- ياسيدي الميرزا ، ويا جاري العزيز ، لم تترك النجل على غارب ابنتك (يعني
به النجش طبعاً) ليعيث فساداً ؟

فرد الطيب عليه مازحا - قال لقد سميت كثيرا ان اخرج منه طبيبا فأبى الا
ان يكون عالما روحانيا فما العمل ياسيدي ؟

قال الميرزا محمد الاردبيلي للسيد ابي الحسن والشيخ الاردبيلي من اطرف
العلماء - قال للسيد ابي الحسن لا اعهد عالما روحانيا وزعيما دينيا بلغ ما بلغت انت
من العظمة والجاه والجلال •

قال السيد - وكيف كان ذلك ؟

قال - لا اعهد ان زعيما روحانيا قد استطاع ان يجتاز بحماره باب الصحن
الشريف وانت تجتاز كل يوم بحمارك الصحن الشريف وتبلغ به الحرم المقدس •
قال السيد - واين هو هذا الحمار الذي تقول ؟

قال الاردبيلي - هذا هو الشيخ على مردان الذي لا يترك مصاحبته حتى وانت
في الحرم المقدس تزور •

وظلت هذه النكتة ترافق الشيخ على مردان زمنا طويلا لان السيد ابا الحسن
كان قد استذوقها وانس بها •

وفي السنوات العشر الاخيرة ثقل كاهله بالعمل اكثر واكثر وصار عليه ان يقابل
عددا كبيرا من الزائرين من ارباب الحاجات ، ويقرأ كثيرا من الكتب والاستفتاءات
التي كانت ترد من مختلف الاقطار وبمختلف اللغات ويجب عليها بخطه ، ولا
يسمح لاحد ان ينوب عنه في استعمال خاتمه كائنا من كان ، ولقد كان ختمه معه
الى آخر ساعة من حياته ، وكان طبيعيا ان يكل ، وطبيعيا ان يمرض ، ولو كانت
اعصابه من حديد ، ولقد كان بميسوره ان يرتاح لو كان يريد الراحة ، ولكنه اخذ

على نفسه ان يضرب الرقم القياسي للعمل ، فعمل الكثير مما لا طاقة لغيره ان يعمله وهو في مقتبل العمر ، فكيف وهو في آخر مراحل الحياة ... لقد زرته مرة وهو محموم وكان يعد نفسه للخروج والصلوة بالناس ، وقد كانت النجف تغص بالزائرين الايرانيين فاقترحت عليه ان يلزم الراحة في البيت حرصا على صحته فابى ، وقال انك قد لاتدرى .. لاتدرى ان عددا كبيرا من زائري العتبات المقدسة يحسب زيارته للعتبات ناقصة غير مقبولة عند الله اذا لم يستطع ان يرانى ويأتى بي فى صلاته ؟ وان ادخال السرور والايمان على قلوب امثال هؤلاء البسطاء السذج من الناس امر قد يكون فى مصاف العناية بالصحة ضرورة !!

وساءت صحته فى السنوات الاخيرة اذ ان مزاجا نشيخ مكدود ، مهدود ، يقتل ليله ونهاره بالعمل فلا يترك لنفسه فراغا ، امر لا يدعك تصدق انه يستطيع ان يبلغ الرابعة والثمانين ، وقد بلغ هذه السن وكان الى ما قبل شهر ، من وفاته يستطيع ان يؤدى عمله بنشاط غريب ، حتى ولو حم وانحرفت صحته .

لقد قلت له قبل شهر وهو فى الاعظمية ، وكنت قد قصدته عائدا له ، قلت له : اننى اراد فى صحة جيدة احسن مما كنت اراد من قبل ، وطالما كنت اقول له ذلك حين ازوره عائدا على أثر وعكة خفيفة ، او مرض شديد ، فهش ، ويش ، ويبدو انتعاشه جليا لعين الرائي ، لقد قلت له وانا اضحك ان السر فى تقدم صحتك مثل هذا التقدم منوط بقدمى انا الذى يعتبره بعض المتفائلين من اصدقائى قدوم خير ، فابتسم ، واثار الى السماء بعينه وبديه ، وحين هممت باقيام قال :

ارجو ان تزورنا كثيرا كلما تسنح لك الفرصة ، قلت اخشى ان يكون ذلك حبا (بخير قدمى) وليس حبا بى انا ؟

فضحك وقال (وهب ان الحب من اجل قدمك الميمون افليست قدمك منك؟) ولم يتح لى ان اراد بعد سفرى الى ايران ، وسفره هو الى سوريا ، ولم تقع عينى

بعد هذا الا على جنازته محمولة على اطراف الايدي ، فاذا بي استعرض الماضي
في دقائق معدودة بكل ذكرياته منذ الطفولة حتى اليوم ، تلك الذكريات الجميلة
التي مرت كالعلم ، او كالبرق الخاطف ، ولم يبق لي منها غير هذه الخطوط ،
والنقط ، وانا اترها هنا على صفحات الورق كعرض موجز لاحلى فترات العمر .

الشيخ محسن شرارة^(١)

كان عملي يحتم على الخروج في الصباح المبكر من كل يوم من بيتي في النجف وكان لا بد لي من المرور بالصحف الشريف ذاهبا او آيضا ، فكنت التقى في طريقي - اغلب الايام - رجلا نحيف الجسم ، خفيف المحية ، نظيف الملابس حسن الهندام ، على رأسه عمة بيضاء تدل لفتها على ذوق خص به بعض المعممين دون الاخرين ، وعلى ان هذا الرجل لا يزال في عنفوان شبابه ، فان حركاته المتزنة ونظراته المتركة في طريقه ، - وسلامه ، وكلامه مع من يلتقيهم في الطريق ممن يعرفونه - لتدل دلالة واضحة على ان الرجل وان كان لا يزال في مقبيل العمر فان له عقلا راجحا اكسبه وقارا هو اقرب الى وقار الشيوخ المجربين وعقولهم منه الى عقول الشباب والكهول ، واقسم اني احبته على غير معرفة ، بل اقسم ان كثيرا مثل لو اتفق لهم ان يروه - كما كنت اراه - في عرض الطريق ماشيا وهو يتابط كتابه لاجبوه كما احبته وان لم يعرفوه ، ثم لفت نظري بعد ذلك ان طريقه كان نفس طريقي الى بيتي ، ثم علمت فيما بعد انه جار لنا لا يبعد بيته عن بيتي اكثر من بضعة ابواب ، ومع كل ذلك فانا لم اعرف من هو بعد ؟ وكلما عرفت هو انه رجل تدل هيئته على الطيبة ، وعلى الاجتهاد في تحصيل العلوم العربية الدينية ، وانه على جانب من الاخلاق الحميدة التي يستطيع ان يستشفها كل احد من وراء هذه السيرة الساذجة النقية .

ولا ادري كم مر من الزمن ولكني اعلم انه لم يكن طويلا حينما اصدر المجتهد السيد محسن الامين رسالته التي جمع فيها فتاوى العلماء بتحريم ضرب الظهور بالسلاسل ، وشق الرؤوس بالسيف ، وغير ذلك مما يفعله البعض يوم

(١) الهاتف - العدد ٤٣٣ لسنة الثالثة عشرة من تشرين الاول ١٩٤٦ .

عاشوراء باسم الحزن على سيد الشهداء الامام الحسين (ع) تلك الرسالة التي داخل موضوعها كثير من الغايات الشخصية والاعراض والمنافع التي اثارها بعض الاشخاص وحملتهم على مقاومتها والهجوم على مؤلفها الامين ولم يكذب يمر على صدور هذه الرسالة اسبوع او اكثر وتنتقل من الشام - حيث تم طبعها - الى العراق حتى رافقها كثير من (الدعايات) ضدها ، ووجدت هذه (الدعايات) هوى في بعض النفوس فاشعلوها فتنة شعواء تناولت السيد محسن الامين المؤلف واتباعه بقساوة لا توصف من الهجاء ، والذم ، والشتم المقذع . وخاف الذين آمنوا بقدسية هذه الرسالة ، وصحة فتاوى العلماء لقد خافوا ان يعلنوا رأيهم في وجوب الذب عن موضوع هذه الرسالة والدفاع عن شخصية المؤلف ، وكادت الحقيقة تعلن للناس ان انصارها انما يكونون في يوم الرفاه والسعة . . . اما في يوم الضيق فمن العيب ان يبحث المرء عن انصار الحقيقة ، وعن اصحاب المبادئ الصحيحة خصوصا اذا كان مثل هذا اليوم الذي اصبح الرأي العام فيه ضد هذا المجتهد ، واصبح الناس - سواء اكانوا جاهلين او مغرضين او طائفين - سواء في رفض هذه المبادئ ، وسواء في هجومهم على المؤلف ، وعلى فتاوى بعض العلماء الذين انتصروا للسيد محسن وحرروا اسالة الدماء بالسيف ، ورض الصدور بالضرب عليها ، وادماء الظهور بالسلاسل ، باسم الحزن على الحسين (ع) اذ من ذا الذي كان يجرأ ان يخالف للناس رأيا ؟ ومن كان يستضع الظهور بظهر المخالف في ذلك اليوم ؟ ومع ذلك كله فقد منع في ذلك الوسط الصاحب المليء بالخوف من سطوة العوام اسم ما لبث ان توهج واضاء على رغام ما كانت تكتنفه من الغيوم السوداء ، وكان صاحب ذلك الاسم هو (الشيخ محسن شرارة) الذي لم يهتّم بثورة الثائرين ، ولم يعأ بحملة المغرضين وهياج الهاججين ، فكان اول من رفع عقيرته باستنكار هذه الحملة الشيعة واول من اندفع للذب عن تلك الاعراض التي تضمنتها رسالة السيد الامين بشجاعة منقطعة النفي وجرأة نادرة فتحت للخائفين كوة من الرجاء ما لبثت ان صارت بابا واسعا ، واذا بقوى المهاجمين تتجمع كلها فتمطر الشيخ (محسن شرارة) سبا وشتما وقذفا وثلبا ، واذا بالشيخ محسن شرارة (١) في غير هذا الموضوع من الكتاب اشارة اخرى الى هذه الحركة الاصلاحية .

يقابل كل هذه الهجمات بجرأة المؤمن العارف بما يترتب على المؤمنين من الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واذا بالناس كلهم في مجالسهم وانديتهم يرددون اسم الشيخ محسن بما تمليه قلوبهم ، وعقولهم ، وامزجتهم ، ولكن من هو هذا الشيخ محسن ؟ وما هي ماهيته ؟ انه رجل لم تقتصر شهرته على الاندية ، والمجالس وعلى السنة الخطباء بل تجاوزت ذلك الى الصحف التي نشرت له عدة مقالات صريحة التوقيع ، وعدة مقالات بتواقيع رمزية فاندفع الكثير من الادباء والكتاب الذين يعنيه امر الاصلاح الديني الى التنويه بذكر الشيخ محسن ، واندفاع عن آرائه ، ومع ذلك كله فقد ظل الكثير لا يزال يسمع باسم الشيخ محسن شرارة ، ولا يعرفه ، بل اصبح كثير من الناس يودون التعرف به ولا يجدون الى ذلك سبيلا ، اما الشيء الوحيد الذي كان معروفا عنه هنا وفي سوريا ، ولبنان ، فهو بيته واسرته انه من بيت شرارة وبيت شرارة من اعرق البيوت المعروفة كان لها في العراق موطن ، وفي لبنان موطن ، ولا يزال احد شوارع النجف يحمل اسم هذه الاسرة ، باسم (عقد بيت شرارة) وقد انجب هذا البيت كثيرا من العلماء وكثيرا من الادباء ، وعددا غير قليل من فحول الشعراء وكان جد الشيخ محسن هو الشيخ موسى شرارة كان مضرب المثل من حيث فقهه وعلمه وأدبه ومواقفه الاصلاحية ، وقد مات وهو ابن سبع وثلاثين سنة!! وقلما سمع بعالم يجمع بين هذه المواهب وهو بهذه السن الصغيرة!!

واصدرت انا جريدة (الفجر الصادق) ، ونشرت للشيخ محسن شرارة بعض المواضيع ، وانا لا ازال من الذين يعرفون الشيخ محسن بالاسم ، ولا يعرفونه بالصورة ، او قل انني كنت من المتعطفين لرؤية هذا الرجل الذي يفيض لسانه وقلمه بالايمان والاصلاح ولكني لم ادر كيف لم يتم هذا ؟ وبعد فترة لعلها كانت قصيرة علمت - وكم كانت دهشتي عظيمة - ان الذي كنت كثيرا ما اراه في غدوى الى العمل من صباح كل يوم انما كان هو الشيخ محسن شرارة وان رؤيته كانت ايسر لي مما كانت لغيري وتم الاتصال به ، وسرني كثيرا ان ارى فيه مثلا من تلك الامثلة الضائعة ، وصورة من صور الفضيلة المفقودة ، وعنوانا

للجد والثقاني في تحصيل العلم والعرفان ، وقد كان الى جانب درسه للفقاه والاصول والحكمة منهمكا في دراسة اللغة الانكليزية والرياضيات ، فكان لا يترك فرصة تمر دون ان يستفيد من صداقة الاطباء واساتذة المدرسة الثانوية الرسمية في النجف ليجتمع بهم في خفية من العيون لدرس الادب الانجليزي وبعض العلوم الاخرى وكان لاسكندر حريق والدكتور انيس العالمي الفضل الاكبر في تدريس الشيخ محسن شيئا من العلوم الحديثة الى جانب العلوم الدينية ، ومرة اخرى لاكت بعض الاسن اسم الشيخ محسن بالسؤال لاقباله على تحصيل هذه العلوم . . . !! وكان ذلك سببا من اسباب انكماش الشيخ محسن بعض الانكماش ، والتلكؤ عن متابعة الدروس الحديثة خوفا من احداث موجة اخرى من هياج وثورة كان ينبغي ان يكون في غنى عنها وهو شيخ روحاني وطالب علم .

وتلمسنا في الشيخ محسن عالما دينيا ومصلحا اجتماعيا وتوسمنا له مستقبلا باهرا في ميدان الاعمال وكان ان تجمع حوله جمع من ارباب الشعور والطلاب الذين ينزعون الى فصل القشور عن اللباب ، والذين يسعون لمحاربة الرياء والجمود بما يستطيعون وكان الشيخ محسن على رغم مجاراته للرأي العام لا يجبن ان يجابه الرأي العام حينما لا يجد بدا من مجابته وتحديه وكان يعرف الساعة التي يجب فيها على المرء ان يقف في وجه التيار فيقف حينذاك غير عابث ولا مكترث . . .

وتعددت زيارته لي وزياراتي له ، ومن طريق هذه الزيارات المتواصلة تعرفت بكثير من (العاملين) بل ان الشيخ محسن هو الذي حجب لي التعرف بهؤلاء حتى لقد اصبحت صديقا حميما لاكثرهم ، بل اصبحت اعتر بسبب الشيخ محسن بصداقة كل مهاجر من جبل عامل الى النجف ، وصار لي منهم اصدقاء كثيرون ، ولم اكن انا الوحيد الذي دنا من العاملين هذا الدنو واقترب منهم هذا الاقتراب بل ان كل من عرف الشيخ محسن صار من اصدقاء العاملين ، ومحبيهم ، وامترج بي رهط من ادبائهم امتزاجا قويا الى ان اصبحت احس باحساسهم ، واشعر بالآلامهم ، وربما شاركهم في نغظهم ومقارضتهم الشعر ، وقتل الفراغ باستعراض نكاتهم الادبية وطالما احينا ليالي طوالا في مسجد الكوفة ، واخرى مثلها في مسجد

(السهلة) وعلى ضفاف نهر الفرات ، فكانت من احسن الاوقات ، وكان الذي يزيدنا حسنا في عيوننا ولذة في اذهاننا ، هو الشيخ محسن بما كان يضيء عليها من الجمال الادبي ، وروعة الايمان ، وحسن التقدير بل كان هو المحور بين تلك الجماعات لكل حديث علمي ، ولكل مساجلة ادبية ، وهو مع غيرنا من مشايخ الحديث وطلاب الاصول والفقه والحكمة كما هو معنا شرارة ملتبهة ، وذلك مقتد وقد درس على الامام السيد ابي الحسن الاصفهاني وعلى الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، وعلى الامامين السيد اغا جمال والميرزا حسين الثاني .

وحيثما دعت مدينته (نت جييل) ليشغل فيها مقام العالم الروحاني ابي الاجابة على هذه الدعوة ابا شديدا ، فكررت عليه بنت جييل الطلب بعد زمن وألحت وما زالت به حتى اضطر الى الرحيل من النجف اليها وحينما هم بالسفر كان اول عالم اعتمد على كفايته العلمية والاجتماعية ، دون ان يراجع المراجع الروحانية العليا لاخذ الشهادة والتزكية والتعريف به كما جرت العادة عند البعض واني لاذكر ان السيد (ابا الحسن) قد بعث بالشهادة (العالمية) اليه الى بيته بمجرد سماعه بازمامه على السفر وكانت شهادة علمية وافية تناقلنا موضوعها ليلة سفره التي كان مدعوا فيها عندي ، اما (الميرزا الثاني) فقد ارسل بشهادته له فلم يدركه رسوله الا وهو راكب في السيارة كما ان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قد ارسل له بشهادة اجتهاد مفصلة الى لبنان . والشيخ محسن اول عالم يقدر له العلماء مكانته فيبعثون له بالشهادات العلمية بدون طلب منه وينزلونه من انفسهم المنزلة التي يستحقها .

ويشعر المرء وهو يتحدث اليه بما تفيض به نفسه من العزة والكرامة والشخصية التي تفرض عليك احترامها واجلالها وان لم يكن لك به سابق معرفة ، وقد دخل مرة مكتبة مكتزى في بغداد ، وراح يقرب الكتب الانكليزية حتم تم له ان يختار منها العدد المطلوب ، واذ سوى الحساب وجد انه لايملك من النقود المبلغ الكافي لتلك الكتب المختارة فطلب من المستر مكتزى ان يحتجز له تلك

الكتب فى جانب من المكتبة ريشا يبعث له بائمانها من النجف ، ولكن مكنزى أبى
ان يفعل ذلك وقال له : بل ان الكتب سترزم وستصحبه الى نزله ثم ليكن بعد
ذلك ارسال قيمتها فى اى وقت تيسر •

يقول الشيخ محسن - وقلت له : ولكنك لم تعرفنى ولم تعرف هويتى والمبلغ
هذا كبير •••••

فقال مكنزى - ولكن الوجه وانصورة تكفى للتعريف ••

ولقد ذكرتى هذه الحكاية بحكاية جرت مع السيد هاكوب صاحب معمل
زنكوغراف بنداقد اعتمد مرة على (الجهامة والعمامة) كما يقولون وسلف
معما مبلغا من المال وآل الامر بعد ذلك الى الشكوى فى المحاكم لتمرد ذلك المعمم
وتهربه ، فسأته الحاكم وكيف رضيت ان تسلف شخصا لم تعرفه ؟

قال - لانى وجدته معما فحسبته من رجال الدين •

قال الحاكم - ألم تدر ان ليس كل معمم روحانيا •

قال هاكوب بلغته العامية - " بعدين كالولياها ، اى بعد ذلك قد فهمت ان ليس

كل معمم روحانيا •

ولكن الشيخ محسن شرارة لاتفرض عليك عمامته الاحترام ، ولا يغذيك
هندامه الروحاني بهذه الثقة ، وانما للغة ، وطريقة كلامه ، ما يجعلك وانما انك
امام شخص محترم جليل •

وعاقه المرض فى (بنت جليل) من متابعة رسالته الاصلاحية فدخل (مصح
بحسن) للسلسل زما ثم خرج ولم يطق ان يتبع نصائح الاطباء فى تجنب العمل
والخلود الى الراحة ، اذ راح ينفق جهوده فى الدعوة الى توحيد الكلمة ، والوقوف
فى وجه الفرنسيين ومطالبتهم بحقوق تلك المنطقة المحرومة من العمران والثقافة
والحرية وله وحده كما لابائه من قبل كان فضل هذه اليقظة الفكرية والوطنية
والنهضة الاجتماعية فى بنت جليل •

وزرت بنت جليل مع الصديق محمد جعفر الشيبى ، وأخيه محمد حسين

الشيبي ملبين دعوة الشيخ محسن شرارة في صيف سنة ١٩٣٦ وقد رأينا العجب مما كان يسود بنت جليل من حماس وطني ، وحرارة ايمان ، وتحفز ووثبة لم يقتصر امرهما على شباب بنت جليل وانما كان فيها الشيخ ، والمرأة ، والطفل على حد سواء ، وكان مبعث تلك الوقدة المتوهجة هو الشيخ محسن شرارة الذي استطاع ان يقضي على كل اختلاف في البلد ويوحد منها الكلمة ويوجهها توجيهها مفيدا •

ودخلنا بنت جليل بعيد هرب السيارة التي كانت تقل الامام السيد عبدالحسين شرف الدين والشيخ عبدالله السبيتي ، وقد قيل انهما كانا قد جاءا من (صور) لتلطيف الجو الصاحب في بنت جليل ، ذلك انجو الذي كان قد استمد شرارته الوطنية من الشيخ محسن شرارة ، واستمد حرارته من روحه الوثابة المستعرة ، وقد هوجمت سيارة الامام شرف الدين بانحجارة ، وقيل ان بعض المهاجمين من الشباب قد تجرأ على الشيخ عبدالله السبيتي واختطف عمامته ومزقها مما ادى الى رجوع السيارة من حيث اتت ، وقد دخلنا بنت جليل وهي تموج بالغضب ، وتعج بالصخب ، وكانت قبل الشيخ محسن تشكو الركوند الذي يقارب الخمول ، ومن يدريني فقد يكون حس الانتقام للشيخ محسن شرارة قد مازج حماس البلدة الوطني وضاعف من هياجها في هذا المكان لان الشيخ محسن كان قد لقي في التجف من اتباع الامام شرف الدين الشيء الكثير من الاذى بسبب مخالفته في قضية (التطير) وشج الرؤوس بالسيف ، لان الشيخ محسن شرارة كان في مقدمة انصار الامام السيد محسن الامين الذي حارب (التطير) كما مرت الاشارة الى ذلك ، وكيفما كان فقد وجدنا بنت جليل يومها في اتون مشتعل من الحماس الوطني في وجه السلطة الفرنسية •

وهناك جلس الصديق جعفر الشبيبي وراء (سماور) كبير من البرنز اللماع في بيت الشيخ محسن وراح يصب لنا الشاي في فناجين عراقية كنا قد فارقناها منذ خروجنا من العراق وقد اشتقنا اليها اي اشتياق ، وكان مجلسا شعريا روماتيكيًا مليًا بالدعابة والنكت مما يحجم عن ارتياده العلماء الرحانيون في بيوت الناس

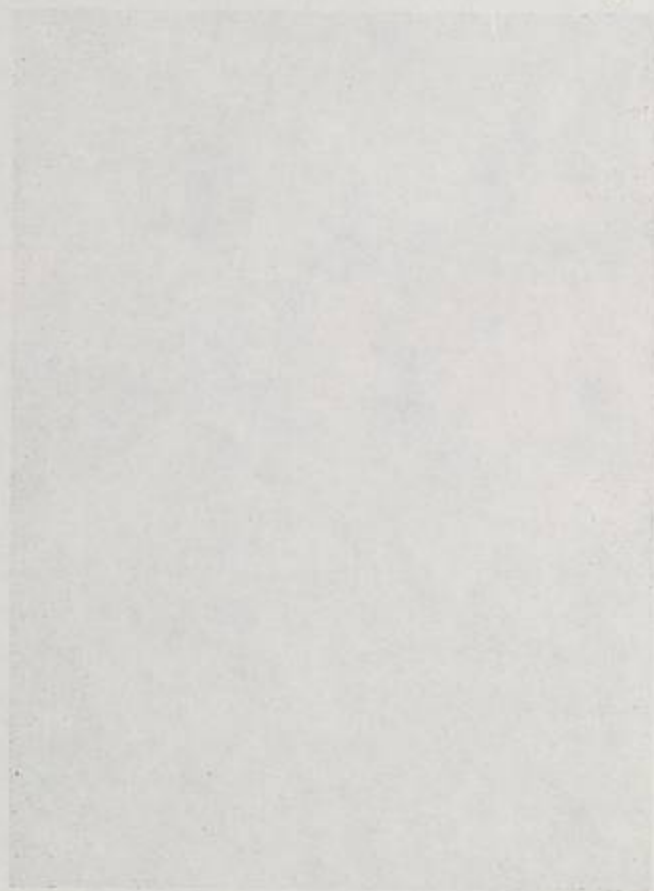
فكيف اذا أقاموه فى بيوتهم وحضوا عليه الناس ودعوهم الى المسامرة والنكت ، ان ذلك كان يخفف من وزن الروحانيين عند السواد ولكن الشيخ محسن كان لا يخاف هذا السواد ولا يخشى منه لانه كان يشعر بغنى نفسه وبقيمته حق الشعور .
وكان شديد الاتصال بى وبجريدة الهاتف ولكنه انقطع بعد ذلك عن المراسلة ، وطالت مدة الانقطاع فلم اتلق منه خيرا وحتى لم يكن له بين الذين عزونى بابنى الوحيد (هاتف) اثر من رسالة او برقية .

وفى سنة ١٩٤٣ تلقيت منه رسالة وافية ، ضافية هى آية من آيات الادب ، واثر من آثار السحر ، وقد بسط فيها حاله ، وشرح لى ما يحيط به من ضيق روحى وما يشعر به من شقاء وان الامور لتجرى على غير مجراها من حيث توجيه الناس ومصالحهم العامة وقال انه فوق ذلك كله يشكو من اعتلال صحته التى لاتساعد باى وجه من الوجوه على النهوض بالناس ودفعهم الى تغيير اتجاههم ، وقد ملأ رسالته هذه بما عرف عنه من الموهبة الادبية اعتذارا منى على الانقطاع وقد اجبته على رسالته تلك فى وقتها ولم اعرف بعد ذلك الا انه نزيل مستشفى (الجامعة الامريكية) بيروت ، وقد اجرؤا له عملية ، ولم يهتدوا الى علته ، وفى الوقت الذى كنت احاول الكتابة له مستفسرا عن حاله تلقيت من اخيه الشيخ موسى شرارة خبر نعيه .

لم تخسر بنت جليل الشيخ محسن شرارة وحدها وانما خسره الفضل والخلق والايمان الصحيح فقد كان قدوة سالحة للاعمال الانسانية ، وعنوانا بارزا من عناوين التضحية فى سبيل اسعاد الامة ، وكان بعد ذلك شاعرا يثمن لانة المفجوعين ، ويبكى لبكاء المظلومين وقد عجل عليه الموت كما عجل على جده من قبل فتوفى وهو فى برودة الشباب وخلف فى نفسى لوعة لاتسى .



الحامى عبدالحسن القصاب



Faint, illegible text, possibly a signature or title, located below the watermark.

المحامي عبدالمحسن القصاب^(١)

في اواسط صيف ١٩٣٤ صدرت جريدة الراعي في النجف وقد جعلت هدفها التعبير عن اليقظة الفكرية في الفرات وراحت الجريدة تشير الى هذا الهدف في سطر كتب بالحرف البارز (ان الراعي لسان حال اليقظة الفكرية في النجف) ثم صارت الجريدة تسعى لتحقيق هذا المبدأ بكل ما وسعها من جهد لتجعل من صفحاتها واسطة للتقارب والتعارف بين المجددين من الادباء والمثقفين من ارباب الاراء السديدة في مختلف الشؤون ولم تلبث (الراعي) ان عرفت في جميع الاوساط الادبية بكونها الجريدة التي تعبر عن اليقظة الفكرية في العراق فكان ان انبرى للكتابة فيها جمع من اكابر الادباء وزعماء الادب منهم الشيخ محمد رضا الشيبسي ، والاختل الصغبر (شارة الخوري) ، وأحمد الصافي والشيخ علي الشرفي والسيد عباس شبر ، وابراهيم العريض وغيرهم .

ومن خيرة الكتاب والادباء الذين واصلوا نشر ابحاثهم وافكارهم بصورة مستمرة في هذه الجريدة كان عبدالمجيد محمود ، وكان اسكندر حريق ، وأمين الهلالي ، وموسى كاظم نورسي ، ونايف نصر ، وفرحان حمادة ، وذو النون ايوب ، وغيرهم حتى لقد صار في رغبة كثير من المتأدبين ان يكون لهم اسم بين هذه الاسماء او ان يكون لهم رأى ضمن هذه الاراء ، فكان (الراعي) يتلقى كل يوم رزمة كبيرة من الشعر والنثر المرسله بقصد النشر فلا يصفو منها بعد الغريبة الا القليل اقليل ، فقد كانت (السلة) تلتهم اغلبه وكان البعض من الطرافة بحيث صار للراعي رأى في ان يجمع من خلاصة تلك (السلة) الطريفه مادة ازمع على اخراجها في كتاب باسم (سلة المهملات) وقد باشر فعلا بعد حذف الاسماء بنشر امثال من مضامين تلك السلة فكان لها بعض الصدى في النفوس .

(١) الهاتف - السنة الثالثة عشرة - العدد ٤٥٥ - أيار ١٩٤٧ .

وكان من بين هذه الاسماء الكثيرة اسم - عبدالمحسن داود القصاب - انذى
كان يبعث الينا من الناصرية بمقالات والقصص شيئا بعد شيء ، وعلى رغم اننا
كنا نرمى بما يرسل الينا فى السلة بعد قرائته فقد كنا نعتز بان لصاحب هذه
الرسائل استعدادا ادبيا ان استطاع ان يعنى به ويوجهه توجيها جيدا جعل منه
هذا الاستعداد كتبا ربما صار مرموقا ، وشاعرا ربما صار مطبوعا فى المستقبل ،
وزاد يقينا هذا ببلوغه المرتبة التى نرجوها له ما وجدناه عليه من سعى متواصل فى
الكتابة دون ان يتسرب اليأس الى نفسه من جراء عدم نشر كتاباته ، واحسب ان
ذلك قد طال زمنا لا يقل عن سنة او بضعة شهور كان يكتب عبدالمحسن ويرسل
بما يكتب الينا ، وكنا نقرأه نحن ونرمى بما نقرأ فى بطن هذه (السلة) حتى رأيت
من الانصاف ان اكتب له كتابا اذكر له فيه رأى عن استعداده الادبى ونبأته الفطرية
واشير الى ما يجب ان تكون عليه مقالاته ، وما ينبغى ان يراعى فى ذلك ليحقق
لنفسه امكان استخدام تلك الموهبة باسرع وجه ومن اسهل الطرق وانى
لاذكر جيدا كيف اكدت عليه وجوب الاكثار من مطالعة الكتب ، وقراءة آثار
الادباء المصريين اثرية ، وآثار ادباء المهجر الشعرية قراءة متصلة مستديمة .

وبعد ايام قليلة وردتنى منه الرسالة الاولى (وكل رسائله محفوظة عندى)
يشكر فيها هذه العناية التى لاقاها من (الراعى) ويعد بانه سينهج نفس النهج
المذكور ، وكانت هذه الرسالة مبدأ للتعارف بيننا ، وقد اعقبتها رسائل اخرى لم
تقتصر على هذه الناحية بل شملت نواحي اخرى اكتشفت فيها ملكات جعلتنى وانقا
من انها لو اتيح لها يوما ان تظهر الى حيز الوجود نكان لها شأن ربما كان فيه
شيء مما يثير الاعجاب ، ومن هذه الرسائل عرفت ان هذا الفتى موظف فى
(مالية الناصرية) وانه فقير الحال ، وان فقره قد يحول بينه وبين اتمام دراسته ،
وانه يسمى الان لان يجتاز اندراسة الثانوية ويلتحق بكلية الحقوق اذا استطاع
ذلك ولكنه يريد ان يشبع رغبته الادبية فيكون كاتبا ويكون شاعرا ، وكانت اول
كلمة نشرها له (الراعى) قصة باسم (صريع الفقر) وهى قصة حياته بالذات واذا
اعوزها الفن ان تحكى قصة حياته برمتها وحقيقتها ، فلم يعوزها شيء لان تكون حكاية

جانب من نفسه وحكاية شيء من طموحه انذى قعد به الفقر فلم يدع له مجالاً لتحقيقه ، وظل عبدالمحسن يكتب ولكن الذى كان ينشر له كان لم يزل قليلاً ، غير ان هذا القليل كان يبشر بالخير ثم مات (الراعى) بكلمة واحدة قالت فيها الحكومة (سبم الراعى) فمات ، وخلفه (الهاتف) فاذا بعدالمحسن اوفر نشاطاً ، واكثر حيوية ، ثم كان من ادنى الادباء الى معرفة انفاية التى يرمى اليها الادب ، فقد بدأ ينضج نضجاً سريعاً يوماً بعد يوم وغدا يمارس الترجمة فيحسن اختيار القطع من الادب الانكليزى ويجيد ترجمتها كما صار ينظم بعض الشعر فى بعض المناسبات فيستلفت اليه النظر بعض الاستلفات ، ولم يمر على الهاتف ثلاث سنوات الا وكان عبدالمحسن فيمن يذكر من اعضاء اسرة الهاتف القلمية

وبدا الهاتف ينوء باسمه كاديب له من الملكات ما يعطيه عليها كثير من ادياء الشباب من اقرانه ، وتسنى له بعد ذلك ان يحقق رغبته فأكمل دراسة الثانوية ، وانتقل من الناصرية الى بغداد ودخل كلية الحقوق .

وما كان انتقل من بلد الى آخر قريب منه وان كان اوسع افقاً بل كأنه انتقل من عالم الى آخر ، ومن دنيا الى ثانية ، بل من مزاج الى مزاج ، فهو اذا كان يعنى فى الناصرية بالصور التى تحكى احساس الناس ، وافكارهم ، وما يحيط بهم من مشاكل وآلام فهو فى صحف بغداد لا يذكر من بيئته ومن محيطه وما كان يشعر به اى شيء مما كانت تطفح به مقالاته وهو فى الناصرية ، وانما صار فى بغداد اديباً من طراز آخر ، ومن نوع ثان ، قد تكون الشقة بينه وبين الذى يكتب فى الناصرية واسعة جداً جداً . انه يكتب اليوم الى الصحف اليومية كتابات ليس لقلبه فيها صلة ، انه يكتب كما تزيد هذه الصحف او بالاحرى كما تريد المصلحة الخاصة ان يكتب ، اما الذى ظل يربطه بالماضى وانذى ظل يمثل نزعاته الادبية واحاسيسه الصادقة فهو الذى ظل ينشره فى (الهاتف) او هو الذى كان يبدو على اسراريره فى بعض المناسبات مما ينبض به قلبه ولكن صورته الظاهرة فى الجرايد السياسية كانت تشغل فراغاً من الذهن اكبر من صورته الظاهرة فى (الهاتف) والماتلة امام العيون .

ومن هذا الطريق طريق الصحافة السياسية صار له على صالونات الوزراء والاعيان والاكابر دخول وخروج ، لابل صار له مكان معين ، ومن هذا الطريق تقرب القصاب الى كثير من الوجوه ورجال السياسة ، وبدأ كثير منهم يستميله لسياسته ، والسبب - كما قلنا انفا - هو ان لعبدالمحسن من الملكات ما كانت تجعله موضع اعجاب عند الكثير ، وقد ظهرت هذه الملكات ظهورا يلفت النظر فى ميدان الصحافة السياسية ، وما تقتضيه المناسبات الوقتية لهذا الوزير اليوم ، ولذاك غدا ، ولغيره بعد غد وقد اشار هو الى حياته هذه فى قصته التى عنوانها باسم (قصتى) ونشرها قبيل وفاته فى العدد القصصى من جريدة الهاتف ولكن هذه الدالة التى اصبحت لعبدالمحسن على هذا وذاك من رجال السياسة المتنفذين والتى فتحت له كوة من الحياة الرغيدة ، لم تسنه حقيقة الادب الكامنة فى نفسه التى تتطلب من الاديب ان يصدع بها ، وان يعطيها ما ينبغى من الرعاية والاهتمام وكلما فى الامر هو انها حالت بينه وبين اجابة رغبته وميوله النفسية زمنا فانقطع عن الكتابة للهاتف مدة خمس سنوات !!.....

نعم انه لم ينس حقيقة الادب - وان كان قد انقطع عن الكتابة للهاتف - ولقد كان ادبه هذا شاهدا كبيرا على قيمة الادب عنده يوم حصل بعض الالتباس عند البعض فى نسبه الى اسرة (آل القصاب) فاندفع عبدالمحسن يصحح هذا الالتباس على صفحات الجرايد ، ويشير فى صراحة تامة الى انه ليس له من العلاقة بال القصاب المعروفين ما يجيز لاحد ان ينسبه لهم ، وما كلمة (القصاب) الملتصقة به - كما قال عبدالمحسن - الا صفة لابه الذى كان (جزارا) فقيرا ، وأضاف الى ذلك معلنا يقول : « فضلا عن ذلك فليس لى اسرة كآل القصاب » وان مثل هذا الاعتراف الذى يجرى فى ظرف لم يدع اليه داع ، ولم يطلبه منه طالب ، لدليل كبير على ما تحمل تلك النفس من ادب ، ومعان تم عنها هذه المكاشفة ، وهذه الصراحة ، والشعور بلذة ارسال الحقيقة على سجيتها حتى وان كان ذكرها لا يخلو من احتقار له عند بعض الناس

خمس سنوات مرت على معرفتي بالقصاب وقد اشتدت اواصر هذه المعرفة فصارت اكثر من صداقة وانا لم أر عبدالمحسن ولم اعرفه بوجهه حتى جرى انتقاله الى بغداد ، واتفق في احدى روحاتي الى بغداد وانا اهم بالدخول الى السينما اذ اوقفتني شاب صبيح الوجه ، حلو السمائل ، جميل الصورة ، انيق الملبس وقدم لي نفسه قائلاً :

– انا عبدالمحسن القصاب •

قلت – ومن اين عرفتنى ؟

قال – من هذا – واثار الى رفيق في جانبه هو الاخر من أهل الناصرية وكانت له معرفة سابقة بي على ما قال ولكنى لم اذكرها – •

فقلت – انها فرصة ثمينة اذا تفضلتما فدخلتما السينما معي لئتم لي ان اتمتع بروائيتين في آن واحد •

قال – ولاجل السينما جئنا نحن ففوجئنا بهذه المفاجأة السارة •••

وهنا في السينما سألت عما لم يتم لي ان اسأل عنه في رسائلي او ممن يمت الى عبدالمحسن بصلة ، لقد سألته عن كل شيء فما وجدت شاباً أجراً منه على ذكر الحقيقة ، وما وجدت شاباً اكثر خضوعاً للحق منه ، وزادني في هذه المقابلة ايسانا بانه يحيا حياة مزدوجة في وجهين متناقضين ، حياة من أجل ان يعيش ، وكلها كذب ، وخداع ، وغش ، ومجاملة على ما وصفها هو نفسه لكي يعيش من وراء هذا عيشاً يكفل له ولاولاده الراحة النسبية •••!! ثم حياة كلها نكد ، وشقاء ، وغم ، وهم ، لانها عبارة عن افكار وتأملات قد تطفئ احياناً على نفسه وتفيض فيحكيها وجهه ، وعيناه ، حكاية اشبه ماتكون بحكاية الرموز التي هي ابلغ من الصراحة ، لذلك كان الذين يعرفونها ويهتدون الى معانيها ومفاهيمها ليسوا قليلين •

هنا ••• هنا ••• عرفت فيه شاباً اخر قد يكون احد عشرات الشبان الذين وهبهم الله شيئاً غير قليل من احساسيس مرهفة وادراك في فهم الحياة ، ومملكة كان يستطيع ان يوجه اليها الانظار ويقتعد بها مكانة قد تكون رفيعة من الادب لو لم تجرفه الحياة

المعوجة ، التي قضت بان تسخر المواهب لغير غاية غير مدح الساسة وكيل الشاء لهم
والا فقد قضى عليهم ان يموتوا جوعا اذا لم يموتوا ذلا . . .

وفى اليوم التالى كنا نتغدى معا فى أحد المطاعم ، وتناول الحديث الوانا اخرى
كانت اشبه ما تكون باستعراض شامل لكل ما يثير السخرية والتهكم فعرفت فيه هنا
ناقدا يحسن توجيه الانظار الى مواطن الضعف ويعرف كيف يثير الضحك ممن
لايرضيه ان حقا ام باطلا .

وكررت بعد ذلك رؤيتى لعبدالمحسن فى كل سفر من اسفارى الى بغداد
وكان يزيد اسفى فى كل فترة انى كنت اكتشف فيه ناحية جديدة من السواحى
الندالة على حسناته الاخلاقية ولكنى كنت اراها مقيدة فى دائرة ضيقة محدودة مجهولة ،
ومع كل ذلك ومع شكواه الطويلة العريضة كنت المس نشاطه فى الحقول العامة وفى
المناسبات الوطنية وفيما يمكن له ولا مثاله ان يقوموا به من تحطيم القيسود ولربما
جمحت به مواهبه وانطلقت بعض الاحيان فظهر سافرا للعيون ، ولقد ترك بعض
المؤلفات التى تلمس فى بعض فصولها هذا انجموح وهذا الانطلاق ، وكنت انتظر
له الساعة التى يستطيع ان يستغنى فيها عن المجاملة والمواربة والكذب ، وانخداع ،
كما كان يصفها هو ليستطيع ان يستخدم الادب ويستغله احسن استخدام ، واكمل
استغلال ، وبعبارة اخرى انى كنت انتظر ان يجىء يوم يصيب فيه عبدالمحسن من
الرزق ما يكفل له العيش فينصرف الى خدمة الادب .

وتشاء الاقدار ان يمضى اليه السل بطريقة نقلها هو فى قصة كتبها عن نفسه
فى عدد (الهاتف القصصى) فنقل الى لبنان مستشفيا ، وهناك تحسنت صحته بعد زمن
فعاد الى العراق وهو يكاد يشفى تماما ولكنه عاد من جديد لينغمر فى العمل ، وهنا
كان قد صار محاميا ، وقد خاض معركة انتخاب نقابة المحامين داعيا الى انتخاب نجيب
الراوى نقيبا . وقد استطاع (القصاب) فى هذه الآونة ان يكون عنصرا فعالا دل مرة
اخرى على ما يملك من قابليات متعددة ، ثم كان محاميا لبقا استطاع غير مرة ان يوجه
انظار بعض القضاة والحكام نسييا الى بلاغته ، واسلوب بيانه ، وكان من قبل خطيبا

بارعا ، ولقد خطب في حفلة تأبين الشيخ محمد حسن حيدر نائب لواء المنتفك خطبة استطاع ان يوصلها الى مسامع الصم والى قلب الصخر على ما وصفه به بعض الادياء . وكان قد انقطع عن الهاتف - كما قلت خمس سنوات - لم يكتب فيها شيئا لانغماره في تلك المشاغل ، واذا به وعلى غير انتظار يرسل للهاتف حلقة من سلسلة باسم (في مجال محاماتي) ويقدمها بكلمة يذكر فيها اسباب القطيعة وقد بدأ الهاتف نشرها في العدد ٣٧١ .

وظلت هذه السلسلة تعمل عملها في نفوس القراء ذلك العمل الذي كنا نتوقه ، لانها كانت سلسلة من مصائب البيوت والاسر والمشاكل المعقدة من الاجرام التي لم يستطع ان يضع يده عليها وينبه الافكار الى خطورتها ويدل على مواطن علاجها غير محام لبق ، واديب حساس ، فكان المحامي عبدالمحسن انتصاب هو ذلك المحامي انذى يملك شيئا من الباقية ، والادب او انذى يريد ان يملك ذلك الشيء على الاقل وقد اشار في تلك السلسلة التي نشرها له (الهاتف) تباعا الى الدعاوى التي قام فيها وكيليا ، ومحاميا ، وسردها بجميع تفاصيلها سردا ابداع فيه ابداعا استرعى انتباه القارىء حينئذ ، وفي هذه السلسلة حقق معتقد الكثير في مستقبله الباهر ، اما الكلمة التي قدم فيها سلسلته المذكورة والتي نشرت في العدد المذكور من الهاتف فهي :

” وهكذا وبعد ان انقطعت عن الهاتف اكثر من خمس سنوات لارتفاعي ، ولا اهمالا ، فلهاتف استاذي الاول واستاذي الامين ، والهاتف ملء السمع والبصر ، ومفخرتي الادبية اذا افتخرت ... وعنوان الصفحة الاولى من كتاب حياتي الاجتماعية ، ولكنها ظروف العيش ، ورغبة الشباب في الدرس ، وطموحه ، وما دام دولا ب الحياة قد عاد سيره الاول ، فلا بد ان يعود هذا القلم لمحيطه الادبي الاول ، ولا بد ان يجيب رغبة الهاتف يوم قالها لي كلمة قبل ثلاث سنوات . ارجو الا تترك الادب ، فاجبته : ولن اتركه ، وسأنتظر هذه المرحلة من الحياة القاسية ، ومتى اشرفت شمس الغد فسيكون كلي للادب وكلي للهاتف ، واذا كان عرفني قراء الهاتف بالامس قصصيا ينزع من المجتمع الوان صورته ، فانتى سأقدم لهم اليوم بصورة اجتماعية جديدة سأنتزعها من صميم المجتمع ، ومن مسلكي القانوني ، فأقدم

لهم في كل عدد - بعون الله - حادثة مما وقعت في حياتي اليومية الجديدة ، عسى ان يكون بها فائدة ، وفيها متعة ، وان رضا الهاتف وقراء الهاتف لهو العوض في ذلك

وكان ما نشره الهاتف للقصاب مرآة صادقة لادبه ولنفسه التي لاشوبها شائبة الخداع اذ لم ينشر في الهاتف الا القطع التي كان يتناولها من حسه ، ويقتطعها من قلبه ، فاذا اراد احد ان يعرف القصاب الاديب فلن يعرفه من غير طريق الهاتف ، ولقد ساهم القصاب في عدة اعداد من اعداد الهاتف القصصية زيادة على عشرات القصص المترجمة والموضوعة التي نشرها له الهاتف فكان من اكثر اعضاء اسرته القلمية انتاجا ، ومن اجبهم الى نفوس القراء .

وظهر اخيرا انه لم يشف من مرضه تماما ، وان مرضه هذا بدأ يشتد عليه ساعة بعد اخرى ، وكان للحماس الذي ابداه في معركة انتخاب المحامين قبل سنتين كل الاثر في انتكاس صحته ، كما كان لحياة المرح التي تلازم بعض الشباب شيء من الاثر على تأزم مرضه ، ففضى وقتا طويلا بمراجعة الاطباء ، ولما يش قصد لبنان ودخل مصحح (بحسن) للسئل هناك

وفي مصحح بحسن قام بنشاط كبير في مختلف النواحي الادبية ودعا الى تأليف فرقة مسرحية من المسلولين ، كما قام بتأليف جمعية ادبية نفع فيها شيئا من روحه فاذا بعدد كبير من اعضائها يستحيل بين نيلة واخرى الى متأدب يعشق الادب ويتبع آثار القصاب التي نشرها (الهاتف) .

وفي مقطوعته هذه التي نظمها في (بحسن) تصوير صادق لهواجسه وما كان يجول في نفسه وهو في آخر ايام حياته حين يقول :

تعالى من ربي بلدى أعيدى ماضى الحب
ففى (بحسن) لى قلب حزين دائم النحب
فلم يلق سوى الوادى يناديه على الرحب

الى الموت بلا حزن ولا عطف ولا نذب

* * *

تعالى برداء الموت - وا رحماك - غطيني
ففى دمع الندى (غسلى) وبالآهات (تلقينى)
وفى انشودة الاحباب لا (الاعراب) •• فارثينى
وان قالوا - من الميت ؟ فقولى - من بنى الطين

* * *

على القبر رعاك الله خطى آية الذكر
بذوب الرثة الاحمر من صدرى لا الحبر
وقولى - شاعر مات غريبا فى صبا العمر
تغنى فى هوى (سلواه) بالاهات والشعر •

وشقاء (القصاب) بعد هذا ملموس فى جميع آثاره الادبية وحتى فى اسماء
اولاده الذين تركهم صغارا ومات وهو فى يافع العمر وزهرته حين سماهم (صواعق)
و (كفاح) و (نضال) فقد كانت كل حياته المغنوية والروحية عبارة عن صواعق
وكفاح ونضال •

* * *

وجريا عنى عادة (الهاتف) السنوية التى تلزمنى بتذكير اصدقاء الجريدة من
كتاب القصة بحلول موعد صدور العدد القصصى الذى اعتاد (الهاتف) ان يفتح به
كل سنة من سنه ، كتبنا له الى مصحح (بحسن) بذلك ، فبعث لنا بالقصة التى
نشرت فى مستهل السنة الثالثة عشرة من الهاتف ومعها رسالة تفيض بالعتاب
لعدم وصول الهاتف اليه طوال هذه المدة - وكان الهاتف قد انقطع عنه بلا سبب
غير تبدل عنوانه الذى لم يعرف عنه محاسب الجريدة شيئا - وفى ضمن هذه
الرسالة كان يتبأ بموته اذ يقول :

«... لقد كتبت لكم ما قدرت عليه وانا في غمرة عنيضة من المرض الذي لا يعطف ولا يرحم ، وسواء أنانت النخلة فقدكم القبول ام لم تنله فقد اديت واجبي نحو الهاتف وانا في اعنف أزماتي النفسية والحياتية ومن يدري فربما كانت هذه الاقصوصة تحية وداع ابدى من تلميذ مخلص وصديق وفي لاستاذه وصديقه الهاتف » .

لم اخفى على القراء الحقيقة ؟ ولم انظر بالجلد الكاذب ؟ بل لم لا اصارح القراء واعترف لهم بانى بكيت كثيرا ساعة قراءتى كتابه هذا وهو لم يمت بعد ، وبكيت اكثر ساعة قراءتى الكتاب بعد مماته ، وساعة عدوت استعرض اديه وذكرياته التى سجلها (الراعى) و (الهاتف) وانا اعلم ان بكائى عليه غير مجد ، ولكن من لى بمن يبعد عن ذهنى صورته الراسخة رسوخ العقيدة فى قلوب المؤمنين ؟ ومن لى بمن يبعد عنى تخيل هذا الشبح الهزيل الممدود على السرير ، الغائرة عيناه والذابنة شفتاه ، والمنطفئة شعله بهائه - وهو الشاعر والاديب المرفه الحسن - بعيدا عن اهله ، غريبا عن موطنه ؟ من لى ؟ من لى ؟ وكانت كلمته المقدمة كلمة وداع حقا اذ توفى قبيل نشر قصته !! ..

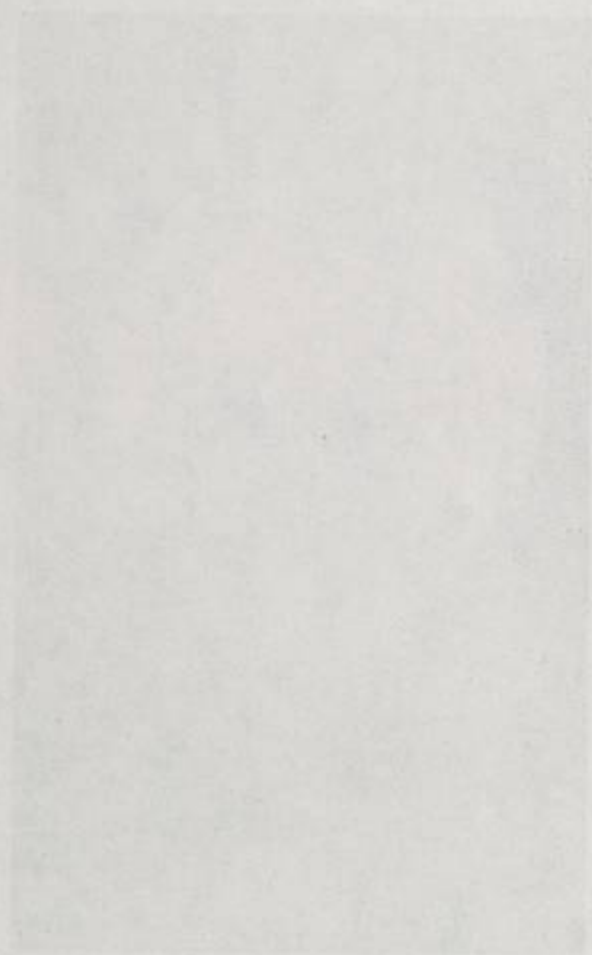
مات عبدالمحسن القصاب قبل ان يبلغ اديه مداه ، وقبل ان يصل الى الذروة التى كان من المحتم ان يصل اليها لو كان المرض قد امهله ، ومع ذلك فقد ترك فى الراعى والهاتف من الاثر ما يكفى ليجعله ضمن اونثك الذين استطاعوا ان يفيدوا الناس بأديهم اكثر مما هو مطلوب من امثاله .

وانا نعتقد ان لعبدالمحسن حقا - بعد حقه على الادب والادباء جميعا - على بلده (الناصرية) نرجو ان توديه (الناصرية) فى احياء ذكره بقدر ما نرجو ان توديه فى رعاية اولاده ، وان مثل هذا انحق له على نقابة المحامين اكثر واكثر فقد كان من اعضاء النقابة العاملين ، ومن عناصرها النشطين ، ومن عرف شرف المحاماة وكرامتها فذب عنها كثيرا بالقول والعمل على قدر ما فسح القضاء له من المجال .

مات عبدالمحسن وبموته انكسر قلم عز على الادب ان ينكسر ، ولكن ذلك ما شاءه الله ولا مرد لما يشاء الله .



الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء



Handwritten text, possibly a signature or name, located below the large rectangular watermark. The text is very faint and difficult to read.

الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء^(١)

لقد جاءت اول معرفتى بالشيخ محمد رضا كاشف الغطاء عن طريق ولده الشيخ على كاشف الغطاء ، فقد كنت قبل خمس وعشرين سنة مدرسا فى المدارس الحكومية ، وكان الشيخ على طالبا فى المدرسة الرسمية الوحيدة يومذاك فى التجف ، وكنت اجد فيه كل ما يتطلب المعلم ان يجده لدى تلميذه ، من فطنة ، وفهم ، وطاعة ليوفر للمعلم مجهوده ، وليحقق هدف التعليم على احسن وجه وصورة ، وكنت اوثر الشيخ على على جميع اقرانه أو على اغلب اقرانه - على الاقل - لهذا السبب ، وكان لهذا الاثر قيمته عنده ، فكان يسعى دائما لاقامة الدليل على شكره لى وامتنانه منى باساليب واحدة لم تتغير ، ولم تبدل طوال الزمن ، وهى ان يتحفنى باعداد مجلة المقتطف كلما وصلت الى ابيه ، ويكتب او كتابين مما كان يصل اليهم بين آونة واخرى من الكتب الحديثة التى كانت بعض المكتبات المصرية ، تجريها فى حسابهم ، وترسلها بناء على طلباتهم ، فكنت اقرأ هذه الكتب والمجلات واعيدها اليهم عن طريق الشيخ على مصحوبة بالشكر مع ابداء الاعجاب برجل من الروحانيين يعنى مثل هذه العناية براءة الكتب والمجلات الحديثة ، تلك العناية التى لم تترك كتابا جديدا - فيما يتعلق بالادب والاجتماع والتاريخ - يمر دون الوقوف على زبدته والاحاطة بموضوعه على قدر الامكان ...

ولقد علمت فيما بعد ، ان هنالك ناحية اخرى تستحق الاعجاب وهى ان للشيخ محمد رضا ، ولايه الشيخ هادى مكتبة نفيسة تحوى اندر الكتب وانفسها ، من مخطوطة ، ومطبوعة ، كادت تفرد بها هذه المكتبة دون المكتبات الاخرى فكان ذلك حافزا من حوافز توثيق الصلات بينى وبين هذه الاسرة أبا وجدا ، وكنت

(١) الهافت - العدد ٤٦٢ - السنة الثالثة عشرة - حزيران ١٩٤٧ .

المس نفس هذه الرغبة في توثيق الصلة عند الاب الشيخ محمد رضا وعند الجد الشيخ هادي الشيخ عباس ، ولست ادري أكان ذلك بسبب تقارب شعورنا في تتبع ما يقع تحت اليد من الكتب الحديثة والانهمالك في مطالعتها ؟ ام بسبب عنايتي الفاتحة بانهما الطالب ، او بداعي صداقة ابي لاسرتهما ؟ وكيفما كان الامر فقد رحمت أسأل ، واستزيد عن الشيخ محمد رضا وابيه الشيخ هادي الشيخ عباس سؤال من يحلو له ان يعرف عنهما كل شيء كبيراً كان ام صغيراً .

وكن ابي اكثر من يعرف عن هذا البيت العريق ومحلّه من اسرة آل كاشف الغطاء ، وكان لكثير من رفاقي وزملائي في المدرسة وخارجها الملم لا بأس به عن هذا الاب والجد بسبب القربى ، او الصداقة ، او الجوار ، فكونت لنفسى فكرة واسعة عنهم احسب انها كانت كافية لاشباع رغبة التطلع واكثر . خصوصاً واننى كنت اعرف أسرة آل كاشف الغطاء واعرف شيئاً غير قليل عن تاريخها العام .

اجل لقد علمت ان اشيخ محمد رضا هذا هو ابن الشيخ هادي ، والشيخ هادي هو ابن الشيخ عباس الشيخ على آل كاشف الغطاء ، وان الشيخ عباس الشيخ على كان قبل خمسين سنة واكثر من اكبر زعماء النجف بل اكبرهم على وجه التحقيق ، وقد كان يجمع الى جانب علمه ، وأدبه ، مزاي كثيرة جعلت من بيتيه ديواناً حافلاً برجال العلم ، والادب ، والشعر ، وملجأً للخائفين ، والمشتكين وارباب المشاكل انذين يبحثون عن الحلول لمشاكلهم العامة وانخاصة ، ذلك لان الشيخ عباس لم يكن وجيهاً في المدينة وحدها وانما كان له عند الحكومة العثمانية وولاتها جاه كبير بحيث يبعد ان يرد له رجاء يتعلق بمصلحة البلد انعاماً ، او مصانح الناس أو ارباب الحاجات الخاصة ، فكان لابد ان يسمو الشيخ عباس في عيون الناس ، من الحضرة ، والعشائر المحيطة بالنجف . . .

ولقد سمعت الشيخ جواد الشيبى يقول :

لقد سمعته يقول :- قد كان للشيخ على اشعاع خاص ، هو اشبه بالجازبية أو القوة المغناطيسية التي لا يكاد يوجهها الى احد حتى يكهر به ، ويجذبه اليه . .

وان مصدر هذا الاشماع على الغالب كان حسه المرهف ، وفهمه للامور
ومقتضياتها وأين يجب ان يضع كل شيء وزمان وضعه ...

والدليل على تلك الميزة - ميزة وضع الامور في مواضعها عند الشيخ عباس -
هو ان للشيخ عباس ابن عم يسمى بالشيخ عباس الشيخ حسن ، وهو جد الشيخ محمد رضا لأمه ، وقد كان اغزر
علما من الشيخ عباس الشيخ على ، وأكثر احاطة ، واوسع اطلاعا
في علم الفقه ، والرجال ، وسائر العلوم الدينية ، ولكنه لم يبلغ شاو ابن عمه الشيخ
عباس الشيخ على الذي كان يترأس جماعة العلماء والوجهاء عند حلول المشاكل
والمهمات . والذي كان لادبه ورجحان عقله القدر المعلى في تلك الايام .

وسمعت من الشيخ جواد الشيبسي ايضا - وقد كان صديقا حميما للشيخ هادي
والد الشيخ محمد رضا - لقد سمعت منه يقول - ان افضل الاكبر في ثقافة جمهرة
من فحول ادباء الجيل الماضي في النجف يعود الى الشيخ عباس الشيخ على
والى ديوانه العامر بخيرة اهل العلم ، والادب ، والظرف يومذاك ، وان نشأة الشيخ
هادي العلمية ، وثقافته الادبية ، لمدينة لحد كبير الى هذا (الديوان) الذي كان يحكي
مدرسة ، او متدى من نوع خاص .

وحين مات الشيخ عباس الشيخ على ، حزنت النجف واطرافها من القبائل
حزنا لم يعرف له نظير من قبل ، وصارت مواكب العزاء والمعزين تقدم على النجف
تتري حتى لقد استمر ورود مواكب العزاء ووفود المعزين اربعين يوما على ما قيل . . .
وقد القى هنالك من الشعر الفصيح والدارج ما يؤلف عدة دواين يستطيع مؤرخو
الادب ان يعولوا عليها في دراسة ذلك العصر ، واتجاهاته الادبية ، والوانها ، ولقد
ظل الصغار والكبار - على ما قيل - يحفظون اهازيج الرثاء ، واناشيده زمنا طويلا ،
ويرددونها في الشوارع والازقة . . . !!

وكان من بين تلك المواكب التي قصدت ديوان آل كاشف الغطاء للتعزية كان
موكب (الشوشترية) ، والشوشترية هؤلاء جالية من مدينة (شوشتر) تسكن النجف
منذ مئات السنين ولها في النجف اليوم كما يعرف الجميع مؤسسة (حسينية) تقيم

فيها المآتم الحسينية في كل مسنة بمناسبة شهر (المحرم) ، وقد قدم موكب (الشوشترية) على بيت الشيخ هادي معزيا ، وبعد ان لطموا وقرأوا مرثيتهم وخرجوا نطق خبيث منهم هازجا بهذه الازوجة باللغة الفارسية الدارجة ، فهزج الجميع معه وبنغمة رتيبة راحوا يكررونها ويهتفون بها :

عباس على مرد عباس حسن ماند
يك حيف كه ان مرد صد حيف كه اين ماند

والمعنى هو «انه قد مات الشيخ عباس الشيخ على ، وقد بقى الشيخ عباس الشيخ حسن ، واذا كنا نأسف لموت الشيخ عباس الشيخ على مرة واحدة فاننا لنأسف مائة مرة لبقاء الشيخ عباس الشيخ حسن في قيد الحياة » وظلت هذه الانشودة موضع تفككه الناس عدة سنوات .

ولما كان الشيء « باشي » يذكر كما يقولون فاني اعرف ان الشيخ عباس الشيخ حسن كان قد استجاب دعوة شبلي باشا الذي فتح للصحن الشريف في النجف بابا - هو اليوم يسمى باسم باب العمارة ، او باب سوق القاضي ، او باب الفرج اقول لقد استجاب الشيخ عباس الشيخ حسن دعوة شبلي باشا الى وضع تاريخ شعري لهذا الباب فجاء تأريخه الشعري على هذا النحو :

« جلت علت باب سلطان السلاطين » .

وحين قرىء هذا التاريخ في أحد المجالس الادبية العامة صاح من هناك الشيخ محمد كاشف الغطاء (وهو ابن عم الشيخ عباس وكان من فحول الادباء واهل الفطنة) لقد صاح ان هذا التاريخ الذي وضعه ابن عمنا لينقص ثمانمائة سنة عن تاريخ فتح الباب ٩٠٠!

وحين استوضح الحاضرون منه اعتراضه قال :-

قال الشيخ محمد - لان (الباب) مذكر ، وقد انته الشيخ عباس ، فاذا ما اردنا تصحيحه بحذف التائين ، من التاريخ فلن يبقى لدينا بعد ذلك الا ان نقول - (جل علا باب سلطان السلاطين) .

وبذلك ينقص العدد في حساب التاريخ الابدجدي ثمانمائة سنة
وعلى رغم ان الشيخ محمد كاشف الغطاء لم يرد التنديد بابن عمه فقد
تحول المجلس الى ضحك واستمر حديث هذا التاريخ يروى عدة سنين ! . .
ولكن الشيخ محسن الخضري قد وضع في الوقت نفسه تاريخا للباب على
هذا النحو . « لقد فتح الشبلي لجريدة بابا » .

في هذا البيت وتحت ظل الشيخ عباس الشيخ على نشأ الشيخ هادي الذي
ورث شيئا غير قليل من شمائل ابيه ومزاياه وانجب ولدين كان الاول منهما (مجيد
كاشف الغطاء) الذي خلفه الطاعون وهو لم يزل في مقبل العمر وقد ترك امثلة
قلما روى نظائرها في عالم الفطنة والذكاء وسرعة البداهة ، وكان الثاني هو الشيخ
محمد رضا كاشف الغطاء اندي خلفه السل وهو في مبتدأ دور الكهولة .

قلت اني عرفت هذه الاسرة معرفة لا بأس بها وقد تكون كافية لمجاراة رغبة
واحد مثلي في مثل ذلك الدور ، وكنت قد رأيت الشيخ هادي يصلي بالناس في
الصحن الشريف وخلفه عدد من صفوف المؤمنين ، لقد كنت اراه كلما يصادف
مروري على (باب الطوسي) . . ثم رأيت مرات في مجالس النجف العامة مشتركا في
احاديث علمية او اديبة ، كما قد رأيت ابنه الشيخ محمد رضا على هذا النحو او
بعضه ، ومع ذلك كله ، ومع تلك المعرفة ، ورؤيتي للشيخ الاب ، وللمشيخ الابن
- عن طريق الحفيد الشيخ على يوم كان طالبا في المدرسة - وكثرة ما كان يعيرني
هذا الحفيد من الكتب التي يستأذن في اعارتها جده واباه ، ثم الرغبات المتبادلة بيني
وبين هذا البيت في توثيق عرى هذه المعرفة اقول ومع ذلك فقد كانت صلتى بهم
لم تتجاوز بعد حدود السلام والتحية حين اراهما في الطريق منفردين ، أو
مجتمعين وكثيرا ما كنت اراهما معا فاراهما كصديقين حميمين لا فارق بينهما الا
السن والا اللحية البيضاء التي تزين وجه الاب الوقور الشيخ هادي والا الحمرة التي
يصطبغ بها وجه الابن الضاحك المتهلل الشيخ محمد رضا وما عدا ذلك فهما
يتحدثان ، ويتناقشان ، كنديين وكزميلين ، لافرق بين احدهما والاخر

ولا ادري متى بعد ذلك تم لي الاختلاف الى بيتهم ، وحضور ندوتهم في ذلك الديوان الذي بقي رمزا من رموز الشيخ عباس الشيخ علي ، وعنوانا لما كانت عليه (مجالس) النجف ويمتد (مجلسهم) - ولاسيما في شهر رمضان - الى وقت متأخر من الليل يقضى الشيخ هادي فيه شطرا ، ويترك لابنه الشيخ محمد رضا الشنطر الآخر ، ليقطع الوقت في مساجلة علمية ، او ادبية ، حسب مقتضيات الوقت وحضار (المجلس) .

* * *

واذكر ليلة من ليلي شهر رمضان زار فيها السيد عبدالعزيز الشواف - وكان حاكم مدينة النجف يومذاك - لقد زار ديوان الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء ، وبصحبه الشيخ محمد السماوي - وكان يومها قاضي محكمة النجف الشرعية - ومعهما صديقي الحاج مصطفى الصراف اندي كان من اعز اصدقاء (الشواف) و (السماوي) ، والشيخ محمد رضا كاشف الغطاء معا ، وكان الحاج مصطفى الصراف من المعجبين بالشيخ هادي الشيخ عباس ، ومن المؤتمنين به في صلاته بحيث قلما شغله شاغل عن حضور الصلاة خلف الشيخ هادي ، ولكنه لطاريء من الطوارىء البيئية اضطر للتخلف عن حضور صلاة الجماعة في الصحن الشريف عدة ايام فافتقدوه ، وفي هذه الزيارة من تلك الليلة من شهر رمضان استغل الشيخ محمد رضا المناسبة ليحول المجلس الى مجلس مفاكحة ، ومنادرة ادبية ، فقال موجها كلامه الى الشواف ، لقد قال انه - ينتهز فرصة وجود الحاكم في بيته ، ليرفع شكوى له ضد الحاج مصطفى الصراف ٠٠٠ ويتهمه بتضعض ايمانه بترك صلاة الجماعة ، وتفضيل الصلاة المنفردة عليها ، واذاف الشيخ محمد رضا قائلا : لذلك لن اترك الحاكم والقاضي يرحان هذا المنزل قبل صدور الحكم بادانة الحاج مصطفى ، وتغريمه بمقدار مناسب من اكياس الحنطة ، واكياس الرز ، ومقدار من التمر لتوزيعه على الفقراء بمناسبة شهر رمضان ، فما يقول مولانا الشواف والسماوي ورأى السيد عبدالعزيز الشواف في هذا الاقتراح فرصة جميلة للمطايبة ، والمفاكحة الادبية . فقال :

- وانا مستعد لقبول الشكوى ، والنظر فيها ، ولكن على ان تقدم مكتوبة على الورق في هذه الساعة ، والافضل عندى ان تنظم هذه الشكوى شعرا .. وسأصدر القرار هنا شعرا وفي نفس هذه الجلسة .

وكرر الحوار فيما اذا كان الوقت يساعد للتعبير عن الغرض بالشعر فى مثل تلك العجالة والارتجال ؟ واقترح البعض ان تؤجل الجلسة الى يوم آخر ليتقدم فيها الشيخ محمد رضا بشكواه شعرا ، ولكن الشيخ محمد السماوى أصر على أن جمال المفاكحة كله انما هو فى الارتجال نفسه ، فلم ير حينذاك الشيخ محمد رضا بدا من ان يستجيب للطلب فمسك القلم وفي دقائق معدودات وضع المقطوعة التالية امام الحاكم :

من حامل للحاكم الشواف	ذى العدل والوجدان والانصاف
عنى شكاية مستغيث يشتكى	صنع المهذب - مصطفى الصراف
ترك الصلاة (جماعة) فى وقتها	و (الترك) مكروه بغير خلاف
قد كان عضوا فى الجماعة عاملا	يدعو لها من سائر الاطراف
شهر الصيام أتى وفيه فضلها	بين البرية لم يكن بالخافى
هل كان يأمل (وحشة) ما نالها	او ظن ان (الاقتداء) ينافى
ان كان يرجو راتبا كموظف	فالامر امر وزارة الاوقاف
فاذا اطاع وعاد يفر ما مضى	من فعله والله نعم العافى
واذا عصى فاحكم عليه بمبلغ	من غير تبذير ولا اسراف
من بر او تمر يوزعه على	ذى علة وارامل وضعاف

و (الوحشة) التى يشير اليها الشيخ فى هذه المقطوعة هى اجور تدفع لفقراء يصلون للاموات فى اول ليلة اقبارهم صلاة تذكارية تسمى بصلاة الوحشة ، وكان يريد ان يقول هل ان الحاج مصطفى من هؤلاء الفقراء الذين يبحثون عن اجور (الوحشة) ولم ندفعها لهم ؟ اما الاوقاف فقد كانت يومها وزارة ثم صارت بعد ذلك مديرية

ولقد نقل على الشيخ محمد السماوى وهو استاذ التاريخ الادبى المعروف

في عصره لقد ثقل عليه ان يرى الشعر المرتجل يجرى على قلم الشيخ محمد رضا بهذه السرعة وهو عالم فقيه وليس بشاعر ولا يجرى على قلمه هو فتناول القلم ، وتولى الرد نيابة عن الحاج مصطفى الصراف وكتب :

للحاكم المعروف بالانصاف عبدالعزيز الفاضل الشواف
هذا جواب شكايه بلغتها في (عرض حال) جله متنافي
من ذى المكارم والعلی الشيخ الرضا علم الافاضل عمدة الاشراف
انا لم ازل لايه حامل رآية منشورة بمحاسن الاوصاف
ادعو له سرا وجهرا في الوري في سائر الاقطار والاطراف
واقول في (الهادي) الهدية والتقى والعلم امر لم يكن بالخافي
واري المصلي خلفه صلى بها خلف (الامام الحق) دون خلاف
فعلام يرميني بسهم جنايه ويقول لي استغفر وربك عاف
ويروم تجزيتي الغرامة بعد ذلك فكأن الاستغفار ليس بكاف
وعليه اطلب رد دعواه بها حكما وجاهيا بلا استيناف
فاحكم وحمله مصارف هذه الدعوى (بدعوة) مصطفى الصراف

(والدعوة) هنا اراد بها صدور الحكم باقامة وليمة للحاج مصطفى كما لا يخفى على القارئ * وكان قد عز على الحاكم (الشواف) ان يرى المدعى والمدعى عليه مرتجلين خصوصا وهو المقترح ثم لا يكون هو الاخر مرتجلا ، فاخذ القلم بيده وبنفس السرعة والعكوف على الورق اصدر القرار التالي :-

باسم الجلالة سيد الاشراف اصدرت حكما مقتضى الانصاف
دعوى (محمد رضا الهادي) على صنع المهذب مصطفى الصراف
لم تخل مما قد يبرر ردها من وجهة التقويم والاسعاف
اما الصلاة (جماعة) خلف الذي هو كاسمه هاد بغير خلاف
فالحكم فيها واجب اذ اجرها نص الشريعة عد بالانصاف
لكن مطلبه بدفع غرامة قد جاء في شيء من الاجحاف
اذ كيف يحكم بالغرامة تائب يستغفر المولى وربك عاف

اما المصارف فهي بينهما اذن والحكم نسبي على الاطراف
حكما وجاهيا يبلغ معلنا من غير تمييز ولا استيناف

وحظيت تلك الليلة بعدد من القصص الادبية التي اوردها الحاضرون مما
يناسب هذه المفاكحة ، فروى الراوون ما كان يجري مثل هذا في مجلس السيد
حسين القزويني ، وكان اكبر مجالس النجف الادبية في حينه ، وما كان يجري
في مجلس السيد على العلاق وغيرهما من مجالس الادب التي قلما خلت من مثل هذه
المفاكحات والتمادرات الادبية والشعرية المرتجلة (١) وفي تلك الليلة روى لنا
بعض الحاضرين بهذه المناسبة ما كان قد جرى يوم (الهريسة والسملك) في نفس
هذا الديوان - ديوان آل كاشف الغطاء - وهو ان جماعة من رجال العلم والادب
قد لبوا دعوة لتناول (هريسة) في الفطور ، ودعوة لتناول سمك في الغداء عند
الشيخ احمد كاشف الغطاء المرجع الروحاني المعروف (٢) وكانت الدعوة في
نفس هذا البيت ، ولربما في نفس المكان الذي كان يقعده الشيخ محمد رضا تلك
الليلة ، وكانت الدعوة بقصد المطاينة والتسلية اكثر مما كانت للاكل والشهية ، وفي
مثل هذه الدعوات يكثر المزاح عادة على الاكل ، واشتباك الايدي ، وما شاكل ،
لذلك ما كادت توضع المائدة حتى نسفت عن آخرها في اقل من بضع دقائق ، ولم
يحرم من الطعام الا صاحب الدعوة الشيخ احمد كاشف الغطاء ، والا الشيخ جواد
الشيبي وذلك لتجنبهما ذلك الصراع والمزاح ودخول معتمته .

ولكى يطيب الشيخ احمد نفس الشيخ جواد الشيببي ، سألته بعد ايام وهو
عنده في نفس هذا الديوان الذي يقعده الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء اليوم
عما يجب ان يأكل من طعام ؟ وعمن يريد ان يدعوه معه يوم الاربعاء المقبل وذلك
ككفارة لما سبق وقوعه مما ادى الى حرمان الشيببي من الغداء فاطرق الشيببي
دقائق ثم رفع رأسه وفيما يشبه الارتجال تلا على النسخ الايات التالية :-

يا من لذاتك بيت من علا سمكا صير غدائي غداة (الاربعاء) سمكا

- (١) وفي مواضع اخرى من هذا الكتاب ذكر لمجالس النجف ورد في سياق
الحديث كما ورد ذكرها هنا .
(٢) هو والد عباس كاشف الغطاء مدير البنك اللبناني المتحد اليوم .

وخصني فيه فردا لا يشاركني
أما اعتبرت بهم يوم (الهريسة) من
قالوا لنا سرر (البنى) نقسمها
سواك فالنفس تأبى الشرك والشركا
ألقوا اناملهم من فوقها شبكا
ما بيننا ، والبقايا والجلود لكا

والبنى نوع من اجود انواع سمك الفرات ، وعلى هذا النحو كانت تجرى
مجالس المفكهة فى النجف وكانت مجالس آل كاشف الغطاء من بينها تموج بالوان
من متع الادب والمطايبات ♦♦♦♦

وشب الشيخ على كاشف الغطاء ، وخرج من المدرسة لينفرغ لدراسة العلوم
الدينية ، ثم خرجت انا من السلك التعليمى وتسنى لى ارتياد ديوان الشيخ هادى
وابنه الشيخ محمد رضا اكثر من ذى قبل ، وصارت لى من الدالة على الاب والابن
ما جعلتني ارجوهما للكثير مما يكلفني به البعض عندهما من الحوائج •

ولقد كتب لى صديقى المهندس السيد حسن الرفيعى مرة من (مشيغن) وكان
لم يزل يدرس الهندسة هناك لقد كتب لى يطلب منى بذل الجهد فى البحث عن
نسخة خطية لكتاب (تذكرة العين) لعلى ابن عيسى ، واثار لى فى كتابه الى ان النسخة
المطلوبة هى نادرة الحصول اذا لم تكن معدومة ، وقد رجا ان اشتريها له اذا ما عثرت
عليها بأية قيمة كانت • واذا ما تعذر شراؤها فى ان ارفع قيمتها وادفع مائة دينار لقاء
استساخها فقط ♦♦♦

وجئت الشيخ هادى ، وكانت مكتبته حافلة باكبر عدد من المخطوطات النادرة ،
واحسب انها لم تزل حتى الان ذات قيمة علمية كبيرة واخبرته بقصة (تذكرة العين)
وما كتب لى بخصوصها السيد الرفيعى ، ولم اكنم عنه خبر اهمية الكتاب بحيث
يستدعى دفع مائة دينار لمجرد استساخ نسخة عليه مع الموافقة على جميع الشروط
المطلوبة ، فقال لى ان النسخة المطلوبة موجودة عندى وقال انها تقع فى صفحات
قليلة وليست هى بالكتاب الكبير ، وقام على رغم شيخوخته الى المظان من تلك الرفوف
التي توصل الارض بالسقوف من الكتب وبحث بعض الوقت فلم يعثر عليها ♦♦♦♦
فقال لى لم لاتدع الامر الى حين عودة الشيخ محمد رضا الى البيت ؟ فهو ادرى
بموضع النسخة من هذه الكتب ، ولك ان تأخذها وتفعل ما يحلو لك ان تفعل
بها !!♦♦♦

واتظرت الشيخ محمد رضا عند ابيه وانا جالس فى المكتبة ، ولكنه لم يمد ،
وقمت بعد اليأس على ان اعود فى وقت آخر ٠٠٠ وفى الطريق وانا خارج من البيت
الغيت الشيخ محمد رضا فى طريقه الى بيته فقصصت عليه القصة بالتفصيل ، فرجا
منى ان اكتب الخبر عن ابيه لثلاث ينزعج لانه - اى الشيخ محمد رضا - كان قد
اعطى تلك النسخة الخطية قبل مدة لاحد اولاد الخانجى ، وكان هذا قد زار
النجف ، وزار بعض مكبات البيوت ، وفى ضمنها زار مكتبة الشيخ هادى ورأى
هذه النسخة كما رأى ثلاث نسخ خطية من كتب قديمة اخرى فعالج امر شرائها
وشراء تلك النسخ من الشيخ محمد رضا بمختلف الوسائل ، ولما يس وعرف انى
- يقول الشيخ محمد رضا - غير بائع شيئا منها ، رجا منى ان اعيره تلك النسخ مقابل
وصل منه زاعما ان لدى مكتبة (دار الكتب) بمصر صوراً من هذه النسخ وانه
- اى الخانجى - يريد تصحيح البعض على البعض الاخر ٠٠٠ قال الشيخ محمد
رضا ، ومن هناك ٠٠٠٠ ومن مصر كتب لى الخانجى يقول انه قد فقد هذه النسخ
الخطية الاربع فى الطريق !! وقال الشيخ وانا اشك ان يكون الامر صحيحا .
قلت - وكان عليك ان تغلق باب الاستعارة .

قال - واذا تم لى ان افعل هذا مع الخانجى فهل يتم لى ذلك مع غيره ؟
ثم اردف قائلاً :- لقد اضعنا عددا كبيرا من كتبنا على هذا النحو وبمثل هذا
التساهل ٠٠٠٠

وتوفى الشيخ هادى الشيخ عباس ، وعلى رغم توهم الشيخ عبدالكريم
الجزائرى الزعيم الروحانى المعروف القابلية واللياقة فى الشيخ محمد رضا ونعته
اياه (بالشيخ) فى تاريخه الذى وضعه ليوم لبس الشيخ محمد رضا العمامة فى اول
شبابه حين ارخ له الجزائرى بقوله : (الشيخ قد لبس العمامة) .
وقد كان لبس العمامة اول ما تلبس فى السنين الماضية شأن لا يقل عن شأن
اختتام القرآن ، واجراء الختان ، وما شاكل وقد اتخذ من تاريخ الشيخ عبدالكريم
الجزائرى فالأ يبشر بالخير لمستقبل الشيخ محمد رضا الروحانى .

أقول وعلى الرغم من هذا التوسم وعلى رغم اعداد الشيخ محمد رضا نفسه لان يكون شيخا روحانيا ، ثم على رغم بلوغه مرحلة كبيرة من العلوم الدينية والثقافة الاجتماعية التي تقتضيها الروحانية المتجددة ، وابوه لم يزل في قيد الحياة انه على رغم هذه المؤهلات فقد كان يتعد جهده عن القيود التي كانت تحد من حريته ، وتضفي عليه آفاق اتصالاته الواسعة بالناس ، لانه كان رجلا اجتماعيا يحب الاختلاط بالناس باقصى حدود الاختلاط ، وان للروحانية قيودا ومراسيم لاتجاسس مع الانطلاق الواسع ، والاحتكاك بالجمهير ، لذلك ابدى الشيخ محمد رضا بعد وفاة ابيه تهربا عجيبا من اشغال مركز ابيه ، والصلاة بالناس في مكانه من الصحن الشريف .

واقبل عليه الكثير من الفضلاء يحضونه على التصدي للصلاة بالناس ، وكان على رأس اولئك الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي بعث له بتأييده والالاحاح عليه بالتصدي للصلاة ولم تكن العلاقة بينه وبين الامام كاشف الغطاء علاقة طبيعية على رغم القربى ، ومع ذلك فراح الشيخ محمد الحسين يؤيده ويشد ازره ، اما الشيخ محمد رضا فقد امتنع ، واكفى بما كانت له من حلقة كبيرة من حلقات التدريس كان يحضرها عدد غير قليل من افاضل رجالات العلم كتلاميذ خاصين للشيخ محمد رضا .

وقد حضر احمد امين ، وعدد من طلاب الجامعة المصرية حين زاروا النجف حلقة من دروس الشيخ محمد رضا ، وقالوا انها كحلقة الازهر الا ان الدرس لدى الشيخ محمد رضا اعمق واوسع افقا من دروس الازهر وكنت انا حاضرا هذه الحلقة وسامعا باذني ما قاله احمد امين .

وكان السيد ابو الحسن ، قد انفرد بزعامة الشيعة ، ولم يكن حاضرا في النجف حين وفاة الشيخ هادي ، وقد بلغه خبر الوفاة وخبر احجام الشيخ محمد رضا عن الصلاة بالناس فكتب له كتاب تعزية بليغة ، ثم ضمن كتابه هذا وجوب تقدمه للصلاة بالناس وهناك صدع الشيخ محمد رضا بالامر وتولى الامامة في الصحن الشريف وفي مكان مصلى ابيه .

وصلى ، وصلى خلفه جمع من العلماء ، والفضلاء ، والابرار على سبيل التأييد
لاول مرة ، كما هو متبع عند النقاة ، ولمع نجم الشيخ محمد رضا وكانت لبشاشته
وسحنته المشرقة فضلا عن مواهبه الدينية والادبية اثرها فى جميع نفوس ملتقيه ،
ولقد اخجلنى مرة حين وقف يوجه عتابه الى باسلوب غاية فى الادب والرفقة ، وبوجه
يوحى بالدعة والطيبة ، لقد كان يعتب على لانى وقفت وانا استعرض كتابه الذى
اصدره عن (الشريف الرضى) فى جريدة المهاتف موقفا ربما شف عن جنوحى
لرأى الشيخ عبدالحسين الحلى ، وكان قد جرى بين الشيخ الحلى وبين الشيخ
محمد رضا كاشف الغطاء شىء من الخصام فى دعوى لم يعرف احد وجه الصواب
فيها ، فقد قال الشيخ محمد رضا انه كان قد اعار مسودة كتابه (الشريف الرضى)
قبل طبعه للشيخ عبدالحسين الحلى لان الشيخ عبدالحسين كان ينوى ان يكتب
شيئا عن الشريف الرضى فاحب الاطلاع على مسودة ما كتبه الشيخ محمد رضا
ولكنه اساء استغلال هذا الاطلاع - على حد قول الشيخ محمد رضا -
ونقل جل ما كتب الشيخ محمد رضا فى كتابه ،
ثم نشره كمقدمة للكتاب الذى اصدرته (جمعية منتدى النشر) كما لو كان الشيخ
عبدالحسين الحلى هو الباحث عن تلك المصادر والمستتج لتلك الاراء !!

اما الشيخ عبدالحسين فيقول ان الشيخ محمد رضا كان قد عرض على مسودة
كتاب (الشريف الرضى) لابداء رأبى فيه ، وقد اضفت الى تلك المسودات هذه
التحقيقات التى اخذتها بعد ذلك باعتبارها ملكا لى ، وضمنتها المقدمة التى نشرت
وكان الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء قد طبع كتابه بعد ذلك وعرض فيه
بالشيخ عبدالحسين الحلى ، واتى على سرد القصة بشكل لم نستسغه نحن من حيث
التعريض ، وليس من حيث الحق ، لان الحق لم يكن معروفا فى هذه الدعوى ولم
يزل لليوم غير معروف لدينا ، فالشيخ محمد رضا كاشف الغطاء كان فى غنى عن
عرض مسودات ما يكتب بقصد التصليح والتهذيب على احد ، والشيخ
عبدالحسين الحلى فى غنى اكثر واكثر عن انتحال اراء غيره لنفسه بالنظر لطول باعه
وعلو كعبه وقد ظل كلاهما متحمسا لرأبه ومنتهما الاخر بتلك التهمة ولم يستطع احد

ان يقول شيئا فاصلا •

اقول لقد أخرجني الشيخ محمد رضا بذلك الاسلوب من العتاب الرقيق الذي فلما انمحي اثره من النفس لان للشيخ محمد رضا كجده الشيخ عباس الشيخ على اشعاغا خاصا كان يسلطه على المتحدثين اليه فيجذبهم اليه ، ولعل لتجدده في احكامه الشرعية واطلاعه العلمي الواسع ، ولملكاته الادبية ، ثم لسلامة ذوقه ، بعض الاثر ان لم يكن كل الاثر في هذا الاشعاع •

لقد كان من المعجيين (بالمهاتف) ومن المتبعين لها وقد اهدى للمهاتف بمناسبة احتفال (النجف) بسنة المهاتف العاشرة ، لقد اهدى لها مجموعة من الكتب النفيسة ومبلغا من المال ، اما مجموعة الكتب فقد تسلمناها مع الشكر ، واما المال فقد ارجعته (لجنة تكريم المهاتف) اليه على اساس ان صاحب الهاتف لا يتقبل هدايا المال ممن أحد ••••• وكان الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء يقول مفاخرًا بانه يعتبر (المهاتف) اشرق وجه يعبر عن الادب الواقعي ومن ارسخ القواعد في التزام جانب الحق والحقيقة ، وكان يكرر هذا القول في كل مناسبة ، فاذا تأخرت (المهاتف) عن ميعاد وصولها اليه قليلا ، ارسل من يشتريها له ، ويحملها اليه عاجلا ، ولقد استبطا وصولها مرة وهو يستشفى في مصح (بحسن) بلبنان ، فكتب الى ابنه الشيخ على يسأل باستغراب عن اسباب تأخر الهاتف ••••• ؟

لقد اكرت عليه الزيارات في ايامه الاخيرة من مرضه ، وكان لي في شفائه كل الامل ، وكان يزيد املي ماكنت اراد منه في كل مرة من طلاقة الحيا ، وكثرة الترحيب ، والاغراق في البشر مما لا يختلف شيئا عن حاله وهو في اتم صحته ، ولكن صديقا لفت نظري ونحن عنده : الى شبح الموت المائل حول عينيه ، والجائم على صدره ، وقال لي ونحن نخرج من زيارته : انني اخشى ان نفقد الرجل قريبا ، وكان كما قال الصديق ، فلم تمر بضعة ايام حتى نقل الى مصح (بحسن) بلبنان ، ثم وافته المنية هناك هو لم يزل في اوائل سن الكهولة مبكيا على ملكاته التي سمت به حتى جعلت منه واحدا يجلس الى الحكام كما يجلس الى الاذئاب ، وجيئه ناضح بالطيبة والوداعة ، وثره مشرق باسامة لا يجهل قيمتها من يعرف قيمته •



الحاج عبدالمحسن شلاش

1864

الحاج عبدالمحسن شلاش^(١)

ادركت الحاج عبدالمحسن شلاش وشهرته كتاجر من كبار التجار ، وكعين من عيون التجف ، ملء المسامع ، فلقد قيل انه يمتاز على تجار الفرات وتجار الجوب خاصة ، بحدة الذكاء ، وعمق التفكير ، وقيل انه كان من افهم التجار بمقتضيات التطور ، واسرع من غيره فى فهم النظريات الاقتصادية ، يوم كان المتاجر بالجوب لا يفهم شيئا اكثر من انه يشتري الحب من فلان ، ويوم كان المتاجر بالتمر لا يعرف اكثر من ان يجلب التمر من مكان معين ، او مكانين ، لبيعه فى مكان معين ، او مكانين ، فاذا حدثت بعض الطوارىء التى من شأنها تغيير محل البيع ، او الشراء ، او قلة العرض والطلب ، او زيادتهما ، ألفت الحيرة تسود اغلب اولئك التجار الذين اعتادوا ان يتهجوا نهجا واحدا فى عرضهم ، وطلبهم ، وفى شرائهم ، وبيعهم ، اما الحاج عبدالمحسن فقد كانت له ميزة ، هى وليدة خلق ذاتى فطرى ، ومزاج خاص ظل يرافقه طوال عمره ، ذلك الخلق الذى من شأنه ان يدرس الامور ، وبطيل فى درس كل ظاهرة اقتصادية يشعر بان لها مساسا باموره التجارية ، فكثرت لهذا انسب اتصاله بمختلف الطبقات ، من الفنين ، والمهندسين ، والتجار ، وارباب الحرف ، وزادت بهذه الاتصالات خبرته التجارية ، ومعرفته الاقتصادية ، حتى انفرد فى جميع جهات الفرات بسعة خبرته فى عالم التجارة ، وكان اول من درس مشروع ارواء التجف من طريق الكوفة بواسطة المضخات قبل ما يقرب من خمسين سنة ، يوم كان اغلب التجار ، ومعظم الناس ، يسخرون بهذه الفكرة ، ولا يعتقدون

(١) الهاتف - العدد ٤٨٢ السنة الثالثة عشرة ١٣ شباط ١٩٤٨ .

ان مثل هذا المشروع مما يمكن تحقيقه ، وذلك لقلّة اتصال هؤلاء التجار والناس بالعالم الخارجى ، كذلك كان الحاج محسن اول من فتح باب المساهمة لمد السكة الحديدية بين النجف والكوفة ، ولفت الانظار الى تجديد الافكار الاقتصادية .

نعم لقد ادركت الحاج عبدالمحسن وهو فى اوج شهرته ، مال وافر ، وتجارة رابحة ، ومكانة مرموقة عند الحكومة ، والعلماء ، وسائر الطبقات نظرا لما كانت له من المزايا التى اشترت اليها ، ولانه كان وكيلا للبنك العثمانى فى النجف ، يدفع حوالات الحكومة العثمانية (آل رشيد) فى (حائل) عن طريق النجف ، ويقبل الكثير من الحوالات من مختلف الجهات من الخارج كاستنبول ، وبيروت ، وايران ، والهند ، والخليج بالاضافة الى قبوله للحوالات فى اغلب المدن العراقية ودفعتها من قبله .

وقد قيل ان البنك العثمانى قد احتاج مرة - وذلك فى ايام الاحتلال الانكليزى للعراق - الى مبلغ تقدى من الليرات العثمانية ، فسأل البنك الحاج محسن شلاش برقيا عما اذا كان يستطيع ان يدفع لحاكم الشامية السياسى المقيم فى النجف مائة الف ليرة عثمانية نقدا على حساب البنك العثمانى ؟ فابرق بالايجاب وسلم للحاكم مائة كيس اخرجها من بيته !!٠٠

وقد بلغنى ان الحاج محسن سمع مرة - وهو يهيم بدخول مجلس من مجالس النجف - مناقشة تجرى عما يملك من نقود فى صندوقه الحديدى وكان صاحب البيت يؤكد ان محتويات صندوق شلاش لاتقل عن ٢٠٠ الف ليرة ذهبية ، وهنا دخل الحاج محسن المجلس وصدى احتواء صندوقه على مائتى الف ليرة برن فى أذنه ، لقد دخل المجلس ضاحكا واشترك الحضور معه فى الضحك لانهم احسوا بان الرجل كان قد سمع نقاشهم فى ثروته النقدية وهو يهيم بولوج الباب ، وما كساد يستقر شلاش حتى وجه لصاحب البيت هذا السؤال :-

- كم لك فى هذا البيت الذى تقيم فيه ؟

قال الرجل :- لقد ولدت فيه وقضيت كل عمري ٠٠٠

قال :- أستطيع ان تخبرنى كم هو عدد السلالم التى تصعد بك من باحة دارك هذه الى اعلى السطح وكم عدد السلالم التى تنزل بك من باحة الدار الى اعلى سراديبه ؟

قال :- لا اظننى الا راجما بانغيب اذا ما ذكرت لك عددا معينا .

قال الحاج محسن وهو يضحك :- وكيف جاز لك ان تقدر ما يحتوى عليه صندوق نقودى انا وهو فى بيتى؟ بينما انت عاجز عن ان تعرف عدد سلالم بيتك ؟

و كنت وانا صغير اسمع بتمنيات كثير من الامهات لابنائهن بان يوتيهم الله نصف ثروة او مثل ثروة (آل شلاش) ٠٠٠ و كنت طالما سمعت وانا صغير شيئا من هزو الهازئين بعض الفقراء وتشبيهم على سبيل الهزو (بال شلاش) فى وفرة الثروة ٠٠٠٠ وكثيرا ما كنت اسمع هذا الاسم (اسم آل شلاش) يردده اغلب الناس فى كثير من المناسبات كقياس لضخامة الثروة ، واناقة اللباس وجلال الارستقراطية ، فكان من بعض امنياتى ان ارى هذا الرجل ، لارى بعينى هذه الثياب الزاهية ، والعظمة الناطقة ، فى خطواته المتثددة التى يخطوها بين غلمانه المحتشدين حوله ، فلقد كان مضرب المثل فى خطوه ، ولبسه ، واكله ، وشربه ، وانى لاذكر الان كيف وقع عليه نظرى اول ما وقع ٠٠٠ وكيف وقفت منه وقفة الحائر المدهش الذى لايدرى كيف يوفق بين ما سمع وبين ما رأى ٠٠٠؟

هذا هو الحاج محسن انه يلبس كما يلبس اغلب الناس ، وقد اقتعد من باب خانه تختا لو ارغمت محاسب (الهاتف) اليوم على اتخاذه مقعدا لزواره لاعتبره اهانة ٠٠٠ وها هما اثنان على ما اذكر ، وقد جلسا على التخت نفسه يتحدثان اليه ، ويتحدث اليهما ، كما يتحدث سائر الناس من حيث سقوط الكلفة ، ثم قام هو وظل الاثنان جالسين غير عابئين بقيامه ٠٠٠ ثم دخل مكتبه ٠٠٠!!

هذه اول مرة رأيت فيها الحاج محسن شلاش ، واول مرة اجد فيها البون عظيما بين ما سمعت وبين ما رأيت ، ثم ما ادرى كم مر على بعد ذلك حين توثقت الصداقة بينى وبين ابنه (عبود) ، ولكنى ألفتى اغدو واروح مع زمرة من الاصدقاء

الى بيت آل شلاش ، لتحظى هنالك بجلسة رومانتكية بين عشرات الاصص لضروب الازاهير والورود ، ولم يكن يومذاك (هذا البيت) المتوسط بين الديوان الخارجى وبيت الحرير انقائم اليوم قد بنى بعد ، وانما كان عرصة يلهو بها ابنه السيد عبود ، وابن اخيه الدكتور عبدالحميد بزراعة الورود فى وسط العرصة المحسوبة بالاصص الضاربة حولها فى خطوط هندسية ، وكنا اذا مللنا هذا المجلس ، وما يدور حوله من احاديث متنوعة قمنا الى الديوان ، والى غرفة صغيرة لانزال هى الغرفة المقابلة لمدخل البيت تماما ، حيث اعد فيها تخت ، وثلاثة كراسى او اكسر ، وقد زينت جدران الغرفة بصور كثيرة لطوائف كبيرة من ملوك ، وامراء ، وعلماء ، وادباء ، واصدقاء آل شلاش ممن زاروهم ونزلوا فى ضيافتهم ، او ممن تعرفوا بهم فكانت هذه الغرفة بمثابة معرض فتوغرافى كان له اكبر الاثر فى ترسيخ الذكريات ، وصور الحوادث التاريخية والاجتماعية فى الذهن ، وفى هذه الغرفة رأيت صورة الحاج محسن شلاش باللباس الرسمى وهو يحمل الوسام (النيشان) الذى انعم به عليه السلطان عبدالحميد خان الثانى ، كما رأيت الحاج محسن فى صور مختلفة من مناسبات مختلفة .

ومرة اخرى لست ادرى متى ، وكيف كانت اول معرفتى بالحاج محسن ، ولكن وجدت نفس الزمرة التى كنت اعدو واروح معها الى بيت شلاش وقد بدأنا نألف مجلس الحاج محسن حين يتفق ان نكون فى بيته ، ويكون هو هناك ايضا ، فيمر بنا فى هذه الغرفة الصغيرة ونحن عند ابنه عبود ، وابن اخيه عبدالحميد ليجلس معنا قليلا ، او يستدعينا الى ديوان ضيوفه حين يكون عنده ضيوف ، فكانت موضع عنايته النسبية من حيث المناقشة وعرض خواتمه الادبية وافكاره الاجتماعية ، فكان يقرأ لى شيئا مما كان يحفظ من نصوص لرسائل كتبها الشيخ جواد الشيبى الى السلطان عبدالحميد ، والى الملك حسين ، والى الامام يحيى حميد الدين ، ويقرأ لى كثيرا من قصائد السيد جعفر الحللى المكتوبة الى بعض هذه الجهات ، وشئ غير قليل من نصوص ادبية قديمة من خطب نهج البلاغة ومن الصحيفة السجادية فلقد كان

ميالا للادب وذوافة يستدوق قراءة الشعر والنثر ، وكان له مقام محترم عند اهل العلم والادب ، وكان من ميله للادب وللادباء ان كان اول متصد لطبع ديوان السيد محمد سعيد الجبوبي ببيروت وقد طبعه طبعا لايزال على قدمه لا يخلو من جمال واناقة ، لذلك لم يكن من الغريب ان يحاول تصوير الوضع الاقتصادى فى العراق وتنظيم ميزانيته فى ارجوزة تجاوزت الخمسمائة بيت وقد ضمنها ما يراه من التخطيط للنهوض بالعراق نهوضا اقتصاديا شاملا ، وعلى الرغم مما ادخل على الابيات من تصحيح لغوى ونحوى وعروضى من قبل الادباء فان هذه الارجوزة لم تفقد صفة الاعراب الصحيح عن ذوق الحاج محسن وميوله الادبية .

ويستطيع المرء ان يستشف استعداده الفطرى ومدى تفهمه للامور فى الكثير من الشؤون وان خرجت عن دائرة اختصاصه ، ومن ذلك انه سمعنى مرة وانا اشرح اسباب انتفاخ الكرة الارضية من وسط خط الاستواء وانقباضها وتقلصها من القطبين المعزوة الى دورة الارض السريعة وهى لم تزل بعد جمرة كما يقول الفلكيون الرياضيون ، قال وهو يتسم :-

- ولم لا نعزو هذه الظاهرة ظاهرة الانقباض والتقلص فى القطب الى (قلة الحرارة) ونعزو التمدد والانتفاخ بين مدار السرطان والجدى الى (شدة الحرارة)؟ ولم اكن يومها من الاطلاع ومن الاحاطة بحيث استطيع ان ارد عليه بالجواب الصحيح فسكت ... لقد كان حقا يحسن تصور الاشياء ، ويحسن طريق الاحاطة بالامور من جميع وجوهها واحوالها على قدر كبير بالنسبة لامثاله طبعا ، فلقد قيل لى انه وجه مرة الى جمع فى احد مجالس المطايع سؤالا قال فيه :-

- من منكم يستطيع ان يعرف بم يمتاز التين على أكثر اثمار الدنيا ان لم يكن على كل اثمارها ؟

فاختلفت الاجوبة فى العلل والاسباب ، وقال بعضهم انما يمتاز بما يحتوى عليه من مادة البروتين ، وقال بعضهم بل بما يحتوى عليه من عناصر التغذية الكاملة ، وقال البعض انه الثمرة الوحيدة الملائمة لكل الامزجة ، وقالوا شيئا مثل هذا ، ولما عجزوا عن الاجوبة الصحيحة ، قال الحاج محسن :-

- ان التين هو الثمرة التي لا نواة فيها حتى لبأمكانك ان تتناولها من الميزان وتضعها في فمك دون ان ترمى منها شيئا ، قشرا كان ام نواة ، أو أية فضلة اخرى لذلك يحق اعتبار التين ثمرة اقتصادية لا يذهب الثمن الذي تدفعه فيها ضياعا !!

وإذا كانت القاعدة ان يرث الابناء صداقة الاباء فقد سارت الامور هنا بعكس القاعدة اذ انتقلت الصداقة من الابناء الى الاباء فاذا بي انا وجمع من اصدقاء عبود شلاش (الابن) نصبح اصدقاء حميمين للحاج محسن شلاش (الأب) ثم تتطور هذه الصداقة فتصبح صداقة عميقة ، كان من آثارها التفكير الجدى في مواضيع وطنية اقتصادية عامة ، وكان منها ان تألفت شركة ذات رأس مال محدد للقيام بتجربة استخدام (زالال الزهدى) واستخراج سائل سكرى من التمر يقوم مقام السكر الجاف ، وقد عهدت الى ادارة الشركة فأصبحت مديرا لها ٠٠٠ وقد رأيت ان من توسيع هذا المشروع المبادرة باستخدام التمر في صنع بعض الحلويات ، والشكولاته ، والدعاوة للتمر دعاوة واسعة كان من جرائها قيام اغلب مقاهى النجف وبعض مقاهى مدن الفرات بتقديم الحليب والتمر الى الزبائن فى مقاهيهم وبيوتهم بدلا من الشاي والسكر ، وقد اسندنى الحاج محسن فى هذه الخطوة اسنادا يرجع اليه الفضل فى نجاح المشروع ، وكنا جمعا كان منهم السيد حسن زينى ، ومحمد رشاد عجينة ، والحاج على البهبهاني ، والسيد عبود شلاش ، وغيرهم ، وكل الغاية كانت غاية وطنية بحثة ، لان المال الذى وضع اساسا لهذا المشروع كان مالا قد وضع على سبيل التجربة ، ولقد استعنا يومذاك بالسيد عبدالرسول (الشكرجى) - وهو اليوم صاحب صيدلية النجف - بالنظر لخبرته فى صنع الحلويات ومعرفته بكيفية طبخها ، وبنينا لاجل ذلك معملا جهزناه بمختلف الادوات واللوازم لاستخراج زلال (الزهدى) واعداد التمر ليكون صالحا لصنع مختلف الحلويات ، كما شرعنا بوضع مقدمات لتوسيع هذه الشركة الوطنية واتخاذ فرع تجريبى للمنسوجات الوطنية ولاسيما نسج (اليشامنج) والمناديل البلدية ، وخطت الشركة خطوات سريعة ، وارسلت كميات من التمر بمختلف انواعه الى خارج العراق للاستعانة برأى الخبراء الكيماويين فيما اذا كان من الممكن استخراج

مادة سكر جامدة يستعاض بها عن السكر واستخراج سائل لا يتطرق الفساد اليه فكان الحاج محسن شلاش اول رجل فكر فى انتفاع العراق بتمره باقى حدود الانتفاع ، ولما كان الحاج محسن - كما قلت آنفا - لا ينظر الى الاشياء الا بمنظار واسع ومن جميع الجهات وبمختلف التصورات فقد راح يستعمل خبير شركتنا ، وهو السيد عبدالرسول (الشكرجى) فى تجاريب كثيرة قبل وصول آراء الخبراء الكيماويين عن التمر من الخارج وما يمكن الافادة منه .

واذكر من تلك التجاريب التى قام بها الحاج محسن فى معمل شركتنا التجريبي انه قام بحمس نواة التمر على النار ، حتى اذا صارت كحبة القهوة بعث بها الى بغداد للتحليل ، والاطمينان من صلاحها لو اراد استعمالها بدلا من القهوة ، وقد قام فعلا بدقها وغليها على النار كما يفعل بالقهوة ، ثم اجرى تجارب بان خلط مسحوق النواة - وكان يشبه القهوة لونا وطعما - بالقهوة بنسبة الربع والثلث والنصف واكثر حتى جعل منها مشروبا لذيذا بعض اللذة ، وقدمها الى الضيوف دون ان يخبرهم باصلها وفصلها فكانت تجربة النواة هذه لم تخل من بعض النجاح او كثير من النجاح لو كان قد مشى بها الى النهاية

وكثر استخدام الحاج محسن لوسائل الشركة فى اقامة عدد من التجاريب ولم يكن احد منا بقادر على منعه من ذلك لانه كان قد اسهم بسهمين من اسهم الشركة المذكورة باسم ابنه عبود شلاش ، ولانه رجل له مقامه واحترامه فى نفوسنا ونحن لم نزل شبانا كاولاده نفترض فينا اطاعته والصدع باوامره ، ولكنه مضى فى تجاربه الخاصة بمعملنا واصبح خبيرنا السيد عبدالرسول الشكرجى يعمل له فى معملنا اكثر مما يعمل لشركتنا ، حتى استفدت تجاربه الخاصة اكثر رأس مالنا الذى كنا اعدناه لتجارب معينة ، لذلك اضطررت انا لتقديم استقالتي من الشركة بعد ان اوضحت فى كتاب الاستقالة هذه الاسباب ، ولم يطل بقاء الشركة بعد خروجي منها اذ ما لبثت ان انحلت .

اما الحاج محسن فقد ترك التمر ومنتجاته وتصنيعه وانصرف الى توسيع الحركة الصناعية الوطنية من طريق نسج (اليشامبيغ) ، فكان اول من انزل الى

السوق هذه الشامبغ باسعار زهيدة رخيصة سدت يومها تقصا كبيرا ، وكان المنتظر ان تعقبها حركة مصانع ميكانيكية واسعة خصوصا وانها قد نجحت نجاحا باهرا ولكن الامر قد وقف ثم ما لبث ان تقلص *

لقد كانت للحاج محسن مواهب مختلفة الالوان وصفات تسترعى الانتباه فى كثير من الميادين وقد ضاعت بسبب عدم اهتمامه بنفسه ، او عدم معرفته بما ينبغى عليه ان يعمل للافادة منها افادة كاملة ، او على الاقل ليصون بها نفسه من حاسديه والحاقدين عليه ، لذلك كثر اللفظ حوله ، واختلفت الاراء فيه ، وهو على الغالب اكبر السبب فى هذا اللفظ وهذا الاختلاف لانه كان يجهل طريقة الاعلان عما يقوم به ، وقد زاد طرز حياته الخاصة وما كانت تكتنفها من اهمال لنفسه فى المآكل والمشرب والملبس فى الطين بلة ...

وكنت انا فى طليعة اولئك الذين انتقدوا الحاج محسن شلاش ولربما نالوا منه بسبب احدى الحفلات التى اقيمت لمدرسة الغرى الاهلية فى النجف لجمع التبرعات ، وذلك حين وجدت جميع التجار والمدعوين لم يتوانوا ولم يبخلوا بتبرعاتهم حتى لقد دفع شخص - لم يرض بذكر اسمه فى قائمة التبرعات - مبلغا كبيرا كان يساوى كل تبرعات الحاضرين ، الا الحاج محسن شلاش الذى كان يجلس حينذاك فى الصف الثانى كما يجلس المدعوون العاديون ، فانه لم ينبس ببنت شفة ، ولم يكتب شيئا فى سجل التبرعين ...!! فلم يكن حديث الناس يومها الا حديث هذا الرجل وهو الحاج محسن الذى كان يدعو الى مساعدة المدرسة ، بينما يحجم هو عن هذه المساعدة ...!! وكم كانت الدهشة عظيمة عندى وعند البعض حينما علمنا - ولكن بعد فوات الفرصة - ان صاحب التبرع الكبير الذى طلب ان يظل اسمه مجهولا لم يكن الا الحاج محسن شلاش نفسه ...!!

لقد دعانى مرة لتناول الغداء عنده ، وقال ان عندى طعاما قد اعد لى اعدادا خاصا ، واذ دخلت بيته وجدت اخاه الحاج رؤوف واولاده حول خوان حوى طعاما لا بأس به ، وقد جلس هو بعيدا عنهم ، فدعونى الى مشاركتهم ، فصاح بهم

الحاج محسن من مكانه قائلاً :- انه مدعو عندي ... ولا حاجة له بطعامكم ، وحين جىء بطعامه الخاص الذى دعانى من اجله ، فلم يكن غير كبد مشوية ، وارغفة خبز ، وارانجيتين او ثلاث رانجات ... وكان هذا كل الذى اشتهى هو ان يعدوه له غداء فى ذلك اليوم ، وقد عافت نفسه الالوان الاخرى ، فاقبل على الكبد بكل شهية ... ولعل الذى يراه وهو يقبل على مثل هذه الاكلات ، ولا يرى طعام بيته لن يتركه دون ان يسلقه بالسنة حداد ، وان ناقيه من هذه الناحية كانوا كثيرين ، بينما كان يجهل جلهم ان الرجل قد يفضل فى كثير من الاحوال بعض المأكول الشعبية المختصرة وهو عند صديق ، او فى ناحية من النواحي ، اقول ربما كان يفضل ذلك على اشهى الاطعمة التى تطهى كل يوم فى بيته .

وانتى اعرف ان بعض فلاحيه لايعرون مأكله اهتماما حين كان يخرج الى زيارة ارضه فى القرية ، فلا يعدون له اكثر من سمكة مشوية بينما كانوا يرتبون كل الارتباك حين كان يمر بهم اخوه الحاج رؤوف أو أحد ابنائه !! ذلك لان للحاج محسن مزاجا خاصا ، وحرية خاصة فى الطعام ، ولا ازال اذكر انه طرق بابى ذات ليلة والساعة كانت حوالى الحادية عشرة ، وتعبت من مروره بى فى مثل ذلك الوقت فقال :- لقد كنت فى زيارة الشيخ عبدالكريم الجزائرى - وهو على مسافة ثلاث دور من بيتنا - وعند خروجى من دار الجزائرى استلقت نظرى ضوء بيتك من النافذة وانا مار فى الطريق وحسبت ان لديك زوارا رأيت ان اتم (السهرة) مهمم عندك ... ثم قال :-

- والان خبرنى هل تعشيت ...؟

قلت :- لقد كان ذلك منذ وقت بعيد

قال :- وماذا كان عشاؤك ؟

فخجلت من سوء المصادفة وقلت له :-

- انه كان (ماشئا) ولم يكن معه شىء من (مذهب الكلب) او مذهب الخنزير .
و مذهب الكلب اصطلاح نجفى كما يعرف الكثير ، وهو كناية عن الدبس

وقيل عن اللبن او البصل والله اعلم (١) .

ورحت اتعر باذيالى من الخجل وجثته بما كان عندنا من بقية عشائنا فأقبل على (الماش) بشهية كبيرة واتقى على مسمعى محاضرة طويلة عريضة عن الماش ، وفوائده ، وقال ان الماش نعمة ربانية انعم الله بها على الفقراء ، فلولا الماش لماتت مدينة النجف التى قضت نحو الف سنة وهى لاتعرف الفواكه والخضر ، لقحالة الارض وققر المدينة ، فجاء (الماش) يعوض جميع ما تتطلبه الاجسام من عناصر النمو المقفودة ، والتغذية الكاملة ، ومن يدريك - فال - ان لا يكون فى (الماش) شئ من المواد المنعشة التى تعود اليها هذه الاحلام اللذيذة التى يراها الانسان بعد اكلة الماش فى النوم .

وعلى رغم شدة خجلى مما قدمت للرجل فى تلك الليلة من بقية الماش غير المؤدم ، فقد كانت تغالبنى ضحكة طويلة عريضة لتلك الفلسفة (الماشية) التى اسمعنى اياها الحاج محسن شلاش ، وانا موقن بان عشاءه الذى عافته نفسه تلك الليلة ، والذي ظل ينتظره فى بيته لم يكن يقل عن لونين او ثلاثة من الطعام ، بل لعله كان من انفس المآكل ولكن للحاج محسن خلق خاص ، وطبيعة حرة ، لايعرف قدرها الا الاحرار ، والا ضيوف الحاج محسن ، والجالسون على مائدته ، ولقد جلست الى مائدة آل شلاش مئات امرات لاسيما فى المناسبات التى يكون فى ضيافتهم زوار من الاجانب ، او المعارف ، او المدعويين من أهل البلد والاصدقاء ، فوالله ما رأيت على مائدته شيئا يشير الى بخل وتقتير ، ولم اجد فى اغلب الاحيان غير اجود المآكول ، واطيب الاطعمة ، واوفر الزاد ولكن مزاجه الخاص - كما قلت - قد جعل الناس يفهمونه على خلاف حقيقته ويروون عن تقتيره وبخله القصص والنوادر ، وصحيح ان الرجل لم يكن سخيا بالشكل المفهوم عن السخاء عند الناس ولكنه لم يكن مقترا وبخيلا بالشكل الذى كان يقوله الكثير من الناس . لقد اسهم فى الثورة العراقية اسهاما فعلا وانفق من كيسه كثيرا من المال ، وهو الذى دفع المبلغ المعين ثمنا لابرة المدفع التى سرقت من معسكر

(١) فى غير هذا المكان من الكتاب ذكر آخر للماش ومذهب الكلب .

الهنيدى (معسكر الرشيد) اليوم وجيء بها الى الكوفة لاستعمالها فى المدفع الذى غنمه الثوار من الانكليز فى معركة (الرارنجية) والذى تم تدمير السفينة النهرية الحربية (فاير فلاى) الراسية أمام مدينة الكوفة بواسطته . ثم لحقه كثير من الاذى بعد ذلك اذ اقتحم جنود الاحتلال الانكليزى داره وسرقت بسبب دخول الجنود الى بيته نقود وحلى كثيرة ، ثم سجن ، وحوكم من قبل مجلس عسكري انكليزى صارم .

والحاج محسن من المساهمين فى المشاريع المتسوعة ، وقد مد الكثير من المشاريع بالمال والمساعدة وهو اول من حمل (الحاج رئيس) على حفر جدول يمتد من الفرات الى النجف مخترقا مساحة شاسعة من صهر الهضبة من طريق كربلاء ، وقد حضر الملك فيصل الاول تدشين هذا الجدول وانفق عليه ٣٠٠ الف رية ثم مات (الحاج رئيس) قبل ان يتم المشروع فاحقق المشروع ووقف فى عرض الطريق ، ووجهت للحاج محسن انتقادات كثيرة وعزى اليه اخفاق هذا المشروع .

ولقد أبى اباؤ شديدا عن قبول الوزارة حين دعى اليها لاول مرة ، ثم تكررت عليه الدعوة فابى . . . ، وما زالوا به حتى قبل الوزارة ، ولقد حدثنى مرة عن استيزاره فقال :- لم اكن افهم معنى ما روى عن شخص كان قد عرض عليه منصب القضاء فى العصر العباسى فرفض قبوله وحين سئل الرجل عن سبب رفضه المنصب قال :- انما رفضته لانى كنت اخشى ذل العزل . . . لقد قال لى الحاج محسن - ولم اكن افهم هذا المعنى - معنى ذل العزل - الا عندما قدمت وزارتها استقلتها ، فاذا بى وبعد ذلك الاباء الشديدي الذى بدا منى حين عرض على الدخول فى الوزارة ، والذى حمل الملك فيصل على ان يصر على مساهمتى فى الوزارة . . . ، اذا بى استحيل الى شخص غريب ، كل همه ان يتمسك بالكرسى ، كتمسكه بدينه وكرامته واكثر . . . !! وقال وهنالك فقط علمت معنى الخشية من (ذل العزل) الذى كان يتوقاه الرجل المذكور عندما عرض عليه منصب القضاء فى العصر العباسى وهناك فقط رحى امن فى بلاغة تلك الرواية ومدى واقعتها .

وراح الحاج محسن بعد ذلك يتقلب في الوزارات ، وانا من الذين يعتقدون انه عمل للناس وهو خارج الوزارة اكر مما عمل لهم وهو في الوزارة ، ولست ادري أهو لانه كان مقيدا محدود المجال ، ام لانه انشغل بمراسيم الوزارة وشؤونها فانصرف عن العمل الكثير فلم يستطع ان يفيد الفائدة المرجوة من امثاله •

ولقد خاض وهو وزير للمالية كثيرا من البحوث المالية ، وناقش وهو نائب في المجلس النيابي ثم وهو عين في مجلس الاعيان الكثير من القضايا الاقتصادية وكان له فيها رأى ذو قيمة ، ولقد رأيت الكثير من الدائنين على العمل ، والمولعين بمتابعة الاشغال بانفسهم ، ولكنى لم ار كانحاج محسن رجلا جادا في اعماله ، لايهاب بردا ، ولا يخشى حرا ، ولا يعوقه مطر ، ولا تصرفه عاصفة عن تصميمه ، ومتابعة العمل الى ان ينجزه ، ولا اقول الى ان ينجزه على وجهه الاكمل لاني كثيرا ما كنت اختلف واياه في بعض الاعمال ، وكنت اعلمه برأى وموضع اختلافى معه فيرمينى بالاستبداد ، على ان ابتكاراته كثيرا ما اثارت اعجابى به •

وانى لاذكر ذات مرة وانا اجتاز شارع السراى في النجف ، وهو واقف يراقب البنائين في اقامة اسوار ملك له يقع في جوار خان المخضرات اليوم ، وهو ملك كان قد انتزعه من هضبة او تل على الاصح كان يمتد على طول الطريق العام ، وكان قد اقام في وجهه هذا التل عددا من الاساطين والاسس وتركها اعمدة قائمة منذ العهد العثماني ، فما لبثت هذه الاساطين والاسس والاعمدة القائمة ان مالت على مرور الزمن ، فاذا بها تعوج وتميل على غرار برج (بيزا) بل واشد من ذلك ميلا ••• وبقيت على هذا النحو ثلاثين سنة او اكثر •

اقول - انى لاذكر وانا مار من هناك انه رأى ، فنادانى من بعيد ، وحين اقبلت عليه قال :-

- هل سبق لك ان رأيت هذا العدد من الاعمدة المائلة من قبل ؟

قلت :- نعم لطالما كنت اراها وانا مار •••

قال :- أتراها الان ؟ انها قد استقامت واعتدلت ••• فكانها لم تمل ولم تعوج

فنظرت فاذا بها كما قال وليس اثر للميل فيها مع انه لم يهدمها ، ولم يقمها
من جديد !!...!!

قال :- أستطيع ان تحزر كيف اعتدلت هذه الاعمدة ؟
وحين اخفقت ، قال :- لقد اقمتها بالآلة التي يرفع بها سواق السيارات
سياراتهم الى الاعلى حين يريدون انتزاع احدى عجلاتها ... لقد اقمتها (بالجك)
وانا ادفعها بالتدريج ، واسوى البناء من تحتها حتى اعتدلت واستقامت !!...!!
وكان الحاج محسن مومنا ، شديد الايمان بمقدساته ، وكان من ايمانه
انصرافه الى تعبير كبير من الاضرحة المقدسة بقصد المثوبة ، وقد انفق على ضريح
مسلم ابن عقيل ، وضريح المختار ، وبعض الجهات الاخرى مبالغ طائلة ، ومن
ايمانه هذا كان التزامه بالاستخارة عن طريق (السبحة) التزاما شديدا ، فاذا ظفر
بمن يعرف اصول الاستخارة ، راح يطره بطلباته التي لاتنقطع بان يستخير ويظل
يستخير له الى ما شاء الله ... وسألته مرة عما اذا كان يرى لكل أمر عدة وجوه
فيستخير الله عن الاخذ باى وجه منها ؟ ام انه يستخير لامور مختلفة تعرض له ؟
فقال لى بل انه يستخير لامور مختلفة لايمت بعضها الى بعض بصلة فهو يختزنها فى
ذهنه حتى تحين الفرصة ويجد من يحسن الاستخارة بالسبحة فيطره بوابل من
طلباته ، وقال انه يجد فى هذه (الاستخارة) اطمينا بنجاح الفكرة التي تخالجه ،
وحين رآنى اوافق على ان للاستخارة اهمية من ناحية اخرى غير ناحية الايمان
المتغلبة عليه وهى السيطرة على التردد وحمل الاخذ بها من الموصوفين بالتردد على
الاقدام والاستمرار فى العمل الذى كان قبل الاستخارة يقدم المتردد فيه رجلا ويؤخر
اخرى ، انه حين سمع بتعليلى هذا وان لم يعجبه من عدم ايمانى بالاستخارة حمد لى
هذا رأى وقال انه رأى له قيمته الفلسفية ، وطلب منى ان ادلى برأى هذا لمن
يحتاجه فى تمسكه الشديد بالاستخارة ، فقلت له ولكنك رجل قوى الارادة ،
ورأى هذا انما يفيد ضعف الارادة الذين اعتادوا التردد فى امورهم ، اما امثالك
فلا احسب ان الاستخارة ذات جدوى لهم ...

كان على رغم انصرافه الى الجد انصرافا يستنفد كل قواه الذهنية ، والفكرية ، وكل ما اوتى من نشاط ، وحيوية في الحركة والانتقال ، لقد كان على رغم ذلك رجلا ظريفا لا يدع الفرصة تفوت دون ان ينتهزها في انعاش نفسه بالنكات ، والدعابة ، وطالما اجتمع بكثير ممن عرفوا بهذا الظرف في مقهى الحاج باقر ، ومنهم الحاج عبدالظاهر ، وطالما اثاروها عجاجة من الضحك والدعابة الصارخة ، وكثيرا ما يلجؤون الى نوع من النظم الدارج الشعبي المبدوء بحرف النداء (ايا) فيجىء هجاؤهم الفكهي على هذا النحو .

« أيا مداس خضره أيا جتک قدره »

ويكثر حينذاك النظم على هذا الاسلوب ، وعلى ما تمدهم به القريحة من هذا القبيل فيموج المجلس بالضحك ، ويدع الحاج عبدالظاهر ، ويتعثر حين يندفع بعجلة ليهاجم الحاج عبدالرزاق شمسه ، او الحاج عبادي الحسين ، او الحاج عبدالمحسن شلاش ، والحاج مرزوق العواد ، وطائفة كبيرة امثال الحاج عيسى الخلف وغيره ، ولربما ادى الظرف بهم الى مخادعة الحاج عبدالظاهر لايقاعه في داهية بقصد اثارة الضحك ، وكان الحاج عبد متسرعا وكثير العثرات ومن ذلك عثر مرة وهو يهاجم احد اترابه بمثل هذا البحر والروى فقد بدأ وهو يهزج قائلا :-

- أيا انت مداسي .

ولم يشعر الا وقد عثر به اللسان لتسرعه فاذا بالمصرع الثاني يجىء على هذه

الصورة .

- أيا ... راک براسي ..

فمجد الجاسون بالضحك والتصفيق ، ولليوم والبعض من النجفين يحذرون

المتعثرين والمتسرعين في الكلام قائلين :-

- حذار من عثرة الحاج عبدالظاهر .

وعلى ذكر الحاج عبدالظاهر اذكر ان الحاج محسن شلاش قد نصب له

ذات يوم (مقلبا) فقد اتفق مع حكومة القضاء في احد ايام العيد بان تبعث شرطة

التجف على الحاج عبدالظاهر وتخبره بان الامر قد صدر بان يرسل الحاج عبد
مخفورا الى بغداد وان الشرطة سترسله مع حارس منها بدون ان تضع قيده في يديه
احتراما له ولاسرتة الكريمة ...

وهكذا فعلت الشرطة وارسلت بالحاج عبدالظاهر الى بغداد ، وتولت بمسد
تسفيره اخبار اهله في التجف بان الامر ليس اكثر من مقلب دبّره الحاج محسن
شلاش لمجرد التفكّهة لكي يطمئن اهله .

وفي بغداد كان الحاج محسن شلاش والحاج عبادي الحسين وبعض الرفاق
ينتظرون وصول الحاج عبدالظاهر في احدى غرف محطة بغداد التي افرغوها لهم .
وهناك وبدون ان تصل اصواتهم بخارج الغرفة استقبلوا الحاج عبد باهزوجة:
(أيا) وبشيء كثير من قشور الرقي ، وعرف هنا الحاج عبد بالقلب ولا تسل عن
هياجه وثورته ، وقد سمعت انا الحكاية من الحاج عبد نفسه وقال لي :- لو لم اشفق
على الحاج محسن - وكان يومها وزيرا للمالية - لمزقت له الكشيدة ، ولاخرجه
من المحطة حاسر الرأس لذلك اكفيت بشيء خفيف من اللطائف .

قلت له - وما كان هذا الشيء الخفيف ؟

قال - (انت تدري ، اكو شي غير الدمغات) ؟

وكان هذا لونا من النوان فكاهات طبقة خاصة من التجار ومن المذنين اوردت
اسماءهم هنا .

* * *

وفي احدى زياراته لدار الهاتف كنت مشغولا بأمر مستعجل فناديت فراش
المكتب (حسن) قائلا :-

- أعد يا حسن للحاج محسن القهوة ...

ثم انهمكت في عملي ، وقد شجعتني على ذلك خلق الحاج محسن شلاش
نفسه ونفور طبعه من القيود والرسميات بحيث يحمل مجالسه على اخذ نصيبه

من حريرته ، والاتجاه الى عمله غير عابىء بوجوده ، لذلك لم التفت اذا كان الفراش حسن قد سمعنى حين ناديته ؟ وانه قد جاء بالقهوة الى الحاج محسن شلاش ؟

وبعد مضى عدة ايام قام الحاج محسن بزيارة اخرى لمكتب (الهاتف) فناديت الفراش حسنا ان يعد له القهوة حسب العادة ؟ فاذا بالحاج محسن يعترضنى قائلا - اذا كنت صادقا فى طلبك ، فغير اسم الفراش حسن باسم فراشك الحقيقى ، لاننى اشك فى ان يكون اسم فراشك هذا (حسنا) .

قلت - ولكن اسمه (حسن) فعلا ...

قال - لقد رأيتك تناديه قبل ايام ، وانا فى زيارتك بان يحضر لى قهوة فلم يحضرها حتى خرجت من مكتبك وانت مشغول دون ان اشرب القهوة ، فلم لايحتمل ان يكون بينكما شبه تواطؤ بان لا يأتى الفراش بالقهوة اذا ما ناديته (حسنا) !! وان يأتى بها اذا ما ناديته باسمه الحقيقى ...؟

وهنا قص على وهو يضحك القصة التالية :-

قال :- كان لرجل حديقة غناء فى ضواحي المدينة وقد حوت الوانا وانواعا من الورد والفواكه ، وكان اصداقاه يزاحمونهم فيأتون به الى حديقة ليطعمهم منها ، واليهاديهم بباقات من ورودها ، فيمثل الرجل امرهم ، ويخرج بهم خارج المدينة ، حتى اذا اقبلوا على الحديقة ، طرق الرجل الباب ، ونادى باعلى صوته :- أن افتح الباب يا (حسن) ويظل يطرق الباب وينادى حتى يكل الاصدقاء ويأسوا ويوقنوا ان (حسنا) هذا قد ذهب نثنان من الشؤون ، وانه غير موجود فى الحديقة ، وحين يظمن صاحب الحديقة من انصرفهم يطرق الباب صائحا :-

- افتح الباب يا فهد .

فيفتحها له ...

قال الحاج محسن كان ذلك لان الاتفاق كان قد جرى بينه وبين فلاحه ان لا يفتح الفلاح الباب حين يناديه (يا حسن) ويفتحه حين يناديه باسمه الحقيقى وهو فهد .

وقال الحاج محسن ... واذ كنت حقا تريد ان تسقينى فنجان قهوة فناد
الفراش باسمه الحقيقي لاننى ايقنت ان اسمه ليس (حسنا) ..

ولتواضعه وعدم اهتمامه بنفسه امثلة تثير الضحك وتروى عنها انقصص ، ومن
ذلك انه ركب القطار يوما من بغداد وكان يومها وزيرا للمالية فصادف ان يجىء
ركوبه فى احدى العربات التى كان قد استقلها موظف يدعى (مدوح افندى) وهو
يعمل امينا لصندوق لواء الديوانية ، ولم يكن (مدوح) هذا يعرف ان الذى يشاركه
العربة انما هو الحاج عبدالمحسن شلاش وزير المالية ، وهى الوزارة التى يتسبب لها
السيد مدوح ، او مدوح افندى كما كان يسمى يومذاك ، وكلما عرف هو ان
رجلا معهما بصفة من هذه العمائم التى يتخذها تجار ذلك العصر رمزا للتجارة
والحرف ، وان مجالسه فى المقصورة هذه رجل لا يلائم ذوقه ، فقد كان مدوح افندى
قد شغل مكتب العربة بقنينة من الخمر ، واقداح واوانى من (المزة) والنقل ، ولا يبعد ان
سيكون هذا سبب نفور وابتعاد بينه وبين هذا التاجر الذى صار جلسة فى هذه
العربة ... مما قد ينقص لمدوح افندى عيشه فى هذا الطريق ... كما توسم
ذلك .

وعرض مدوح افندى على الحاج محسن حسب قواعد المحيط مشاركته
فيما يشرب ويأكل وهو اشد ما يكون غيظا وحنقا على هذه الظروف والمصادفات
التي جمعت بينه وبين تاجر محافظ كهذا ... قائلا بشيء من الحنق :-

- تفضل چلبى اشرب ...

فقال الحاج محسن : سألبنى طلبك فى تناول النقل و (المزة) ، اما الخمرة فلن
اشربها ، ولكن ذلك لا يمنعتك انت من ان تأخذ حصتك منها كاملة ، ثم اقبل الحاج
محسن على تلك المستحضرات يأكل من هذه وهذه كما يلذه ويشتهي !! فزاد
ذلك من حنق مدوح افندى خصوصا وقد تناول الحاج محسن القسم الاكبر من
الدجاجة التى كانت تتوسط المائدة ...

وحين مشى السكر بمدوح قليلا وجه خطابه الى الحاج محسن وبغفمة من

الغناء ، وبشيء من الزراية والنهكم قال بلغته الدارجة :-

- امين جاي چلبى ؟

قال الحاج محسن :- لقد جئت من بغداد •

وعلى نفس النغمة والزراية تابع ممدوح افندى اغنيته قائلاً :-

- ويروح وين چلبى ؟

- قال اننى اقصد مدينة كربلا •••

فاستمر ممدوح وهو يأتى بحركات استفهامية مضحكة يشرك فيها يديه ومسحة

وجهه ويحيل كل وجوده الى استفهام مزر تحت تأثير الخمرة والحنق قائلاً :-

- مشروب تشرب چلبى ؟ •••

قال - ليحفظك الله اننى لم اشرب الخمر كما قلت لك من قبل •

قال ممدوح - شوية شوية چلبى •••

قال - ارجو المعذرة لاننى لم اعتد شرب الخمر •

وتستمر اسئلة ممدوح افندى ومضايقاته وتهكماته على هذا النسق طويلاً ،

وفى هذه الاثناء يقف القطار عند احدى المحطات فيجيبى خادم الحاج محسن

شلاش وكان يستقل الدرجة الثالثة من القطار ، يجيبى الى عربة سيده ويسأله

عما اذا كان له شغل او أمر فيجيبه الحاج محسن بالنفى ، ويستغل ممدوح افندى

مرور الخادم ويعود الى تهكماته سائلاً ؟

- خدام عندك چلبى ؟

قال - ذلك من نعم الله وافضاله •••

وعلى رغم سعة صدر الحاج محسن وحلمه فقد برم بمضايقه ممدوح افندى

وسئم من هذه التهكمات والزراية فاراد ان يستوضح عن هوية هذا الرجل فتوجه

اليه سائلاً :-

- وما اسم جنابك ؟

- فاعتدل ممدوح افندى وبشيء من الفخر والاعتزاز بنفس النغمة اجاب :-

- ممدوح افندى چلبى •

قال الحاج محسن - وما هو عملك ؟ ووظيفتك ؟

قال - صندوق امينى چلبى •

فسكت الحاج محسن وعلم ان الرجل من الموظفين التابعين لوزارته التى يرأسها ، ولكن ممدوح افندى راح هو الاخر يسأل على اساس مقابلة التعريف بالمثل قائلاً :-

- وشسم جنابك چلبى ؟

قال - انا عبدالمحسن شلاش •••••

ولم يكده يلفظ اخر حرف من حروف (شلاش) حتى ترامى ممدوح افندى على قدمى الحاج محسن وهو يقول وبنفس النغمة السابقة ورويها •

- داخل على الله چلبى ••••• مروتك اغاتى چلبى ••••• وين آنه اولى چلبى ••

سامخنى بالله چلبى •••••

* * *

كان عمر الحاج محسن حين توفى ٦٨ سنة وانى على يقين انه كان يستطيع ان يعيش مالا يقل عن عشرين سنة اخرى لو كان قد التزم بما يريد الطب ان يلتزم به ، ولكن النفس المجدونة على هذا النسق من الحياة والتي لاتعرف غير العمل ديدنا ، لاتخضع لناموس اسمه الطب ، او غير الطب ، فكان على رغم انحراف صحته فى السنوات الاخيرة دؤوبا على العمل ، وكان مثلا اخر للذين يقفون نفوسهم لمختلف المنافع ، فلقد كان مريضا ، وفى حالة غير مرضية ولكنه لم يتوان عن القيام بنفسه بدرس مشروع آبار النجف ، وكان يحذر النجفيين من مغبة المياه المتغلغلة فى أسس المباني ، ويصدر فى ذلك الكراسات وهو لاينسى ان يتفقد اصدقاءه ومعارفه ، ويتبسط معهم بكل انواع التبسط فى كل فرصة وان لم تساعده حاله الصحية •

وقبل يوم واحد من وفاته منعه الطبيب من الحركة حين احس بضعف طارىء ينتاب قلبه ، ولكنه ابى الا ان يزور مسجد (السهلة) فى عصر ذلك اليوم فيقطع

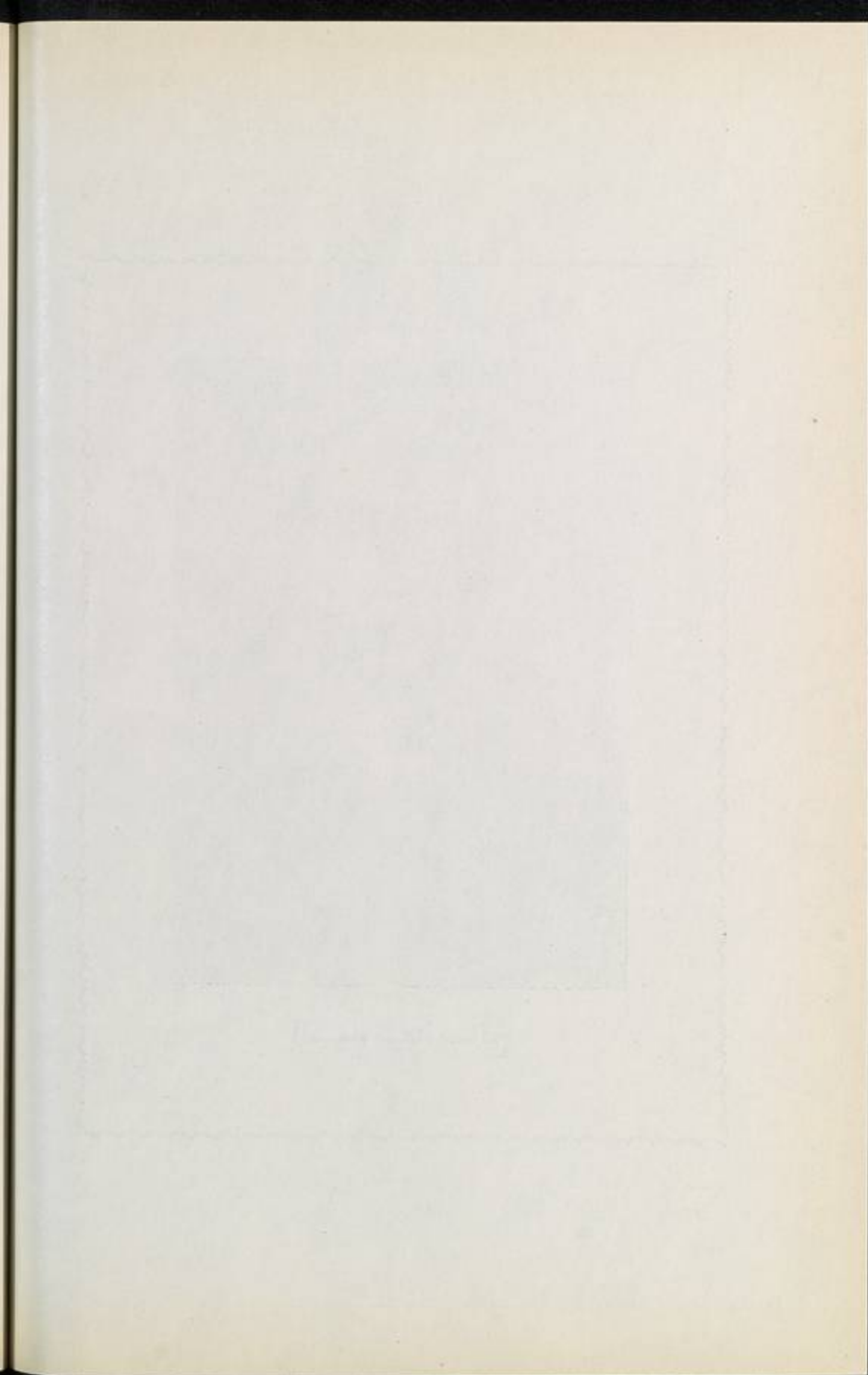
عشرة اميال بسيارة ولده (محمد) وحين مر في طريقه على (دار الهاتف) رغب ان ينزل ليزورنى ، ولكن ابنه استمهله ليرى ما اذا كنت انا موجودا بدار الهاتف فى تلك الساعة ام لا ؟

وكان من سوء حظى انى حرمت من رؤيته الاخيرة ، وكان آخر عهدى برؤيته قبل وفاته باسبوع او اكثر ولقد كان له بالهاتف صلة لن تنسى فقد اقضى (الهاتف) فى اول تأسيسه قرصة مالية أبى ان يأخذ صكبا بها الا بعد جهد كبير منى ، وحين حان موعد دفع المبلغ قال - انه كان يجب ان لا يسترده هذه القرصة لولا علمه بمزاج الهاتف وترفعه •

مات الحاج محسن شلاش ، وانقطعت كل علاقته بالمجتمع ، ومع ذلك فان علاقته الروحية ، وذكرياته المفعمة بالخير والتبلى والعاطفة لم تنقطع ، وسيظل كثير من عارفه يذكرونه ما عاشوا اما (الهاتف) الذى يحوى كثيرا من مقالاته واخباره فسيظل الحاج محسن منه ملء العين ، وملء القلب ، ولقد ودعته عند مشواه بدمعة كان كل معناها : انى لن انساها - •



السيد سعد صالح



السيد سعد صالح^(١)

لم يمر على هروب اخي الكبير عباس النخيلي المحكوم عليه بالاعدام من قبل المحكمة العسكرية البريطانية في الكوفة عقب فشل الثورة النجفية سنة ١٣٣٦هـ والتي وضعت خطتها لتكون ثورة عراقية عامة فاحفقت ، اقول لم تمر شهور حتى اتقيت (سعد صالح) لأول مرة في صحبة احمد الصافي الشاعر وانا جالس عند صديق لي في النجف كان يومها يشتغل ببيع السجائر ، وهو الشيخ مهدي زرندى الذي ترك بعد ذلك بيع السجائر وصار من الفقهاء والوعاظ ، وكنت اعرف (الصافي) معرفة جيدة من قبل ، لكثرة ما كنت اراه مع اخي ، اما السيد سعد فاني لم اكن رأيت بل لم اسمع باسمه من قبل .

ووقف الصافي جريا على العادة يسأل بالتلميح والاشارة عما اذا كنا قد عرفنا شيئا عن مقر اخي عباس ومصيره ؟ فقد كان الخوف يومذاك من السلطات البريطانية يعقد الالسن حتى ليحذر المتكلم ان يصرح بالاسماء ، والافعال ، وحتى كان الكثير من الناس يتفاهمون بالكنايات ، والرموز ، وحاول سعد ان يستوضح معنى هذه الكنايات من الصافي ولكن الصافي اوما له بمواصلة السير ، وليس من شك ان الصافي قد افهمه في الطريق عنمن كان يسأل مني ، كما لاشك انه عرفه بي بعد مغادرتهما لي ، ذلك لان سعدا لم يرني بعد ذلك في السوق ، أو الصحن او الشارع ، الا وكان يسألني عن اخي ، واخباره ، ومن هنا عرفت انه السيد سعد جريو كما كان يسمى يومها منسوبا الى اسرته وهي اسرة من اسر النجف المعروفة ، كما عرفت ان السيد سعد هو الاخر من اصدقاء اخي وانه قد دخل في زمرة طلاب

(١) الهاتف - السنة الرابعة عشرة - ٢٥ شباط العدد ٥٢٢ .

العلم لدرس العلوم العربية وهو بعد ذلك من الاحرار الوطنيين الذين كانوا يعملون على قدر طاقتهم للتخلص من الاحتلال الانكليزي .

وكان السيد سعد يلبس يومها اللباس البلدي المتعارف من قباء ، وعباءة ، ويشماغ ، وعقال ، وهو اللباس الذي اعتاد ان يلبسه الكثير من النجفيين حتى ابناء العلماء ، والتجار ماداموا صبيانا وشباناً .

وحين بدأت ادرس انا الاخر العلوم العربية ، كان يلزمني درسي المرور بمدرسة (الاخوند) الكبرى في النجف كل يوم صباحا ، فكنت ارى سعدا من بعيد ، ومن قريب ، فقد كان سعد يومذاك من مرتادي مدرسة الاخوند ، وكان للسيد سعيد كمال الدين هناك غرفة او غرفتان على ما اذكر ، كانتا مجمع الاحرار من الشباب ، وكان السيد محمد علي كمال الدين من اشط المدرسين في تدريس (المقدمات) والعلوم العربية ، فكانت تجتمع عنده طبقات كثيرة لتدرس ولتقرض الشعر ، ولتساجل ولتذاكر في الشؤون الوطنية ، وبث الافكار السياسية ، وانا وان لم اكن ضمن المترددين على هاتين الغرفتين ، لاني كنت من طبقة اصغر ، ومن المتأخرين مرتبة في الدرس عنهم ، ولكني كنت ارى الداخلين والخارجين من غرفة السيد سعيد كمال الدين في هذه المدرسة كل يوم ، وكان (سعد) من اكثر الداخلين والخارجين والمتصلين بهذا النوكر الادبي السياسي او (مقل الاحرار) كما كانوا يسمونه فيما بينهم ، ثم زادت معرفتي (سعد) بسبب مداعباته لاستاذي الشيخ علي الدشتي الذي لايتفق ان يمر عليه سعد - وكان الدشتي يجلس للتدريس في المر العام - الا ويستفزه سعد بكلمة من المزاح يجيب عليها الدشتي حيناً بمثلها ويعيب في اكثر الاحيان عن الاجابة فيكتفي بضحكة من ضحكاته الخاصة التي لم يسمع لها صوت

ونشبت الثورة العراقية ، وبدا بعض النشاط على هذه الطبقة من الشبان ، في الذهاب الى جهات اقبال ، والاياب منها ، ونقل المكاتب من جهة الى جهة ، واصدار جريدة (الاستقلال) و (الفرات) فيتردد اسم سعد خفيفا الى جانب اسم السيد محمد علي كمال الدين الذي عمل مع السيد محمد عبدالحسين في جريدة

(الاستقلال) ، وهي جريدة الثوار التي كانت تطبع بمطبعة الشيخ صادق الكبي ،
ولست ادري ان كان (سعد) قد حرر فيها شيئا ، ولكني كنت ارى انه يكاد لا يتخلى
عن ملازمة السيد محمد علي كمال الدين في الجريدة ، كما كان يلازم قبلا السيد
سعيد كمال الدين . وقد قرأ عليهما الدروس العربية وآدابها .

وحين انتكس الثوار في جبهة الفرات الايمن لاذ جمع كبير من الشباب
الاحرار بالفرار ، وقد سمعت بطائفة من اسماء الفارين حينذاك ، وكان اسم السيد
سعد من بين اولئك ، ولست في صدد وضع تاريخ لسعد ، او لتلك الحركة لكي
اتبع كيفية فراره ، واتجاهه ، وانما اريد هنا - شأنى فيما عرضت من هذه البحوث
قبلا - ان اسجل ما احتفظت به ذاكرتى ، وما كانت له علاقة بذكرىاتى الخاصة
ولم ادر الا وسعد طالب بدار المعلمين ، وقرأ احدى الجرائد ولعلها جريدة
(الاستقلال) البغدادية لعبدالفور البدرى فقرأ له مقاطع من الشعر ، ويزور النجف
بهيئة جديدة ، وبعمة خضراء ، فارى منه اشياء اخرى غير التي رأيت ، وسمعت من
قبل ، فقد كان (الصحن) في النجف يومذاك ناديا يضم مختلف الطبقات من
اساتذة العلم ، والادب ، والطلاب الوطنيين ، والاعراب ، فلا يكاد يدخل احد الغرباء
الصحن ، حتى توجه اليه الابصار ، من كل حلقة وكل جانب ، وتبدأ الاستفهامات ،
والاجوبة ، والتعليقات تراقص على الشفاه ، وعلى الحواجب ، ترى من هذا ؟
واحيانا يرمز للغريب (بالطير) فيقال - شنهو من الطيور هذا الطير ؟ ومنذ كم
هو هنا ؟ وما هي صفته وهويته ؟ والى آخر مناحى الفضول الذي عرفت به النجف
اكثر من غيرها .

وفى الصحن انذى هذا بعض مزاياه عرفت ان (سعدا) قد انهى دراسته بدار
المعلمين ، وانه يشتغل مديرا لمدرسة الايتام ببغداد ، ثم معلما في المدرسة الجعفرية
ببغداد ، وموظفا بالمالية ، وانه تلميذ في كلية الحقوق ، وان له صديقا حميما هو
السيد صالح جبر ، وانهما يعيشان في فندق عند مبدأ الجسر القديم من الرصافة (وقد حل
صدر الجسر اليوم في محله) وصار انفق اثرا بعد عين وقد كان فدقا متواضعا ، يسكنه

الغرباء ، وتقوم فيه مكاتب بعض المحامين ، وكان منهم السيد داود السعدى ولعل
 مكتب جريدة (دجلة) وهى جريدة السعدى ، ومكتب جريدة (الرافدان) نسامى
 خنده كان فى نفس هذا الفندق على ما اذكر ، اجل لم اكن اعرف سعدا الى حين
 ذلك التاريخ الا معرفة محدودة ، لاتزيد على ما اشرت اليه ، والتي ظلت طويلا لاتزيد
 على السؤال عن احوال اخى منى ان التقانى فى الطريق ، أو السوق ، وحين جاء
 النجف ليشتغل محاميا بعد استقالته من وظيفته الادارية (وقد كان وكيلًا لقاائمقام)
 صرت انا احد الذين يترددون على بيته ، فقد فتح بيته للناس ، وجعل منه ديوانا ،
 وبدأت تتراده مختلف الطبقات ، وكان هو اول محام نجفى تخرج من الحقوق ،
 وزاول المحاماة ، فاقبل عليه الناس يعهدون اليه بمهماتهم ، وامورهم ، وليس شىء
 كالمحاماة تعطى الفكرة الصحيحة عن شخص ان كان حسنا ، ام سيئا ، مستقيما ام
 غير مستقيم ، كبير النفس ، ام صغيرها ؟... وقد عرف الناس فى سعد شخصية
 ممتازة من حيث رعايتها للحقوق ، والتزامها بواجب المحامى انذاب عن حقوق
 موكله ، بكل معنى الذب ، وبدأت تحوط اسمه هانة من الاجلال والاحترام ،
 وكانت النجف قد شرعت تدب فيها الاختلافات ، فسعى الى ازالتها ، ووفق بين
 النزعات المختلفة ، فاذا به بين ليلة وضحاها يصبح شخصية لها شىء من الواجهة
 ثم بدأ يزيد نفوذه على مرور الايام ، ويكبر فى العيون يوما بعد اخر ، وفسح له
 فى المجال ليعمل عضوا فى هيئة مدرسة الغرى ، ومدرسة الغرى اول ما اسست فقد اسست
 لغرض سياسى اكثر منها لاغراض علمية ، وكان الملك فيصل الاول يعتمد اعضاءها للعمل
 فى الحقل الوطنى ، ومن طريق هذه المدرسة صار لسعد شأن آخر فوق الشأن
 الذى اكسبته اياه المحاماة ، وصار لاخذ رأيه من لدن رجال اللواء ، والقضاء ، قيمة
 فى المهمات والظوارى ، وزاد ترددى على بيته وبدأت اعرفه عن كتب معرفة قد
 تكون جيدة واكيدة ، ولعلى اول من عرف فيه بعض المزايا التى عرفتها دون ان يكون
 لاحد فضل دلالتى عليها ، لقد عرفته صادقا ، وهو يقدر الصدق ويفضله على جميع
 الصفات ، وعرفته جريئا ، وهو يعطى الجرأة كل ما ينبغى ان تعطى لتكون جرأة

محمودة ، وكان سعد يبدو خشنا ، وهو كذلك حيناً لمن يعرفه وكذلك دائماً لمن لم يسبق له التعرف به عن كتب ، وهناك كثير من الناس تم وجوههم عن خشونة ، وكبرياء ، وغرور ، حتى اذا اتصل بهم المتصلون عن كتب تغير رأيهم فيهم ، وعلى ان في سعد شيئاً من الخشونة الحقيقية ولكنه مع ذلك طريف ، وظريف بكل معنى الطرافة والظرافة ، حتى لقد يعجز ان يباريه الكثير من الظرفاء في سوق النكتة ، والدعابة ، والمزاح .

جلس مرة يلعب الورق في احدى الليالي وهو متصرف في لواء الكوت وكان شريكه في لعبه السيد (نافع) وهو أحد موظفي لواء الكوت يقابلهما شريكان على اساس المباراة ، فخسر سعد ونافع في الجولة الاولى من اللعب ، ثم خسرا في الجولة الثانية ، والثالثة ، وقبل ان يتما الجولة الرابعة قال سعد :-

لقد حضرني بيتان في شريكى السيد نافع وقبل ان يسأل رأى السيد نافع ويستأذنه قرأ البيتين التاليين مخاطباً شريكه السيد نافع :-

أجهدت نفسك لاعبا لكن لعبك كان ضائع
والضرر طبعك دائماً كذب الذى سماك (نافع)

* * *

وخاض سعد معركة انتخابات البلدية في النجف ، وخاض معركة انتخابات المجلس النيابي لأول مرة ، فبرزت شخصيته لكل عين ، ولأول مرة توسم فيه يبدو النظر صورة الزعيم المنتظر ، وتنبؤوا له بالمستقبل الباهر ، وقد آزره الشباب والشيوخ على حد سواء ، ولم ينفرد عنه في تلك المعركة الا بعض خصومه .

وكنت يومذاك اصدر جريدة (الفجر الصادق) في النجف ، فدعوت الى تأييد رأيه في انتخاب رأسه بلدية النجف ضد الحاج عبدالرزاق شمسة مرشح الحكومة حينذاك ، وأصدرت من الجريدة ملحقاً بتأييد السيد سعد الذى كان يؤلف رأى الاكثرية من النجفيين في ترشيح رئيس اخر للبلدية غير الحاج عبدالرزاق ، فشكر السيد سعد موقفي منه واعتبر ذلك من قبيل التضحية ، والسبب هو ان مبالغ كثيرة كانت

قد بذلت يومذاك من قبل الحكومة لمن يقف الى جانبهم كما قد اشيع بان محاولات كثيرة قد بذلت لايقاف جريدة (الفجر الصادق) على الحياد على الاقل اذا صعب استماتها الى جانبهم فاحققت تلك المساعي مع (الفجر الصادق) *

وكان السيد جعفر حمندى حينذاك حاكما فى النجف ، وقد قام المحامى على محمود الشيخ بتقديم شكوى ضد السيد جعفر حمندى لدى وزارة العدلية متهما السيد جعفر باهاتته له عند مراجعته المحكمة بخصوص موكلين له فى الكوفة ، وقال فى شكواه ان الحاكم اى السيد جعفررمى اوراق دعوة موكله بكل حق وغضب وتحقير فى وجهه اى فى وجه على محمود الشيخ ، وتقدم ستة شهود من أهل الكوفة يشهدون ضد الحاكم على وقوع هذه الاهانة بحضورهم ، وكان اغلب الشهود من بعض انفلاحين الذين تعمموا (بالكشاييد) واحتذوا (بالقنادر) ليظهروا بمظهر التجار المحترمين وارسلوا الى وزير العدلية باعتبارهم من وجوه البلد و (چليتها) على ما قيل يومذاك ، وقد تناولت جريدة (الفجر الصادق) هذا الخبر بتعليق ساخر لاذع وسردت الحادثة على ما كان قد اتصل بها من اخبارها وعنوت كلمتها ونقدتها بالكلمة التالية - (شوية عقل يا أهل الكوفة) ، وكان من جراء ذلك ان اقام الشهود الستة الدعوى ضدى باعتبارى صاحب جريدة الفجر الصادق وطلب الشاكون رؤية الدعوى فى محكمة (طويريج) لان القضية كانت تخص حاكم النجف فلا يجوز رؤيتها من قبله ، وكان حاكم ابو صخير (ذبيان الغبان) من اصدقاء السيد حمندى ومن اصدقاء (الفجر الصادق) فلا ينبغى تحويلها الى (ابى صخير) وان كانت (ابو صخير) اقرب محكمة للنجف ، وجاء سعد يطلب منى توكيله فى هذه الدعوى فابيت ، وألح على كثيرا فما زدت الا اباء ، ولم يكن لابائى سبب الا لاني خشيت ان يعد موقف سعد هذا بمثابة رد الدين (للفجر الصادق) ازاء موقفها الحماسى فى انتخاب البلدية وتأيدها المطلق له ، وهكذا عرضت الدعوى على محكمة (طويريج) وصدر الحكم بادانتى من قبل الحاكم رشيد الصوفى ، وجاء دور التميز ، فلم ار فى هذه المرة مناصا من توكيل سعد فوكلته ، فتم نقض الدعوى ، واعيدت الغرامة ، وظللت اشعر له بالفضل ، وزادنى ذلك حبا له وايمانا بشهامته *

ويمر بعض الزمن فيقع بين سعد ومؤيديه من جهة ، وبين الشيخ محمد رضا الشيبى من جهة ثانية ، شئ من سوء التفاهم وكانت لى بالشيبى يومها صلة جسد وثيقة ، وكنت من اكثر النوهين باسمه ، والمدافعين عن رأيه فى كل مناسبة كانت تمر ومن اكثر المتبعين لشعره ، وأدبه ، بحثا ، واستظهارا ، واستشهادا ، ومناقشة . . . وهذا ما بدأ يغضب سعدا ويسؤوه لحد ما .

وقد عز على سعد وجماعته حينذاك ان يرونى مندفا الى جانب الشيبى اندفاعا الشاب المتحمس المؤمن ، وشق عليهم ان يفسحوا لى المجال بينهم كما كانوا يفعلون فلم اشعر الا والوجوه تتغير بعض التغير ، ولعل هناك من حاول ان يخفف من غلوائى فلم ألت ، فكان ذلك سبب تجهم (سعد) فى وجهى ، وكان ذلك سبب ابتعادى عن سعد ، وعن حضور المجالس التى يرتادها هو واصحابه ، ثم ما لبث ان ادى ذلك الى نفور ، ثم السعى لتحويلى من النجف ، وانا حينذاك مدرس فى الثانوية الى ثانوية البصرة ونقل محمد مهدى الجواهرى الى محلى فى النجف ، وحين تمت استقالتي من (المعارف) ، وحين وقع شئ من سوء التفاهم بين الشيبى وياسين الهاشمى تصدت جماعة ياسين الى الشيخ الشيبى متهمة اياه بانه كان يسعى لاثارة النجف وتكدير صفو الوزارة الهاشمية فى هذه المدينة ، وقد ظننى سعد طرفا للشيبى فى النجف يكتب لى الشيبى من بغداد ، واسعى انا هنا لتنفيذ آرائه على قدر امكاني واعمل لاستفزاز النجف بقدر ما استطع وقد كاشفنى يومذاك متصرف لواء كربلاء بهذا الامر ، واخبرنى به الشيخ على الشرقى بصورة خاصة فازداد بعدى عن (سعد) ولعلى وانا بعيد عنه قد طغت على العاطفة فسيت الكثير من مزاياه ، أو لعلى وانا بعيد عنه قد فاتنى ان اعرف له مزايا اخرى كان يجب ان اعرفها اشباعا لرغبتى المتطلعة للمعرفة ، وليس لشيء آخر .

وسامت العلاقة بينى وبين الشيبى فى هذه المرة ، ولكن هذا لم يدنى من سعد ، ولم يدن سعدا منى ، فقد كان سعد سىء الظن وليس ممن يغير رأيه بسهولة وقد زاد ما جبلت عليه انا من خشونة واعراض لقد زاد ذلك شيئا من سوء ظنه

بى ، اذ كنت انا الاخر متجنباً فتح باب التفاهم ، والعتاب ، حتى مات ولدى (هاتف)
وكان سعد يومذاك متصرفاً لنواء الحلة ، فأبرق الى يعزىنى ، وقد عجبت كثيراً
لانى كنت اخال مثل هذه المجاملة ، والمنطابية ، بعيدة عن طينة سعد ، وقد رددت
عليه جواب البرقية بكتاب احسب انه لم يخل من عتب على ماض عزوت اسبابه اليه
وحده ، ثم شكرته كثيراً على تفضله ، وتعزيتيه اما هو فقد عقب على تلك البرقية
بزيارة قام بها للنجف فزارنى فى بيتى ، وزار آل الصافى فى بيتهم معزيا بوفاة السيد
محمد رضا الصافى (والد الدكتور على الصافى) *

* * *

ودعيت لزيارة سوق الشيوخ من قبل صديقى الشيخ محمد حسن حيدر
وكان السيد سعد متصرفاً للنواء المنتفك وفى اثناء مرورى بالناصرية ألح على السيد
سعد بقضاء ليلة عنده ، التقيت فيها بعبدالله القصاب وكان يومها متصرفاً للنواء
الديوانية فجاء الى الناصرية لمذاكرات خاصة بينه وبين السيد سعد بخصوص تأليف
جبهة من المتصرفين فى وجه صالح جبر الذى كان وزيراً للداخلية ، وعند عودتى
من سوق الشيوخ مررت بالسيد سعد بناء على ما قطعته من وعد على نفسى ، فأولم لى
وليمة دعا اليها بعض الوجوه والادباء وكان بين المدعوين السيد سعيد كمال الدين ،
والشيخ محمد حسن حيدر ، وبعض ادباء سوق الشيوخ ، وهناك فى بيت المتصرف
جرت مساجلة شعرية بين السيد سعيد كمال الدين وبين الشيخ محمد حسن
حيدر وقد حكم فيها سعد وسجل حكمه بابيات من الشعر ليست تحت يدي ،
فكان مجلساً من أعمر مجالس الادب وقد بدا لى فيه سعد مكشوفاً بظهارة قلبه ،
وصفاء نفسه ، وقد ارانى هنا ما لم اكن قد رأيت من طيب السريرة والوداعة .

وهناك فى المنتفك طغى نهر الفرات ، وزادت نسبة الطغيان اكثر من كل سنة ،
وكان الخوف على المدينة من الفرق يأتى من مكان يعرف (بابى جداحة) فراح يبذل
سعد كل ما كان يملك من مجهود ليحول بين المدينة التى طالما غرقت حينما تبلغ
مناسيب الماء هذا الحد واقل منه .

و كنت وانا بسوق الشيوخ فى هذه الدعوة التى اشرت اليها اؤكد للناس بان
الناصرية لن تغرق مادام سعد على رأس هذا اللواء ، ولقد اقترحت على وجوه (السوق)
وانا فى بيت السيد محمد والسيد عبد الصاحب السيد ادريس بان يبدأ هذا (القضاء) منذ الان
بتقديم رمز يشير الى امتنانه من مساعى (سعد) ومجهوده فى حفظ هذا اللواء ومزارعه
من الغرق فى تلك السنة ، على رغم تجاوز الطغيان حدود الخطر بدرجة هائلة ،
وقد رأيت ان اسهم انا الاخر فى مثل هذا الرمز كواحد من أهل السوق ، وهكذا
كان ، وقدم التصميم ، وصيغت قنطرة فضية تشير الى (ابى جداحة) واعد اطار
فضى خاص لصورة سعد وفوض الشيخ محمد حسن حيدر للقيام بنظم أبيات
مناسبة وكتابتها بخط فنى جميل تحت صورة سعد ، وتقديم الاطار والقنطرة والابيات
باسم سوق الشيوخ الى سعد صالح .

وحين عدت من (السوق) الى الناصرية - وكان قد بلغ سعد ما كنت قد
اقترحته وجرى التصميم عليه فى السوق - لا منى على ما وقع منى وقال :-
- أعلم انك قد اوقعتنى فى ورطة من حيث لا تدرى ؟
قلت - لا احسب شيئا من ذلك قد وقع ...
قال - فاذا انهد سد (ابى جداحة) ، وانهار امام هذا الفيضان الخطير ، فاين
موضع هذا الرمز ، والتكريم ، والشعر ؟
قلت - لن ينهد ولن ينهار ...
فهز يده وارسلها ضحكة استغراب !! وقال بما معناه :-
- ان (النجفية) لتلاحقك اينما ذهبت - لان النجف اذا اعتقدت بشىء حسبت
ان ذلك واقع حتما !!

واتتهى الفيضان وسلم لواء المنتفك من الغرق ، وكانت اول سنة يسلم فيها
هذا اللواء بجميع مزارعه منذ ٣٥ عاما وصيغت القنطرة ، وصيغ الاطار وكتب لى من
الناصرية بان اكتب الى سعد بان يعث بصورته لكى يتم ادخالها فى الاطار المصوغ
لتقدم له مع الرمز على سبيل التكريم ، وقد كتبت اليه فجاءنى منه الكتاب التالى وهو
واحد من عشرات مكاتيبه التى احتفظت بها كموذج لتواضع لم يعرف عنه احد

شيئا الا القليل ، وفى هذا الكتاب يقرأ انقارىء لونا من الوان انكاره لذاته بصورة لا عهد لنا بها ، ولونا من اخلاصه ، واحاسيسه المرهفة ، والتي تصلح ان تكون درسا من دروس الوطنية الصادقة ، وهو بعد ذلك صفحة من أدبه الرفيع الذى لو لم تغط السياسة عليه لرأى فيه - الذين لا يعرفونه - ادبا المعيا يشار اليه بالبنان وهذا هو الكتاب :-

• تحياتى واشواقى

قرأت كتابك ، وايات الاستاذ حيدر ، فوجدتهما فيضان بالعاطفة النبيلة اكثر من فيضان (ابو جداحة) بالفترات العذب ، ومع انى لا استكر عليكما كصديقين طغيان العاطفة ، الا انى استكر هذه الضجة حول اسداد (ابو جداحة) ، والاسداد الاخرى ، فمثل هذا العمل يعد من الواجبات الصغيرة التى يقوم بها رجال الادارة !!••

لاتعدنى يا اخى مبالغا اذا قلت لك انى اعتبر اثناء الكثير على العمل القليل ذما للعامل ، ولا تعدنى متواضعا اذا قلت لك بان محافظة الناس من الفرق باجبارهم على الاعمال الترابية اكثر ايام السنة لا اعتبره مفخرة !!••

نعم لو تمكنا من تنظيم انرى باثناء التواظم فى دلتا الفرات ، وعمل مجرى (ابى جداحة) ، وجسور الطريق الذى ينفذ منه هذا المجرى ، وتخليص المزارع من الفرق ، وتخليص الناس من الامراض التى يسببها الفيضان بدون تكليفهم بالاعمال الترابية الشاقة ، حتى فى الايام التى يجب ان ينصرفوا فيها لجمع محصولاتهم ، وتصفيتها ، اقول لو عملنا كل ذلك لكننا جديرين بالحمد والثناء ، اما والامر كما ذكرنا ، فلا مفاخر ولا مدائح !!••

ارجو ان لاتذكروا شيئا فى صحيفتكم عن (الرمز) ، ولا عن كتابى هذا ، وسأفاتيح الشيخ محمد حسن حيدر بشأن الاحتفاظ بالرمز ، وقد قبلت ابياته الا بيتين منها بكل تقدير وامتان •

اما رسمى ، فلا توجد لدى نسخة منه ، ولا احبذ وضعه بالاطار لو وجد ، فقد يكون فى ذلك ما يقلل من تأثير عاطفة الشاعر النبيل نحو صديقكم المخلص ، •

سعد صالح

وقدم له الرمز والابيات المطبوعة ، وكنت قد بعثت الى سوق الشيوخ باحدى صور سعد التي كانت لدى على رغم التماسه بالاكتفاء بالابيات كما ورد فى كتابه وقد قام بتقديم الرمز والصورة وقد من سوق الشيوخ حضر خصيصا لهذه الغاية فى الناصرية ، اما الابيات فهى :-

عليك (لواء) الحمد شكرا يرفرف	لانك فى دنيا العلا (متصرف)
بحزمك كافحت الحوادث وانجلي	عن الشعب ليل بالكوارث مسدف
وقفت امام الخطب سدا ممنعا	وذا موقف انى يحاكيه موقف
فله ايام عليك عصيبة	تهدد امالا لنا وتخوف
طغى الماء فيها والسدود ضعيفة	وهمة ارباب المزارع اضعف
فقاومته حتى تنى عنانه	وكافحته حتى انتى وهو اعجف
فيا (سعد) مازالت خطاك سديدة	وما زالت الامال باسمك تهتف
بك الزرع لاقى من يرق لحاله	ولم ير قبلا من يرق ويعطف
اليك اتى (سوق الشيوخ) مكرما	جهادك فى رمز عن الحب يكشف
يقدمه ذكرى لموقفك الذى	سيبقى مدى الاجيال وهو مشرف

وجاء سعد من الناصرية الى النجف ليقتضى فيها اياما من اجازته واقسم على ان لا يخرج من النجف وفى نفس احد عليه معتبة أو موجدة ، وكان قد قضى قبل هذا مدة طويلة فى النجف بعد الفترة التى سميت بحركة (رشيد على) وفى تلك الاثناء جلس للناس فى بيته كما كان يجلس يوم كان محاميا مقيما فى النجف ، وجدد عهده باصدقائه ومحبيه ، فقد لاح له انه كان جافيا فى اعين الناس لطول ابتعاده عن النجف ، ولا يبعد ان يكون قد بلغه رأى البعض فيه انه رجل خشن ، بعيد عن الملاينة والمطايبة لزاثيريه ، وملتقيه ، فجاء فى هذه المرة من الناصرية ليطرد هذه الفكرة عن رؤوس الذين كانوا يرون هذا الرأى فيه ، فما ترك احدا الا وزاره ، وما ترك عاتبا الا ورفع عتبه بشىء كثير من الاعتذار ، ولعل للخصومة السياسية أو الاصح خصومته (لصالح جبر) يومذاك بعض الاثر فى اندفاعته هذه

وتلطيف مزاجه ، او انه كان يريد ان يقول بان اعراضه عن الناس ومخاشنته لهم اذا كان ذلك فيما مضى صحيحا ، فهو اليوم لم يعد ذلك الرجل الذى يستطيع أحد ان يقول عنه شيئا •

والحق ان سعدا كان قد اعرض زمنا عن النجف قبل اقباله عليه ، اما اليوم فان اقباله على هذا النحو تجاه الكبير منهم والصغير قد صار حديث الجميع ، فقد تفقد مرضاهم ، وزارهم فى بيوتهم ، واسهم معهم فى اعمالهم ، وخفف كثيرا من اثقالهم ، وطالما صحبتته فى زيارة عدد من الندوات ، وكنا ذات ليلة فى زيارة بعض العلماء والشيوخ ، وحين تم لنا ان نزور عدة بيوت سألتنى :- ترى هنالك من يقتضى لنا زيارته بعد ؟ قلت - اذا لم تر بأسا فلنزر الشيخ قاسم معجى الدين ... وهكذا فعلنا وقد كانت ليلة لم يزل يذكرها جميع من حضرها فقد كان فيها سعد مرحا ، وقد فاض مرحة حتى تجاوز الحد فاذا به يبدع فى ارسال النكتة ، واذا بظرف الشيخ قاسم المشهور تضيق دائرته امام ظرف سعد الواسع حتى كدنا ان لانسبح للشيخ قاسم صوتا •!

وهكذا ظل ينتقل من بيت الى بيت ، ومن محل ، الى محل ، واتخذ من (دار الهاتف) مقرا له ، واستطاع ان يفيض عليها من المحبة ما اخجلنى امام نفسى حين كنت اذكر ايام الجفوة ، وكانت النجف قد بدأت تشعر بضعف يتابها فى جميع نواحيها لاسباب كثيرة ليس هذا وقت حصرها ، أهمها كان ارتحال عدد كبير من كبار رجالها عنها اما بحكم الوظيفة ، او التجارة ، او الامور الاخرى ، وقد تناول هذا الارتحال او الهجرة على الاصح حتى رجال الادب وأهل العلم ، فاستطاع سعد خلال هذه الايام التى اقامها فى النجف ان يجدد لها امالها ، ويعث نشاطها من جديد ويخفى عنها نقاط الضعف ، وغدت النجف تموج مرة اخرى بافكارها واعمالها ، ودب النشاط فى مفاصلها فنسيت كل مواطن ضعفها على الرغم من قصر اقامة سعد فيها ...

واعقبت هذه الزيارة من سعد زيارة اخرى جاءت مكملة لما بدأ به من عمل يزيد حبا فى النفوس ، وفى كل هذه الزيارات كنت من أكثر المتصلين به ، سواء

في بيته أو في (دار المهاف) ، أو في بيوت العلماء ، والوجهاء ، وقد كثرت الولائم التي أقيمت على شرفه واشتدت أوامر الأئمة بين قوم وقوم بسببه ، وزالت خصومات كثيرة نتيجة هذه الاجتماعات ، والولائم ، وكثر المجنون الأدبي والمساجلات الشعرية ، وعادت لتنجف بعض مزاياها في إرسال النكتة اللاذعة ، واننادرة المرتجلة وكانت والله من أئمة الأيام بل من أحلى ما مر على التجف في تلك الاوقات من اطايب مجالسها بفضل سعد .

ولزم سعد بغداد بحكم تباطئه في البرلمان ، وبحكم استيزاره ، فقتل ذلك من تردده على التجف ، ولكن سعدا ظل متصلا بالجميع من طريق الروح ، فلقى الناس الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه في سعد مأملا في قضاء حوائجهم ، وتسهيل ما يستطاع تسهيله لراحتهم فلم يفرق بين طائفة وطائفة ، ولا بين جنس وآخر ، وفي مدة جد قبيلة أصبح اسم سعد لامعا في جميع الأوساط .

وانتقل (المهاتف) الى بغداد ، فعدت الى سالف عهدي به ، ازوره كثيرا في اوقاته العامة والخاصة ، ولم تكن له اوقات خاصة ، لولا المرض الذي لازمه منذ سنتين فاضطره الى ان يجلس مجلسا خاصا للاصدقاء حين لا يكون بمقدوره ان يجلس للناس جميعا .

واصدقاء سعد نوعان حزبي ، وغير حزبي ، وكنت انا من اصدقائه غير الحزبيين ، وغير السياسيين ، ولقد كان يعلم بصلة كثير من اصدقائه بخصومه صلة وثيقة ، ومن اولئك كان سعد عمر ، فما اشار والله بشيء من هذا لاصدقائه ، ولا انكر عليهم مثل هذا الاتصال لان سعدا كان قد تغير - لقد تغير كثيرا - فلم يعد يهتم بمخالفة اصدقائه لارائه ولكنه طالما طرد البعض وشتم البعض من الذين كانوا يترددون على مجلسه وعلى مجلس خصومه فينقلون عنه حديثه لخصومه ، وينقلون عنهم حديثهم له ، واني لاذكر ذات مرة وقد كان سعد مدعوا عندي لتناول الغداء ، ان نال احد المدعويين معه من الشيخ على الشرقي ، ولم يكن الشيخ على الشرقي

حينذاك على حال مع السيد سعد ، وانا تربطنى (بأشرفى) رابطة صداقة أكيدة يعرفها سعد ، فاتفت سعد الى المتكلم وهو يتبسم وقال :- والعاذرة ؟ (والعاذرة كلمة تبيهية تقال لكى يتوقى الشخص ذكر أحد بالسوء اذا كان هناك من لا يرضيه مثل هذا الذكر السئ) •

ومعناها انه : اى عذر تقدمه عن نيلك من هذا الشخص وله صديق صميم بيننا - وهو يعينى - ؟ فرد عليه المتكلم قائلاً وماذا يهم ؟

قال سعد :- اذا كان لا يهملك انت لانك شعبان فانى والله جوعان واخشى ان ينتقم منا (الخليلى) بسبيك ويحرمنا من الغداء ، وكانت لباقة منه صرفت الحديث الى ناحية اخرى •

وكان ذات يوم - ونحن فى النجف هو وانا - عند حسن محمد على حاكم صلح النجف يومها ، وكنا فى غرفة المحكمة فى النجف ولم يكن معنا نحن الثلاثة احد ، وقد انجر الحديث الى أمور خاصة استلزمت ان يسرد (سعد) تاريخ تصدع علاقته الودية بصالح جبر وفى هذه الاثناء طرق باب الغرفة ودخل المحامى (فاضل عباس معله) فصرنا اربعة ، وظل سعد يروى القصة التى كان قد بدأها عما كان قد وقع بينه وبين صالح جبر ، نقد بدأ يرويها بحذافيرها ، ويستعرض موقفا يستدل منه على ان له بذمة صالح جبر مبلغا من المال لم يشأ ان يطالب صالح جبر به بعدما وقع بينهما من الجفاء ... ورجا سعد منا نحن الثلاثة ان نكتم مادار من الحديث عما يتعلق بدينه على صالح جبر لان وصول هذا الخبر الى صالح جبر مما يسئ الى سعد ... على ما قال •

وبعد بضعة ايام اتصل بى سعد بالتفون من بيته فى النجف - وكان قد ذهب الى بغداد وعاد الى النجف - وسأئنى بلهجة جافة خشنة قائلاً :-

- الم تستطع ان تكتم القضية اسبوعا واحدا ؟

قلت - أية قضية تعنى ؟

قال - او بعد هذا الافشاء مجال للتباه والتجاهل ؟

وهنا علمت ماذا كان يعنى ، فلم اتمالك نفسى ، وخففت اليه مسرعا ، وانا اشد ما اكون غضبا ، وهيجا ، لسوء ظنه بى وسألته :-

- أسمعنى من قبل ناقلنا عنك حديثنا الى أحد ؟

قال - لا وارجو ان لاتذهب بك الظنون مذهبها فقد كان ذلك منى مجرد

سؤال لاغير ؟

قلت - لا ابدا انه لم يكن مجرد سؤال كما تقول وانما كنت

تعنى امرا واقعا .

وتابعت الحديث قائلا :- ارأيتى ناقلنا لك عن أحد خبرا فيه شيء من معنى

النسيمة والوشاية بأحد ، وانت تعرف اننى اعرف عنك الشيء الكثير الذى قد لايجوز

نقله ؟

قال - لقد قلت لك كلا

قلت - فالذى لاينقل لك شيئا عن أحد لاينقل عنك شيئا لاحد .

قال - لقد قلت لك انه مجرد سؤال فلا تذهب بك انظنون هذه المذاهب .

ولم ادر اكان قد وقع فى وقته حقا بانى لم اكن انا الذى اوصلت الخبر الى

(صالح جبر) ولكنى علمت من سعد بعد زمن بانه قد عرف الذى نقل القصة الى

صالح جبر وسماه لى ، وما كان من صالح جبر الا ان اسرع وبعث بالمبلغ الى سعد

صالح !!

* * *

وسعد ظريف ، ويتقن النكتة كل الاتقان واذا احسن احد التنكيت استقبله

بالاستحسان حتى وان دارت على سعد الدوائر ، وان لهجة استحسانه غالبا هى كلمة

(جابها) (اى انه اتى بها فى محلها) وهو يرسل هذه الكلمة عند سماعه النكتة المرتجلة

البليغة ، وانى لاذكر ذات ليلة وقد خرج جميع زواره من بيته ولم يبق غير (تومان

عدوه) ولم يكن سعد فى تلك الليلة على حال من الرغبة فى اطالة السهرة فطلب

من (تومان) التعتيل بالخروج من البيت قبل ان يداهما احد من الزوار الذين

يخجل من الاعتذار انهم وتلزمه المجاملة بالبقاء الى جانبهم ، فاستمهله (تومان) ريشما يتم له (غف) سيكارتة ، وتدخينها ، وفي تلك الاثناء قدم زائران محترمان على سعد وما كادا يجلسان حتى تكلم (تومان) وقال :- انها نعمت الصدقة ، لان سعدا في شوق لا حياء جانب من هذه الليلة بالسمر والاحاديث وانا جد مشغول في هذه الليلة وقد اعتذرت اليه قبل مجيئكما راجيا ان يطلق سراحي فلم يقبل ، وقد ارسلكما الله نعمة له لتقضيها معه ليلة ارجو ان تكون سعيدة ، كما ارسلكما لي نعمة لاني سأستطيع بواسطتكما ان اذهب لشأني .

اما سعد فقد خففته الضحكة ، وحين هم (تومان) بالخروج توعدده سعد بالهمس وهدده قائلا :-

- ارجو ان لا يكون الصبح بعيدا يا تومان . . . فقال تومان - لعننى الله ان لم اخرج في هذه الليلة من المدينة ولتواجه الوجوه بعد شهر وكان بإمكان سعد ان يروى لزائريه القصة ، ولكنه كان يحاذر من أحد زائريه وقد كان سريع التأثر ان يعتبر هذه القصة بمثابة طرد له وذلك لمزاج خاص عرف به ذلك الشخص ، فظل سعد يتأهب وظل زائراه يتأهبان الى ماشاء الله . . . !!

وعرضت علبة السجائر الجديدة لشركة النصر التي اتخذت صورة سعد على الغلاف شارة ورمزا لها لقد عرضت هذه العلبة على السيد جواد الحيدري وهو عند سعد فلم يعرف السيد جواد صورة سعد ، وظنها صورة رئيس الشركة كما لم يستطع السيد جواد قراءة كلمة سيكارة (سعد) المطبوعة عليها بانخط الكوفي وظن ان المكتوب (ساعة أو ساعد) فقال السيد جواد للذي قدم له العلبة - قال له :- الم يكن الأفضل ان تصدر هذه العلبة مجردة من هذا (البجيم) المنحوس . فقال سعد - ولقد قلت لهم والله ذلك قبلك فلم يوافقوا ، بل ارادوا ان يحققوا في سيجارتهم الشطر المشهور (يكفيك شاهد منظرى عن مخبرى) وانت اعرف بقيمة سيجارتهم . . . قال هذا وضحك . . . وضحك الجميع . . .

وقال مرة للسيد حسين كمال الدين على اثر مولود جديد ولد له (وكان

السيد حسين كمال الدين قد التزم بقافية الميم في تسمية ابنائه كعصام ، وسهام ، وهمام ، وسلام) لقد قال له السيد سعد : اخشى يا سيد حسين ان تنتهي جميع هذه القوافي الميمية والسجعات لكثرة موايدك ويصل بك الامر الى (الصخام ، واللطام) .
وقيل له مرة ان شرطيا سريا يتخطى امام داره ليتجسس عليه وعلى زواره الداخلين عليه والخارجين منه ، فقابل سعد في اليوم الثاني مدير الشرطة وسأله عن ذلك ، فانكر المدير ان يكون ثمة شيء من هذا القبيل ، فعاد سعد الى بيته واوصى خدامه بان يستعدوا لنكتة عملية ، وهي ان يتجسسوا على الجاسوس ، حتى اذا راوه اليوم يفعل ما كان يفعل كل يوم فليقبضوا عليه وليدخلوه الى الدار . . . وكان كما اراد وكانت نكتة عملية اذ وضعت رجل الجاسوس في (فلقة) اعدت خصيصا لذلك الجاسوس وكانت كل ضربة تنزل على قدمي الجاسوس تعقبها هتافات من (صلوات) الخدم ، وسعد يراقب الامر من بعيد ويضحك ، ولم يعد يرى احد لجاسوس شبعا حول بيت السيد سعد بعد ذلك !! . .

وسعد شاعر ، وخطيب ، وله شعر كثير اغلبه يصور نزعاته الوطنية وقليل منه في النواحي الاخرى وقد وضع لمدرسة الغري اناشيد وطنية جيدة كانت تشدها المدرسة الى وقت قريب .

ولقد انشده مرة المستر (كرملى) ونحن في قارب بدجلة ايباتا بالانكليزية تتضمن تمنياته الطيبة للعراق وشعبه وتمنى في شعره ان يظل العراق دوما في رخاء من حيث ارضه ، وبساتينه ، ومزارعه ، ورد عليه سعد مرتجلا بثلاثة ابيات بالعربية تتضمن نفس التمنى للانكليز ، وقد قال فيها ان هذه التمنيات مجرد الفاظ ينبغي ان يرد عليها بالالفاظ ، وحينما تكون التمنيات اعمالا فانه سيرد عليها بالاعمال ، وقد كتبت ابياته الثلاثة وكدت ادسها في جيبي ولكنه طلبها مني ليدخل تعديلا عليها وما كاد يأخذها مني حتى وضعها في جيبه ولم يعدها الى ، ولقد رثي نفسه قبل ان يموت بأسبوعين بقصيدة في نحو ستين بيتا سماها (بالاشباح) ولما كان لا يستطيع ان يمسك القلم بيده فقد كان ينظم الابيات ويحفظها ثم يتلوها على من يحضر ليكتبها عنه ، وقد كتب شطر منها بقلم حسن الاسدي وشطر اخر بقلم محمد علي كمال الدين ، وشطر

بقلم ابنته (سلمى) وهذه ابيات منها :-

(١) الاشباح

ابوارق الامال والالام لوحى نعلك تكشفين ظلامى
فلقد بدا شبح الهموم على الدجى حلكا ركاما قام فوق ركام
يوحى الى نفس الكئيب كآبة خرساء تخلع مهجة الضرغام
متوسطا شبحين ذاك لمحنة الوطن الاسير ، وذا لفرط سقام
فلعلتى شبح رهيب كالردى ولموطنى شبح جريح دام

وسعد زعيم من زعماء السياسة المحنكين دون اقل شبهة ، ومقامه السياسى معروف لدى الجميع ، وقد طغت السياسة عليه حتى لم يعد لمن يعرف سعدا عن كتب ان يتبين فيه شيئا غير السياسة ، وهو رجل كان من القابلية واللياقة بحيث يستشف كثيرا من الحوادث ، ويتكهن بكثير من العواقب قبل حدوثها ، وله اراء جد صائبة ينفرد بها بين مئات السياسيين فى هذا البلد ، ويقدرها له الذين عالجوا المشاكل السياسية عندما خبروا بواطنها ، فقد اوتى حظا كبيرا من الذكاء والفتنة وان لاصابته الهدف وحسن قيامه بما يعهد به الى نفسه فى اشد الاوقات حرجا ، الاثر الكامل للموس ، ولعل ذكاه كان ابرز خصلة من خصاله الغريزية ، وقد يفضب سعد على امر ، او شخص ، وان غضبه وان كان مأمون العواقب ولكنه ليس من السهل انتزاعه لشدة وقعه من ذهن المغضوب عليه ، فسعد على رغم ابتعاده عن الانتقام ، واطمينان المغضوب من العاقبة عند مقدرة سعد منه ، فان لون اعراضه لن يتحملة المغضوب عليه ، بل يود لو انه انتقم منه لكان خيرا له من هذا الاعراض والاهمال ، ولعل هذا اللون من الغضب قد افقده بعض اصدقائه ، واشهد انه عرف فى نفسه ذلك فجنبها على قدر الاستطاعة هذا المحظور .

ولقد قال لى يوما وهو وزير للداخلية وكانت جريدة (الشعب) تساوؤه بصورة خاصة لان خصومة سعد لصالح جبر السياسية كانت قد بلغت اوجها حينذاك

(١) وقد نشرت القصيدة فى الصحف بعد وفاته .

وكانت جريدة الشعب وصاحبها يحيى قاسم من اشد اصدقاء صالح جبر ومؤازريه
لقد قال لى سعد - والله لو مات - وهو يعنى بذلك يحيى قاسم - قال والله لو مات
فلن اكسبه شرف اغلاق جريدته

وسعد حين يرسل الرأى السياسى يرسله مدعوما بالادلة التى لاتقبل انتشيك ،
فهو يعتمد المنطق فى جميع تفكيره ومن طريق المنطق يسعى للظفر .

وكم رأيته وهو متحمس لرأى ثم لايلبث ان يعود لينقضه من اساسه حين
يدو له رأى آخر سواء كان هذا الرأى له أو لغيره ممن يسمع به ، مادام يلمس
فيه الحجة الصائبة ، لذلك كان سعد ابعد ما يكون عن العناد فى آرائه السياسية
وكانت سلبته فى القضايا الوطنية منطقية معقولة ، ولعل لجرأة سعد اثرا كبيرا ايضا
فى شخصيته لاتقل عن مواهبه وقابليته السياسية والادبية ، والجرأة فيه قديمة
ترافقه منذ الصغر وبسبب هذه الجرأة دون غيرها فقت احدى عينيه على يد اسماعيل
هرندى وهما طفلان يلعبان ففر اسماعيل هرندى خشية بطش اهل سعد ،
وسويت القضية على طريقة ذلك العصر ، وكان لجرأة سعد أثر محمود فى بروز
اسمه ، وفرض شخصيته ، فقد كان للجرأة بعض سيئاتها فى حلق البعض عليه
خصوصا حين تتجاوز هذه الجرأة الحد وتكون صراحة اكثر مما تطبق هضمها
النفوس . كل هذا قدكون من سعد رجل سياسة لايشق له غبار .

وصادق سعدا كثير من الرجال على اختلاف نزعاتهم من حزبين وغير حزبين ،
وبالامكان القول ان كثيرا من اصدقائه قد صادقوه تحسسا بمنزلته ، وحبا بروحه ،
واعجابا برجاحة عقله ، وتعلقا بمبادئه القومية العربية ، وكان عبدالوهاب محمود
وعلى ممتاز الدفترى وكامل الجادرجى وعدد آخر من غير الحزبيين من اكثر
الملازمين لمجلسه فى ايامه الاخيرة وقلما زرته ولم اجد عددا من هؤلاء وامثالهم
يخوضون واياه مختلف الشؤون كانهم فى ناد لايومونه الا ليغدوا انفسهم بما
يطيب ، وما ينبغى ان تتغذى به النفوس الحرة التى لايقدها اى قيد ولا يمنعها مانع
من ان تقول ما تحس به ، واشهد انهم برواه كاصدقاء فانس بهم ، وامتلات نفسه

من مودتهم واعجابهم به ، وولائهم له ، واشهد ان لهؤلاء ولبعض الاصدقاء الحميمين غير
من ذكرت الذين كانوا يزورونه غبا كل الاثر فيما بدا عليه من جلد اكثر مما كان
يتحمل مريض يعانى آلام مرضه سنتين كاملتين ، فقد كان يتاسى بوجود الاصدقاء
مرضه ، وقد كان الدكتور عاصم الحياى ، وصديقه الدكتور مهدي الصندوق الذى
قد يرافق الحياى بعض الاحيان لمعالجة اسنانه اثر محمود على نفسه .

وأخر زيارتى لسعد كانت قبل وفاته بخمسة ايام ، وقد كان كل من ذكرت
هناك كما كان الدكتور احمد الجلبى ورأيت سعدا انشط ما يكون فى حديثه وأكثر
ما يكون مرحا ، وكان الحديث يدور حول هندسة الدور الحديثة ، وشكا هو
وتبعه الدكتور الجلبى فى الشكوى ، لقد شكيا مما كانا يعانياه من حمامى بيتيهما
وقالا انهما لا يستطيعان ان يسخنا حماميهما الا بعد ان يفتح احدي الحنفيات ويتركاها
مفتوحة تصب الماء مادامت النار تشتعل فى الاتون !! والا انفجر خزان الماء !! وتناولوا
فى حديثهما المهندس السيد محمد الحسنى بالدعابة وعزوا اليه عن طريق
الفكاهة هذا الخلل لانه هو الذى بنى لهما بيتيهما مع العلم بان ليس هنالك من
علاقة بين هندسة البناء ومد الانابيب ولكن الدعابة كانت قد تحكمت فى نفس سعد
تحكما قويا ، وجر حديث السيد سعد الى ذكر (اسطه حاجى) وافاض فى التكتيت ،
وابدع فى تلك الليلة ابداعا عظيما ، واسطه حاجى هذا بناء نجفى معروف ، قيل
انه لا يبنى جدارا ويتمه حتى يتنبأ بسقوطه فى موعد معين خلال اسبوع أو أقل من
ذلك !! .. وحين يسأله الناس متعجبين عن صدق تنبؤه حينما يرون الجدار وقد
انهار - انهم يسألونه عن السر فيجب الاسطه حاجى قائلا :- « البناية بنايتى وانا
اعرفها » .

وكان سعد قد احس بدنو اجله فى ايامه الاخيرة ، وكان قد بلغ سعدا ان
السيد مرزا القزوينى قد زاره وكان سعد نائما !! وقيل له انه ربما كان قد جاء
من الحلة الى بغداد لحضور تشييع (سلمان البراك) فشاء ان يتنزهها فرصة لزيارة
سعد . فقال سعد :- بل الاصح انه اراد ان يشيع جنازتين فى آن واحد (وهو يعنى
بالجنازة الثانية نفسه) .

قلت لقد احس بدنو اجله فى الايام الاخيرة على رغم انه لم يحدث له شىء جديد غير ما كان يحدث له من قبل ، والدليل على ذلك هو احضاره اخاه السيد طلب وابن عمه السيد حسين جريو من النجف لتسجيل وصيته قبيل وفاته بيومين فقط ، وقد كان جلدا ، وحين طفرت من عين اخيه الدموع لآمه على البكاء قائلا :- « ان الموت مصير لا بد منه وان الانسان يجب ان يهيب نفسه لقبوله بالحسنى » وكان من شعوره بدنو اجله هو تصديه لرثاء نفسه فى آخر أيامه وهو لم يفعل ذلك من قبل ولم يتحدث به . وعلى ان سعدا كان جلدا فقد بدا عاطفيا فى أيامه الاخيرة ، اذ راح يستعرض الكثير من اصدقائه القدماء ومن ان الذين حالت بينه وبينهم الحوائل السياسية او غير السياسية ، مما كان هو نفسه السبب فى الجفاء او كانوا هم السبب فى ذلك ، لقد بدأ يستعرضهم بالحسنى ويذكرهم بالخير ويغض النظر عن كثير مما وقع لهم معه فلا يذكر الا اطيب ايامه معهم وكانوا كثيرين وكان يستعرضهم واحدا واحدا فى بلدانهم ، وديارهم ، وكان منهم اموات ، والكثير منهم احياء ، ولم يكن ذلك عن عاطفة وحدها ، وانما كان يمازجها شىء من الفلسفة التى ترى ان الواجب يقضى بان لا يحتفظ الانسان بغير الذكريات الطيبة من الماضى اما السيئات ، فيجب ان لا يفسح لها المرء فى المجال حتى ولو باشغال جانب صغير من نفسه ووالله لقد اعتذر حتى لخادميه محمد ، وسلمان ، وسمعته يرثى لهما ويذكر انهما قد سهرا كثيرا من اجله وتعذبا كثيرا فى سبيله ، كما اعتذر الى جواد موسى مما كان قد سبب له من اتعاب فى اثناء ملازمته له فى سفره الى اوربا للمعالجة ، ومما قد يكون قد ند منه شىء فى هذا السفر فى حق جواد موسى الذى كان يحب سعدا كثيرا ، وشعر سعد منذ سنتين ، وكان مرضه يتطلب ان يكون بعيدا عن التفكير والهجم ، وكان ذلك - على واحد مثل سعد - عسيرا ، وقد تحدث ذات ليلة ولم يكن عنده أحد سواى ، وتطرق الحديث الى راحته فقال :- لقد سعى كثيرا الى الراحة فلم يوفق ، واذا ما استطاع ان يتعد عن اجواء التفكير ، وانشغال البال بالمرعجات ، فان ما كان يتلقى من الكتب والرسائل ، ومن احاديث زواره ، كاف ليجعله سابحا فى عالم

ليس له نهاية من الاخيلة المزعجة والهموم •

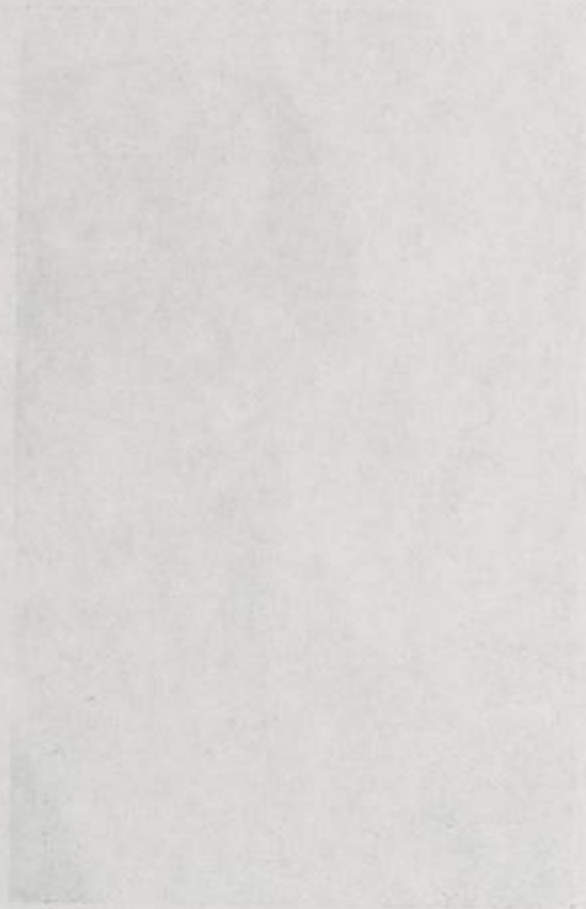
وقيل ان دواء سعد منحصر في تركيب جديد اكتشف حديثا بامريكا وهو كفييل ببناء ما كان يهدم من الاعصاب وما كان يضر من العضلات وينطفى من جمرتها يوما بعد يوم وهو المرض الذي كان يشكو منه ، وكتب الى امريكا وطال الانتظار ، وقد وصل الدواء المجرب الذي انحصرت المعالجة به ، لقد وصل في اليوم الذي فارق سعد الدنيا •

واحسن سعد بعد منتصف الليل بان حاله ليست على مايرام ، فسئل عما اذا كان بحاجة الى طبيب ؟ فقال ما مضمونه ليس هناك من فائدة فقد قضى الامر ، وكان سعد مالكا شعوره الى آخر لحظة من حياته وعلى رغم ما بدا عليه في ايامه الاخيرة من رقة في العاطفة ، ولين في الطبع ، وشفقة على اولاده الصغار وزوجته ، وهو يرى انكسارهم ونفاد صبرهم وسيل دموعهم فهو لم يدع احدا يرى دموعه ويشهد ضعفه الذي خلفه المرض •

لقد كان سعد بارزا في حياته ، والذين برزوا وماتوا كانوا كثيرين ولكن امثال سعد كانوا اقل من القليل فهو نسيج وحده من حيث مواهبه الخاصة ومن حيث وطنيته وتوفر ملكات الزعامة السياسية في نفسه تلك المواهب التي استدرت دموع اصدقائه وغير اصدقائه على حد سواء حزنا عليه ، وشعورا بالخسارة الفادحة ، فكانت فاجعة البلاد به عامة ، وراح ولم يكسب من دنياه غير هذا الشعور ، وهو كل ثروة الذين يعيشون للناس ، وتوفى قبل اوانه ، في الوقت الذي اوشكت الزعامة الوطنية والسياسية ان تنحصر به •



السيد محسن الامين



Faint, illegible text, possibly a signature or date.

السيد محسن الامين^(١)

المفروض عرفا - ولسنا ندرى من الذى فرض ذلك العرف - هو ان يكون العالم الروحاني رجلا جافا خشنا تدل على ذلك ما كله ، وملابسه ، وافكاره . . . !! وسواء كان هذا المفروض حقا ام باطلا فقد وجدنا اكثر العلماء الروحانيين يعيشون على هذه الوتيرة ، ويتهيهم اكثر الناس لجفافهم ، وعدم فهم افكارهم ، ولترفعهم عما يحوط الناس ويكتفهم ، اما الذين انطبق عليهم تعريف المؤمن من هؤلاء الروحانيين وهو ان المؤمن يكون هشاً بشاً فقد كانوا قليلين . . . ومن هذا القليل كان السيد محسن الامين العاملي ، فقد طرق اسمه اذني منذ اول ادراكى بانه رجل عالم مجدد ينزع الى تيسير الامور ، ويدعو للتبسط ، فمالت نفسى له ، وقرأت بعض توجيهاته وافكاره هنا وهناك ، فدلتني المقروء على روحانية من صنف آخر غير ما كنت قد الفت ان ارى فى النجف على الغالب ، نذلك هفت نفسى اليه ، وتقت الى رؤيته ، وكلما ازددت قراءة لافكاره ، ازداد ايماني به كعالم افهم ما يقوله ، واعرف ماذا يريد ان يقول ، وكم كنت وانا صبي أمر على المسجد الهندي ، ومسجد الخضراء ، ومسجد الطوسي ، واخيرا الصحن الشريف فى النجف ، فاسمع العلماء يتدارسون ويتباحثون ، فكان ذلك عندي كالرطانة واذا كان ذلك حقا باعتباره درسا من انفقه والاصول الذى هو فوق مستوى ادراك الرجال فضلا عن الاطفال ، فاين الحق فى هذا الكلام الذى يتداولونه فى مجالسهم ، ويرسلونه تعبيرا عن اغراضهم ؟ انه لايزال رطانة من الرطائن ، لا يستطيع ان يتفهمها كثير من الكبار ، وجميع الصغار على الاطلاق ، ولكن قد ينطلق من بين هذه الرطائن التى

(١) الهاتف - السنة السابعة عشرة - العدد ١١٤٣ - ٩ مايس ٩٥٢ .

ينطق بها العلماء كلام مفهوم بعض الاحيان لدى جميع الكبار والكثير من الصغار
فترتاح اليه النفوس ، وينفذ الى القلوب ، ولم نعرف سبب هذا الاختلاف ، حتى
قيل لنا ان هذه اللغة المفهومة كلها او بعضها ، والروحية التي تدفع بها وترزينا انما
هى لغة المتجددين من العلماء وروحيتهم فكانت آثار السيد محسن الامين من هذا
الوصف فى الطليعة •

ومن الحق ايضا ان اقول - ان هذا الذى سمي بـ"التجديد" لم يكن جديدا وانما
كان هو القديم الذى شرحه غير واحد من شراح الفلسفة بل كان اللب والاساس
من الدين ، ومن العلوم الاجتماعية ، ولكن الذى اخرج العلماء على قواعد الايمان ،
وانحرف بهم عن الطريق الذى يفرض على المؤمن ان يكون هشا بشا هو الذى
اخرجهم على مغزى التشريع ، وقواعد الدين ، واتحى بهم ناحية هى واصول
الدين الصحيح على طرفى نقيض ، فاذا بنا لانعرف منظوقهم ، ولا محمولهم ولا
ما يهدفون اليه فيما يخص المجتمع وليس فيما يخص بحوثهم العويصة •
وما لنا وهذا الان ؟ وكل ما اريد ان اقول هو ان اول ما جذبني من السيد
محسن الامين كان هذا الذى يقوله السيد محسن فيفهمه الناس ويتحسسون
بخطره وقيمه •

وازددت معرفة روحية به عن طريق ابى •• فقد كان ابى زميله فى الدرس
مدة طويلة ، وصديقه مدة اقامة السيد محسن فى النجف طالبا للعلم ، ثم علمت ان
للسيد محسن اندادا من العلماء ، وهم الآخرون كانوا ينفذون الى النفوس بدعواتهم
الاصلاحية ، واحاديثهم الشهية ، والفرق بين السيد محسن وغيره هو ان السيد
محسن لم يكتف بالكتابة والتوجيه والارشاد بل راح يعمل على قدر الطاقة لتشزيه
الدين من الشوائب ، والقضاء على كل تعقيد يوسع الخرق ، ويسعى فى العمل على
تشئة جيل صالح منذ ان بعث به (الشيخ محمد طه نجف) الى دمشق ليكون هناك
المرجع الروحاني ، والامام المرشد ، وقد توجه اول ما توجه الى تأليف كتب أدبية ،
اخلاقية ، مدرسية ، وتأليف كتب خاصة بتاريخ سيرة الحسين (ع) وقد عرض
لهذه السيرة عرضا مجردا من كثير من الشوائب والاكاذيب على قدر الامكان

لاتخاذها مصدرا لخطباء المنابر الحسينية ، والنزم الخطباء بمراعاة خطته في الماتم الحسينية واول عمل قام به بعد ذلك هو تحريم الضرب بالسيوف والسلاسل في يوم عاشوراء ، ومقاومة الذين يستعملون الطبول ، والصنوج ، والابواق ، وغيرها في تسيير مواكب العزاء بيوم عاشوراء فكان ذلك اول ذريعة اتخذها مخالفوه وخصومه لمهاجمته ، وقد ايدهم في نشاط الحملة ضده كونها جاءت متفقة ورغبة العوام (السواد) كل الاتفاق لذلك اتسعت الحملة ، وكان المجتهد الشيخ عبدالحسين صادق في (النبطية) ، والامام السيد عبدالحسين شرف الدين في (صور) ممن خالف دعوة السيد محسن الامين ، فبعثت هذه المخالفة في نفس السيد محسن روحا جديدة زادته حماسا وثورة في وجه القائلين بجواز الضرب بالسيف على الرؤوس في يوم عاشوراء ، وحمله الغضب على اصدار (رسالة التزييه) التي بنى احد اسباب غضبه على الرواية القائلة (من اغضب ولم يغضب فهو حمار) وكانت غصبة مضرية ، أدت الى مشاكل كثيرة ما كادت تبدأ في (جبل عامل) بلبنان ، حتى انتقلت الى العراق ، وتحولت من مشكلة اصلاحية ، الى مشكلة شخصية ، وقد كان آل صادق وآل شرف الدين ، ولآل الأمين ، اصداقاً لهم ، ومؤيدينهم في النجف فاندفعت كل جهة الى هدفها بكل نشاط ، واتجه الجميع الى كبار العلماء يستفتونهم في أمر الضرب بالسيف كمظهر من مظاهر الحزن على ابي عبدالله الحسين (ع) ، فافتي (السيد ابو الحسن) الاصفهاني بحرمة الضرب بالسيف ، وقال ما مضمونه «ان استعمال السيوف والسلاسل وانطبول والابواق وما يجرى اليوم من امثالها في مواكب العزاء بيوم عاشوراء باسم الحزن على الحسين انما هو محرم وغير شرعي»^(١) .

وافتي الميرزا حسين النائيني والامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وجميع كبار العلماء بشرعية الضرب !!٠٠ وجوزوا تلك المراسيم ، وكان (السيد ابو الحسن) لم ينفرد بعد بانزعامة الروحانية ، بل كان في طريق انفراده بها وكان وقوف منافسيه - وقد اجتمعت فتاواهم على خلافه - مما يوخر وصونه الى مركز

(١) - رسالة السيد ابي الحسن الفارسية - الطبعة الاولى .

الزعامة الدينية الكبرى ، فقد تلقى اغلب الناس فتاوى المخالفة للسيد ابي الحسن المؤيد للسيد محسن الامين بشيء من الارتياح ، وزاد من هياج الناس في وجه السيد محسن الامين تبنى الخطيب الشهير السيد صالح الحلبي فتاوى العلماء وشبه الغارة الشعواء على السيد محسن الامين وكان السيد صالح من مشاهير الخطباء الذين قلما توجد الطبيعة بامثالهم من حيث اللباقة ، والخبرة ، والجرأة^(١) فصرخ بالناس وهاجمهم ضد السيد محسن الامين واتقسم الناس الى طائفتين على ما اصطلاح عليه العوام (علويين) و (امويين) وعنى بالامويين اتباع السيد محسن وكانوا اقلية لا يعتد بها ، واكثرهم كانوا مستترين خوفا من الاذى . . . واتخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمجرد مهاجمة اعدائه واتهامه اياهم (بالاموية) . . . فكثر الاعتداء على الاشخاص . . . وأهين عدد كبير من الناس ، وضرب البعض منهم ضربا مبرحا . . . وبلغت الجرأة بالسيد صالح الحلبي ان يتناول على السيد ابي الحسن ويتناول السيد محسن بالسب والشتم ، وتجاوزت به الجرأة كل حد حتى قال في السيد محسن قوله المنكرة :

يا راكبا اما مررت بجلق فابصق بوجه (امينها) المتزندق

وقد قيل ان البيت المذكور كان لاحد (العاملين) وقد نسب الى السيد صالح الحلبي لانه كان الصق به من غيره لما هو معروف به من جرأة وعدم مبالاة . ومثل هذه الجرأة وان كانت قد اثارت نفوس الغياري ، وهاجت قرائح الشعراء المدركين والمعارفين حقيقة الاصلاح فانها لم تفعل ولا بقدر الذرة في نفس السيد محسن الكبيرة خصوصا وكان قد استعرض مواقف النبي محمد (ص) وآل البيت في دعوتهم الاصلاحية فيما الف من كتب مدرسية ساق فيها الشواهد والامثلة لما ينبغي ان يكون عليه الداعي الى الاصلاح من استعداد لتقبل جميع صنوف الاذى وضروب العذاب وقد احسن الشيخ مهدي الحجار وقد كان من (الامويين) في الطليعة حين قال من قصيدته يخاطب السيد محسن :

تأس يا (محسن) فيما لقيت بما لاقاه جدك من بغى ومن حسد

(١) مرت اشارة اوسع من هذه عن السيد صالح الحلبي في استعراض ايام السيد ابي الحسن .

وبدافع اعجابي بالسيد محسن ، وانطباعاتي عنه منذ الصغر ، ورايماني بصحة دعوته ، اصبحت (امويًا) ، وامويًا قحًا في عرف ائذين قسموا الناس الى امويين ، وعلويين ، وكنت شابًا فائر اندم ، كثير الحرارة ، فصبت حرارتي كلها في مقالات هاجمت بها العلماء الذين خالفوا فتوى السيد ابي الحسن والذين هاجموا السيد محسن ، ولما كنت يومذاك موظفًا فقد نشرت مقالاتي في الجرائد بتواضع مستعارة ، وتبعني في عملي هذا عدد من (الامويين) على حد ذلك الاصطلاح ثم ما لبثنا ان تعارفنا نحن (الامويين) وكن الشيخ محسن شرارة في الطليعة من اولئك التحمسين لمبدأ السيد محسن الامين الاصلاحى ، ولست اذكر شيئًا كثيرًا مما مر ، الا اننى كنت قد احسنت اندفاع عن السيد محسن بقلمى ، ولسانى ، حتى لقد هددت بالقتل والاعتداء حين انكشف امرى للبعض .

وكنت اجد في كثير من الاحيان رسالة او أكثر وقد القى بها من تحت باب الدار وهي تتضمن الى جانب التهديد بالقتل شتائم بذئثة تدل على خسة ، وجبن ، فكنت أسعى لانتقاطها قبل ان يعرف احد عنها شيئًا ، ذلك لان لى أما كانت ملتهبة العاطفة ، وكنت اخشى ان يصل اليها خبر التهديد فتجن وتغصص على حياتى ، وكان لى من حسن الحظ من يدفع عنى الشر ، ومن الحق ان اشير هنا بالثناء الى الشيخ عبدالكريم الجزائرى ، فقد كان ممن ذب يومذاك هو والزاهد اناسك الشيخ على القمى وافقيه الشيخ جعفر البديرى فقد ذبوا عن السيد محسن بحرارة ودافعوا عن رأيه دفاعًا جريئًا وكان ذلك سببًا لاتصالى الوثيق بالشيخ عبدالكريم الجزائرى ولكن التيار كان جارفًا ، والقوة كلها كانت فى جانب (العلويين) ، وكان هؤلاء (العلويون) واتباعهم يتفنون فى التشهير بالذين سموهم (بلامويين) ، وبلغ من الاستهتار ان راح حملة القرب وسقاة الماء فى ماتم الحسين بيوم عاشوراء ينادون مرددين : (لن الله الامين - ماء) بينما كان نداؤهم من قبل يتلخص فى ترديدهم القول (لن الله حرملة - ماء) فابدلوا الامين بحرملة نكايه ، وشتما ، وبعد عدة سنوات ، وحين أثرت هذا الموضوع ، موضوع تحريم النضرب بالسيف فى جريدة الهاتف ، هاجت النجف ، وماجت ، وكادت تحدث هناك فتنة ، وهنا تحول النداء

على الماء في المآتم الحسينية الى المناداة باللعن على افواه سقاة الماء صارخين
(لعن الله الخليلي - مائى) •

ولا تسل عن عدد الذين شتموا ، وضربوا ، واهينوا بسبب تلك الضجة التي
احدتها فتوى اسيد محسن الامين يومذاك وكان السبب الاكبر في كل ذلك هو
(اعاملون) اعنى - اهل جبل عامل - الذين كانوا يسكنون النجف طلبا للعلم وكان
مقظهم من مخالفي السيد محسن •

وممن دافع عن السيد محسن خارج النجف كان السيد مهدي القزويني في
البصرة ، وكان السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في بغداد الذي ساعدنا نحن
الذين تولينا الكتابة واندفاع عن السيد محسن مساعدة فعالة ، على ان دفاع هؤلاء لم
يكن مستغربا حينذاك بقدر ما كان يستغرب دفاع الشيخ على القمي ، ودفاع الشيخ
جعفر البديري لبعدهما عن روح التجدد •

وقد اثار هذان الاخيران في ذمهما عن السيد محسن دهشة جميع الاوساط
واستغرابهم •

اما اسيد محسن نفسه فان لرده على خصومه اسلوبا خاصا يهيج به نهج خصمه
في الرد من حيث الطريقة لامن حيث الشتيمة ، وانه ليدع في العرض على ذلك
انسق وبشيء كثير من الانسجام والتبسط حتى يدخل بكلامه الى قلوب قرائه
بدون استيذان ، ولاعجب فقد كان اديبا بارعا وشاعرا اجاد في كثير من مواضع
الشعر •

فمن امثلة ردوده ان بعض صحف بيروت كانت قد نشرت له تحريمه
لشبح الرؤوس بالسيوف ، والضرب على الصدور ، واستعمال المزامير والطبول في
مراكب الامام الحسين (ع) ، فانبرى له أحد كبار الروحانيين المتسترين مقندا ومكفرا
ومشعرا به في رسالة مستقلة طبعها وقد جاء في بعضها قوله :

«ومن فواجع الدهور ، وفظائع الامور ، وقاصمات الظهور ، وموغرات
الصدور ، ما نقله بعض جرائد بيروت في هذا العام عن نحرتم اشخاصهم من

المعاصرين الوطنيين (يريد به السيد محسن) من تحييد ترك المواكب الحسينية ،
والاجتماعات العزائية بصورها المجسمة في (النبطية) وغيرها ، فما ادري اصدق
الناقل ام كذب ؟ فان كان صادقا فالمصيبة على الدين جسيمة عظيمة
وقد راعى السيد محسن في رده اسلوب منتقده في سخريه مؤدبة جميلة اذ
قال :

« ان هذا التهويل وتكثير الاسجاع لا يفيد شيئا ونو اضيف اليه اضعافه من
قواطع النحور ، ومجففات البحور ، ومفطرات الصخور ، ومبعرات القبور ،
ومهدمات القصور ، ومسقطات الطيور ، بل ان من فجاجع الدهور ، وفظائع الامور ،
وقاصمات الظهور ، وموغرات الصدور ، اتخاذ الطبول والزمور ، وشق الرؤوس
على الوجه المشهور ، وابراز شيعه اهل البيت واتباعهم بمظهر الوحشية والسخريه
امام الجمهور ، مما لا يرضى به عاقل غيور » .

وقد اخذ بعض هؤلاء الخصوم من الروحانيين على السيد محسن محاربه هذه
البدع من تطويل والتزمير ونبس الاكفان والضرب بانسيف والسلاسل فقالوا
معرضين عليه :

« أبكى السماء والارض بالحمرة والدم ولا يبكى الشيعى بالدم المهرق من
جميع اعضائه » .

فرد السيد محسن على هؤلاء بما يلي :

« اتنا ما رأيناكم أهرقتم دما طول عمركم نلحزن من بعض اعضاءكم لتهرقوه
من جميع اعضاءكم ، فلماذا تركتم هذا المستحب المؤكد تركا ابديا ، وهجرتموه
هجرا سرمديا ، ولم يفعله احد من العلماء في عمره ولو بجرح صغير كبضعة
الحجام ، ولماذا لم يلبسوا الاكفان ، ويحملوا الطبول والابواق ، وتركوا هذه
المستحبات يفوز بها العوام والجهلة دونهم ؟ » .

واستطاع السيد محسن ان يوجه مساعيه توجيها عمليا فيحول بين ارباب
الماثم الحسينية وبين القيام باية حركة تنافى والشريعة الاسلامية على قدر
امكانياته وفي ضمن حدود تفكيره ، حتى الخطباء ، خطباء المنابر الحسينية استطاع

السيد محسن ان يفرض اطاعته على كثير منهم فيحصر خطبهم ضمن دوائر معينة من الموعدة ، والارشاد ، وقراءة سيرة (الحسين) ، وتاريخ شهادته ، بعد ان كانت النفوس تد عملت عملها فيهم حتى بلغ من تصرف الخطباء ان صاروا يروون الكثير من الاخبار المنفقة ، والروايات المدسوسة على المنابر ، وهي اخبار ، وروايات ، ربما كانت اقرب الى الكفر منها الى الاسلام عند علماء الشيعة المدركين والواقفين على فلسفة الاسلام .

أما النجف وسائر المدن الاخرى فقد قابلت دعوة السيد محسن ، وقوى السيد ابي الحسن ، برد فعل قوى ، شديد ، ظهر اثره في أول شهر محرم من تلك السنة ، فقد ازداد عدد الضارين بالسيوف والسلاسل ! . وازداد استعمال الطبول والمزامير والصنوج والابواق ! . وكثرت الاهازيج والاناشيد التي تتضمن النقمة والتحدى تلك الحركة الاصلاحية . . . فخاف (الامويون) واختفى الكثير منهم طوال العشرة الاولى من (المحرم) وبعدها بايام ، وانسحب البعض من الميدان كرها او اختيارا . . .

وبنح السيد محسن خبر هذه النضجة ، كما بلغه خبر الذين ذبوا عن رأيه ، ودافعوا عن حركته ، وظهر لى من شكره لى وتناثه على يوم التقية لاول مرة : انه كان قد عرف كل شىء عن الحركة فى العراق وفى النجف وهو فى دمشق ، فلقد كنت قد اصدرت (جريدة الفجر الصادق) وكنت يومذاك فى ريعان الشباب وشدته ، وعصيته - كما قلت - وكنت جريئا بقدر ما كانت تقتضيه طبيعة الشباب المؤمن بحقه ان لم اكن اكثر ، فكانت لى مع السيد صالح الحللى مواقف مشهورة ملأت بها (جريدة الفجر الصادق) واستطعت ان اتقم للاصلاح الدينى منه انتقاما ضج منه السيد صالح الحللى وهاج ، وضج معه انصاره ، وهاجوا . فهددوا ، واوعدوا ، ولكنى لم ابال بالتهديد ، والوعيد ، ولم يخفى الابراق ، والارعاد .

ومن الحق ان اذكر ان اندفاعى فى تحدى السيد صالح على تلك الصورة من الجراة التي لم يقدم عليها احد من اقرانى لم يكن وليد جرأتى الذاتية وحدها وشبابى .

الفائز وحده ، وانما كان لها ما يسندها - كما اشرت - من الامور المشجعة ، فقد كان (الحاج عطية ابو كلل) يؤيدني في موقفى لعدة اسباب ، والحاج عطية كان اكبر زعيم يهابه المتشدقون بقوتهم ، والمغرورون بسلاحهم - وأن اهم اسباب تأييد الحاج عطية لموقفى من تلك الجرأة التى سجلت منها جريدة الفجر الصادق جزءا غير يسير ، هو ان الحاج عطية كان من مقلدى (السيد ابى الحسن) اضافة الى ان للحاج عطية صلة صداقة جد متينة باسرتى ، حتى كان من مظاهر تلك الصداقة انه خرج من بيته ذات يوم على اثر مشاجرة جرت بينه وبين اولاده وأهله زعلان غاضبا وعلى كثرة بيوت ارحامه ، واصدقائه ، فانه لم يقصد بيتا غير بيت عمى الميرزا كاظم الخليلي وقد مكث فيه عدة ايام لم يترك اولاده فيها طريقة لم يسلكوها لكسب رضاه ، حتى رضى وانتقل الى بيته ، هذا فضلا عن اتفاق كان قد جرى بينى وبين الحاج عطية على ان تقوم ببث الدعوة لحمل (المواكب) ووفود المدن على ان يتخذوا من يوم ٢٨ صفر من كل سنة - وهو يوم وفاة النبى - يوما من الايام الدينية الرسمية لكى يقصد الزوار من جميع الجهات مدينة النجف على غرار ما يفعلون فى زيارة (كربلاء) فى يوم (الاربعين) وهذه الحركة وان لم تخل من نكاية للنجف بمدينة كربلاء لسبب ليس هذا محل ذكره ولم يكن باعثها الاول منفعة النجف ولكنها كانت حركة لها اهميتها الروحية ، والسياسية ، والاقتصادية . بالنسبة لمدينة النجف تلك الحركة التى كان الحاج عطية بطلها الاول والاخير ، وقد تكللت بالنجاح ، ومنذ ذلك اليوم والنجف تفص بالمواكب والوفود لزيارتها فى هذه المناسبة حتى لزم الامر - لكثرة الازدحام ، وكثرة المواكب ، ان تستدعى الحكومة قوة احتياطية من الشرطة للمحافظة على الامن والنظام لهذا اليوم من كل سنة !! ولان والكثير لا يدرون بان محدث هذه الحركة كانت (جريدة الفجر الصادق) وكان الحاج عطية (ابو كلل) ، وقد اصبح عشرات الالاف يؤم النجف فى كل سنة من مثل هذا اليوم .

اقول - كان كل هذا مما يسندنى ، ويشجنى اكثر للوقوف فى وجه السيد

صالح الحلبي ، الذي كان الجميع يخشاه ويتهيّبونه بالاضافة الى ما كنت انال من
تأييد (الامويين) وان كانوا قليلين يومذاك .

ولكى تتكلم الحملة على السيد صالح بالنجاح ، ويتم الانتقام لدعوة السيد
محسن الامين الاصلاحية قامت (جريدة الفجر الصادق) بالدعوة للخطيب الشيخ
محمد علي اليعقوبي الذي يسكن الحيرة (الجعارة) يوم ذاك ، ليحل محل السيد
صالح الحلبي في مهمة الخطابة في المآتم الحسينية ، فلقيت الدعوة اقبالا غير قليل
بالنظر لما كان يتمتع به اليعقوبي من مواهب ومميزات ، وشعر الناس بعد وقت قصير
بما كانت تترك (مجالس) اليعقوبي من لذة في نفوسهم ، ونجحت الفكرة ، واصاب
السيد صالح الحلبي شيء كثير من الفشل والانكسار ، وبان اثر هذا الانكسار والفشل
على السيد صالح اكثر حين لمس انصار الحركة الاصلاحية ، ضعف السيد صالح
وانكساره ، وبدا الجو يتغير ، فلم يعد يتردد اسم (الامويين) كثيرا كما كان يتردد
من قبل !!...!!

وزرت دمشق مصطافا لأول مرة وكان اول عمل عملته ان قمت بزيارة
السيد محسن الامين ، وكان يسكن بيتا الى جوار (المدرسة الحسينية) وجاء عنده
ذكر الحركة الاصلاحية فافاض (السيد) كثيرا في وصف العلل والاسباب التي
تؤول الى فشل تعميم الاصلاح ، وما يسود الناس من فوضى وقال ان الحركة
الاصلاحية بحاجة الى ايد فعالة لازالة الموانع والعراقيل لكي تتمكن من انتشار
هؤلاء الجهلاء من جهالتهم .

وقد اعطى الدعاوة ، والعظة ، والارشاد ، والجرأة اهمية كبيرة ، وقال انا
يجب ان نعد للاصلاح خطباء ماهرين ، وحين جاء ذكر السيد صالح الحلبي وهو
العدو الاول والاكبر لحركة السيد محسن الاصلاحية قال عنه السيد محسن بهذا
المضمون الذي أكاد أورده بالنص :

وان السيد صالح الحلبي هو احسن خطيب عرفته المنابر الحسينية ، وانا اود
ان نعد الخطباء على غراره اذا ما اردنا ان ننبه الناس ونوقظهم ، ونوجههم توجيها
صحيحا !!...!! .

ثم اضاف قائلاً :- « اما موقفه ضد الحركة الاصلاحية وضدى انا بانذات ، فله تفسير خاصة لايحوز ان تصدني عن قول الحقيقة !! » .
ودعاني السيد محسن في تلك الزيارة لحضور مجلس من مجالس المآتم الحسينية تقام في تلك الليلة بدمشق فقلت له :
- اننى اشكو التخمّة لكثرة ما حضرت هذه (المجالس) وما سمعت من احاديثها .

قال - ولكنك ستسمع في هذا المجلس ما لم تكن قد سمعت وسترى خطباء جددا اعددتهم مثل هذا ، وانا اسعى لاعداد المزيد منهم ...
ثم قال - « واني الزمك بالحضور في هذه الليلة فايك ان تتخلف ، ...
ولكنى خرجت ولم اعد ..

وبعد يومين او ثلاث زرته في بيته المذكور فلامنى على عدم حضورى (المجلس) في تلك الليلة ... واکثرت من زيارتى له مدة اقامتى في دمشق وقد علمت انه ينوى القيام بجولة في بعض الاقطار الاسلامية كالعراق ، وايران ، للوقوف على المصادر التاريخية النادرة لكى يعول عليها في اخراج موسوعته الكبرى (ايعان الشيعة) .

وجاءت الاخبار تنبى ان السيد محسن قادم الى انراق فاختلف انصاره في امر هذا القدوم فمنهم من رجحه ، ومنهم من لم يرجحه ، ذلك لان الفتنة فتنة (الامويين) و (العلويين) لم تكن قد خمدت بعد تماما . وان رد الفعل وان كان قد بدأ اخف من السابق ولكنه لم يكن بحيث يستهان به او تتجاهل عواقبه ، وقد كتب البعض الى السيد محسن ينصحه بتأجيل قدومه الى وقت انسب وذلك خشية ان يلقي مالا يليق به من الاعراض ، والتنديد ، والتحرش ، بصفته البطل الاول في تلك الدعوة التي مست السواد في الصميم ، ولكن السيد محسن كان جريئاً وكان غير هيب ، فتحرك من دمشق ... ولست ادري كيف ؟ كيف انقلب الوضع مرة واحدة ؟ وكيف دبت في النفوس روح جديدة !! فاذا بالجماهير كلها تحرك ، وتستعد لاستقباله ، وجاءت اشارة (السيد ابي الحسن) بوجود التهيو لاستقبال

السيد محسن ملهبة لشعور الناس ، فاذا به يستقبل استقبالاً لم تشهد النجف نظيراً له في كل المناسبات الماضية .؟! واذا بالسراقد الكبير - وهو اكبر ما تملك النجف - يقام خارج المدينة . . . فلم يبق عالم ، او تاجر ، أو وجيه ، او وضع ، دون ان يخرج الى استقباله على نحو من الجلال الذي لا يوصف . . . واذا (بكلو الحبيب) وهو من الزعماء ، ومن وجوه الطبقة التي يسمونها (بالمشاهدة) والمعروفة باستخدامها السلاح في حل مشاكلها ، اذا (بكلو الحبيب) الذي كان اكبر دعامة (للسيد صالح الحلبي) واكبر خصوم (السيد محسن الامين) اذا به يدنو من السيد محسن ، ويأخذ يده ، وينهال عليها بالتقبيل ، مرة بعد اخرى ، وهو يقول ويردد هذا المضمون - «لعن الله من غشني فصورك لي (امويا) فها هو ذا وجهك النوراني يشع بالايان فاعفر لي سوء ظني ، واعف عني ، فانما كان الذنب ذنب اولئك المغرضين المارقين الذين شوهوا الحقائق وقالوا عنك ما قالوا .»

وكان وجه السيد محسن يشع بالايان حقاً ، وكان بهيا وفي غاية البهاء ، فقد كانت له جاذبية ، وسحر ، يشعرك بنفس وادعة بعيدة عن التعقيد ، لاغموض فيها ولا ابهام ، فلا يكاد يراه الرائي الا وأحبه . .

ونزل في ضيافة السيد ابي الحسن اول منزل ، ثم انتقل الى بيت الشيخ خليل مغنية على ما اذكر وقد زرته هناك وكان محله غاصا بطبقة كبيرة ، ومن بينهم عدد ممن كان قد تالب عليه ، أو كان يؤنب الناس عليه الى عهد قريب ، ولكنهم ما كادوا يرونه حتى ذابوا امامه كما يذوب الثلج امام شمس الصيف الساطعة ، وبالغ الحاضرون في استقبالي وجاملوني وانا ادخل مجلسه سترًا لمواقفهم النابية ، وخوفاً من ان اشير - وانا العارف بفعلتهم - اني ما كانوا يبذلون من مجهود ومساع للنيل من السيد محسن والحط من شأنه ، وكان معظمهم من (العاملين) كما قد اشرت الى ذلك .

وبولغ في اكرام السيد محسن والاحتراف به ، وكثرت الولايم والدعوات التي اقيمت تكريماً له ، وفرضت (شخصيته) نفسها على خصومه فرضاً ، فبالغوا هم

الآخرون في تكريمه ، وتبجيله ، ولم يخرج من التجف حتى سقط اسم (العلويين) و (الامويين) نهائيا من سجل الاستعمال ؟؟؟!

وانهمك مدة اقامته في العتبات باستساح طائفة من الكتب الخطية وتبضع المصادر اللازمة لموسوعته (ايعان الشيعة) وقد اجتمعت به عدة مرات ، وكلفني بتهيئة عدد من تراجم اسرتي فاحلت امر ذلك الى محمد الخليلي الذي كان اخبر مني بهذا الموضوع وادري .

وسافر الى ايران وطاف باكثر مكباتها العامة ، والخاصة ، وعاد من زيارة ايران والعتبات الى سوريا ليتفرغ لتأليف (ايعان الشيعة) وما لبث ان اصدر بعض الاجزاء فنفدت ، وفي صيف احدى السنين جرى ذكر هذه الموسوعة في الشام وانا مائل بين يديه ، فقلت له - لقد حوت موسوعة (ايعان الشيعة) الى جانب اللب كثيرا من القشور ، وكم كان جميلا لو كان سماحة (السيد) قد اخرجها مغرلة نقية صافية . . فقال لي ما مضمونه :

« لقد مرت عدة قرون ولم يتصد احد لمثل هذا المشروع ، وقد تصدبت انا وجمعت ما جمعت ، فاذا كان ثمة بينكم من يصلح للعمل فليتقدم ، وليتول هذه الاجزاء بالغرلة ، وليخرجها خالصة فلقد سميت كثيرا ولقيت عناء جما ، في سبيل الحصول على المصادر والمعلومات اللازمة ، وليس هنالك من مشقة لمن يتقدم الان منكم لعزل ما ترمون عزله وانتقاء ما تريدون انتقاءه ولتر احقا انكم عاملون ، ام انه الفضول ؟ . . »

وكان الحق كما قال ، فلقد كان فضولا بحثا ، والا فابن اولئك - وانا منهم طبعا - اولئك الذين كانوا ينتقدون (ايعان الشيعة) لاحتواء مجموعتها على الكثير مما لم يكن مقتضيا ؟

ولماذا لا يتصدون الى تنقيته او تلخيصه وليس ذلك عليهم بعسير ؟

وخير مؤلفات (الامين) عندي هو (ابو فراس الحمداني) فقد ضرب به مثلا رائعا لاحدث اساليب التأليف من حيث الدرس والتحليل والاستنتاج . فانت حين تقرأه لاتصدق ان كاتبه رجل روحاني قضى عمره بين الكتب الصفراء القديمة اكثر

مما قضاه في قراءة الكتب المشرفة الحديثة • فقد ابدع في العرض والتحليل ، واستخلاص الرأي ابداعا غاية في الكمال ، وسرعان ما خرج الكتاب من الطبع حتى نفذت نسخته ، وكان سوق القاهرة من أكبر الاسواق التي استفدته • وزرته في صيف سنة اخرى بدمشق ، وقد جاء في ضمن الاحاديث حديث العراقل التي طالما وضعها في طريقه المتزيون بزى رجال الدين والمتلبسون لباسه وهم ابعد من يكونون عن الدين ومفهومه ، واهدافه فقال :

- اننى رجل او من بالعمل كثيرا ، وقد جئت الشام اول ما جئت ولم يكن للعمل قيمة ، فسعيت لجمع القلوب ، وتأليف الافكار ، وعملت على توحيد الكلمة ، ودعوتى الى نبذ الخصومة ، والى العمل فيما يصلح شأن الناس بدون تفرقة ، وكانت دعوتى عملية ، اقول عملية ، لاننى سعيت من طريق العمل لازالة تلك العراقل ، ورفع سوء التفاهم ، وجمع الكلمة ، وكنت اكر ما اخشى فانما اخشى اولئك الذين يعتمدون الاقوال وحدها في تسديد خطى المجتمع اولئك الذين افسدوا التوجيه بما غدوا به الناس من نظريات ، وافكار غير عملية وغير مجدية •

ثم قال :

وحين مر الشيخ عبدالكريم الزنجاني بدمشق ورغب في المكوث هنا بعض الايام رأيت يميل الى صعود المنبر فى الجامع الاموى ليلقى محاضرة دينية ، فخشيت ان تزيد محاضراته متاعبى فيخلف لى بعض المشاكل التى كنت قد تغلبت عليها بعد عناء طويل ، لاننى لم ادر ما الذى كان سيقوله ، فسعيت جهدى لصدده فلم افلح ، وصعد المنبر وخطب ، وانى احمد الله اذ لم ينقل الرجل كاهلى فى خطابه بما كان قد اثقله غيره من المحسوبين على الدين ، الذين يرسلون القول جزافا دون التفكير فيما اذا كانت النتائج لتلك الاقوال عملية ومجدية ، ام غير عملية وضارة • كما قد تعرف انت بعض اولئك ؟

وكان قد ثقل كاهله حقا من جراء تلك الحملات الشنيعة التى شنت فى وجه دعواته ، ومن جراء ما كانت نفيض به كتبهم ، وخطبهم ، ورسائلهم من الافكار

والاراء غير العملية والبعيدة عن التطبيق ، والمخالفة للهدف الذى يرمى اليه الشرع ، ولعل دعوة السيد محسن الامين العملية الى الاصلاح هي ابرز صفاته على الاطلاق ، فهو لم يكتف بمحاربة البدع فى قضية المواكب الحسينية ، بل عمد الى تأسيس المدرسة المحسنية للبنين ، ومدرسة اخرى للبنات ، وسعى لوضع كتب مدرسية ، تهيئية للتربية والتوجيه ، وقد تجاوزت هذه المؤلفات العشرات ، وبلغ من أمر اتجاهاه العملى ان حمل عددا ممن عثر بهن الحظ من المنحرفات اللواتي أبحن عفتهن ، وتجردن من عصمتهن لقد حمل عددا منهن على العودة الى حظيرة العفة ، وأمر باخراجهن من دور الدعارة والمبغى ثم دفع بعضهن الى ازواج شملوهن بالعفو والغفران فعشن شريفات ، ورزقن باولاد صالحين ، ببركة مساعيه العملية •

كثيرون اولئك العلماء الذين خبرتهم عن كتب ولكنى قلما وجدت كالسيد محسن الامين زعيما روحانيا كبير النفس ، على الهمة ، نبيل القصد ، سليم الذات ، انعم بالاصلاح العملى وتحمل فى سبيله العذاب والمشقات ، هذا زيادة على ما ملك من خبرة علمية واسعة ، وطول باع فى الفقه ، والاصول ، والتاريخ الاسلامى ، والعربى ، فقد كان من كبار المجتهدين ، ومن فحول العلماء ، وله فى الشعر والادب يد جد طويلة وكان من الافذاذ الذين قلما تجود الطبيعة بامثالهم ••

وكان آخر رؤيتى له فى صيف ١٩٣٩ ، وقد وجدته كعادته بين طائفة من الاوراق والكتب المبعثرة هنا وهناك على الارض تحوط ثلاثة اطراف مجلسه وكان معى صديقى الاديب الفلسطينى عبدالغفار كاتبه ، الذى التقانى مصادفة فى دمشق ، وعرف رغبتى فى زيارة (الامين) فابدى هو الاخر رغبته فى ان يمتع عينيه بهذه الزيارة لاول مرة كما قال : وفى هذه المرة كان السيد محسن هو الذى يفتح باب داره فى وجهينا ويقوم بتقديم قدهين من شراب الليمون بنفسه لنا ، على رغم اصرارنا عليه بملازمة محله ، ذلك لان القائم بخدمته كان قد بعث فى شغل ولم يعد ، والاغرب من ذلك اتنا وجدناه اشد ما يكون انهما كافي الكتابة وهو محموم!! وعجبنا كيف يقوم باعماله الكتابية وهو محموم منذ نهار اسس على ما علمنا ؟ ولكنه كان يستزيد مع ذلك النشاط ، ويدفع بنفسه دفعا الى العمل ، على رغم شيخوخته ••!!

فيقوم بمراسيم الضيافة لزاثيره بنفسه ، كما لو لم يكن لديه من يقوم على خدمته ؟
ثم يقضى نفسه وسط تلك المجاميع من الكتب ، والاوراق التي تحيط به ، وفي
ضمنها كتب خطية تحتاج قراءتها الى امعان وانعام تامين •

واعترضته وقلت - ان عليه واجبا تجاه نفسه لاسيما وقد اصبحت هذه
النفس ملكا للمجتمع فلا ينبغي ان يفرط فيها وينهكها بالعمل في الاوقات الاعتيادية ،
فكيف به وهو محموم منذ نهار الامس ؟

فقال وهو يحدق الينا -

قال - من عجائب التجارب اننى اجد فى عملى ، وانا منحرف الصحة ، شيئا
غير قليل من السلوى ، وراحة انبال ، حتى لقد كدت احصر أمر علاجي فى وعكسي
وما ينتابني من مرض اعالجه بالدأب على العمل ، والاغرب من كل هذا اننى وجدت
نشاطي فى العمل يمشى بنسبة طردية مع المرض حتى لقد استطعت ان اقول اننى
انتجت اجود ما انتجت من البحوث والمؤلفات وانا منحرف الصحة .!!•••••

وانتقل الحديث الى الامزجة والعادات ففرط مسامعنا بطائفة من الاخبار
والتوادد والطرائف عمن شذوا فى خلقتهم وطبائعهم وامزجتهم وكان كما قال
- لم يعقه مرض ، ولم يقعه حادث عن مواصلة البحث ، والتقيب ، والتأليف ،
وكان يعانى فى مرضه الاخير شيئا كثيرا من الضعف ، حتى لقد عسر على جسمه
ان يودى وظائفه الطبيعية من تناول الاغذية ، والنوم بالقدر اللازم ، اما الذى لم يطراً
عليه اى تغيير يذكر فهو اقباله على المطالعة ، والبحث والتأليف ، ثم هذا المزاج المرح
الرائق الذى قلما شوهد عند الروحانيين كما شوهد عند السيد محسن فهو مزاج
ظل يرافقه الى ساعته الاخيرة •

مر ذات يوم (بشتورة) قادما من بيروت الى الشام فوقفت السيارة هناك ونزل
سائق السيارة لتزويد سيارته بالماء بينما ظل السيد محسن داخل السيارة وكان قد
حصر رأسه ووضع عمامته الى جانبه ، والمعروف عن اشتورة وزحلة انها من اشهر
المدن التي تجيد عصر الخمر وتاجر بها ، وكثيرا ما يعرض باعة الخمر والعرق

خمورهم على المارين ، واستلقت هية السيد محسن وهو داخل السيارة حاسر الرأس احد باعة العرق وظنه من الاعيان والامراء المحافظين العريقين فدنا اليه وعرض عليه بضاعته قائلا له : ان لديه عرقا لم تصعبه للان آنية يمثل هذه الجودة والطعم والنكهة ... فهو من اعلى الاصناف والدها وارخصها .

وليس من شك ان هذا البائع لو كان قد عرض عرقه - يمثل ما عرض - على روحاني آخر لاقام هذا الروحاني الدنيا واقعدھا ولعد ذلك اهانة ما بعدها اهانة ، واذا تجلد ونطف مزاجه ، وغفر للبائع جهله فهو على الاقل سيقابله بشيء من التجهم ، والاستعاذة ، والزراية ، والاعراض عنه بشيء كثير من الاستهزاء والاحتقار ، ولكن السيد محسن توجه للرجل بوجه بشوش ، وانطلاق وبشر وقال :

- من المؤسف اننا قد اعتدنا تموين انفسنا بالعرق فى كل سنة ابتداء من اول الموسم !!

لقد كان يذكر من النجف صورا لم تمر على بال وكان لا يكاد يلتقى باحد من النجفيين وهو فى الشام الا وسأله عن الكثير من الناس والكثير من الامور التى ألفها يوم كان يدرس العلم فى النجف ، وقد قال لى مرة انه يقرأ الهاتف من ألفها الى يائها فتمر عليه فيها اسماء ذات علاقة جد كبيرة بماضيه وذكرياته العزيزة ، وقال لى مرة انه لا يتصور ان احدا يستطيع ان يعنى القناعة بمختلف صورها ما لم تكن (النجف) من اهم ما يمر على عينيه من اشربة الحياة . وصورها العامة ، وقال لى انه يتذكر شخصا ضخم الجثة بدينا كان يقترش الارض مما يلى باب الفرج من الصحن الشريف فى النجف فيعرض لبيع مفاتيح واقفالا وسكاكين ، ومحابر خزفية وسبحا وخرزا ، وكلها منقديم الصدى ، والعتيق والنفايات ولست ادري من اين يجمعها ويشتريها ليبيعها على طالبها من المحتاجين الفقراء بارخص الاثمان ، وكنت ارق عليه - قال السيد محسن - فارغم نفسى وارغم اخواني العاملين على ان يشتروا منه بعض الحاجات وان لم يحتاجوا اليها ولم يكن حالنا ونحن طلاب علم بالحال المجردة من التقدير ، وقد ابعت منه مرة سكنا صغيرة لبرى القلم وهى لم تسزل عندى الان تذكرنى بهذا الرجل البدين الضخم الجثة والبشوش الضحوك الذى

لايستر جسمه غير ثوب وعباءة خفيفة وعمامة بيضاء هي هي نفسها في الشتاء والصيف فكنت افكر كيف يستطيع رجل كهذا ان يقات ويقيم اهل بيته من عمل محدود كهذا؟ ولكنها القناعة التي فلما وجدت لها حدا في مدينة (النجف) •

فقلت للسيد محسن - ان الرجل المذكور لم يزل حيا وهو على ما وصفت من رقة الحال وضيق الرزق ، وقد استوفيت مرة عنده صديق انحنى على معروضاته نيبحت عن حاجة معينة بين تلك الاكوام من الخرز ، وقطع الزجاج والمسامير المختلفة والمفاتيح والاقفال ، وكان هذا الصديق معروفا بالدعابة والظرف فراح يداعب الرجل ويداه تبخنان بين تلك الاكوام من المسامير وقطع الحديد عما كان يشد ، وسأله - وهو يشير الى بطرفه ليوجه اتباهي اليه - لقد سأله مازحا :

- ما هي اعز امانيك من دنياك؟

قال - موتة مريحة •••

قال الصديق - ما اسهلها طلبه ، وما ايسرها؟

قال الرجل - وكيف؟

قال الصديق - ادع الله ان يميئك بالشكل الذي تريد وهو يفعل •••

قال - انه لايفعل •

قال الصديق - الم يقل الله عز وجل « ادعوني استجب لكم » •

قال - اذا استجاب الله دعاء الناس جميعا فانه لن يستجيب لي دعائي •

قال الصديق - وما هي هذه الذنوب الجسيمة التي اترفها حتى ضعفت

ايمانك بالله في استجابة دعائك؟

قال - وهو يضحك - ليس هنالك ذنب او جريرة ، ولكني معتقد ان الله اذا

استجاب دعائي واخذني اليه فانه لن يستطيع ان يظفر ببغل او حمار بمنل ضخامتي

وقناعتي وهو دائب يوصل الليل بالنهار كذا وعملا ليقيم ثمانية عشر فردا من افراد

العائلة التي ينوء بقوتها كاهلي •••

وهنا انفجر السيد محسن بالضحك ، لقد ضحك طويلا وظل يضحك ،
وحملتني سلامه الى الرجل القانع وقال لي ذكره بي فاني احسبه غير ناس .
ثم قال : ولم ازل اذكر رجلا من رشت كان يدرس العلم في النجف وكان
اهله من الاغنياء وكان يتناول منهم بين آن وآخر مرتبا يضمن له عيشا مرفها وحياة
رتيبة ، هذا فضلا عما كان يتلقى منهم من المنسوجات الحريرية والرز الكيلاني الفاخر
فكان يقسم كل هذا بينه وبين عدد من طلبة العلم الفقراء ويساوي بينه وبينهم قانعا
بما يسد منه الرمق ولا يحتفظ من ذرذرة الرز المعروف بجودته باكثر من (طبخة) أو
طبختين ليدعو عليها بعض رفاقه في بعض المناسبات من الاعياد .

واذكر من اهل القنعة في النجف رجلا هو الاخر من طلاب العلم ، وقد
كان فقيرا معدما حتى بلغ من عوزة ان راح يصوم بعض الشهور من السنة ليوفر
على نفسه الطعام والشراب واتدخين بعض التوفير ، وعلى رخص التبغ وتوفره حينذاك
فلم يكن بوسع الرجل ان يشتري منه شيئا ولو كان من ارداد انواعه فكان يعتمد الى
البيدان التي ترمى بها باعة التبغ بعيدا ، فيأخذها منهم ويسحقها ثم يشحنها في
(سييل) له كان قد صنعه بنفسه من الطين ، وقد اضطره الاحساس بالجوع ان
يقصد - وفي خفية من الناس - بين آونة وأخرى احدى آبار النجف القديمة في
خارج المدينة فكان يصطاد فيها طيرا من طيور الحمام التي تعشش بكثرة هناك ، كان
يصطادها بطرق شاقة قد تكلفه بعض الاحيان تمزيق ثيابه او خدوش يديه ورجليه ،
ويأتي بهذا الطير - بعد ان يذبحه هناك وينتف منه ريشه - الى غرفته في مدرسة
الشيخ مهدي ، وهناك يطبخه في خفية من الناس ، لان مس هذه الطيور فضلا عن
ذبحها فييح اذا لم يكن حراما في نظر جميع العوام بدون استثناء وكان هذا
الرجل شاعرا واديبا وكان على رغم عبوس الايام وتجهمها ومعاكستها له قانعا
ضحوكا لا يعرف الجزع الى نفسه سيلا . . .

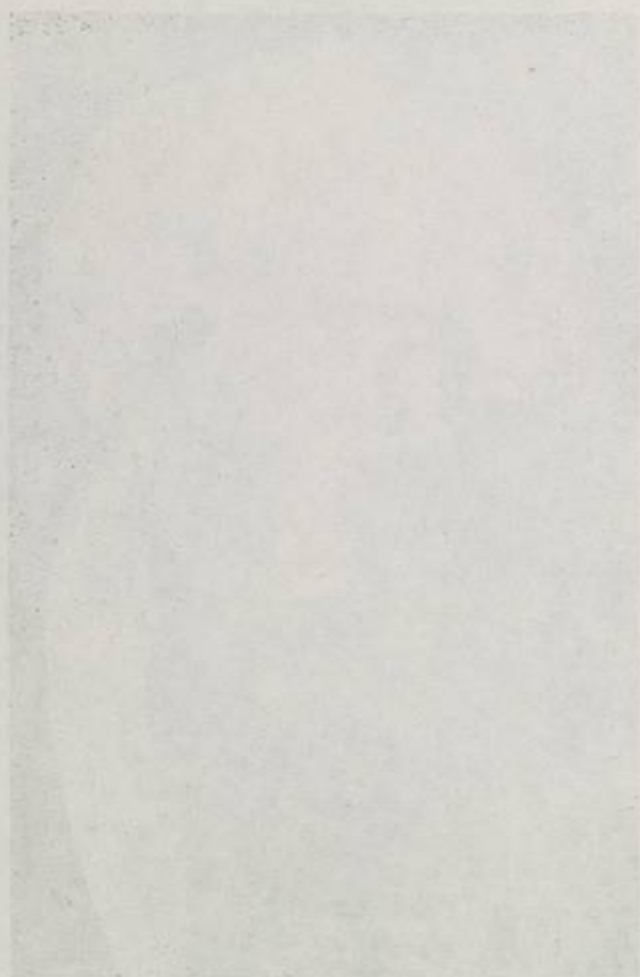
وكانت آخر رؤيتي للسيد محسن في الفندق بدمشق حينما تفضل فشمئني بالطافه في رد
الزيارة ، وحين خرجت لتوديعه الى الشارع لم ادري انني القى عليه نظرة لسن

تكرر بعد هذا ، واننى افارق وجهها لن اسعد برؤيته ورؤية امانه مدى العمر .

لقد كان سراجا وهاجا ، بل كان منارا يهتدى به التائه ، والفرق بينه وبين
الكثير من العلماء المرشدين العاملين ، هو ان اكثر او ثلث قد نفعوا الناس ماداموا احياء ،
اما السيد محسن الامين ، فقد نفع الناس فى حياته ، وضمن لهم النفع فى معاته وذلك
بما خلف لهم من آثار علمية جلية وآثار عملية مشهودة .



الامام محمد الحسين ال كاشف الغطاء



Handwritten text, likely a signature or name, located below the watermark.

الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء^(١)

لم تكن شهرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء يوم وعيت تتجاوز شهرة استاذ من افاضل الاساتذة ، وقد رأيت اول مرة وهو يباحث عددا من طلاب العلم في الحجرة الواقعة في الزاوية من الركن الجنوبي الشرقي من الصحن الشريف في النجف ، وما زلت اذكر اول ملتقى اياه ، واتصور هيكله حينذاك ، فلقد كان رجلا طويل القامة ، اسود اللحية ، حلو التقاطيع ، تدل ملامحه وهو يدخل الحجرة ويخرج منها على شخص كثير الثقة بنفسه ، وكثير الاطمينان من قدرته ، ثقة واطمينا نا خالصين من أية شائبة من شوائب الغرور والعجرفة التي عرف بها بعض اساتذة العلم ، وكلما فهمت - وانا في مبدأ الطريق من دراسة الادب - هو ان الشيخ محمد الحسين من اساتذة العلم المرموقين ، وانه فوق ذلك كاتب مبدع ، وشاعر بليغ ، ولكنني كنت قد سمعت باسم اخيه الاكبر المرجع الروحاني الكبير الشيخ أحمد كاشف الغطاء (واند الاستاذ عباس كاشف الغطاء مدير البنك اللبناني المتحد الحالي) قبل ان اسمع باسمه ، وكنت قد رأيت الشيخ احمد وهو يصلي بالناس كل يوم في الصحن قبل ان اري الشيخ محمد الحسين ، وكنت قد سمعت باسم ابيهما الشيخ علي آل كاشف الغطاء قبل ان اسمع باسميهما ، فلقد كانت لابييهما الشيخ علي آل كاشف الغطاء شهرة كبيرة كسبها من سفره الى اسطنبول ومقابلته السلطان وكبار الوزراء ، والقادة ، والعلماء ، واقامته في اسطنبول زمنا طويلا .

وان رؤية اسطنبول ، ومقابلة السلطان ، والوزراء ، والقواد ، والقضاة ،

(١) جريدة الايام العدد ١٣٥ - ١٩٦٢/٩/٢٣ .

ورجال العلم في ذلك اليوم لا يعد له في هذا اليوم شيء حتى الطواف بالدنيا كلها والتعرف بجميع شخصيات العالم من الميكادو الى البانديت نهر و فخر وشيف فالملكة اليزابث فاديناور وكندي وكل رجال الدنيا وشخصياتها ، فلم يكن يجيء ذكر الشيخ على كاشف الغطاء الا وتفغر الافواه اعجابا بهذا الرجل الذي رأى كل هذا ، واجتمع بكل هؤلاء القادة والرجال !!...!!

وزاد احترام الانكليز له في اثناء الاحتلال ، واعتبارهم الاسناد والاوراق الموقعة من قبله اوراقا رسمية لها حكم اسناد الطابو وحكم الاسناد المصدقة من كاتب الغدل !!...!! قد زاد هذا شيئا من احترام الكثير من الناس له وان كان احترام كهذا من جانب الانكليز قد قلل بعض الشيء من شأنه عند الاحرار والوطنيين .
وهناك شيء آخر له قيمة في شهرة الشيخ على ثم في نشأة ولديه - الشيخ احمد الذي صار بعد ذلك مرجعا من اكبر المراجع الدينية وزعيما كاذ يفرد بزعامه الشيعة وحده ، ثم تلاه أخوه الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي صار هو الآخر من اكبر الزعماء الروحانيين بعد اخيه - الا وهو المكتبة ، فقد كان للشيخ على كاشف الغطاء مكتبة انفردت بالكثير من الكتب العربية المفقودة وضمت مئات من الكتب النادرة التي بذل الشيء الكثير للحصول عليها ، وكانت تعتبر المكتبة الاولى في الشرق من حيث جمعها للنادر والمفقود من الكتب ، وعلى الرغم مما بيع منها بعد وفاته فهي اليوم لاتزال في عداد المكتبات المهمة وان كان مجموعها لا يزيد على بضعة الاف كتاب جمعها بشق الانفس كما يقولون ، ولقد روى فيما روى عن حرصه في اقتناء الكتب انه بينما كان منهمكا مرة في نقل كتاب خطي في أحد الجوامع باستنبول اذ جاءه أحد الضباط للقبض عليه بناء على أمر السلطان عبدالحميد الثاني متهما اياه بالتواطؤ مع (ابى الهدى) في تدبير مؤامرة سياسية نمت عليها قصيدة نسب نظمها الى ابى الهدى ، وابو الهدى هذا كان من اقرب المقربين الى السلطان عبدالحميد ... ولكن الشيخ على قال للضابط :

- كل من حدثك بانى سأترك عمل استنساخ هذا الكتاب قبل ان اصل الى

نهاية الفصل الذي يستلزم الانتهاء من استنساخه نحو ساعة أو أكثر فلا تصدق ذلك . . .

وهكذا اضطر الضابط بداعي الاحترام ، الى الانتظار حتى يتم الشيخ نقل هذا الفصل من الكتاب ، وبعد ان قبض عليه انكشف الامر عن بطلان تلك التهمة واطلق سراح الشيخ على وابي الهدى واجزل له العطاء من السلطان ومن صديقه ابي الهدى .
نقد كان الشيخ على يجمع كته على هذا النحو من الحرص والتهاك ، حتى اتم جمع تلك المكتبة النفيسة الثمينة .

وكان لهذه المكتبة شأن كبير في مد ذنك الاخوين العالمين الكبيرين بتلك الثقافة الواسعة في اول نشأتها وقبل انفصالهما عن ابهما ، وكان لتلك المكتبة صدى كبير في الاوساط العلمية ، وعلى رغم حرص الشيخ على تلك الكتب فقد كان لا يتوقف عن اعارة الكتاب للكثيرين ممن يعرف ومن طريق اعارته بعض الكتب النادرة لوادى استطعت ان اعرف اصل هذا الشيخ وفصله ، وشيئا عن بيته ، وآله ، واستطيع ان اؤكد بان الشيخ على لم يكن يمتنع عن اعارة الكتاب حتى للمشكوك في اهتمامهم بالكتب ، والمحافظة عليها ، وكان من اولئك الشاعر محمد مهدي الجواهري الذي اعاد ان يستعير بعض الكتب منه ، ويعيدها اليه سالمة صحيحة ، ذلك لان الشيخ على لا يمتنع اذا ما تأخر ميعاد اعادة الكتاب ان يبعث بخادمه فيجبر المستعير اليه جرا ، ولن يمتنع من ان يلقيه ارضا ، وينزل فيه ضربا ، بتلك العصا الغليظة التي كان يستعين بها في مشيته .

واذكر مرة - والشيء بالشيء يذكر كما يقولون - ان الشيخ هادي الحضري قرأ للشيخ علي كاشف الغطاء بيتين من الشعر يتضمنان طلب جبة أو قباء ، فاستحسن الشيخ على البيتين ، ونادى الخادم فجاء له بجبة من جيبه والبسه اياها ، وبعد يومين وهو يقلب الصفحات في كتاب (نفحة اليمن) استقصاء لموضوع كان قد شغل باله ألفي البيتين مسطورين هنالك !! وعلى رغم ان الوقت لم يكن مناسباً فقد بعث خادمه يدعو الشيخ هادي في تلك الساعة من الليل اليه وحين جاء به انهال عليه بعصاه والشيخ هادي يستعيت ويطلب معرفة السبب !! . . .

قال الشيخ على - وقد انهك يده الضرب - اريد ان اعرف متى هذه الجراحة
التي تحملك على ان تسرق بيتين من نفحة اليمن وتتحلما لنفسك لتستجيزني
عليهما جبة ؟

فقال الشيخ هادي - ولكن من قال لك انني انتحلت البيتين ؟ ان الامر ليس
اكثر من اني قرأت عليك البيتين متملا فاكرمتني جبة ٠٠٠ فعلام كل هذا الغضب
وهذه الشدة ؟

ولعل اول باب فتح لشهرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في خارج
النجف كان عن طريق المراسلات التي جرت بينه وبين أمين الريحاني تلك
المراسلات التي تتضمن تبادل آراء في ردود اعجبت جميع قراء العربية على اختلاف
نحلهم ، ثم جمعت وطبعت باسم (المراجعات الريحانية) ، وعلى اني قرأت هذه
المجموعة في ذلك الوقت البعيد ، فلم يزل يعلق بذهني شيء غير قليل منها .

وعلى ان الشيخ محمد الحسين كان اقل تقيدا بالتقاليد من العلماء الروحانيين
الآخرين وأقل مراقبة للرأي العام وأكثر العلماء جرأة فقد حاول التهرب من مقابلة
أمين الريحاني في اثناء زيارته للنجف مراعاة للسواد الذي كان يعتبر الريحاني
ملحدا ، او ممالئا للانكليز على الأقل ، او لشيء آخر تبادر الى ذهن الشيخ فرأى
الشيخ ان من الصلاح الاعراض عنه .

ومع ذلك فقد تمت هذه المقابلة ، ووقع نظر الريحاني على مسودات اوراق
كانت امام الشيخ ، فسأل عنها فقليل له - انها مسودة رسالة للشيخ تتعلق بالفرائض
الدينية من صلاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك ، فقال الريحاني يخاطب الشيخ
بهذا المعنى :

« .. ان الذي اعرفه هو انك لم تخلق لهذا فانت ارفع شأننا من ان تقضى
وقتك بمثل هذه الامور وتعاف اصلاح المجتمع .. »
وحين هم الريحاني بالقيام من عند الشيخ قال : « لقد كان الامام كاشف
الغطاء من اعز اصدقائنا فافسده الدين علينا » .
وظل الناس يتحدثون عن زيارة الريحاني للشيخ طويلا ، وعماد دار بينهما من

احاديث ادبية ، واجتماعية ، ودينية ، عامة ، وخاصة ، ولكن الشيخ لم يسلم من النقد والمؤاخذة من لدن الكثير من اولئك المتعصبين الجامدين الذين كانوا لا يرون من حق الروحانيين ان يصادقوا اشخاصا من غير دينهم ، وعلى غير طرائقهم . . . ، ومع ذلك فلم يعدم الشيخ الجماعات التي كانت تؤمن برسائله ، وتذب عنه ، وتدافع عن مثل مصادقته للريحاني وتأسيسه بصداقة الشريف الرضى والسيد المرتضى للصابي . التي كان من امرها ان رثياه بتلك المرثيتين المعروفين

وهذا اللفظ قد نبه الكثير ممن لم يكن متبها بعد الى مقام الشيخ محمد الحسين ، وعلو كعبه ، ولاول مرة يلتفت الناس الى ان روحانيا من طراز جديد سيتبوأ مقام الزعامة الروحانية ، وذلك قبل ان يتاح لهم ان يسمعوا فتاواه ، ويشهدوا أحكامه ، وان كانوا قد شهدوا شيئا من هذا التجديد عند اخيه الشيخ أحمد من قبل .

وتأيد رأى اولئك ، كما اتسعت دائرة شهرة الشيخ اكثر واكثر حين انعقد اول مؤتمر اسلامي في القدس ، وحين توحدت الفرق الاسلامية من الوفود وغير الوفود على اختلاف مذاهبهم فائتمت به في صلاتها في ذلك المسجد الكبير ، واقبلت الصحف وحتى الصحف الاجنبية تتوسم في هذا الاتحاد - اتحاد المذاهب والطوائف الاسلامية تحت زعامة كاشف الغطاء - خطورة كبيرة ، وتوقع ان يضمن المستقبل خلق زعماء روحانيين من طراز الشيخ محمد الحسين يستطيعون ان يقضوا على الكثير من الاختلافات الطائفية خصوصا لما كان لخطبه البليغة الرنانة من الاثر العميق في النفوس .

وحين عاد الشيخ محمد الحسين من المؤتمر الاسلامي كانت شهرته العارمة بالاضافة الى شهرته العلمية كاستاذ برع في تدريس العلوم الدينية براعة جعلت طلابه يمتازون على الكثير من طلاب الدين في اتساع افكارهم ، وتحرر عقائدهم ، تحررا نسبيا وعلى الاخص في طريقة اجتهادهم اقول كانت هذه الشهرة قد شقت له بلريقا لا حبا بين طرق زعماء الدين المتتوية .

وعرف الشيخ محمد الحسين عن طريق التجديد في الاجتهاد والفتاوى
وسعة العلم وعن طريق الادب الذي كان قد مكه من الشعر والنثر تمكينا قويا وجعل
منه فذا من الافذاذ ، ولكنه كبشر لم يستطع ان يتجرد عن العاطفة التي كانت تتحكم
فيه احيانا فقد كانت بينه وبين السيد (ابى الحسن) الاصفهاني الموسوى - وكان
(السيد ابو الحسن) حينذاك قد انفرد بزعامة الشيعة في مختلف جهاتهم
انفرادا كاد ان يكون مطلقا - لقد كانت بينه وبين السيد ابى الحسن حزازات
ليس هذا موضع شرحها ، وقد حملته هذه العواطف اى حملت الشيخ على ان يتناسى
ولو لحين فكرة التجديد ، ومبدأ الاجتهاد الذى يجب ان يتمشى فيه العقل
والنصوص الدينية جنبا الى جنب ، فمضى يناوىء اتجاه (السيد ابى الحسن) الذى
كان قد ايد السيد محسن الامين فى تحريم شح الرؤوس بالسيوف ، وادماء الصدور
باللطم ، والضرب عليها فى يوم عاشوراء ، اذ كان السيد ابو الحسن قد اعتبر ضرب
الظهور بالسلاسل ، وشح الرؤوس بالسيوف واللطم على الصدور ، ودق الطبول
والصنوج ، مما كان يجرى فى ايام عاشوراء بدعة من البدع التى يحاسب عليها
الله ، ومع ان مثل هذا التحريم كان من مبادئ الشيخ محمد الحسين وكان مما
يتفق واتجاهاته الاصلاحية ولكن العواطف كانت قد عملت عملها فلم يؤيد السيد
ابا الحسن فى فتاواه وقبولت فتاوى السيد بحملة قوية من الحملات الرجعية التى
غذاها خصوم السيد ابى الحسن واستغل السيد صالح الحلى سكوت الشيخ وعدم
تأييد السيد أبا الحسن فى حملاته المختلفة على (السيد ابى الحسن) تلك الحملات
التي عملت عملها فى وقتها ، ولكن (السيد) ما لبث ان استظهر عليها حتى تلاشت مع
الزمن ، الا انه لم يستطع ان ينفى (التطير) والتزمير ، والتطيل ، ودق الصدور
الذى بدأ يتضاعف يوما بعد يوم حتى يومنا هذا .

وكت يوم ذلك الى جانب السيد ابى الحسن ، بل اننى لم اكن قد تعرفت
بالشيخ محمد الحسين عن قرب بعد ، وان كنت اعرف ان أبى من اصدقائه ، وقلما
كان يتخلف عن زيارته ، اما هو فقد رأيت فى بيتنا عدة مرات ، وأكثرها كان على
أثر زلة قدم أبى فى الحمام التى كسرت بسببها ساقه فلأزم الفراش قبل ان يجبر الكسر

مدة طويلة مكنتني ان ارى فيها الشيخ محمد الحسين عن كتب وهو يتفضل بزيارتنا عدة مرات ، ولا اكتم القارىء ، لقد كنت اشعر بعدم الميل اليه يومذاك بسبب موقفه من حركة السيد (ابى الحسن) الاصلاحية ولم اكن ادري ان الانسان لا يستطيع ان يعرف نفسه بعض المعرفة الا بعد زمن طويل ، وحين اصدرت جريدة الفجر الصادق تحاشيت على قدر الاستطاعة تأييده ، وصرت اهاجم السيد صالح الحلبي الخطيب الشهير الذي شن غاراته على السيد ابى الحسن - مستندا على تأييد الشيخ - وكانت مهاجمتى للسيد صالح حقة ولكنها كانت قاسية عبرت عن طيش الشباب وحرارته وغروره لحد كبير .

والحقيقة ان مصاحبة السيد صالح الحلبي للشيخ واستناده عليه قد انحق بسمعة الشيخ محمد الحسين بعض الضرر ذلك لان السيد صالح قد اشتهر - حقا أم باطلا - بكونه رجلا زنيا يستجيب لعواطفه الآنية دون الالتفات الى المصالح العامة، والدواعى العقلية ، والفكرية ، ثم هو بعد ذلك جرىء في الحق والباطل ، جرىء في الجد والهزل ، وقد يسلك في مزاحه مسالك وعرة ملتوية ليس هذا محل شرحها ولقد صادف مرة ان مر السيد صالح بحرم الامام على (ع) والشيخ محمد الحسين يصلى بالناس في الرواق ، ومن عادة الشيخ محمد الحسين ان يجهر في الصلاة ويتلو الايات مفخمة مضخمة بعض التضخيم والتضخيم ، وما كاد السيد صالح يسمع الآية الكريمة (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) متلوة على فم الشيخ بذلك النحو من الاداء المفخم ، المضخم ، حتى قال يخاطب الشيخ مازحا وهو مار من امامه :

- انك ياسيدى كسمعت ابى خريزه (السردين) والله لو ظلمت انفخ فيك دهرنا لما كبرت ، ولما صرت حوتا قبال السيد ابى الحسن ، فعلام هذا التضخيم والتضخيم للرحمن الرحيم مالك يوم الدين!!؟ .

وحين اتيح لى بعد ذلك ان اتصل بالشيخ - وان اكون مغمورا بالظافه بحيث بلغ من دالتى عليه ، ومن اللطف الذى افاضه على ، ان صرت لا امتنع ان امشى معه فى صراحتى الى ابعد حد ممكن اذا لم امتنع ان امشى الى النهاية - اقول وحين اتيح

لى ذلك لم أخف عنه ما كنت اشعر به فى السابق من عدم الميل اليه واسباب ذلك ،
وقد ازددت حبا له بل كدت اعبدُه عبادة حين رأيتُه يجينى بهذه الآية ولا يزيد
عليها قائلا :

— « عفا الله عما سلف » —

وكررها مرتين ... وهناك تجسمت لى طهارة نفسه ، وتجلي لى صدق
ايمانه ، وابتعاده عن التدجيل وكان بإمكانه لو اراد ان يورد لى الف عذر وعذر من
الاعذار المعقولة عن مواقفُه السالفة لفعل ولكنت قد قمت ...

وشخصان لم ادع غيرهما (عما) لى ، وان لم يكونا لى عمين حقيقين ، احدهما
الشيخ عبدالكريم الجزائرى ، وثانيهما الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، وهما
الاخران كانا لايفضلان لقباً او نعناً ينعتاننى به غير العمومة ، فاذا ما قلت لاحدهما
مثلا — كيف ترى (يا عمى) ان يكون الامر الفلانى ؟

رد على قائلا سيكون كذا وكذا (يا عمى) ...

وعلى رغم خروجى على حدود هذا الادب فى بعض الاحيان لاسيما حينما
اكون غاضبا وحين أتغافل عن استعمال هذا النداء واخاطب الشيخ محمد الحسين
بالخطاب المتعارف قائلا له — يا شيخنا ! ويا مولانا ويا سيدى .. فانه لم يغير خطابه
ولم يرد على بغير ما كان يرد قائلا : يا عمى

وحين نجحت الحركة القبلية فى الفرات التى تزعمها هو فى اواخر سنة
١٩٣٤ وفى أوائل سنة ١٩٣٥ التى استقلها ياسين الهاشمى وجماعته من
العشائر التى كانت قد التفت حول الشيخ محمد الحسين وفى طبيعتهم كان الحاج
عبدالواحد الحاج سكر ، والسيد محسن ابو طيخ ، تلك الحركة التى اطاحت
بوزارة على جودة الايوبى اولا والمدفعى ثانيا ، وجاءت بوزارة الهاشمى كاد
الشيخ محمد الحسين ينحرف بتيار الحزبية وكاد يستكين ، ويستسلم ويتناسى
زعامة الدينية من حيث لا يدرى فقد استطاع زعماء العشائر وكلهم كانوا من
الحزبيين ان يجروا الامام الى جانبهم فيحققوا بذلك الاطاحة بحكومة المدفعى وعلى

جودة الايوبى خصوصا وقد لقوا من جانب الشيخ عبدالكريم الجزائرى تأييدا كبيرا ، وكان ما عرف عن الامام كاشف الغطاء من طيبة القلب ، وسماحة النفس ، والاعتقاد ببراءة الذمة ، ما ساعد على اختفاء اغراض هؤلاء الشيوخ الحزبية وانطلاء اغراضهم هذه عليه فقد بدوا انهم لا يريدون الا الاصلاح الذى يدعو اليه الامام كاشف الغطاء ، حتى اذا جاء الهاشمى الى الحكم تكشفت النيات ، واذا بهم يحاولون جر الشيخ الى تأييدهم بصفتهم الحزبية ٠٠٠ ولم يبق منهم على اخلاصه وعهده الا القليل وكان من هذا القليل الشيخ خوام العبد العباس ٠٠٠

و كنت يومذاك لا ازال فى ريعان الشباب ، و كنت حاد المزاج ، و كنت اصدر جريدة الراعى ، ولم تزل فى بقية من تلك الحرارة التى ادرت بها جريدة الفجر الصادق الهاججة الصاخبة من قبل ، فهجت ، ودفعتنى الغيرة على مقام الشيخ ، و مركزه ، فجثته وانا احرق الارم غيظا ، وقلت له - ماذا تعمل يا سيدى بنفسك ؟٠٠ اتريد ان تنازل عن الزعامة الروحية الى ياسين الهاشمى ؟٠٠

فنجهم وجهه و قطب جبينه وقال :

- ولكن ما الذى ترانى عملت ياعمى ؟

قلت - وما الذى تريد ان تعمل ؟ فلقد اصدرت ذلك (الميثاق) تحت تأثير نفر استغلوا طهارة نفسك وكان ينبغي ان لاتثق بهؤلاء وان تحتاط والان تريد ان تدفع فى تأييدك لياسين الهاشمى اكثر من السابق لتمكنه من التكتيل بالطرف الاخر من الاحزاب والعشائر ٠٠٠؟ (و كنت فى ثورة لاتوصف من الهياج) والميثاق الذى اشرت اليه هو مواد وشروط بلغت نحو ١٤ شرطا على ما اذكر ، لم تخل من تطرف كان يجب ان يخرج بشكل آخر ، وقد حسن وضعه بتلك الصيغة نفر من المتطرفين كانوا قد جاؤوا من بغداد وسائر جهات الفرات ، وكان ابرزهم ذيبان الغبان الذى صار نائبا فى المجلس بعد ذلك ، وقد طبع هذا الميثاق ووزع على الجماهير فى حينه وكانت المواد والشروط تدعو الى التجزئة والانقسام والى امور ليس هذا محل ذكرها وذكر كيفية وضعها وطبعها ٠٠ وكان اغلب رؤساء العشائر تؤيده ليس لشيء الا لغرض الاطاحة بالوزارة والائمان بياسين الهاشمى .

واحسست ان الشيخ بدأ يهدأ فقال :
ولكن من قال لك (يا عمي) اننى سامضى فى تأييدى لياسين الهاشمى الى
هذا الحد الذى تقول ؟

قلت - ليس من اعتراض ان تمضى فى تأييد من تريد من الساسة لو كنت
سياسيا ، اما وانك زعيم روحانى فلا يسوغ لك باى وجه من الوجوه ان تميل الى
جهة دون جهة وانت فى هذا المركز من الزعامة الروحانية .
ولست ادرى أأنا الذى وقفته بعد ذلك حيث وقف ؟ ولكنى ادرى ان خطته
قد تبدلت ، وقد سبب هذا التبدل ارفضاض اولئك الزعماء عنه خصوصا بعد ان
عجزوا عن ضمان تأييده لهم ، وكان ان اصدر السيد محسن ابو طيخ كتابا باسم
(المبادئ والرجال) عرض فيه بالامام ، فكان ذلك من الادلة على اختلاف النيات
والاهداف فقد كان الامام يريد شيئا ، وكان اولئك يريدون شيئا آخر ظل مضمرا
فى صدورهم حتى قامت الوزارة الهاشمية .

اقول ولست ادرى أأنا الذى وقفته حيث وقف ، ولكن الشيخ قد تبدل ، وقد
لحقنى بسبب هذا الاتصال وبسبب سفرى الى الشامية الشيء الكثير من المضايقات ،
وقد بدأت السلطة تطاردنى منذ تلك الساعة ، ونالنى من حقد رشيد على الكيلانى ،
وسوء ظنه اذى كبير ، وقد سحب امتياز جريدة الراعى منى ، وعطلتها الحكومة الى
الابد ، ولم يدع صالح حمام - وكان يومها وكيل القائم مقام النجف - وسيلة من
وسائل التنكيل الا واستعملها معى ومع بعض اسرة الجريدة القلمية ، وكان موسى
كاظم نورس يومذاك مأمورا لدائرة بريد النجف ، وكان من اسرة الجريدة القلمية
فى الطليعة ، ومن السواعد التى قامت جريدة (الراعى) ثم (الهاتف) على تأييدها
الادبى وشد ازرها ، وكان صالح حمام قد ناوأ موسى كاظم نورس مناوأة قوية لعدم
تمكين نورس اياه من الاشراف على المخابرات التلقونية والبرقيات كما كان يريد
وذلك لعدم وجود نص قانونى يخول القائم مقام مثل هذا الاشراف ، وصادف ان
اتصل بى داخل الشمالان تلفونيا من بغداد طالبا منى السعى لدى الشيخ محمد الحسين
بالاسراع فى اجابة كتابه الخصوصى الذى كان قد بعث به الى الشيخ فكان صالح

حمام يتحرق لمعرفة ماهية هذا الكتاب ومضمونه ، وما كان قد جرى بيني وبين داخل
 الشعلان من حديث بالتلفون مع انى انا نفسى يعلم الله لم اكن اعرف اى شىء عن
 هذا الكتاب وفحواه ، ولم اكن فى الامر اكثر من وسيط ظن بى داخل الشعلان
 الخير فكلفنى بمتابعة كتابه عند الشيخ واشتدت الخصومة والشكاوى الرسمية
 السرية بين صالح حمام وموسى كاظم نورس وانتهى الامر باستظهار موسى كاظم
 عليه فظن صالح حمام ان لى فى هذا الاستظهار يدا فزاد ذلك من غضبه ، وراح
 يهاجم الراعى ، وصاحبه ، بكل ما يملك من مجهود سرا وعلانية .

وعلى ان (الشيخ) قد جمع نفسه ، او هو قد بدا يجمع نفسه ، ولكن الجهة
 الثانية وهى الجهة المعارضة لياسين الهاشمى وجبهته قد سخطت على (الشيخ) ووصمته
 بالحزبية ، وكان معظمها يتألف من قبائل الشامية ، وكان علوان الحاج سعدون
 يومذاك على رأسها فحضر الشيخ فى يومه الجبهتين ، ووقعت بينه وبين البلاط
 الملكى جفوة ، واحسب انها هى التى حملته على ان يقول عن الملوك ما تضمنته
 مقطوعته الشعرية التالية ، اما الانكليز فكان يكرههم ، ويندد بهم اينما اتسع له ذلك ،
 وله فيهم اقوال كثيرة ربما كانت على خلاف رأى ابيه الشيخ على .

ومن اقواله الكثيرة ما يلى :

كم نكبة تحطم الاسلا	م فيها والعرب
والانكليز اصلها	فتش تجدهم السبب
بل كل ما فى الارض	من ويلات حرب أو حرب
هم اشعلوا نيرانها	وصيروا الناس حطب
واستخدموا ملوكنا	لضربنا ولا عجب
فملكهم بفرضهم	كان والا لا تقلب
هم نصبوا عرشا لهم	فى كل شعب فاشعب
واسواة .. ان حدث	التاريخ عنهم وكتب

ولقد شاع آثذ ان هذه القبائل التى يرأسها علوان الحاج سعدون والتى

كانت تميل لجهة المدعى ستغزو القبائل التي يرأسها الحاج عبدالواحد الحاج سكر
التي ناصرته ياسين الهاشمي وانت به الى الحكم وكانت من احلافه •
وقيلة (ال فتلة) تشطر في جنوب الكوفة الى شطرين ، احدهما يقيم في
(المشخاب) ، وهذا الشطر واحلافه يؤلف جهة قوية ليس من الهين اخضاعها ، اما
الشطرن الثاني فهو اندى يقيم في المهناوية وهو محاط بقبائل مناوئة له ، وعلى أثر
هذه الاشاعة كان لابد ان تتأثر - اول ما تتأثر - قبيلة آل فتلة التي تسكن المهناوية
(الشامية) بالنظر لقله عددها وسط تلك القبائل المناوئة لها ، وكان الجو قد اكفر ،
واوشكت الواقعة ان تقع يوم جاءني عبيد آل عبدالسادة وهو أحد مشايخ آل فتلة
(المهناوية) وخال اركان العبادي ، لقد جاءني هو والسيد هاشم الزامل في نحو
الساعة الحادية عشرة ليلا وبسطا لي القضية وقالوا ان الامر في غاية الخطورة فاذا
وقعت الواقعة بين العشائر المتخاصمة وقعت البلاد في حرب اهلية لايعرف مداها غير
الله ، وقالوا لي انهما لن يبرحا من بيتي حتى يطمئنا بانتي استطعت ان احمل الامام
الشيخ محمد الحسين على التدخل في الامر ، وكان الشيخ محمد الحسين قد بدأ
يشيح بوجهه عن تلك القبائل التي قامت - اول ما قامت - على تأييده وبدأت هي
الاخري تنكر له ، وهنا تركت السيد هاشم وعبيد آل عبدالسادة في بيتي وجئت
الشيخ في ذلك الوقت من الليل ، وشرحت له الكيفية ، وطلبت منه ان يوفد من قبله
شخصا الى الشامية لمعالجة الحانة والحيولة بين هجوم قبائل الشامية احلاف المدعى
على آل فتلة احلاف الهاشمي •

واصر الشيخ على ايفادى انا من قبله رسولا الى الشامية ، وعبنا حاولت
التملص ، ولكي يحملى على الموافقة حملا طلب من جعفر الاعسم ان يرافقتى في
هذه المهمة ، فسرت معه برسالة من الشيخ وانا مكره ، ولم يصبح الصبح
حتى كنا في الشامية ، وكان اجتماع الشيوخ والرؤوساء في بيت الحاج رايح ،
وادلى كل واحد من الشيوخ برأيه في القضية ، وكان مرزوق العواد اصلبهم عودا ،
وأشدهم حماسا ، وقد اتهمنى هناك بانى انما يهمنى من الامر هو ما يهمنى آل فتلة

- بصفتي صديقاً لهم - وليس للمصلحة العامة في مجيئي اليهم اصعب او شأن ، وسأنتي في ذلك المجلس ما جوبهت به من لدن مرزوق ، ولكن علوان الحاج سـعدون والحاج رايح قد طيبا خاطري ، وأكدوا لي ان الجميع سيحترمون امر الشيخ ، ولن يبدر منهم نحو هذه القبيلة أية بادرة ورجوا ان ابغ الشيخ بان اقل ما ينتظرون منه هو التخلي نهائيا عن تأييد سياسة ياسين الهاشمي ذلك لانهم لم يكونوا قد اعتقدوا بعد تماما بان الشيخ كان قد كف عن التدخل ، وانه ليس على صفاء مع اولئك ، خصوصا عندما تجلي له اي للشيخ ان الجماعة التي ايدها كانت ترمى الى هدف حزبي ليس له دخل بما كان يهدف هو اليه من الاصلاح الشامل وانهم قد قلبوا له ظهر المجن .

وفسر ذهابي الى الشامية عند الحكومة تفسيراً غير صحيح ، وجاء في تقرير (القضاء) والشرطة ، انني كنت الوسيط الوحيد بين علي جودة الايوبي وجميل المدفعي - اللذين كانا يعملان متحدين - من جهة ، وبين الشيخ محمد الحسين وبين هذه العشائر من جهة ثانية بقصد انارتها ، وهاجها في وجه وزارة الهاشمي ، فكان من نتائج ذلك تعطيل جريدة (الراعي) ، وملاحقتي من قبل الحكومة كما مرت الاشارة الى ذلك ، والمضحك في الامر هو انني لم اكن يومذاك اعرف السيد علي جودة الايوبي ، ولم اتق به ، بل لم ار وجهه . . . والغريب انني لم يتفق لي الاجتماع به الا في سنة ١٩٥٨ أي بعد اربع وعشرين سنة من هذا الحادث . . .!! حين اتصل بي تلفونيا مبديا اعجابه بكتابي (كنت معهم في السجن) الذي قال لي انه لم يتسن له ان يقرأه الا في هذه الايام فاحب ان يتفضل بتسجيل اعجابه ، وهنا تمت المعرفة بيني وبينه . . .!! لاول مرة عن طريق التلفون .

أما جميل المدفعي فانه لم يتفق لي التعرف به ، والتحدث اليه الى ان مات . . . ولكن من يستطيع ان يقنع الشرطة ؟ ومن يستطيع ان يبدل عقلية الحكومة وطراز تفكيرها ؟؟ . . .

قلت ان الشيخ محمد الحسين كان طيب القلب ، نقي السريرة طاهر النفس ، فكانت هذه الصفات تساعد كثيرا على تقبله الأقوال ممن يضع ثقته فيهم .

ولقد استطاع صالح حمام - وقد كان قائممقام النجف حينئذ - لقد استطاع ان يكسب ثقته وان يفهمه عنى بانى لم اذهب الى الشامية الا لاجراض سياسية تخصنى ونسى الشيخ رحمه الله انه هو الذى اوفدنى ، وانه هو الذى الح على فى الذهاب الى الشامية واننى كنت مكرها فى الامر ، لقد نسى ذلك كله فراح يحوقل ويظهر العجب وقد بلغتنى حوقلته فانقطعت عنه سنة كاملة اظهر لى فيها العطف الكثير ، وحاول ان يعرف سبب القطيعة حتى تم ذلك عن طريق الشيخ قاسم محى الدين الذى تعهد للشيخ بان يحملنى اليه حملا وان يجعلنى كما كنت اولاً - مشمولاً بلطفه وعطفه ، وأكد لى هناك الامام انه لم يتقبل من صالح حمام اقواله فى وكل ما فعلت اقوال صالح انها اثارته عنده الدهشة والاستغراب!! ولكنه لم يصدق ما قيل وكان يريد ان يعرف الاسباب التى حملت الحكومة على ان تقول فى ما قالت ولكننى انقطعت عنه

وكان من تأثير صالح حمام على الشيخ ان حملة حين تضعفت ثقة الحكومة (بحمام) وكثرت شكاوى الناس منه ومما استعمل من اساليب للضغط على الحريات ، والتدخل فى شؤون البلد ، بسبب ما استمد من قوة صالح جبر وسعد صالح وثقتها فيه فى اول الامر ، لقد حمل صالح حمام الشيخ كاشف الغطاء على ان يبرق للحكومة برقية هذا نصها :

« صالح ، صالح للبلاد »

هذا فى الوقت الذى كان الشيخ قد امتنع من الاتصال بالحكومة وكان غاضبا عليها!!

وتذكرنى تورية اسم (صالح) بأسلوب الشيخ الذى قلما خلا من البراعات الفنية التى يتضمنها الجناس والتورية وسائر ضروب البديع وهو يرسل ذلك عفو الخاطر وبدون قصد كلون من الوان سرعة البديهة الطبيعية .

ولقد كنت حاضرا المجلس الذى ضمه وضم الاستاذ أحمد أمين فى النجف ، وكان الشيخ قد ناقش أحمد أمين وعاتبه على ما اورد فى كتاب (فجر الاسلام) عن الشيعة ، ثم انتقل الحديث الى الشعر فسأل أحمد أمين الشيخ عن تاريخ نظمه لاحدى

فصائده التي تخص زيارته لمصر ، وكانت قوافيها (غينية) وكان من تلك القوافي
(البزوغ والنزوغ) قائلا :

- متى كان هذا (البزوغ والنزوغ) الذي اوردتموه في قصيدتكم عن مصر؟
فقال الشيخ - لقد كان ذلك قبل بزوغ (فجر الاسلام) ونزوغه .
فضحك احمد أمين واقسم انه لم يرد بهذا السؤال التعريض والغمز ،
فأيده الشيخ وقال - وانه هو كذلك لم يقصد الا الدعاية .
ولقد كتب الشيخ مرة الى السيد عباس شبر موصيا اياه بشخص امي قروي
ولكنه كان كريم النفس ابياً ومعروفاً بشهامة ، قائلا : « انه ابي ولكنه امي » .
ومن البراعات الاديبة التي اتصف بها أدبه هو الايجاز ، فقد كان يحسن
في الايجاز ويتقنه لحد يثير الدهشة ولقد رويت لفنون ايجازه نصوص ذات
قيمة في معرض الامثلة .

وسئل مرة وهو يتسلق جبل (صافي) الربض على صدر مدينة (جباغ) بلبان ،
وكان على القصة من هذا الجبل مدفن ولي يسمى (باصافي) وقد كثر في الاقوال
والاحاديث ، ورويت عن معجزاته الروايات ، وهو محل يرتاده الكثير بقصد
الزيارة والمنسوبة ، وبقصد اتمتع بتلك المناظر الزاهية الجميلة من فوق مدينة
جباغ .

لقد سئل الامام الشيخ محمد الحسين وهو يتسلق هذا الجبل باتجاه مرقد
(صافي) لقد سئل عن حقيقة هذا الولي وقيمه اقدسية ، وكان التعب قد اعيا الشيخ
وهو يصعد فقال وهو يضحك :

- « يا صافي ما اكرر اتعبك ، واكل ثوابك »

وكان ايجازه هذا كافياً لتجريح تلك الاقوال والشهادات بقضية الولي (صافي)
ومعجزاته ، وقيمه الدينية ، وظل اهل جباغ يفرغون في مسامع الصاعدين الى
(صافي) بقصد التقرب الى الله ظلوا يفرغون في مسامع الصاعدين قول كاشف
الغطاء :-

« يا صافي ما اكرر اتعبك واكل ثوابك » .

وتمكنه من الشعر لا يقل عن تمكنه من النثر ولربما حوت رسائله الخاصة الكثير من شعر المناسبات الذي يرسله عفو الخاطر كما حوت الكثير من صنوف البديع والجناس والتورية المرتجلة وهي رسائل تعبر عن الأساليب الأدبية التي تجمع بين الشعر والنثر في الجيل المتقدم ولم يترك لنا منها صورا لأنه لم يتعود أن يجعل لرسائله مسودات ، لذلك حرص الذين رافقهم التوفيق بمكاتبته على رسائله هذه التي تعد من ازخر الآثار الأدبية بالفن ، والبراعة الدالة على منتهى ما يتصور الانسان من مقدرة تحكيها عصاره فن مليء بالابداع ، وافكار غاية في السمو ، مع انه ليس غير أدب مرتجل يسيل به القلم كما يسيل العسل من الانحاء اذا فتحها وكثيرا ما جمعنى الصدقة به وهو يجبر رسالة الى احد فاستغل هذه الفرصة وانقل من تلك الرسائل شيئا حتى اجتمع عندي شيء غير قليل من هذه الصور الحية ، وهذه احدى رسائله التي كتبها لامين خالص حين دعاه ليقضى اياما من الصيف عنده في الشمال يوم كان امين خالص متصرفا بكر كوك ائبها هنا كنموذج لما كان يفيض به ادبه المرتجل على الورق بدون مسودة ، وكصورة من ازوع الصور الفنية ، وازخرها بالمعاني والافكار لادب الجيل الماضي الذي ظل ينسج على منواله الكثير من علماء الادب حتى اليوم *

«سلام شائق ، ودعاء وامق ، وتحية مخلص

وردنى كتابك الكريم ، وكنت انتظره انتظار العليل للشفاء ، او الارض المجذبة لماء السماء ، فاعاد لنا تلك الذكريات الطيبة ، والسويبات المنعشة ، التي هي صفوة العمر ، بل هي العمر ، وما نسيناكم فاقول بكتابكم ذكرناكم ... ولكنى -

ذكرتكم ذكر الزلال على الفلما فلم انتفع من برده ببلال

اسائل عمن لا احب وانما اريدكم من بينهم بسؤالى

واظوى على حر السعير جوانحى واطهر للعذال انى سالى

ولا والذي عافاكم وابسلى بكم فؤادى ما من السلوبالى

اما دعوتكم لنا ان نزوركم ، فهي دعوة اخ شقيق ، بل دعوة ولد بار ، لآب أبر ، وما احوج هذا الجسد التحيف الذي صار كعمود الخلال ، او من عالم المثال ،

فما احوجه الى المتع بتلك المناظر البديعة التي نوهت عنها بكتابتك الذي التقط الفاظه من تلك الازهار ، وقوة معانيه من تلك الصخور والاحجار ، ورقة اساليه من نسيمات هاتيك الاسحار ، وما الازهار الا سجايك ، وما الانهار العذبة الا طباعتك ، وما الاقاح والشقيق والعبهر الاحديثك ، وقديمك ، وما الخمائل الا تلك السمائل .

نعم ما احوجنى الى التمتع بالمنعشات الثلاثة - بلادك ، ورؤياك ، وحديثك ، ولكن أنى لى بان تسعدنى الظروف والاقدار بهذه الامانى والاطوار « وكيف يطير مقصوص الجناح؟ » .
وانا :-

اهم بامر والليلى كانما تطاردنى عن نيله واطارد
نعم ايها العزيز

ليهنك عيش با(لشمال) منعم فبعذك عيش (بالجنوب) منكدم
بودى لو أنى ازورك ساعة لعلى منها نظرة اتزود
ونعماك فى تلك الورود فأنى على حسك البلوى اقوم واقعد
رضينا بان تبلى الليلى جديدنا اذا كانت النعسى لكم تتجدد

وانت ايها الاديب اللبيب تعلم انى لست من اشعر ولا قلامه ظفر ، ولكنها اشجان تهيج فى الفكر ، فتملى على اليراع تلك الشذرات التى هى من ذوب الفؤاد ، وصباية القلب ، جرت على عفو الخاطر ، وجرى القلم ، ولعلها دون ما تجنه الجوانح وبعض ما فى النفس .

وبعد كل ذلك فاكثر مايمجيك من الشيخ هذا الجلد والصبر على العناء والاجهاد ، فهو بالاضافة الى كثرة مراجيعه والوقوف على بابه ، وخروجه للصلاة بالناس ظهرا وعشاء والقائه سلسلة من البحوث فى كل مساء فان معدل ما يتلقى فى اليوم ليتراوح بين خمسين او ستين رسالة ، وقد يتجاوز المعدل فى بعض المواسم المائة رسالة تأتية من مختلف الاقطار الاسلامية ، وحتى من الاقطار الافريقية ،

والامير كين ومعظمها استفتاءات شرعية ، ومسائل اجتماعية ، وأديبية ، كان يقرأها جميعا ، ويحجب عنها بنفسه ، وكان الكثير من تلك الاجوبة يكتبها على نفس الرسالة ، ويعيدها الى صاحبها ، وكنت ارى بعض هذه الرسائل حين تتاح لي افرصة ، فسأذه في انبها الى قراء الهاف ، وقد نقلت قطعا اديبية رائعة من اجوبته في الكثير من المناسبات في جريدتي وكان بين تلك الرسائل والاستفتاءات رسائل من مختلف المذهب والاديان ، وكثير منها كانت ترد ايه من رجال العلم والادب المسيحيين المقيمين ببندن وامهاجرين منهم ، وكان يجب على كل منها في حدود مستواها ، ومضمونها ، لذلك قل العلماء الذين تم الانفاع بهم فقها ، وادبا ، واخلاقا ، من امثال الشيخ محمد احسين كاشف الغطاء ، ثم هو من اجراء بحيث لا يهاب احدا ولا يحترم قوة في الوجود اذا ما نكبت طريق الحق والمنطق ، واذا ما عرض له ان يغير ويبدل ويعدل فليس ذلك على حساب التهيب ، والخوف ، وانما على حساب المصلحة التي تبدو له ، وامقتضيات التي تعرض امامه والا فهو بعد اناس عن تهيب اراي العام او السلطة الغاشمة ، وقد نمت هذه اجراء مع نموه وحسبت لها الحكومة في مختلف ادوارها حسابها الكامل .

اردت ذات يوم ان اقوم بدعوة منظمة تهذيب خطباء المنابر الحسينية في جريدة الهاف ، فقد بلغت المهزلة حدا لا يطاق من جراء صعود عدد من اشباه الامين المنابر الحسينية ، والانيان باحاديث ملفقة مكذوبة على الله ، ورسونه . واوائله ، وجئت الى الشيخ مستفتيا عن رايه في هؤلاء الذين يرقون المنابر على هذه الكيفية ، والذين كثيرا ما يسمعونهم اشيخ بنفسه ، فرأيه يكاد ينفجر غيظا ، وقد صب جام غضبه عليهم ، وعلى الذين يستقروؤونهم في بيوتهم وهم يعلمون شأنهم ، ويعرفون عجزهم فاستكتبته ، فكتب لي رايه فيهم ، واعتبر الاصغاء الى مثل هؤلاء الخطباء وحضور مجالسهم والاستماع الى خطبهم من الامور المحرمة التي لايجيزها اشرع بوجه من الوجوه ، وقد حدد في هذه الفتوى مؤهلات الخطيب وواجبه تحديدا جيدا دون ان يهتم بالرأي العام وما يمكن ان ينتهي ايه الامر . ولما كنت اعلم بخطورة المهمة التي اقوم بها نظرا للكثرة عدد هؤلاء الذين

سيصبحون خصوما للجريدة ، اندفعت اعد العدة وابحث عن الكتاب والمساعدتين الذين يمكن التعاون معهم في هذه الحملة وتهيأت لى اسباب الحملة عند بعض المفكرين من اروحانيين ، وكانت جماعة (متدى النشر) في طليعة المؤمنين بالفتنة ، وكان الشيخ محمد الشريعة ، اشداهم ايمانا ، واجراهم في الصرخة ، وكانت جمعية متدى النشر قد تهيأت لذلك في فتح صف من صفوفها المدرسية لاعداد خطباء تتوفر فيهم هذه الشروط ، ولقد رجحت انا ان استعين بعد ذلك في هذه الصرخة التى نويت ان اصرخ بها بخطباء المنابر المثقفين ثقافة عالية ، وممن لن يكونوا مشمولين بفتوى تحريم صعودهم المنابر ، وكنت احسب ان الخطيب الشهير الشيخ محمد على يعقوبى سيكون في مقدمة هؤلاء الذين يمكن الاستعانة بهم في هذه الحملة ، ولكن شيئا من (ابرودة) حينذاك كان مستحكما بينى وبين يعقوبى حمله على ان يطلب مواجهة الشيخ محمد الحسين ويقععه بان يسحب منى تلك الفتوى التى لو كانت قد نشرت لاضافت حسنة اخرى الى حسنات الشيخ محمد الحسين الكبيرة والكثيرة العدد في ميدان الاصلاح الدينى ، والاجتماعى ، وقد لقي الشيخ محمد على يعقوبى نفسه من اوثق الزعانف المحسوبين على رجال المنابر ، والذين دافع عنهم يعقوبى الامرين فيما بعد ، وقد جوزى منهم بما جوزى سمار ، ويستطيع المرء ان يعلل موافقة الامام كاشف الغطاء بسحب الفتوى منى بمختلف التعليقات والاسباب ماعدا الخوف من الرأى العام ، ذلك لان الامام فى سنه الاخيرة قد برهن على انه لا يهاب سلطة ، ولا يخشى مجتمعا ، ولا يهتهم بتهديد .

والشيخ كاشف الغطاء اول داع للاصلاح الدينى ، والاجتماعى ، واول مجتهد اتقن اداء مهمة الاجتهاد ضمن حدود الامكان ، لذلك كان من الغريب ان يعدل عن رأيه ، ويسحب الفتوى منى .

ومشت جمعية المتدى فى أمر اصلاح خطباء المنابر وفتحت صففا خاصا للخطباء وكانت للشيخ محمد الشريعة وقفته التى لاتنسى ، وحدثت هذه الوقفة ، ضجة كبيرة فى وسط النجف لم يعبء بها الشيخ محمد الشريعة ولم يلبس ، ولم

يتضعف ، وتبلورت الضجة والنقمة على جمعية المنتدى حتى صارت ثورة فلم يزد
الشيخ محمد الشريعة ذلك الا ثباتا واستهزاء بالتهديد الذي لقيه ، ولم يكن الشيخ
محمد رضا المظفر ، عميد المنتدى حاضرا في النجف يومها فاصاب اعضاء المنتدى
امام تلك الثورة شيء من الخور فقرروا ايقاف حركتهم الاصلاحية بالاجماع ولم
يعارض هذا القرار الا الشيخ محمد الشريعة •

ولو كان المشروع قد نجح لكنا قد حصلنا على عدد اكبر من نظراء الخطيب
الشيخ احمد الوائلي والخطيب السيد جواد شبر وغيرهما ممن انجبتهم جمعية
منتدى النشر •

* * *

اقول ان الشيخ محمد الحسين كان اول داع للاصلاح الديني والاصلاح
الاجتماعي ، وكان يتمتع بسليقة قل ان تمتع بها زعيم روحاني في استنباط الاحكام ،
فلقد لامني حين سمعني اخطب في حفلة تأبين السيد ابي الحسن الاصفهاني حين
قلت « ان السيد ابا الحسن كان اول مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة من زوج
كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات » • فقال لي الشيخ محمد الحسين « بل انا
الذي كنت اول من حكم بطلاق امرأة من زوج مسلول وكان ذلك قبل حكم السيد
ابي الحسن بسنوات » فيكون الشيخ بناء على ذلك اول من اخذ الحق - حق الطلاق
المفروض ان يكون بيد من اخذ بالساق - من الرجل وطلق الزوجة دون اخذ
موافقة الزوج ، فسألته عن المسوغ ؟ عن المسوغ الشرعي لا المدني طبعا الذي
يبيح له اصدار مثل هذا الحكم بينما لم يسبق لاحد من الائمة فضلا عن العلماء من
استطاع ان يفتي بمثل هذا او ما يشبهه ؟

فاجابني بكل ثقة وصرامة قائلا : « ان المجتهد مشرع يا عمي ؟ » ••• !!
ومن هذا يستبان ان الشيخ كان يعطى الاجتهاد حقا لم يعطه احد قبله من
الفقهاء •

ومع ذلك فقد كانت له اراء شرعية لم يتح له ان يخرجها على رغم جرأته فلقد

قال لي مرة وانا أسأله عن الامام الثاني عشر (صاحب الزمان) والخصائص المذهبية الواردة عنه لقد قال لي :

« ان الاعتراف بوجوده على هذا النحو ليس من الضروريات !! »
ومن هذه الآراء ايضا انكاره (للرجعة) وقد اورد ذلك في الطبعة الاولى من كتاب (اصل الشيعة واصولها) ثم اضطر الى اغفال ذلك في الطبعات الاخرى بسبب الضجة التي احدثها رأيه هذا على ما قيل .

ولكني اعتقد ان ذلك كان قبل عدة سنوات وقبل ان ترسخ قدمه في ميدان الزعامة اذا صح ، لاني وجدته اجراً الزعماء في السنين الاخيرة .

وقال لي مرة اذا كانت في الاسلام احكام لاينبغي ان تبديل وتغير على مدى الايام ، فان هنالك احكاما تستلزم التبديل والتغيير اذا تطبها العقل ، والمنطق ، والمستلزمات الشرعية ، ولكن الكثير من المجتهدين - تعوزهم السليقة ليجروا مثل هذا التبديل ، والتغيير ، فتظل تلك الاحكام جامدة وبعيدة عن الهدف الذي يرمى اليه الشرع .

وقال خذ مثلا وصية الميت التي يوصى فيها بانفاق ما يخصه من ثلثه على بناء (السييل) وهو محل لعرض الماء مجانا للشرب في طريق القوافل ، وفي مداخل المدن ، كما كان يفعل المسلمون في العصور السابقة اجابة لحض الدين عليه ، وطلباً للمثوبة قال : فهل من المنقول او هل من الشرع ان تنفذ وصية الميت بعد ان توفرت اليوم مياه الشرب في كل مكان ، واصبحت وسائل النقل من السرعة والسهولة بحيث يفطر الانسان صباحاً في البصرة ويتغدى ظهراً في القاهرة هل من الشرع ان تنفذ هذه الوصية لمجرد انها وصية يجب على الوصي تنفيذها ؟

وقال : لقد كان بناء المساجد في العصور الاسلامية السابقة ، من اقرب المقربات الى الله ، يوم كان المسجد محلاً لاداء الصلاة ، ومدرسة يقوم فيها الطلاب بتلقي العلوم ، ومنتدى يجتمع فيها المسلمون في كثير من المناسبات وملجأ للغرباء الذين يفدون على المدينة ، ويوم كانت ابواب المساجد بمثابة الجرائد تلتصق عليها الاعلانات ، عن فقدان حاجة ، او العثور على حاجة ، وغير ذلك من الاغراض ، فهل يمكن ان

تكون المثوبة في بناء هذه المساجد - اذا زاد عدد المساجد عن الحاجة - هي عين المثوبة بعد ان فتحت المدارس انكافية ، وتأسست المستشفيات وبنيت الاندية ، وتكاثرت المرافق الاجتماعية والمؤسسات التعاونية ، لو ان رجلا اوصى بان يتفق من ماله الخاص به (اي من ثلثه) على بناء مسجدين او اكثر في المدينة ؟

قال انني لا اعتقد ان المثوبة الحاصلة اليوم من تأسيس (سبيل) للعلماء ، وبناء مسجد ، هي عين المثوبة السابقة ، فالاسلام يوم كان يحض على اقامة المساجد وتعميرها كان يتغنى منها كل تلك الفوائد التي ذكرت وأكثر من شر دعوته والتبشير بسننه العادلة ، وايصال صوته الى الغاظين عما يرمى اليه الاسلام الصحيح من هدف عملي في حياة الانسان العامة ، لذلك .. (قال الشيخ) .. لذلك قد حملت مرة احد الاثرياء من رؤساء العشائر وكان قد جاءني ليأخذ رأبي في بناء مسجد في قريته ، وكان فيها مسجد آخر لقد حملته على ان يبني بعض الغرف في مصح (حمانا) ويهدبها مجانا للمسلمين العراقيين ، وقلت له ان الثواب في ذلك عند الله اكثر واكبر مادام في قريته مسجد يكفي لاداء المهمة كما تحققت ، وقد علمت انه بنى غرفة او غرفتين في مصح (حمانا) ، وان افاضة المساجد عن الحاجة - كما قال الشيخ - هو الزائد الذي قيل عنه انه كالتناقص ، وهو الذي يلزم المجتهد باعادة النظر في الحكم ، ولقد تسبب من عدم ادراك الناس ، وعدم تصدى المجتهدين لافهام بناء المساجد ، ان كثر عدد هذه المساجد واصبح الكثير منها مقفلا ومهملا ولحق من جراء ذلك شيء من الاهانة بالطقوس الاسلامية فضلا عن ضياع المال وانفاقه سدى . ولم اجد شخصا يعدل عن رأيه بالسرعة التي يعدل الشيخ محمد الحسين عن رأيه حين تتضح له الحقيقة ، ويتجلى له الحق ، وكثيرا بل واكثر من الكثير الذي رأيت فيه الامام يدلي برأى خاص كان يؤمن به منذ زمن ثم لم يكف بتغيير رأيه وانما راح يدلي الاخرين على المواطن انني لم يصب فيها من قبل ، واذا تبجح الكثير بما قد اصابوا في كثير من الاراء فانه ليسرد تلك في المناسبة كثيرا من المواقف التي التبس فيها عليه الامر .. وهي صفة لزبدة العلماء المحققين ..

زرت ذات ليلة بمستشفى الكرخ ببغداد فانفتحت عنده جمعا من المشايخ والوجوه وكانت صحته مما تسمح بالجلوس للناس وقد وجدت الجمع يخوض في بحث كتاب (وعاظ السلاطين) للدكتور علي الوردى الذى كان قد صدر منذ ايام قريبة ولم يترك أحد من الجالسين شيئا لم يقله عن افساد الوردى لافكار الناس ، وكفره ، واستهزائه بالدين والائمة الذى تضمنه كتابه على حد رأيهم ، وكان الشيخ يحتدم غيظا ، ويحوقل ، ويستعيز ، وقد علمت ان ارشد العمرى كان عند الشيخ منذ دقائق فافرح الشيخ غضبه فى اذن العمرى ، ولم يترك العمرى الشيخ حتى وعده وعدا اكيدا بأنه سيتخذ جميع الاجراءات الممكنة فى حق الدكتور على الوردى وفى حق كتابه هذا اذا ما اصبح الصباح . . .

و كنت قد فرغت من مطالعة الكتاب المذكور فى ذلك اليوم ، او اليوم الذى قبله ، فانبرت الى القوم افند ادعاءهم ، واروى للشيخ آراء الوردى على حقيقتها ، وكان ردى على اولئك المتحمسين فى هجومهم على الوردى عنيفا وكان دليلى او قل تأثيرى على الشيخ قويا ، بالرغم من اننى كنت واحدا ، وكانت الحاشية التى احاطت بالشيخ جمعا كبيرا ، وفيهم بعض الشعراء والادباء اللبقون المعروفون فلقد قلت للشيخ :

- او لم تعتنى باكثر مما استحق من نعوت اديبة فنية كدت ترفضى بها الى الضراح الازرع ؟ - وكان الشيخ قد كتب مقدمة كتابى « عندما كنت قاضيا » المطبوع فاضفى على وعلى جريدتى - الهاتف - بالشيء الكثير مما لا استحق من ثناء وصفات سواء فى طبعة الكتاب الاولى او الثانية ؟ -

قال - بلى .

قلت - تانس كل ذلك ياعمى . . . واعتبرنى قارئا يحسن فهم ما يقرأ على الاقل . . . وانا اوكد لسيدى العم اننى قرأت الكتاب من الفه الى يائه فلم اجد فيه شيئا ولا شبه شيء مما يقول هؤلاء القوم ، وانا واثق بانك لن تخرج بغير هذه النتيجة او باقل مما خرجت بها انا حين يتسنى لك الاطلاع على الكتاب بنفسك .

فانطلقت اسارير الشيخ هنا ، وهدأ ٠٠ ولم اتركه حتى حملته على ان يوفد احدا في تلك الليلة الى ارشد العمرى ليخبره بانه كان قد تسرع في طلبه بمعاينة الدكتور الوردى لانه لم يكن قد قرأ الكتاب بعد ٠٠٠ وعلى انى لم اسمع رأى الشيخ بعد قرائته كتاب الوردى ولكنى كنت واثقا بانه سيؤيدنى فى الكثير مما قلت عن هذا الكتاب اذا ما اتم قراءته ، ذلك لانه لم يوجد بين كبار علمائنا المتأخرين من كانت له مثل هذه الاحاطة الفقهية ، والادبية ، وحسن السليقة التى عرف بها الشيخ كاشف الغطاء ، فقد كان بدون شك اكبر علماء عصره الروحانيين ، وكان افضلهم فى جميع مراتب الاجتهاد ، ولكن امورا خاصة تتعلق بشؤون الزعامة هى التى لم تجعل الانفراد فى زعامة الشيعة اليه وحده ، وامورا تخصه نفسه هى التى لم تدعه ان يشغل المكان اللائق به كأكبر زعيم روحانى فى العصر الاخير .

وفى اثناء الحرب الثانية كان على رأس مديرية الدعاية والنشر السيد كمال عبدالمجيد وكان قد حرم جريدة الهاتف - لسبب ليس هذا محل ذكره - من تخصيص حصة لها من الورق بينما كانت لجميع الصحف حصص معينة ، فكتت اشترى ورق الصحف من السوق السوداء ، ومن الصحف التى كانت تشتري (البند) من حصتها بنصف دينار او اكثر قليلا . فاشترىه انا منها بتسعة دنانير ٠٠٠ حتى اشتريت مرة البند الواحد بأحد عشر دينارا ٠٠٠ ولم ادع (الهاتف) يتوقف عن الصدور فكان (الهاتف) يعانى ازمة شديدة حملت السيد (ابا الحسن) الزعيم الروحانى الاكبر على ان يخض الهاتف بمقدار من الورق الذى جلب له لكى يطبع به رسالته الدينية ، ويبدو ان الامر قد بلغ الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء فبعث لى بمبلغ من المال مصحوبا بالرسالة التالية :

« عزيزى اعزك الله بعزه ومدك بضيائه

انت تعلم ان صحيفتك الغراء منذ فجر نشئها الى اليوم تصلنا تباعا ، ونحن وان كنا نساعدنا بالمساعدات الادبية من تنويه ، وتحجيد ، وغيرها ، ولكن لم يتفق لنا طول تلك المدة من مساعدتها مساعدة مادية ، وعلى اثر ازمة السورق ، وغلاء الاجور ، كنت اود ان اضع لى فى تلك المائدة اصبعاً ان لم تكن يدا ، لذلك تجاسرت

(كذا) بتقديم هذا المبلغ الضئيل ، ولك الفضل في قبوله (كذا) ولا يحسب مولاي (كذا) ان لهذا علاقة بأية قضية ، فالله شهيد انه من خالص ما في يدي ، وكن على ثقة بان دعائي ، ودعائتي ، هي خير لك من اضعاف هذا المبلغ قل ام كثر ، والله يحفظك ويرعاك بدعاء ابيك الروحاني البار . *

محمد الحسين

٣٠ شعبان ٣٦١

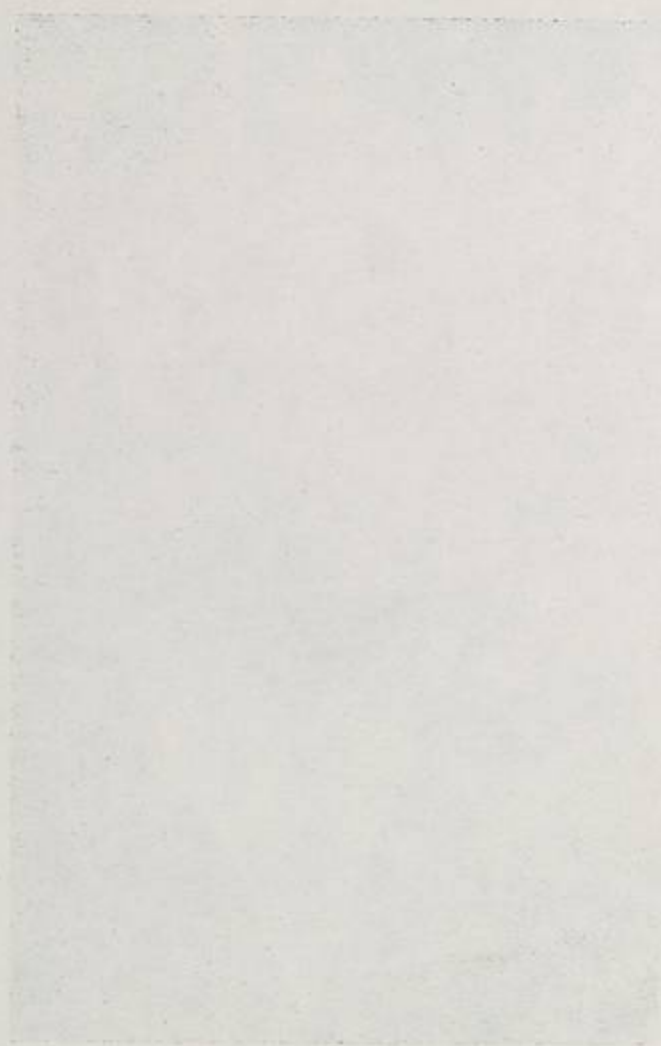
وقد زرتة بعد تسلمى المبلغ والرسالة بساعة واحدة ، ولاول مرة أقبل يده ، لانني لا اذكر اني قبلت يد احد غير يدي ابوي واخي الكبير حين بدأت اشعر ، لقد قبلت يده لانني لم اجد وسيلة تحمله على قبول استرجاع المبلغ مني بغير هذا النحو من الالتماس الذي عبرت فيه له عن غاية امتناني ، وشكري ، ورجوت منه اعفائي عن قبول المبلغ ، ولم ازل به حتى وافق على ذلك مكرها ، ومرة اخرى قبلت يده حين تفضل وزارني في بيتي على اثر تصميمي على الانتقال (بالمهاتف) الى بغداد ليحول بيني وبين هذا التصميم ، فكان تقبيل يده بمثابة آخر ما في كنانتي من وسيلة في الرجاء منه بتركي وشأني ، ولقد لقيت من لدنه الشيء الكثير من الرعاية ، والعطف طوال السنين التي اتيح لي فيها التشرف بالاتصال به وهي رعاية وعناية قلما لقيها شبه متمرده مثلي ، من زعيم روحاني كبير مثله . *

لقد كان الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء نسيج وحده علما ، وأدبا ، وفنا وكان زعيما روحيا فذا ومصلحا كبيرا سيظل التاريخ زمنا طويلا يبحث عن نظير له بين جماعة الروحانيين فلا يوفق وقلما شوهد شخص يجمع بين عدد غير قليل من زعامات انفراد بها في العالم الاسلامي والعالم العربي ، فقد كان زعيما روحيا ، وأوسع الاطلاع تخرج الكثير من العلماء على يديه ، وكان منهم السيد محسن الحكيم المرجع الروحاني الاكبر اليوم ، وكان خطيبا قل نظيره من حيث بلاغة الكلام ، وفصاحة اللفظ ، ونفوذ معانيه الى قلوب مستمعيه ، وكان زعيما من اكبر الزعماء في عالم الادب ، شعرا ، وثرنا ، ثم هو بعد ذلك محدث بارع ، ماخلا حديثه من

الملح الادبية ، وانتكت الفنية ، اما الشخصية فحدث عنها ولا حرج ، ولقد انجبت
اسرة كاشف الغطاء عددا كبيرا من نوابغ اهل العلم والادب ولكن الشيخ محمد
الحسين كان من ائبغ من انجبت النجف في تأريخها الطويل العريض •
وافته المنية وانا اصطاف في ايران ولم تغنى تلك العيون الثرة التي هطلت
على ثراه من دموع المسلمين الذين حضروا تشييعه الذي قل مثيله في التاريخ •
اجل لم تغنى تلك الدموع الغزيرة الثرة عن ان اذيب قلبي فاسكبه من بعيد
قطرات ظلت وستظل رمزا لكآبة عميقة ، وحزن ممض ، وجرح لا يندمل •



الشيخ عبدالحسين الحلبي



1850

الشيخ عبدالحسين الحلبي^(١)

كانا اثنين ذاك اللذان يحملان نفس الاسم ونفس النسبة . ولم يكن الفرق بين الاسمين يزيد على اضافة اسم عبد الى الحسين وتجرد الثاني من هذه الاضافة . وعلى رغم التفاوت بين الشخصين في العمر وفي منحى التفكير والاتجاه . فقد التبس الامر على الكثير ممن لم يعرفهما فظن ان الشيخ حسين الحلبي هو الشيخ عبدالحسين الحلبي ، وانهما اسمان لمسمى واحد . وكنت انا من هؤلاء الذين التبس عليهم الامر . ولا ادري بالضبط متى بدأت أميز بين الاسمين . ولا متى عرفت كلا منهما المعرفة الكافية ، وكلما دريت به هو اني صرت بعد حين اعرف اين موضع الشيخ عبدالحسين الحلبي من هذا الرهط . فكنت انظر اليه نظرة ا كبار واعجاب نلقيتها من ابي . ومن اخي الاكبر ومن اعمامى . وممن الفت التقاءهم فى المجالس . ثم مالبت هذا التلقين الطبيعى ان صار اساسا بنيت عليه عقيدتى غير الاختيارية ثم عقيدتى الاختيارية .

وعلى الرغم من وجود عدد غير قليل من فطاحل الادب يوم وعيت ، وعلى رغم امتلاء ذهنى بأسماء طائفة منهم من الذين رأيتهم كالشيخ جواد الشيبى . والسيد رضا الهندى ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ، والشيخ هادى الشيخ عباس ، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الجزائرى ، او الذين لم ادرهم كالشيخ آغا رضا الاصفهانى . والسيد محمد سعيد الجوبى من المعاصرين ، وعلى الرغم من عدم ترك هؤلاء اى مجال لذكر اشخاص آخرين لبعده صيتهم ،

(١) مجلة العرفان - صيدا - مجلد السنة ١٩٥٧ .

وامتداد شهرتهم ، فان الشيخ عبدالحسين - وكان اصغر اولئك سناً ومن الطبقة التي تليهم - لم يعدم الوسيلة الادبية التي يستلقت بها الانظار الى نفسه مع وجود اولئك الجهابذة • واعلام الادب في دنيا العربية •

وسواء صح هذا ام لم يصح فاني اؤكد أنني كنت قد سمعت بأسم الشيخ عبدالحسين كاديب يوم كانت سماء الادب مزدانة بتلك الشمس ، ومضيئة بتلك الكواكب ، ولم تكن يوم ذاك مدارس منتظمة ذات صفوف مرتبة ، ولا شهادات ذات سمات معينة ، ولا امتحانات يتعين بواسطتها درجة الشخص وفضيلته • وكل ما كان هنالك ان كانت حياة عملية يشخص فيها المرء بجميع مواهبه معكوسا على العيون ، والقلوب ، والادمغة ، في شعره ، ونثره ، وتفكيره ، واتجاهه ، فاذا بها لوحة مكشوفة لانكاد تعرض عليها الصورة حتى يبين منها ما يعجب وما لا يعجب ، وما يمكن ان يرسخ في الذهن او ما لا يمكن من الذي يذهب جفاء •

واللوحة هذه او المحك الذي تميز به المواهب هو فيما تسنح من فرص احتفالات الاعراس ، والافراح ، واحتفالات المآتم ، والذكريات ، ومجاسن التندر ، والدعابة ، وما تفيض به الرسائل التي يبعث بها الغائبون عن النجف الى المقيمين فيها ، فتشأ من كل ذلك فكرة عن الشاعر ، والناثر ، والمنحدر ، لاتبث ان تجول في اذهان خاصة حتى تعم اذهان العامة ، ويظل يتناقلها الجميع ثم تأتي الايام عليها بالشواهد المؤيدة ومن هنا تحصل الشهرة لمن يستحق الشهرة •

وكان الكثير من المتأدبين يحفظون الشيء الكثير من نوادر اعلام الادب ، وبنات افكارهم ، ويتحدثون بها متأدين ومنندرين ، والدليل على شهرة الشيخ عبدالحسين الادبية في ذلك اليوم هو ما كان يتناقل قراء الادب من آثاره الادبية الى جانب ما كانوا يتناقلونه لكبار الاعلام • وأني لاذكر لئلا نادرة ادبية حفظتها له وايا في اول شبابه واول عهده بمعرفة اسمه والتميز بينه وبين الشيخ حسين الحلبي •

فقد روى عن احد اغنياء النجف الذي طالما كان يستخدم مواهب بعض الادباء بما كان ينفقه عليهم وما كان يقيمه لهم من ولائم ودعوات كسبا للشهرة • لقد روى

ان هذا الغنى القمى عاد مرة من زيارة العتبات فدعا جمعا من الادباء بهذه المناسبة وكان من ضمن مدعويه : الشيخ عبدالحسين الحياوى • والسيد محمد حسين الكيشوان ، والشيخ عبدالحسين الحلى ، وغيرهم ، وهالك نشر عليهم مجموعة من الخواتيم النفيسة التى جاء بها على سبيل الهدية والصوغه ودعا كل واحد لاختيار خاتمه بشرط ان يقول شيئا من الشعر بهذه المناسبة فكان ان تناول كل شخص خاتمه ، وقال شيئا ، اما الشيخ عبدالحسين الحلى فقد ختم المجلس بيتين تناقلهما جميع الادباء والمتأدين يوم ذاك لما فيها من جمال التعريض والتورية فى مجال الدعابة وظل البيتان حديث القوم زمنا طويلا وهما :

لقى الخواتيم لنا فانتشرت حتى تنافسنا عليها معه
فلا تسئل عنا فكل واحد ادخل فى (خاتمه) أصبعه
كذلك كنت احفظ له بعض التشابيه الرائعة فى ذلك الدور البعيد وقبل ان
اشب وادرك مما كان يجرى على اسنة المعجيين ومن ذلك كان قوله واصفا :

اطلع لى قدمه وخده فخلت غصنا عليه ورده
وهى تشابيه واوصاف توفى فيها كل ملكات الشاعر المبتكر المبدع فى ذلك
اليوم ، فضلا عما يتصف به هذا الشعر من السلاسة والانسجام والعذوبة •
وحين تقدمت بى السن القيت الشيخ عبدالحسين يتسنى عرشا آخر غير عرش
الشعر والادب ، وان ملكاته فى التحقيق والبحث كانت موضع اعجاب الجميع ،
بحيث لم يستطع اكبر العلماء والمؤلفين من معارفه الاستغناء عن القاء نظرة منه على
مؤلفاتهم قبل دفعها للطبع ، سواء كانت هذه المؤلفات تخص علم الفقه او علم الاصول
او تخصص التاريخ الاسلامى او علم الرجال • او تخصص اللغة وتاريخ الادب ، فكان
الشيخ عبدالحسين موسوعة عجيبة ، ودائرة معارف غرر منها الكثير من العلماء •

وحين عثر على النسخة الخطية المشوهة من ديوان مهيار الديلمى لم يجدوا من
يمكن الركون اليه فى اكمال ما نقص منها وتصحيح ما وقع فيها من الغلط • ورد
ما خرج منها عن القواعد الى حظيرته غير ان الشيخ عبدالحسين حين تم الاقدام على
طبعتها ببغداد •

ولقد نقل لى الشيخ محمد السماوى قال ان النسخة الخطية كانت من حيث رداءة الخط والتشويه بحيث كانت تتعدو على غير الشيخ عبدالحسين قراءتها وتصحيحها . وقال لى السماوى : وصادف وجودى فى الكاظمين فاستعان بى الشيخ عبدالحسين ذات ليلة على قراءة بعض فصول النسخة للاطمينان من صحتها قبل دفعها للطبع . ولقد اعتذرت عن المبيت معه فى الخان . لان الفصل كان شتاء . ولانى كنت شديد الاحساس بالبرد فلم تكن عيني لتغمض قبل التأكد من ان ثقل عدد اللحف التى تلقى على قد بات يقيد لى كل حركة من حر كاتى « والحق ان الذين عرفوا السماوى يؤيدون مبلغ احتياظه وخوفه من البرد حتى ليظن ان ثقل ما عليه من الالبسة قد يتجاوز ثقل جسمه مرة ونصف مرة او اكثر وان الفرو الذى لا يسقط عن كفيه طوال الشتاء هو فرو مخصوص زاد وزنه على اقل انواع الفراء .!! .»

وقال السماوى : ولكن الشيخ عبدالحسين الحللى أكد لى بأن الخان الذى يدعونى للمبيت فيه معه ، يعمل فى جانب منه ندادف قد لا يقل عدد اللحف التى عنده عن عشرين لحافا ولم يزل بى حتى قنعت . ووالله لقد ارانى من جلده . ومن سرعة خواطره . ومن استنباط ما شرد من ذهن المحققين المعجائب وهو يراجع نسخة الديوان ويقلب رأيه فيه .

واقسم انى تجاوزت فى اعجابى به - يقول السماوى - حد الغبطة وقضينا ثلثى الليل ونحن نحقق ونصحح ، وحين نمت بدأ يلقي على من اللحف اتقلها حتى اشرت له من تحت اللحاف بالاكفاء .

وعند الصبح - قال المرحوم السماوى - وعند الصبح . لم اجد من اللحف الا اللحاف الاول الذى كان يغطى جسمى مباشرة اما تلك الانتقال الملقاة على فلم تكن لحفا وانما كانت اجلالا للحمير ، وقد القى الشيخ عبدالحسين على منها ما استطاع ، ذلك لان الشخص الذى كان يعمل فى الخان لم يكن ندادفا كما قال بل كان جلالا يخيظ اجلال الحمير كما فهمت فى الصباح .!! .

* * *

واول تماس لى بالشيخ عبدالحسين الحللى كان فى سنة / ١٩٢٩ و كنت اصدر

يومها جريدة الفجر الصادق • وكنت قد اذمت النية على نشر ترجمة لرسالة كان
 الفها بالفارسية الزعيم الروحاني الميرزا حسين النائيني قبل ان يصبح مرجعا دينيا
 كبيرا ، وكان قد نقلها صالح الجعفرى الى العربية لتشر تباعا فى الفجر الصادق
 وكان الجعفرى يومها من محررى الفجر الصادق • وكانت هذه الرسالة عنوانا
 للحضارة الاسلامية التى تنظر الى الامور - فيما يتعلق بثقافة المرأة والرجل ، وفيما
 يتعلق بالحرية والعمل ، وفيما يتعلق بالمسؤوليات - نظرة مستقيمة تدل على منتهى
 النضج والاعتدال مما يعبر عن رأى (النائيني) المصلح المدرك الذى يفهم مقتضيات
 المسلم المعاصر فهما صحيحا ولكنه حين بدأ يخطو الى الزعامة الدينية وجد ان هنالك
 مجالات واسعة سيستغلها خصومه لمهاجمته بسبب هذه الآراء التى تضمنتها رسالته ،
 والتى تتنافى دعوتها مع الزعامة الروحانية التى يؤيدها الرجعيون والجهلة تأييدا
 مجردا من كل تفكير حر مستقيم •

فسعى النائيني الى جمعها • وبذل على ما قبل يومذاك لشراء كل نسخة ما يقل
 عن ليرتين ذهبية • وهو مبلغ جد كبير كئمن لرسالة لم تزد صفحاتها على عشرات
 الصفحات • وهذا ما حفزنى على نشرها فى جريدتى والاشادة بها وتوجيه الناس الى
 مطالبيها ولكن هذه المحاولة قد حملت (النائيني) على بذل مجهود كبير للحيلولة دون
 نشرها • وكان من هذا المجهود قيام الشيخ عبد الحسين الحلى بالتوسط لسحب
 الرسالة من قلم التحرير وحمل الجريدة على العدول عن نشرها •

ولاول مرة اجلس الى الشيخ عبدالحسين فى مقبرة آل الحولاوى فى
 الصحن الشريف مدة ساعة اشرح له رأى فى تخطئه هذه الاساليب ، وابسط له
 مذهبي فيما تخلف مجاملة العوام من قبل العلماء من الأثر السئ فى المجتمع ، وابدئ
 له معارضتى وتصميمى على المضى فى ترجمة الرسالة ونشرها • وكم دهشت • وكم
 تعجبت حين رأيت هذا الرجل الذى بعثه (النائيني) ليقتنعنى قد بدأ يؤيد رأىي •
 وينفخ فى من روحه • ويضرب لى المثل على ان هذا الدين لا يقيمه الا الحق والا
 الصراحة وقال :-

لقد انتفع الاسلام من صراحة السيد جمال الدين الافغانى ، وجرأة الشيخ محمد عبده اضعاف ما يمكن ان ينتفع احد من مجازاة الرأى العام ، ومجاملة العوام ثم قوى فى عزمى وصار يقص على بعض الامثلة التى تزيد من قوة ارادتى ومضى فى عقيدتى وروى لى بعض الخواطر الادبية بلغة وبسرات هادئة • وكلمات موزونة كأنه كان امام ند من انداده • لا تلميذ صغير من تلاميذه • ولقد كان هو هذا طوال ما رأيت ••• كان مجموعة من تواضع • وموسوعة من علم وأدب وتاريخ • ولست ادرى ما الذى قال للنائينى وما الذى قاله له النائينى ولكن الامر سوى معى من طريق الشيخ جواد الجواهرى الذى ارغمنى على العدول عن نشر الرسالة ارغاما ••• ليس هذا موضع شرحه •

وبعد زمن علمت بان الذى قال بأن الشيخ عبدالحسين كان من جماعة السيد كاظم اليزدى • وانه من خصوم دعاة الحرية (والمشروطة) لم يكن يعرف عن الشيخ عبدالحسين الا حضوره ببحث السيد كاظم • اما اختلافه معى فى الرأى والعقيدة فلم يعرف احد عنه شيئاً • ولا ادل على ذلك من ملازمة الشيخ عبدالحسين للشيخ عبدالله الماقدانى مع انه كان يختلف واياه اختلافاً كلياً فى كثير من الامور ، ولكن هذه الملازمة لم تتناف مع هذا الاختلاف الاساسى •••

وقوى اتصالى به • وكان لاحد ابناء عمى وهو الشيخ سعيد مأم حسينى يقيم فى كل سنة فى بيته مدة عشرة ايام يحضره عدد غير قليل من فضلاء النجف واعلامها • وحين يرفض عقد المجلس من كل ليلة يتأخر بضعة انفار من اولئك الفضلاء ويتحول مجلسهم الى مجلس ادبى خاص ، وكان الشيخ عبدالحسين من حضار هذا المجلس • وفى هذا المجلس عرفت للشيخ عبدالحسين اشياء كثيرة لم اعرفها من قبل • لقد قل من يدانيه فى ملكة ارجاع المسائل الى مصادرها • كما قل من يجاريه فى مناقشة التشريع من ناحية الفقه ، وفيما يحفظ ويستظهر ممن الشواهد العلمية والادبية • ويمتاز على العدد الكبير من تلك الحوزة بما كان يضيفه على المناقشة والادوصاف من جمال الاستعارات والجناس وحلاوة الصياغة • وأنى

لاذكره مرة وهو يناقش الشيخ جعفر البديري في مسألة فقهية استتبط لها الشيخ عبدالحسين من المفاهيم ما يغير رأى (البديري) مغايرة أساسية . وحين احتدم الجدل واحتدام الجدل عند الشيخ عبدالحسين حركة للجذع مستمرة بين الانحناء قليلا وبين الاعتدال ، ثم توجه نحو اليمين ، وتوجه نحو اليسار ، ثم بسط الكف على الارض . فاذا انتهت المناقشة بالظفر ، خمدت هذه الحركات رويدا رويدا ، وعاد الشيخ عبدالحسين الى وضعه الطبيعي . والا فلا بد انه قائل شيئا ، وبهذا الشئ اعتاد ان يختم المناقشة فلا ينس بعدها بكلمة في اصل الموضوع ، اقول وحين احتدم الجدل بينه وبين الشيخ جعفر البديري ورأى انه غير قادر على ان يغير للبديري رأيا قال له أسمعني يا سيدى الشيخ :-

- ان فقهك عتيق . عتيق وكفى .

ولم يكن أحد يعرف ان من الفقه ما هو جديد وما هو عتيق ولكن الادباء من امثال الشيخ عبدالحسين كثيرا ما يوجدون ما لم يوجد ، ومنذ ذلك اليوم صار الفقه جديدا وعتيقا ، وظل الفقه العتيق يرمز الى الافكار الجامدة التي تعجز عن تسخير الاذهان لاستنباط المعقول من الامور واصبح اصطلاحا عند الكثير .

ولم يبق من لم يعرف للشيخ عبدالحسين الحلي قيمته العلمية ومقامه الادبي الرفيع حتى البقال حين كان يقف عليه الشيخ ليشتري شيئا كان يطفح وجهه بالبشر لالشيء الا لان الشيخ عبدالحسين قد اشترى منه شيئا ، وحتى العوام كانوا يعرفونه من مشيته الرتيبة وهو قابع بماءته فيسلمون عليه يأخذون يده بقصد التقبيل على الرغم منه . وحتى الشباب والطامحون كانوا يفهمون بان لهم بين علماء الدين عالما اقل ما يقال عن علمه ان فقهه جديد على حد تعبير الشيخ عبدالحسين نفسه . وانه لم يؤخره عن الزعامة الدينية الا عدم التزامه بما يلتزم به المرشحون للزعامة فكان لا يمتنع ان يناقش الصغير والكبير . وان يعلن عن رأيه بدون توقف وحذر ، وان يدخل حلبة ليس له فيها من تد ونظير ، لانه لم يفكر يوما بالزعامة الروحية . ولو كان يفكر فيها لتجنب حتى نظم الشعر .

وكان من مفاخر اهل العلم والادب ان يذكروا انهم تلمذوا على يد الشيخ
 عبدالحسين . او تلمذوا على تلاميذه . وكان من مفاخرهم ان يذكروا بأنهم قرأوا
 شعرهم فى مجلس كان من متصدره الشيخ عبدالحسين الحلى . وان قصائدهم
 قد حظيت منه بالاستعادة . بل كان اكثر من هذا فقد طالما كان حكما
 بين جهتين فى مسألة فقهية . أو مسألة أدبية . أو قضية تاريخية ذات علاقة بالفلسفة
 الروحية او التحقيق الادبى . وكان اكثر من هذا كله ايضا لقد كان حكمه
 الفصل فيما يعرض عليه فلم يستأنف حكمه مستأنف . ولم يميزه مميز .
 اجل انه لم يبق من يجهل مقام الشيخ عبدالحسين العلمى والادبى من كبير
 أو صغير عالم او جاهل . اما الجهة التى ران عليها الجهل . وعشى عينها الغباء فجهلت
 حق الشيخ عبدالحسين فهى جهة الحكومة فقط .

لقد كان لى قريب شاب عرف بشدة الكسل بين اقرانه حتى لقد كان يتناقل
 والله ان يتناول اللقمة من الخوان ويدنيها من فمه . . !! وهو نفسه يدرك هذه الاحوال
 وكثيرا ما تحدث قائلا : لا احسبى لشدة كسلى قادر على ان اقوم بادنى خدمة لاقرب
 شخص منى اذا ترك الامر لى وحدى ، وقد قال لى قريبي الكسول هذا يوم تم تعيينه
 موظفا فى الحكومة ، لقد قال لى وهو يضحك مازحا :

- لم اكن اعرف مدى غباوة الحكومة ، وبلادتها ، وعدم ادراكها ، الا يوم
 قبلت تعيينى موظفا فى ملاكها .

اما انا فلم اعرف مدى غباوة الحكومة وبلادتها الا يوم قررت ان تجرى
 للشيخ عبدالحسين الحلى امتحانا لى تعيينه قاضيا شرعيا فى محاكمها ، ولم اعرف
 مبلغ جناية الحكومة على الحق والعدل والقضاء الا يوم اعلنت الحكومة ان الشيخ
 عبدالحسين الحلى لم يجتز الامتحان بالنجاح المطلوب . . !!

ولست ادري ايجوز ان يجرى احد امتحانا لاديسون فى الكهرباء ؟ ولمدام
 كورى فى طبيعة الراديو ؟ ولماكونى فى الراديو ؟ فاذا جاز هذا جاز لاحدنا ان
 يعطى لنفسه حق اجراء امتحان للشيخ عبدالحسين فى الفقه وفى القضاء الشرعى . .
 ومالنا وهذا ؟ وانما اريد ان اذكر بان الشيخ عبدالحسين قد ساءت احواله المادية

كنتيجة لعدم رضوخه للتقاليد ، ونتيجة لعدم مجاراته المحيط الذي كان يفرض عليه فروضا غير ملائمة لجيلته وحيويته ، وزادت الايام في سوئها حتى اضطر لبيع مسكنه ، وحتى تنازل عن كتبه ، وكانت له بال الشيبسي - وبالمرحوم الشيخ جواد الشيبسي خاصة - صلة قوية نسجها الادب الرفيع الذي يتحلى به الشيخ عبدالحسين ويتحلى به بيت الشيبسي . فرأى آل الشيبسي ان يعرضوا عليه القضاء الشرعي
 واشهد انه على رغم حاجته الشديدة يومها للمال وعلى رغم فقد انه كل رجاء في تحسن وضعه المالى فقد امتنع عن اجابة الطلب ، وكان له الحق ان يمتنع . ذلك لان القضاء الشرعي العراقي في دور الاستقلال لم يكن قد شهد من قبل ولن يشهد من بعد ندا للشيخ عبدالحسين ، ولان نزول الشيخ الحلي على نظام (الروتين) الحكومي وقبوله دخول الامتحان كان لا يخلو من منقصة لامثاله ، ولكن آل الشيبسي أصروا .
 وما زالوا به حتى استقدموه من النجف الى بغداد ، وحتى ارغموه على دخول الامتحان الشكلي ، وتم كل شيء ، وظهرت النتيجة بانه لم يستطع اجتياز الامتحان بالنجاح المطلوب . . . !! وكثر يومذاك الحديث عن السبب الذي آل اليه الامر على تلك الصورة ، وكان الشيخ على الشرقي حينذاك رئيسا لمجلس التميز الشرعي .
 والشائع المعروف انه كان كل شيء في هذا الامتحان ، وكانت بين آل الشيبسي وبين الشيخ على الشرقي جفوة طال امدها ولم تزل حتى اليوم فاتهم انصار الشيبسي الشيخ على الشرقي بما آل اليه الشيخ الحلي ، ودافع الشيخ على الشرقي بكونه تلميذا من تلاميذ الشيخ عبدالحسين ، وانه درس عليه شطرا غير قليل من حياته المدرسية فليس من المعقول ان يوقع بالشيخ عبدالحسين من اجل خصومته لآل الشيبسي . وكثر يومها اللفظ والحديث وصار الناس صفين متعارضين بين متهم ، وبين مدافع ، فما رأيت والله ايمانا في تلك الازمة والنفس في اشد انفعالها لما وقع ، يحاكي ايمان الشيخ عبدالحسين الحلي ، ولا نفسا اكثر هدوا في تلك العاصفة ولا صدرا اوسع حلما . من نفسه ومن صدره . وقد تلقى تلك الصدمة بصبر ما مثله صبر . ويحلم عز نظيره في مثل هذه المعامع بينما ظلت قضيته تدوى في ابدية النجف طويلا .

ومثل هذا الموقف النبوي ، المخجل من الحكومة كان موقف النجف واكثر .
تلك المدينة التي نهلت من فيض الشيخ عبدالحسين نحو خمسين سنة كأستاذ
لمعاهدها وكركن من اركان أدبها الرفيع وكعמיד من عمداء الفقه والبحث والتحقيق .
تلك المدينة التي تساوى العالم والجاهل . والكبير والصغير في معرفة الشيخ
عبدالحسين بحقيقته . لا ادري كيف رضيت لنفسها ان تراه يغادرها الى البحرين
بصفة رئيس للتميز الشرعي دون ان تحرك النجف ساكنا ؟ وهي تعلم - اى
النجف - ان الشيخ عبدالحسين قد افنى زهرة عمره في سبيل عزتها العلمية .
وشهرتها الادبية . وهو عمر لو قضى الشيخ عبدالحسين بعضه - والبعض اليسير
منه - في مصلحة خاصة لبني لنفسه ما بنى . وعمر ما عمر . وكانت التبعة تقف
في الدرجة الاولى على الزعماء الروحانيين . وكان بوسع هؤلاء الزعماء وحدهم
ان يحولوا بين الشيخ وبين السفر من اجل العيش ، وكان المسؤول الاكبر في ذلك
السيد ابو الحسن الزعيم الروحاني الكبير .

وانى لاذهب الى ان موقف اهل بغداد مع عبدالوهاب المالكي في القرن
الرابع الذي حملة ضيق ذات اليد على السفر الى مصر ، والذي اجتمع حوله
العلماء والفضلاء ليحولوا بينه وبين الهجرة فقال انه لو وجد من يدفع له كيلا من
الباقلاء في اليوم لعدل عن الهجرة . فبكي الجميع ولكن لم يظهر احد استعداده
لسد هذه الخلة ، اقول اتى لاذهب الى القول بان موقف بغداد في القرن الرابع مع
عبدالوهاب - على نبوه - كان أنظف بكثير من موقف النجف مع الشيخ عبدالحسين
في القرن العشرين .

وكانت لي بال الشيبسي صلة وثيقة ، وكان لهذه الصلة الفضل في توثيق
اتصالي بالشيخ عبدالحسين بل ليتمكن اعتبار هذه الصداقة منى للحلى مدينة لتلك الصلة
بال الشيبسي اكثر من غيرها اذ هي التي زادت علاقتي وثوقا بالشيخ الحلى حتى
تحولت الى صداقة متينة تشظت منذ اول يوم وصوله الى البحرين . وقد ظفر الادب
الرفيع منها بخير مجهوده من الشعر والنثر . اما الشعر فقد ضمت جريدة (الهاتف)
منه اغلبه ان لم يكن كله . واما النثر فاني محتفظ له باضبازة من ازوع

الرسائل وابلغها وقد حكى الكثير منها ادق الاحاسيس وكشف عن اتجاهات ليس
 بإمكان احد ان يكشفها مالم يكن من الموهوبين ، واعتقد ان دراسة هذا الشعر والنثر
 والتصدي لعرض حياة الشيخ عبدالحسين الادبية قد تكون ذات فائدة كبيرة في
 دنيا الاداب الحية ، اما هو فإنه لم يجن من علمه وأدبه الرفيع شيئا وهو حي ، أفيمكن
 ان يجنى منه شيئا وهو ميت ؟

اقول لقد توثقت هذه الصداقة بيني وبينه حتى كتب لى مرة من البحرين
 يقول :

(... واني آمل ان لا ابقى خائبا دائما من رسائلكم الخاصة التي تبهج نفسي
 وتزيدها نشاطا . وبالله اقسم وما على يمين : ان عمدة ما استفيد من الهاتف هو
 تجدد ذكرى صاحبه آنا فآنا ، ثم تغذية الروح بما يجرى به ذلك اليراع السيل
 من محرره لما فيه من أدب جم . وفن نافع .. واخلاق جميلة
 وراح يغمرنى بعواطفه ويبعث فى (الهاتف) من روحه الادبية ما يقصر
 القلم عن وصف اثره فى رافع مستوى هذه الصحيفة ، وصارت لاتمر مناسبة
 دون ان يستغلها ليفيض بأدبه على الهاتف وصاحبه فيضا لايعرف قدره ، ولا يدرك
 مداه الا الادباء والا الذين نهلوا من معين (الهاتف) وصاروا شعراء وكتابا عن
 طريقه ، وما معين (الهاتف) الا عدد من نواع الشعراء والكتاب المجلين وكان الشيخ
 عبدالحسين الحلبي فى طبيعتهم ، فهذا هو بيعت للهاتف بقصيدة من البحرين ضمن
 رسالة خاصة ويعنونها بكلمة (الود) مهنيا ، بمناسبة عيد رمضان من سنة ١٣٦١ ،
 ويقول فيها :

حتى اوطاتى اذا سمعت	بالتحايا الغر اوطان
واصبحا با عهدتهم	وهم فى الله اخوان
لهم فى كل مكرمة	اثر بالفضل ملآن
كيف يخفى فضلهم وله	بينهم من لطفه شأن
(يا خليلي) انت لى وكفى	بك عمس لى قد كانوا
انت فى مرآك منشرح	لى ومن ذكراك سلوان

لك ودى لا ارتياب به	ما وراء الحسن برهان
اعرب (الراعى) (لهاتفه) ^(١)	عن مزايا بك تزدان
ومعان للكمال غدت	هى روح وهو جنمان
انما (الراعى وهاتفه)	لشبات الفضل ديوان
وهما سفر فان فكهت	نفس من يهوى فستان
لك يولى العيد بهجته	وهى الطاف واحسان
فاستق الاقداح فيه اذا	ضح ان اليوم نشوان
وخذ الافراح منه وما	هو الا بك جذلان
واستمعها من فمى نغما	للتهانى هى الحان
لك اهديها مجبرة	وعليها (الود) عنوان
كعقود الدر فصلها	بديع الصنع مرجان
كل عقد لاتوازنه	دلة تهدى وفنجان

وهو يريد بالدلة والفتجان هنا تلك الدلة التى اهداها لى السيد مير على والفتجان الذى اهداه لى الشيخ جواد فسام فى أبيات من الشعر حملت عددا من ائمة الشعر حينذاك على مباراتها ومجاراتها حتى كان من تلك المباراة والمجارة قلادة ازدان بها جيد الشعر ، وكانت قصيدة الشيخ الحلى عين القلادة ^(٢) .

وزادت افضاله الادبية حتى راح يقرط اذن (الهاتف) بما يرينا من العقود التى حوى (الهاتف) الشئ الكثير منها مما يصلح ان يكون نواة دراسة ادبية عميقة لائمة الشعر والادب فى النجف ، ولا بد للقارىء ان يلمس حتى فى المناسبات الخاصة ، مزاجه واتجاهاته ، ومنحى تفكيره ، فهو حين يقرض كتاب (فى قرى الجن) مثلا وهو احد مؤلفاتى القديمة فانما يقرضه بما يستوحى منه وما يجب ان

(١) الراعى ، والهاتف ، الجريدتان اللتان اصدرتهما انا فى النجف ، ثم انتقلت الهاتف بعد ذلك الى بغداد .

(٢) يجد القارىء بعض الامثلة من قصيدة الدلة فى عرضى لايام السيد مير على والشيخ محمد حسن حيدر من هذا الكتاب .

يكون له من الاثر في نفسه ، وما قد يستتبط منه من القواعد ، كقوله من أصل قصيدة بهذا المعنى :-

بنى المنهدم الجن ورحنا نهدم المبنى
تقلنا مع الايام من وهن الى وهن
واخلدنا الى الارض ولكن بغية الدفن
غنينا نحن بالراحة والراحة لا تغنى
وما الراحة للانسان الا العمل المضمنى

واشهد انه راح ضحية تفانيه في خدمة العلم والدين والادب . وكان صاحب رسالة ادبية لا تحسب انه قد خلق لشيئ غيرها ، وانه ليهيجه الموضوع الادبي الخلقى اكثر مما يهيجه اى شيئ في الدنيا حتى وان كان ذا مساس بحياته المادية وقد كان يسكن بالقرب من بيته شخص يبيع الخضروات ما رآه مرة في الطريق الاوخف اليه واخذ يده وطبع عليها قلبه حارة وقال :

«عمى الشيخ عبدالحسين يمته صلى حتى نصلى وراك؟» فاجابه الشيخ ذات يوم «انت ابدى وانا اصلى وراك» فقفر (الخضرواتى) كالمدفع وهو يستغفر قائلاً :
- استغفر الله يا شيخنا استغفر الله ...

وهذا الجواب وحده من الشيخ (انت ابدى وانا اصلى وراك) يدلك كم هو راغب عن الجاه والزعامة ، وعازف عن الشهرة وجازم منذ اليوم الاول على عدم ترشيح نفسه للزعامة الروحية حتى ليرضى بان ياتم ببائع المخضرات فى سبيل ان يترك لسانه . ويعيش غير مقيد !!...!!

ولقد كان للهاتف يوم باسم (يوم الهاتف الادبى) وهو يوم الاثنين من كل اسبوع وقد جرت العادة ان يجتمع الادباء فى هذا اليوم بمكتب الهاتف ويبدأ احدهم بتسجيل ما يتداولون فيه من احاديث ونقاش فينشر ذلك فى الهاتف تباعاً ، ثم حدثت هنالك امور تعطل بسببها هذا اليوم وسحبت من الجريدة اخباره ووقائعه ، ولقد كان لتعطيل هذا اليوم صدى فى نفوس بعض الادباء ، ولكنه كان فى نفس الشيخ عبدالحسين عاصفة . وعاصفة هو جاء اكسحت كل شيئ امامها وقد ظهر

اثرها في قطعة ثرية رائعة وقصيدة شعرية اروع منها ، بعثها من البحرين جاء فيها :

فقدت سبعين عاما لم تزد كربى لها كفقدي (ليوم الهاتف) الادبى
قد كان لي سلوة عما اكابده - اعاذك الله - من هم ومن وصب
قالوا أتبدل عاما من سواء ولا والله مالى بذاك العام من ارب
سئمتها صحفا ليست مطهرة ولا بأيدي كرام سادة نجب
ما كنت انفتت في يوم بها ذهابا فكيف اتلف فيها وقتى الذهبى
ولم تكن راحتى يوما بها وكفى ان لا يكون بها في ساعة تعبى

وكل القصيدة على هذا النمط وهى دليل على ما كان يعطى الادب من أهمية .
وما كان يريد ان يكون الادب وتكون الصحف عليه من جلال وكمال ومنفعة .
وكان برا بالنجف . وكان متفانيا في حبها ، وكان يرى ان السعادة تحل بين تلك
الاجواء الادبية التى تحكيها مجالسها . فمن هناك . فمن البحرين كان يكتب لى
سائلا عن كل جزئية وكلية حتى عن (ياجه) الشيخ محمد جيوان والمشاركين فيها
والتي عقد الهاتف عنها فصلا وعلق عليها البعض تعليقات ادبية فكهية في حينها ،
وكان يتعقب ندوة (الصفوة) التى كان يترأسها السيد على بحر العلوم ، والتي اعتادت
ان تجتمع في كل يوم اربعاء بيت السيد مير على أبى طيخ وتتحول هنالك الى ندوة
علمية لغوية ادبية . فكان يكتب لى سائلا عنها ، مستفهما عما يدور فيها من نقاش
ادبى ، ومن طرائف شعرية ، وكان يتعقب حركة (جمعية منتدى النشر) خطوة
فخطوة وان له الفضل الكبير على النجف - في خلق المناسبات الادبية . واتعاشها
بعد ان طرأ على أدب النجف شيئى غير قليل من الخمول ، والفتور والركود بسبب
انتقال طائفة من رجال ادبها عنها . كآل الشيبسى . والشنخ على الشرقى .
واحمد الصافى ومهدى الجواهرى واحست النجف على أثر مغادرة الشيخ عبدالحسين
الى البحرين بالفراغ الكبير ، وبالخلة التى خلفها في جميع النفوس ، وظلت ذكراه
ملء القلوب ، وراحت الايدي تتخاطف كل عدد من اعداد الهاتف الذى يحوى
شيئا عن خواطره .

وعند قيامه بالزيارة الاولى للعراق قادما من البحرين استحالت النجف كلها

الى مهرجانات أدبية حتى ضاقت اوقاته بالدعوات الكثيرة • وامتلأ بيته بكبار العلماء ورجال الادب ، واسمعه النجف قصائد فاضت بالحب والاخلاص والتجلة لمقامه العلمي • واحتفت به احتفاء قل نظيره ، وقد طال بطول ايامه التي قضاها هنا •

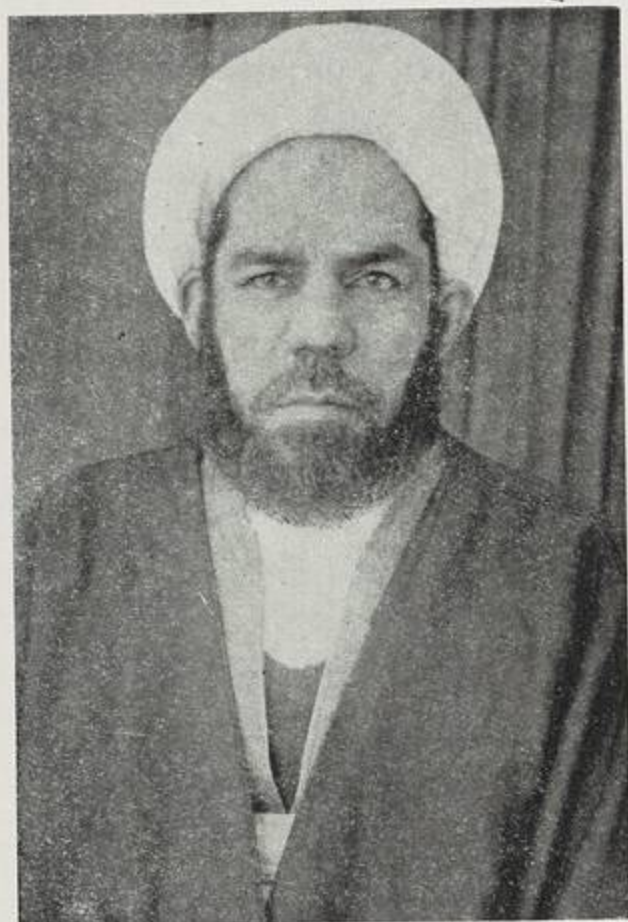
وحين رجع الى البحرين لقي في الطريق شيئاً غير قليل من عدم الراحة وحين وصوله الى البحرين مرض مرضاً شديداً وقد كتب لى على أثر ذلك يقول :-
«... واثد من كل ملاقيت اذية هي الوحشة التي لازمتني في البحرين ، فليتنى لا رأيت العراق من قبله • اوليتني لم اجد فيه نعيماً مما يلذ من موجودات العراق ...»

وبادلت النجف عين هذا الشعور فقد أحست بوحشة اكبر • وبألم أمض • وتمنى كل واحد لوان الشيخ عبدالحسين لم يقدم النجف • ولم يجدد عهده بها • وطفح الشعوران شعوره وشعور النجف على الكثير من صفحات الهاتف • وسامت صحته • واعتل جسمه • اما الذي لم يسؤ ولم يعتل فهو شعوره ، واحساسه ، وقلمه ، وقد ظل تفكيره خصبا يفيض بالحوية • لقد ظل كما وصفه هو من قصيدة عامرة بقوله :

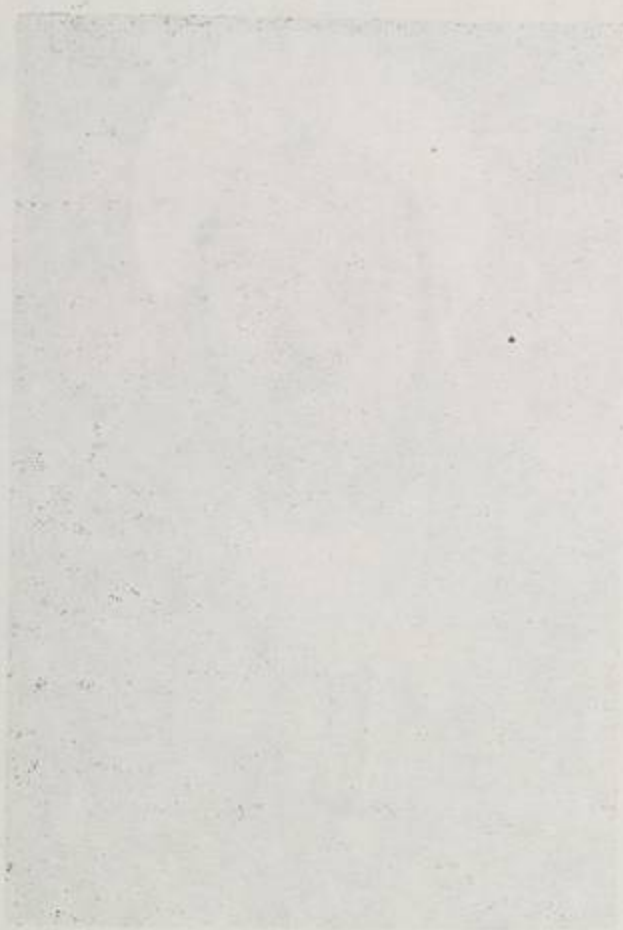
تطلعت من المربأ	الى العود الى المبدأ
وسرحت به طرفا	حديد الطرف لا يخسا
وفكرا لم يزل يخطو	ولكن قلما يخطأ
حديدا لم يكن ينبو	اذا شم ولم يصدأ

وحدث بيني وبينه ما يشبه الجفاء وليس هذا مورد ذكره - فانقطعت مكاتبي عنه • وانقطعت مكاتبيه عنى • ولكن ذاك لم يمنعه من ان يقصدني ببغداد قصداً - وكان قد جاء من البحرين ليقتضى اياما في النجف - فغمرني بلطفه ، وشملني بعطفه وطواني بحلمه • ورأيت في هذه المرة شبح الموت ماثلا في ضعفه وهزاله • وهالتي ان أراه في هذا الضعف • وفي هذا الهزال وقد اهدى لى آخر صورة له وقال انها الصورة المفضلة عنده لانها تحكيه وهو في شتاء العمر ...!!

ولم يكتب لى بعد ذلك ان أراه • وكانت الهاتف قد تعطلت عن الصدور •
فحرمت • وحرم القراء • وحرمت النجف فى فترة هذا التعطيل من التمتع بذلك
الادب الساحر • والعلم الزاخر • والمثل الاعلى للمخلق الرضى والقلب الطاهر •
وكانت وحشة اخرى شعرت بها النجف تفوق ما سبق لها من شعورها بغيبة
الشيخ عبدالحسين • ذلك لأن هذه الوحشة لن يزيلها من الذهن مزيل مادام
الشيخ عبدالحسين قد مات فى البحرين !! • وبموته انطوت صفحة من المع صفحات
العلم والادب فى هذه المدينة المقدسة فوالهفتى على تلك الذكريات الحبيبة •



الشيخ قاسم محيي الدين



The [unclear] [unclear]

الشيخ قاسم محى الدين^(١)

تعود بي الذكرى الى ايام الطفولة وانا صبي العب مع الصبيان فى آخر الشارع او فيما يلى آخر الشارع من محلة العمارة فى النجف ، وفى هذا الشارع كان يقوم بيتنا كما يقوم بيت الشيخ امان محى الدين (والد الدكتور عبدالرزاق محى الدين) . وكنت ارى بين مرتادى هذا البيت شابا يلبس (اليشماغ) ومن فوقه عقال احمر داكن . ولا يستلفت النظر لولا مشية خاصة يخيل الى الرائي انه يجبر قدميه فيها جرا . ويميل فيها نحو اليمين ونحو الشمال اذا ما اسرع فى خطواته ، ولولا انف كبير كان اكثر بروزا من عقاله الذى كان ينفرد بلونه الاحمر الداكن بين مئات «العقل» فى ذلك اليوم . ثم رأيت بعد ذلك غير مرة عند اخى فى مدرسة اسرنا آل الخليلي ، ثم عند اخى فى بيتنا ، فعرفت انه الشيخ جاسم محى الدين . وانه يسكن فى الطرف الاخر من محلة (العمارة) وبالقرب من (السور) ، وانه ابن اخت الشيخ امان محى الدين ، وانه يقوم بزيارة خاله بين آونة وأخرى لمحضر الزيارة أو لارتباد مجلسه ، والتمتع بما يدور فيه من الاحاديث الادبية والعلمية ، فقد كان لخاله الشيخ امان ديوان تحضره طبقة من أهل الفضل والادب ، ويمتد بعض الاحيان الى منتصف الليل ، ثم تزوج الشيخ جاسم ابنة خاله وما زلت اذكر خروج العروس الى بيته ، واذكر صفا من طلاب العلم الذين قاموا بالزفاف وقد لحنوا التسييح تلحيناً راقصاً جميلاً يهز السامعين . فكان البعض منهم ينشد وهو فى حال اشبه بالرقص أو الدبكة صارخاً بنغمة حلوة خاصة :- الله . الله .

(١) جريدة اليقظة - ١٩٥٦/١١/٣٠ .

فيجب الآخرون بتلك النعمة وعلى رويتها ولحنها :- سبحان الله •
وقد ظلت مدة طويلة وأنا أردد هذه الأهروجة الجميلة بلحنها ، ونعمتها ،
كلما ركضت ، أو صعدت السلم ، أو هبطت منه ، وقد صار تردد الشيخ جاسم على
بيت خاله بحكم هذه المصاهرة أكثر وأكثر •

ولم أدر كم مضى حينما بدأ اسم الشيخ جاسم يتردد على المسامع ، ولكني
القيت ان صورة ذلك الشاب - المعقل - المتردد على ذلك النحو الى بيت خاله بدأت
تغيب عن الذهن ، وتحل محلها صورة شخص في عمه بيضاء ، وجبة نقية ، وعباءة
خفيفة تدل على شيء من الأناقة النسبية ، وأنه كان يجلس للدرس ويتحلق حوله
عدد من الطلاب الذين يدرسون المقدمات ، والأدب العربي ، وبعض الفنون التي
اختص بها الشيخ جاسم ، وانفرد من دون أنداده واترايه من طلاب العلوم العربية
والدينية بتدريسها حتى اشتهر بذلك • وحتى تكاثر عدد طلابه الذين بدأوا
يدرسون عليه المقدمات والعروض منها بصورة خاصة ، ولم يتفق الا للقليل - من
شباب ذلك اليوم الذين شقوا طريقهم فيما بعد وكان لهم شأن في الفقه ، وفي
الشعر ، والأدب - من لم يأخذ بالنصيب الوافي أو القليل من ادرس على يدي الشيخ
جاسم محي الدين في النجف ، ومن اشهر هؤلاء كان الشيخ محمد كاظم الشيخ
راضي ، والشيخ محمد رضا المظفر ، ومحمد مهدي الجواهري ، وسلمان الصفواني
والدكتور عبدالرزاق محي الدين ، وصالح الجعفري •

وكان الشيخ جاسم وحيد امه ، ولم يكن لها غيره ، فعنت به كثيرا ، وفتحت
له بيتها ليتخذ منه ديوانا على غرار ديوان خاله ، ومجلسا يسمر فيه طلاب العلم
والادب من امثاله • فكان يقضى اوقات الفراغ في بيته لاهيا بقرض الشعر والمساجلة
في النظم • ومزاولة التقفية - وهي نوع من انواع التسلية الادبية المعروفة في
النجف اذ ينشد المنشد بيتا من القصيدة ، وحين يصل الى نهاية البيت يقف
منتظرا نطق الآخرين بالقافية التي يكونون قد عرفوها بالقرينة والسياق وقلما كانوا
يخطئون في التقفية (١) •

(١) لقد جاء وصف التقفية في مواضع اخرى من هذا الكتاب وصفا كاملا •

واشتهر مجلس الشيخ جاسم محيي الدين بمثل هذا اللون من الادب والتسلية، وبدأ
يوثمه الكثير من انداد الشيخ ، وزملائه ، وتلاميذه ، وصار للشيخ جاسم بعض
الشأن عند اهل العلم وارباب المجالس . فلقد كان جريئا ، وكان فصيحاً ، واذ
اجتمعت الجراة والفصاحة عملتا الاعاجيب . وكان الى جانب ذلك يستظهر الكثير
من الطرائف العلمية والنوادر الادبية وكان يبحث عنها في الزوايا والخبايا ويفتش
عنها في جميع المظان ليستشهد بها في اماكنها ، ويأتي بالجانب الساحر منها عندما
تجىء المناسبة ، وقد دفعت به هذه الرغبة الى ان يحفظ طائفة كبيرة من الامثال ،
والنصوص ، والاقوال ، وطائفة كبيرة من شعر القريض والشعر العامي حتى كان
اشبه بخزانة نفيسة من الطرائف والبدايع الادبية .

والى جانب ذلك كان يحفظ الشيء الكثير من صور المشاكل ، والمسائل
الفقهية العويصة ، وطرق حلها عند البعض دون البعض ، ويحفظ تاريخ الكثير من
القضايا التي اهملها التاريخ ، كما كان يروى عددا من القصص الممتعة التي كان
ينفرد بنقلها وكيفية حبكها ، واذ اضفنا الى ذلك سخاءه وكرم نفسه وجه للناس
ادر كنا سبب تجمهر الادباء والمتأديين حوله وكثرة عدد طلابه الذين كان يسخرهم
لكثير من الاغراض فيلبون اوامره بطيبة خاطر ، ولما كانت حالته المادية يومها حالة
ضيقة ، ضيقة ، بحيث لم يكن من السعة ليستطيع استخدام احد للقيام
بشؤونه كان يعهد الى طلابه بان يستسخوا له بعض الكتب ، ويفرشوا له مجلسه ،
ويجلدوا كتبه ، وقد ظل يستخدم طلابه هؤلاء لمختلف الاغراض حتى بعد اجتيازهم
مراحل التلمذة ، وحتى بعد بلوغهم مراحل الاجتهاد ، وذلك لما عرف به من قوة
الشخصية ، وما كان يتبع من اساليب تحملك شئت ام ابيت على تنفيذ الكثير من
اوامره .

وكان صالح الجعفري ، والدكتور عبدالرزاق محيي الدين يلقيان من العناء
والمشقة اكثر مما يلقاه الآخرون ، فيما كانا يقومان به من ملء الجرار بالماء ، ومن
فرش ديوانه ، ومن وقوفهما في خدمته الخاصة والعامه .

وقد تعرضت جريدة الهاتف ذات مرة الى هذين الاديبين في سياق

محاكمات أدبية كانت تعقدها جريدة الهاتف بين آونة وأخرى على لسان الادباء . فكانت تقيم الدعوى على صفحاتها من قبل البعض ضد البعض ، وقد فرضت الجريدة اقامة الدعوى مرة من جانب (الجعفرى) وزميله عبدالرزاق محبى الدين على الشيخ جاسم ، ووجهت الدعوى توجيهها ادبيا فكهما ثم اوقفتهما مرة كمدعين ، ومدعى عليهما مرة اخرى ، وقد ظلت تلك المحاكمات موضع تندر الكثير من القراء .

وطالما ابدى الشيخ قاسم اسفه - وذلك على سبيل الدعاية طبعا - لقد كان يبدى اسفه لائى لم اكن من ضمن طلابه الذين قرأوا دروس العربية عليه قائلا :-
- ان الانتساب له ، وتلقى المدرس عليه ليعد مفخرة للطالب ، وان الذين لم يكتب لهم ان يأخذوا العلم منه لم يكتب لهم التوفيق ! (انه كان يقول ذلك مازحا)
وقد قال لى ذات يوم :-

- ليس عليك من بأس اذا لم تتلق علومك العربية على ، ولكن هل هناك بأس لو عرفتى بأستاذك الذى درست عليه العلوم العربية ؟
قلت له - انه الاستاذ عبدالمنعم العكام ، فضحك الشيخ جاسم وقال :- الم اقل لك ان من الخير لو كنت تجيب حين تسأل : بأنك قد درست على ؟
قلت - وما الضائر فى قولى الحقيقة بانى قد درست على الشيخ عبدالمنعم العكام ؟

قال - ان استاذك هذا كان من ابلد تلامذتى ، ولكنك استكفت ان تتصل بى مباشرة وتقول بأنك درست على بينما لم تستكف ان تتصل بى من طريقه !!
ولم يمر بعض زمن حتى لمع نجم الشيخ جاسم ، وكان له فى قصة (القاسم) من لواء الحلة محبوبون زادوا على مرور الزمن خصوصا بعد ان اصطبغ الشيخ جاسم بصبغة العالمية و (الوكالة) ، وبعد ان ايدته المراجع الدينية فكان عالما تلزمه ظروفه بقضاء بعض الوقت من كل سنة فى تلك النواحي من قصة القاسم ، واصبح بعد ذلك يدعى بالشيخ قاسم .

وفى قصة (القاسم) مدفن الولى (القاسم) سليل الائمة الاطهار ، وقد قعد الشيخ قاسم للناس هناك كما يقعد فى النجف وعمر مجلسه بالزائرين وبالضيوف الذين

كانوا يفتنون الى ضريح (القاسم) للاستجابة بزيارته فينزلون في ضيافة الشيخ قاسم ،
وجل ضيوفه هناك كانوا من فضلاء النجف وادبائها ، وقد قضى الخطيب السيد
صالح الحلبي وعدد من تلامذته في بيت الشيخ قاسم في قصبة (القاسم) اياما وصلت
اخبار نكتهم الادبية وقصصهم الى اقصى مدن الفرات ، وللان وأهل القاسم يذكرون
تلك الايام التي قضاها السيد صالح في ضيافة الشيخ قاسم وما طعموا به الادب من
ملح ولطائف .

وقد قصد مرة السيد احمد الموسوي الهندي زيارة الامام الحسين ، ومن هناك
عرج على زيارة (القاسم) ونزل في ضيافة الشيخ قاسم ، ثم اتم رحلته بزيارة الكاظمين ،
وعاد الى النجف وكتب للشيخ قاسم محيي الدين شاكر له حسن ضيافته وموجها
له هذين البيتين :-

الهي لك الحمد اذ قد قضيت لي الفوز مكتملا (بالحسين)
ويسرت لي شرف الانتقال من (القاسمين) الى (الكاظمين)

* * *

وكثير هي المناسبات التي بعثها وجود الشيخ قاسم في النجف ، وفي (القاسم)
لقرض اشعر والمساجلات الادبية .

وحين يبلغ الشيوخ من رجال الدين مرحلة العالمية يتغير الشيء الكثير من
اخلاقهم وسيرتهم ، فاللحية يجب ان تطول اكثر ، والعمامة يجب ان تكبر اكثر ،
والضحكة يجب ان تنقلص وتجمع فلا تزيد على ابتسامة خفيفة ، اما الكلام فيجب
ان يقل او يقتصر اكثر على الحمد له والخوقلة والاستغفار واما المشية فيجب
ان تكون موزونة ، رتيبة ، ثقيلة ، ولكن الشيخ قاسم وقد
وصل مرحلة (الوكالة) قلما التزم بكل هذا او باكثره ،
فكان كثير الدعابة والمزاح ، بشوش الوجه دمثا ، حتى ليشق عليك ان
تفارق مجلسه ، او ان تطول غيبته عنك ، او غيبتك عنه ، بمقدار ما يشق عليك
الجلوس عند امثاله ممن تهيشوا للزعامة الدينية ، او ممن كانوا وكلاء للزعماء او
أقل من الوكلاء . واني لاعرف رئيسا روحانيا انقادت له الامور حتى كان من
أكبر المراجع الدينية ان لم يكن اكبرها ، ولم اعرف انه قد اتفق لهذا الروحاني

ان ضحكك أو ابتسم ، وقد وضعت على لسانه روايات اذا لم تصح فهي تلامم وضعه
كل الملائمة ، فلقد قيل عنه انه سأله السائلون مرة :

- هل اتفق لكم يا مولانا مرة أن ضحككم ؟...

- فأجاب على ما يزعم الرواة - لقد اجاب قائلا :-

- ولم لا ؟... فقد يتفق ذلك بعض الاحيان ؟...

اما مشية الشيخ قاسم فهي كما كنت رأيتهما وانا طفل صغير هي . هي . لم تزد
ولم تنقص ، فهو يخط الارض بقدميه ، ويمشي في بعض هزة نحو اليمين ، وفي
بعض هزة نحو الشمال - وهذا في النهار طبعاً - لان الشيخ قاسم كان اعشى لا يخرج
في الليل اذا ما استئينا أيام شبابه . وقد قيل عنه انه رأى سواده ذات ليلة فسلم
عليها ، ولكنه ظهر بعد ذلك ان تلك السواده كانت حمارة .. وقيل انه كان
يستغل عشواته فيمضي في دعابته ومزاحه لحد بعيد ، فهو حين يرى الشيخ كاظم
السوداني مثلا ، يتظاهر بانه لم يعرفه ويروح محذفا اليه وسائلا :- أسطه
بعرور هذا ؟

وأسطه بعرور عامل بناء ، خلق منه الشيخ قاسم شخصية فكهة مضحكة ،
وكان للشيخ قاسم خادم امي قروي اسمه (مشكور) فسماه بالشيخ مشكور ، وحين
اعترض المعترضون عليه قال :-

- ان خادم المشايخ يجب ان يكون شيخ النخدام ، فما هو وجه استكثار لقب
(الشيخ) على الشيخ مشكور ؟ فضلا عن ان هناك كثيرا ممن يحمل لقب (الشيخ)
بيننا وهو اقل فضلا من الشيخ مشكور !!

اجل ان الشيخ قاسم لم يتغير على الوجه العام ولكن هنالك حالات كانت تلزمه
بان يكون اقل دعابة ، وامل مزاحا ، وامل تحدثا في غير الفقه والحديث الشريف ،
وذلك حينما يكون في مجلسه اناس لا يستطيعون ان يسمحوا للعلماء بان يكونوا
على تلك الصفة من الانطلاق ، ففي مثل هذه الاحوال يضطر الشيخ قاسم الى ان
يكون على خلاف سجيته وطبيعته ، وكانت بين الشيخ قاسم وبين حضار مجلسه علامة
يرعاها هؤلاء كل الرعاية عندما يكون في مجلسه شخص لا ينبغي ان يضحكوا امامه

ضحك الادميين ، او يظهرها امامه بمظهرهم الحقيقي البعيد عن الرياء ، وكانت العلامة هذه هي ان يمد الشيخ قاسم يده الى لحيته كمن يريد ان يمسدها او يريد ان يستغفر ربه ، ويرفع رأسه الى السماء ويقول في شبه تهدة او آهة :-
- يا مستعان يا الله •

وهنا يقيد اصحابه انفسهم ، فيمسكون عن الدعابة والمزاح والانطلاق على السجية وأخذ الحرية التي اعتادوا ان يأخذوها كاملة في مجلس الشيخ قاسم الخاص •

واذكر مرة ان كان الشيخ محمد علي الجعفرى شقيق صالح الجعفرى يناقش قضية اضطرته الى دخول جدل عنيف في بيت الشيخ قاسم ، وكان يحضر ديوانه آنذاك رجل كان من المناسب ان لا يطول هذا الجدل امامه ، فراح الشيخ قاسم يرفع رأسه الى السماء ويمد يده الى لحيته ممسدا ويكرر القول :-
- يا مستعان يا الله ••• يا مستعان يا الله •

فقال الجعفرى - لا تترك نفسك يا شيخى ، فانتى لن اعبأ (بالمستعان) وغير المستعان ، ولن اسكت حتى اثبت للجائسين خطأهم • وكان ان امتل الجالسون لامر الشيخ ، ونزلوا على رأى (الجعفرى) ، وكفوا عن المناقشة ، فاضطر الجعفرى ان يكف هو الاخر •

واتسعت دائرة الشيخ قاسم محبي الدين ، وطاب مجلسه بالعلماء والادباء ، وبعد صيته ، وتجاوز النجف ، وحين سافر الى لبنان لأول مرة جاء معه بشاعر زجلي معروف بالارتجال يسمى (ابا سظام) وانزله عنده ، وجمع في بيته شعراء الزجل من النجفيين وفتح في وجوههم باب المساجلة بالمديح مرة ، والمهاجاة اخرى ، وظل بينه عدة ايام كسوق عكاظ مزدحما بالمشاهدين من كل جانب حتى لم يعد لاحد موضع قدم للوقوف في داره •

ومثل هذه المساجلة جرت بينه وبين عدد من علماء جبل عامل الذين درسوا العلم في النجف ، وعدد من ادبانهم حين زار تلك الربوع فكانت مساجلات ومباريات قلت نظائرها ، وقد اشارت اليها مجلة (العرفان) في بعض اعدادها ، وعلق

عليها الكثير من الادباء ، واكثر ذلك كان قد جرى بينه وبين الشيخ محمد رضا الزين فقد اخذ الزين - في بعض ما اخذ على الشيخ قاسم - في معرض سماجة اللفظ عند العراقيين قولهم :-

(منجاسة ، ورازونة ، وعتوى ، وبزونة ، ومناك) فاخذ الشيخ قاسم على اللبنانيين والعاملين قولهم -

• (جمطاسة ، وطنجرة ، وتطرطش او اعيك ، وهونيك)

ودخلت هذه الالفاظ وغيرها في الشعر ، فكانت منها قصائد عامرة حفظها الكثير من ادباء النجف وادباء النبطية ، ونشر الكثير منها في مجلة (العرفان) والبعض منها نشره (الهاتف) في بعض المناسبات •

وكان للشيخ قاسم مجلس خاص يقتصر ارتياده على طبقة محدودة ، كان منها الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم الشيخ راضي ، ومحمد الخليلي ، والسيد هادي فياض ، والشيخ محمد جواد الشيخ راضي والسيد محمد جمال الهاشمي ، واشخاص آخرون لنا في صدد حصرهم ، وفي هذا المجلس كان الشيخ قاسم ورفاقه يتسبطون اكثر ، ويتمتعون بحرية كاملة في لهوهم الادبي البريء الذي لو اتبح لجامع ان يجمع الوانها لكان منه سفر فني ممتع لادب النجف الحر المشرق •

واني لاذكر يوما وقد تم الاتفاق فيه على ان يزور جمع من هؤلاء الرفاق بيت السيد محمد جمال الهاشمي ليلا وان يلهوه بالحديث على قدر الامكان ريشما يتسنى للشيخ محمد الشريعة ان يفك وباط خروف كان للسيد محمد جمال فيسلمه لخدام آل الشيخ راضي ، ويذهب به هذا الى بيت الشيخ قاسم محيي الدين حيث يكون هنالك الشيخ عبدالجليل العادلي بانتظاره لذبحه وطبخه •

وهكذا كان ، وخف الرفاق الى بيت السيد محمد جمال الهاشمي فرادا كأنهم نيسوا على ميعاد ، وتكامل العقد بعد ساعة من الموعد ، ونصب السماور الكبير واديرت كوؤوس الشاي ، واستعد الهاشمي للقيام بالخدمات اللازمة ، ولكن البعض اقترح عليه ان يتلو عليهم قصيدة (الغدِير) وكانت من قصائده الجديدة

التي اخذت ماخذها من مستمعها عند انشادها قبل ايام ، فجاء بها الهاشمي وبدأ يقرأ وبدأ الجمع يستعيد ويكرر الاستعادة ليشغل الشاعر عن الالتفات الى غرضهم ، وحذرا من ان يصل صوت الخروف - والشيخ محمد الشريعة يفك رباطه - الى مسامع الهاشمي اقترح البعض ان يهتفوا بالصلاة على محمد كلما قرأ السيد محمد الهاشمي بيتا ، او كلما سمعوا للخروف صوتا ، حتى وان جاءت هذه الصلوات في غير محلها وفي غير مناسبة ...

وعندما احس الجمع بان الشيخ محمد الشريعة قد اوشك ان يخرج بالخروف الى باب الدار ، وانه على وشك ان يفتح الباب خشوا ان يصل صوت قرعة المزلاج الى مسمع الهاشمي فيحس ويفسد التدير ، فقررُوا ان يهتفوا بالصلوات سبعا متوالية ودوت تلك الغرقة الواسعة بتلك الاصوات المفخمة :- اللهم صل على محمد وآل محمد . اللهم صل ... الخ .

ودعى السيد محمد جمال الهاشمي الى تناول الغداء في اليوم التالي في بيت الشيخ قاسم ، وقد طهى الشيخ عبدالجليل من لحم الخروف انواعا من الاكلات ، وتليت في ذلك النهار بعض المراثي الشعرية المرتجلة للخروف المذبوح ، كما قدمت للهاشمي قطع من ارووع الشعر على سبيل التعزية والمعدرة والاستغفار .

ولست انسى يوما دعينا فيه الى بيت الميرزا صانح الخليلي في الكوفة ، وقد تم هنالك عقد اتفاقية التحقت ببروتوكول في عشرات من المواد بين الشيخ قاسم والسيد احمد الهندي على ان يضا حدا للتهاجي الادبي للخشوم ، فقد كان قد مر عليهما نحو عشرين سنة وهما في تهاج لم يعرف الادب نظيرا له في عالم المرح والظرف سواء بالشعر او بالنثر ، وان المعاهدة الخشمية التي وضعت والتي نشرتها جريدة (الهاتف) هي الاخرى قطعة ادبية رائعة تضيق هذه المدحة الخاطفة بايرادها هنا ، فقد عرف كل من الشيخ قاسم محبي الدين والسيد احمد الهندي بضخامة الانف بحيث قل من يحاكي انفيهما حجما وشكلا .

ولقد بلغت هذه المباراة الخشمية بين الشيخ قاسم والسيد احمد اقصى حدود الروعة من حيث الجلس ، والبديع ، والتورية ، ويؤمنني ان لا استحضر الان

ما نظمه الشيخ قاسم عن انف السيد احمد الهندي لعدم استطاعتي القيام بتفليحة
 اضابير الرسائل والاثار الادبية في الوقت الحاضر ، ولعلى فاعل ذلك في مناسبة
 اخرى ، وهذا بعض ما قاله السيد احمد الهندي في انف الشيخ قاسم وهو يكفى
 للدلالة على البراعة الفنية الادبية والمقدرة الكافية على التلاعب بالمعاني والالفاظ :-
 قال السيد احمد في بعض ما قال عن خشم الشيخ قاسم :-

سمت امك (جاسما) فتصرف الـ تقدر المتاح فصرت تدعى (خاشما)
 قاسمت هذى الارض كل جبالها بعظيم انفك فلنسمك (قاسما)
 ولكم حسمت مشاكلا يا قاسما يا حاسما ، يا خاشما ، يا جاسما
 وللتفنن عاد الهندي فاختصر تلك الابيات بما يلي :-

سمت امك (جاسما) وأراه صحف (خاشما)
 قاسمت هذى الارض كل جبالها يا قاسما
 ولكم حسمت مشاكلا فدعيت فينا حاسما
 يا حاسما ، يا خاشما ، يا قاسما ، يا جاسما

وكانت المعاهدة الخشمية التي تم بموجبها الصلح والقاء السلاح بين محبي
 الدين والهندي ، تحتوي على مواد وشروط غاية في الادب والدعابة والفكاهة ،
 فكان من موادها ان يتمهد الطرفان بان يتجنبنا ذكر الخشوم لفظا ومعنى في كل
 حديث لهما فلا يصح ان يقولوا لاحد - ولو في عرض الكلام - (على رغم انفك)
 ولا يصح ان يوردا في عرض كلامهما اسما (لخشم الدنة) او (خشم الطير) او طير
 (ابو خشوم) مثلا كما لا يصح ان يناقشا قول القائل بان الانفونترا انما هي (انف
 العنز) بل عليهما ان يرفعا حاجبيهما الى الاعلى علامة النفي وعدم الموافقة ، واذا اراد
 المتاهدان ان يحتشما احد المتواضعين من الناس فلا يجوز لهما ان يقولوا له الكلمة
 المألوفة وهي (مخشوم) وذلك لثلا يتبادر الى الذهن بان المقصود هو (المخشوم) وهو
 تعريض ربما يعيد الحرب الى حالتها الاولى ، ومثل هذا حوت المعاهدة الخشمية
 الشيء الكثير من المواد المنشورة في الهاتف .

وفي تلك الجلسة بالذات تلا الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم

الشيخ راضى والشيخ محمد جواد الشيخ راضى ، والميرزا محمد الخليلي ، والميرزا صالح الخليلي مقاطيع وايانا مرتجلة ضمنوها شيئاً من التعريض بخشمى الطرفين المتعاهدين واتخذ كل واحد من الحاضرين بطلا له رمز به الى الشيخ قاسم او السيد احمد الهندي فكانت اول جلسة للادب الرمزي الفكهى الرفيع وقد استهل الميرزا محمد الخليلي مقطوعته المرتجلة بما يلي :-

نكل قوم بطل فى الزجل وبطل فى زجلى (مشتى على) (١)
مشتى على حديثه حلو طلى يا ما احيلاك (ولك) مشتى على

ولم انس يوم قرأ الشيخ قاسم على هذه الزمرة من الرفاق الف بيت من الرجز الذى نظمته فى سلالة بيته وهم يتناولون طعام الغداء عنده ، فانصرفوا من بيته وقد بيتوا له امرا وهو ان يأتوه ان حان الغد بعدد من الارجيز والقصائد يهاجمونه فيها ويتناولون سلالاته التى اوصلها بالسند الى ابنا آدم بالهجاء على سبيل المزاح وهكذا فعلوا ، وكان لتلك القصائد رنين ، وكان لها دوى وقد نشر (الهاتف) عنها شيئاً فى وقته وما عدا هذه المناسبات الادبية كانت هنالك مناسبات كثيرة لا يتسع لذكرها صدر هذا المختصر من الحديث ، وكان من اهمها الحلة الادبية المنمقدة فى بيت الشيخ على ثامر ، وكانت قصيدة الشيخ على ثامر التى تلاها ابنه (٢) والتي تناول فيها الشيخ قاسم وتناولنى انا بهجاء غاية فى الروعة من حيث قيمته الادبية .

* * *

وليس كالشيخ قاسم من يفهم قول النبي القائل - احب من ديناكم ثلاثا -
(النساء ، والطيب ، وقرّة عينى الصلاة) .

فقد بلغ تمسكه بالعطور مبلغا كبيرا ، وكان يستعمل عطر الورد بصورة خاصة ، ويحمل منه قينة صغيرة ، وقد يحمل قينتين واكثر فى جيبه ، وكان يؤدى

(١) ومشتى على هذا كان طباحا فى النجف معروفا بضخامة الانف ، وقد استعرضه الناظم هنا رامزا به الى احد المتخاشمين المتعاهدين ، محيى الدين والهندي .

(٢) هو الدكتور محمود ثامر .

صلاته على احسن نحو تؤدي به الصلوة ، لا لكونه من وكلاء العلماء وأئمة الجماعة الذين
بأتم به عدد كبير عندما تستدعيه الظروف ان يكون في ناحية (القاسم) بل لان طبيعته
وطبيعته وحدها ، هي التي تحمله على ان يدوب في صلاته فتشعر بانه قد كاد يتجرد
عن كل شئ . غير التفكير في ربه عند قيامه بالصلاة .

اما النساء فقد بلغ من حبه لهن ان تزوج عدة زوجات ، وقد جمع بين اثنتين
واكثر ، ولم يكن بمانع لديه لو تسنى له من الوجة المادية ان يتزوج كل شهر
بواحدة . . . !!

وقد نزل محمد على (الحواماني) ضيفا عليه مرة فمضى يصف للشيخ قاسم
كل يوم احدى بناته من حيث جمالها ولطفها وظرفها وكونها آية من الايات وهو
يعنى الشيخ قاسم بالزواج منها ، والشيخ قاسم يزيد انتعاشا وابتهاجا وعناية
بالحواماني ، وسألت ذات يوم الحواماني :-

- أنت جاد فيما تقول ؟ بان تزوج ابنتك الفتية المثقفة من الشيخ قاسم ؟

قال - لا وانما عرفت نقطة الضعف في الرجل فاردت ان اظفر باكبر

قدر من عنايته من هذا الطريق

وسألت الشيخ قاسم على انفراد :

- أنت واثق من ان الذي يقوله (الحواماني) صحيح ؟ وانه قادم على زواج

ابنته منك ؟

قال - والله ما رأيت أحدا اظلم منك واقسى ، فلقد شق عليك ان تراني

منتعشا بوصف الحواماني الجميل ، ونشطا بهذا الخيال المفرح فرحت تنفصني بمثل

هذا السؤال ! ان الحواماني لن يعطيني ابنته ، وهو لا يعلم اننى اعلم بانه لن يفعل ذلك ،

ودعه كما يظن ، ودعنى كما احب .

وتستدعيني المناسبة ان اذكر ان محمد على الحواماني الشاعر كان من رجال

الدين المعميين ، ومن الذين تلقوا علومهم في التجف ثم سافر الى اميركا الجنوبية

حينما كتبت الجالية الاسلامية هناك طالبة ايقاد مرشد روحاني يتولى معالجة طقوسهم

الدينية وارشادهم الروحي وزود بالتوصيات والشهادات من المراجع الدينية ولكنه

اخفق هناك في اداء وظيفته كمرشد ديني ، لابل اثار سخط العلماء الروحانيين عليه
 بسبب سلوكه الذي اعتبرته المراجع الدينية منافيا ، فعاد من اميركا خاسرا ، وكان
 الشيخ قاسم محيي الدين من حملة نواہ النعمة عليه ، وصادف ان التقى الشيخ
 قاسم محيي الدين في بيروت بمحمد قره علي ، ومحمد قره علي هذا من المعجيين
 بالحوماني ، ومن الذايين عنه في تلك الحملة التي انتهت بملازمة الحوماني لبيته
 مدة غير قصيرة بسبب غضبة رجال الدين عليه ، وهنا في بيروت اصطدام الرأيان
 المتعارضان في شخص محيي الدين وقره علي بخصوص الحوماني اصطداما حادا
 حمل محمد قره علي على ان يستخف بالشيخ قاسم محيي الدين وان يقول له اين
 هو - اي الشيخ قاسم - من الحوماني ومقامه وشأنه !! وهذا ما رواه لي الشيخ
 قاسم محيي الدين ، وقد اسرها في نفسه الحانقة على الحوماني وعلى قره علي .
 وجاءت الفرصة انذھية ، لقد جاءت الفرصة التي يستطيع الشيخ قاسم محيي
 الدين ان يعرب فيها لمحمد قره علي عن مقام الحوماني وشأنه بالنسبة له ، فقد
 اقتضت المصلحة ان يقصد الحوماني مدينة النجف ، ويلتمس مختلف الوسائل
 ليغسل بها ما علق بذهن العلماء عنه وينال شيئا من الثقة ليستعين بها في جولة له في
 ربوع الشرق وفي آسيا الجنوبية ، وكانت المصلحة تقضي ان ينزل في ضيافة الشيخ
 قاسم وان يمهّد لهذا النزول برقية يبرقها الدكتور عبدالرزاق محيي الدين من
 بغداد الى الشيخ قاسم يطلب منه ان ينسى حنقه على الحوماني وان يعنى بضيفه
 ويساعده على قضاء مهمته بحيث لا يخرج الحوماني من النجف الا وهو راض .
 وبر الشيخ قاسم بضيفه ، ولكنه هول له الامر ، وبدأ يعدد له هفواته في
 اميركا ، وذنوبه الكبيرة التي ستجعل يد الشيخ قاسم قاصرة عن ان تمده بالمساعدة
 المطلوبة ، ولكنه . . . قال الشيخ قاسم : سيجرب وسيلة واحدة يؤمل ان يكون
 فيها شيء من النجاح وهي ان يتقدم الحوماني تائبا عما سلف مما نسب اليه حقا ام
 باطلا ، وان تجرى هذه التوبة على يد الشيخ قاسم نفسه وبمحضر من رواد
 ديوانه في احدى الليالي الخاصة ليشهد مجلس التوبة اكبر عدد من رجال العلم
 والدين والادب .

وهكذا تاب الحوماني على يد الشيخ قاسم محيي الدين ، وجاء الشيخ قاسم محيي الدين في اليوم الثاني طالبا مني ان اكتب كلمة ضافية عن توبة الحوماني في جريدة (الهاتف) ففعلت ، وقرأت المسودة عليه فتدخل حاذفا فقرة ومدخلا فقرة أخرى في المقال ، ومازال يغير ويبدل حتى استقام المقال كما اراد هو ، والحق انه لم يطلب مني شيئا غير ما وقع ولكن بشيء من المبالغة .

وحين صدر الهاتف ، لم يترك الشيخ قاسم محيي الدين احدا من معارفه في لبنان الا وبعث له بنسخة من الهاتف لكي يثبت لمحمد قره على مقام الحوماني من مقامه .

وليت الشيخ قاسم قد اكتفى بهذا ، وانما راح يلح على ان توبة كهذه لن تقبل من الحوماني وهو حليق اللحية . فاضطر الحوماني الى اطلاق لحيته ، وبعد مرور شهر والحوماني لم يزل في ضيافة الشيخ قاسم ، وكانت لحية الحوماني قد نمت قال الشيخ قاسم للحوماني : لم يبق الا شيء واحد وهو ان تستعمل الخضاب بقصد التوبة لتدل على انك لم تكف باقيام بالواجبات من الامور بل رحت تعنى بالمستحبات منها حتى استعملت من الخضاب الوسمة ، والحناء .

وجاءني الشيخ قاسم يقول :-

- ان لي عندك حاجة ؟

قلت - أمرك يا سيدي .

قال - ان تبحث لي عن مصور يستطيع ان يصورني مع الحوماني ويظهر لحيته بخضابها (١) .

قلت - لا اعهد مصورا يعمل هذا الا بالريشة ، ولكن ماهو الغرض من كل هذا ؟

قال - ان الحوماني سينتهي من مهمته قريبا فاذا ما غادر النجف فلا تنتظر ان يبقى شيئا من لحيته .

قلت - وهب ان الامر كان كذلك ؟

(١) لم يكن القلم الملون قد عرف يومها في الاوساط الفنية بعد .

قال - وهو يضحك من ابن اثبت لمحمد قره على فيمتى حين يقول لى ابن
انت من الحوماني •

ولم يرتج الحوماني من الشيخ قاسم كما لم يرتج منى على الرغم من انه لم
يكن قد بدأ شىء منى ، ولكن ألم اكن انا الذى كتبت مقال التوبة ؟ ثم ألم اكن انا
الذى دعوت المصور ليأخذ هذه الصورة فى مكتب انهاء فى مكتب انهاء ؟ ثم ألم اكن انا المنفذ
لرغبات الشيخ قاسم ؟ فكان من حقه والله ان يحقد على ، وان يحق ، وان ينور ،
وقد ظهر ذلك كله فيما كتبه عنى وعن الشيخ قاسم محيي الدين فى كتابه (وحى
الرافدين) وان حاول ان يخفى فيه السبب •



الشيخ قاسم بين المؤلف والحوماني

والشيخ قاسم محيي الدين ظريف وطريرف ، ظريف فى كل شىء ، وطريرف
فى كل موضوع ، وله تخريج ، وتعليل ، وتعليق كثيرا ما يسترعى الانتباه ويخلب
الافكار فى الكثير من المواضيع ، ومن اطرف ما كان يعلل به الشتيمة التى تبنى عليها
بعض الاباء عندنا فى شتم ابنائهم حين يقول الاب لابنه فى ساعة الغضب : « يا ابن
الكلب ، او يا ابن الخنزير ، او يا ابن الحمار » وغير ذلك مما تعود الاباء ان يطلقوه
على ابنائهم هنا دون الالتفات الى مغزى تلك الشتيمة ، اقول ان من اطرف تعليقات
الشيخ قاسم على مثل هذه الشتائم انه كان يقول :-

- ان المفهوم من قول الاب لابنه : « يا ابن الكلب ويا ابن الخنزير » لايعنى المفهوم اللفظى او السطحى الذى يتبادر للاذهان ، وانما يريد الاب بهذه التسمية ان يقول لابنه : « انك لاتستحق يا ولدى ان تكون لى ابنا ، وانما انت تليق بان تكون ابن كلب او ابن خنزير » وهو تخريب حلو لاونثك الذين اعتادوا ان يكيلوا مثل هذه الشتائم لاولادهم •

ومن اظرف تعليقاته على معجم (مختار الصحاح) حين سئل عن رأيه فيه قال : - فى قصبة (انقاسم) لم يكن لى من كتب اللغة غير (مختار الصحاح) فما بحث مرة عن كلمة ووجدتها فيه ، فبهيجنى ذلك ويحملنى على البصق فى صفحاته حتى لقد امتلأت النسخة التى امتلكها من مختار الصحاح على مرور الزمن بصافا ولكم بعد ذلك ن تقدروا فائدة مختار الصحاح ...

* * *

واهتم فى سنواته الاخيرة بمكتبته واسبع عليها لونا من الوان الفن فى جمعها ، وتنسيقها ، وتنظيمها ، وسعى ان يجعلها موضع اهتمام الباحثين من حيث احتوائها على النادر غير المألوف من الكتب التى كان يعرف كيفية الاهتداء الى جمعها ، فقد كان لى كتاب خطى قديم يحتوى على كثير من الاساطير ، وكان يتضمن صورا لخطوط الانبياء كخط (آدم) ابى البشر وخط (نوح) ... وخط ادريس ... وخط النبى شيت ... الخ !؛ وقد تكاثرت طلاب الطرائف ، وهواة الاساطير على قراءة هذا الكتاب ، ودفع له فيه ثمن باهظ لشراؤه فى الوقت الذى كان قد اشتراه من سوق (الهرج) بما يعادل ربية ونصف ربية على ما اذكر ثم جلده تجليدا فخما وعنى به عناية زادت من فضول الفضوليين فى الاطلاع عليه وهو يعلم انه كتاب ليس له أية قيمة من حيث الواقع والحقيقة ، ولكنه كان كتابا ثمينا لانه كان يصور مقدرة مؤلف فى العصور السالفة يستطيع ان يضع من عنده خطوطا وارقاما غير متشابهة وينسبها للانبياء •

ومن غرائب مكتبته كتاب خطى يقع فى ثمانية وعشرين مجلدا ضخما

اشترى الشيخ قاسم من مخلفات (قربون على) وقربون على هذا كان عاملا عند حلاق في المدينة تعلم على يده كيف يختن الاطفال ، وكيف يعالج القرع ، وكيف يصنع بعض المراهم لمعالجة البثور والدمامل وغير ذلك ، وكان (قربون على) ذكيا اذ ما لبث ان استقل بدكان خاص به ، ثم ما لبث ان حول هذا الدكان الى محل عيادة واشتغل بالطب ، ورويت عنه المعجزات ، وكنا نعرفه جيدا ، وكان الشيخ قاسم فضلا عن كونه لا يؤمن بطبه فانه طالما اتخذ منه موضوع تفككه يروي عن لسانه المعجزات الطيبة المضحكة على سبيل المزاح .

وقد ارتأى (قربون على) ان يضيف الى شهرته كطبيب في العهد العثماني شهرة مؤلف في الطب ، فتصدى الى تدوين تجاربه الطيبة فكتب ثمانية وعشرين مجلدا اورد فيها وصفات تضحك التكل في معالجة جميع الامراض ولاسيما معالجة الباء وكيفية صنع المراهم الخاصة التي اعتبرت من مبتكرات (قربون على) واكتشافاته .
وحين مات (قربون على) وعرضت مخلفاته للبيع اشترى الشيخ قاسم منها هذه المجلدات الثمانية والعشرين بمبلغ اربعين رية وجلدها تجليدا فخما وسماها (دائرة معارف قربون على) واستكتب احد الخطاطين فكتب له هذا الاسم على كل جلد ، ثم صف تلك (الدائرة) في رف مستقل كتب عليه اسم (دائرة معارف قربون على) وكان يرشد المستطلعين الى نقاط خاصة منها ليقروها ويمتعوا انفسهم بقراءتها والتعليق عليها ، وقد ارتفع ثمن هذه الدائرة بعد ذلك وصارت لها قيمة لا من حيث واقعها وانما من حيث قابلية مؤلف يستطيع ان يضع ثمانية وعشرين مجلدا في بحوث ليس لها اصل وفرع من قبل ، فكانت هذه المجموعة على غرار كتاب (خطوط الانبياء) من حيث الندرة .

والى جانب هذه الغرائب كانت مكتبته تحتوي على امهات الكتب والمراجع بمختلف انواعها ، وقد بيعت كلها ليتخذ من اثمانها مبلغا يساعده على معالجة نفسه من مرض السرطان في اوربا ، وكان احب تلك الكتب الى نفسه المرححة السمحة المشرفة هي تلك الغرائب التي طالما انس بها وانس بها اصداؤه في اوقات الفراغ والاستجمام .

والشيخ قاسم اديب فقيه حضر الدرس على الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء والسيد ابي الحسن الاصفهاني واجيز منهما ، وله مؤلفات ودراسات ، منها تعليق على (كفاية الاخوند) في علم الاصول ، ومنها تعليق على طهارة (الرياض) في الفقه ، كما ان له عددا من الكتب الخطية في مختلف العلوم العربية ، وقد طبع له ديوان شعر باسم (العلويات العشر) كما طبع له ديوان شعر آخر باسم (الشعر المقبول) ، وله ديوان شعر كبير لا يزال مخطوطا ، واغلب شعره مبدؤ بالفزل من النوع المألوف في الاجيال الماضية ، ومختوم بمدح ال البيت او بمرائهم ، واحسن ما خلف هو كتاب (البيان في غريب القرآن) وقد صدر منه الجزء الاول في سنة ١٩٥٥ وظلت اربعة اجزاء منه مخطوطة .

وكتاب البيان هو عبارة عن حصر اللفاظ الغريبة من القرآن الشريف ، وشرحها شرحا مبسطا ، سهلا ، في ارجوزة من الشعر السلس اذكر منها على سبيل المثال قوله :-

وفسروا القاء بالخيار او ما يضاهيه من الاثمار
وقيل مطلق الجبوب (القوم) او فمح ، او خبز ، وقيل الثوم
(أبوا) بمعنى (انصرفوا) اورجعوا وهي لغير الشر ليست تسمع
(والصابئين) من هم قد خرجوا عن دينهم وفي سواء ولجوا

وكل هذه الارجوزة على هذا النمط. من الشعر السهل المبسط تفديرا للغريب من الفاظ القرآن .

ومن هذا وغيره يلمس القارىء قدرته على صياغة الشعر بحيث يجعله من السلسلة كائنث في باب التعريف والشرح والتبسيط .

* * *

وجاءت الحرب الثانية وكثرت حاجة الناس عند الحكومة من طلب اجازات واستحصال بطاقات للاعاشة وتمهيدات اعمال ترابية وعمرانية فانتفع الكثير بالشيخ قاسم ووساطته عند رجال الحكومة الذين كانوا يزورونه في جميع المناسبات مجازين

تلك الازقة الوعرة الضيقة حتى يصلوا الى بيته ، وقد يطيلون الجلوس عنده فيطول انتفاع الناس بهم ويبدأ الشيخ قاسم بنسج المقدمات اللبقة الجذابة التي يلج منها الى موضوع الحاجة فلا يجعل متصرف اللواء ، او قائممقام القضاء ، او مدير الناحية يقوم من مجلسه حتى يحقق له وساطته .

وهكذا كان الشيخ قاسم من جانب آخر يقضى حاجة الناس عن طيب خاطر ، ويتصدى على قدر ما يستطيع ان يجعل قاصده راضيا مسرورا ، فقد كان على جانب كبير من الطيبة والسماحة وحب الخير ، ولكنه لقي الشيء الكثير من عنت حاسديه والحاقدين عليه ، فوالله ما تناول احدا بسب ، ووالله ما مس احدا بثلب ، بل كان يسعى ان يكون رقيقا ، رقيقا ، لينا ، حلوا ، على قدر ما تحمل هذه الكلمات من معنى فقد كان له صدر خلا من كل شيء حتى في السر ، وهذه طبيعة النفوس المكشوفة الوادعة البسيطة .

* * *

ومهدت العمل للانتقال بجريدة الهاتف من النجف الى بغداد ، وقد احس الشيخ قاسم على حد تعبيره بوحشة كبيرة وقال انه سيشعر بفراغ كبير اذا ما تحقق هذا الانتقال ، وستشوب ايامه انصافية كثير من شوائب الكدر ، لذلك راح يسعى بكل طريقة للحيلولة دون هذا الانتقال ، وهيا لى جماعة من اقرب الاصدقاء الى ليحملوني على العدول عن تحقيق هذه الفكرة وفي طليعة العلماء الذين زاروني لهذا الغرض في بيتي كان الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذي كان يرى بقائي في النجف امرا واجبا ، وكان منهم الشيخ عبدالكريم الجزائري ، وفي مقدمة الاشخاص الذين حملهم الشيخ قاسم على الوقوف في وجهي باذنين كل مجهود كان الصديق الحاج مصطفى الصراف ، وكان سعد عباس على دوش وغيرهم ممن يعرف مقدار حبي لهم وجههم لي ولكني كنت قد صممت ، وكنت قد شرعت باثمهيد واعداد المقدمات المقنضية لهذا الانتقال فلم يكن في وسعي العدول عن ذلك التميميم .

وابتعدت عن الشيخ قاسم ولكن روحي كانت تزفر حوله وحول ذلك المجلس البهي الذي كان يحكي صفحة من اصنع صفحات النجف وابهاها واروعها .

ولقد تلقيت منه اول رسالة تفيض بالشوق ، وتمج بالشكوى مما بدأ يحس به
من وحشة ، وفراغ وقد عنون رسالته بهذا البيت :

فما وحقت ما طابت مجالسنا من يوم فارقتنا يا درة النجف

وبدأت انتهاز الفرص ، فازور النجف بين آونة واخرى ، وكنت اقضى وقتا
طيبا عنده ، فيلح على بابقاء ولو ليلة اخرى ، او وقتا قصيرا آخر ، أو ساعة عابرة على
الأقل ، وكان ينتهز هذه الفرصة فيدعو الخاصة من اولئك الرفاق ، ويعملها (صحفية)
يجمع فيها كل صديق غداه في بيت الشيخ قاسم فيمتد خوان كبير يحوى غالبا
شيئا من طيبخ الماش وهى الاكلة النجفية العامة ، وتحلو هنالك النوادر الادبية ،
ويكون هو المجلى دائما لما عرف به من سرعة البديهة ، وسرعة الخاطر ، وحلاوة النكتة
التي قلما كان يجاريه فيها من العلماء والادباء المعروفين بحسن السليقة .
وهذا مقطوع في وصف جانب من تلك (الصحفيات) التي مرت علينا في بيت
الشيخ قاسم وقد اقتطعته من ارجوزة لى كانت قد تناولت موضوعا في حلبة من حلبات
الادباء ليس هنا مجال لذكرها :-

وكيفما كان فولى البرد	وجلس الاخوان واستعدوا
حول خوان مدّ من قماش	قد زانه صحن طيبخ الماش ^(١)
وكاسة من لبن لذيذ	اشبه ما يكون بالنبيذ
والدبس ما بينهما ينادى	اياكم ان تكفروا بالزاد
لست انا (مذهب كلب) ^(١) جان	مذهب كلب ، كل من سماني
فاكل الرفاق فى شهية	ولطعوا الصحون والصينية . . الخ

(١) وفى مواضع اخرى من هذا الكتاب قدورد ذكر الماش وطيبخ الماش ، وهى
اكلة نجفية تتألف من الرز وحبوب الماش ، ويؤدمونها اما بالبصل ، او
اللبن ، او الدبس ، ولكن الدبس اشهر ما عرف به من ادام ، وقد مل النجفيون
هذا الادام لكثرة استعماله خصوصا وقد كانت النجف قاحلة ومعدمة فلم
يكن فيها من الخضرة واللحوم قبل بضعة قرون واكثر الا القليل ، فاطلق
النجفيون على الدبس صفة (مذهب الكلب) فكل (مذهب كلب) من المأكول فى
مصطلح النجفيين هو الدبس على الاكثر .

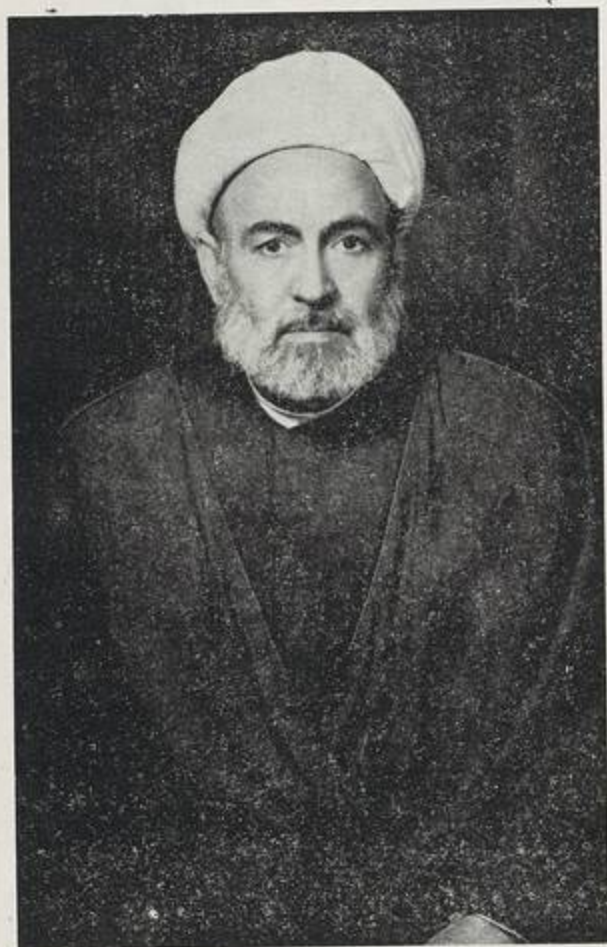
والهتسى الدنيا فقلت زيارتى للنجف ، ولم اعد ارى الشيخ قاسم الا قليلا ،
 وفي فترات محدودة ، وذات يوم دق جرس التلفون فى بيتى واذا بالمتكلم يخبرنى
 بان الشيخ قاسم هنا فى بغداد ، وانه مريض ، فحفظنا اليه انا والصدىق امين خالص
 واجريت له عملية استخراج الحصى من المثانة ، وظللنا ندلف اليه فى كل فرصة
 من كل يوم وهو نزيل المستشفى ، وقد عنيت به وزارة الصحة عناية فائقة حتى
 شفى من عملياته وعاد الى النجف ، ولكن الشك الذى تسرب الى ذهن الجراح كاظم
 سبر من وجود بعض الاورام فى المثانة الدالة على السرطان قد تحقق ، فما لبث
 ان عاد الشيخ قاسم الى بغداد وقد اشتد عليه المرض فلم يجدوا له علاجا ، ولم
 يرجحوا له اجراء عملية ، وكانت حالته المادية قد ساءت اكثر ، خصوصا وقد انهار
 جانب من داره فكان هذا الانهيار كان نذيرا لانهيار شىء اسمى وافخم ، واعظم ،
 واضطر لرهن داره لدى المصارف بغية بناء ما انهدم منها ثم اضطر لبيع تلك المكتبة
 النفيسة لينفق ثمنها على معالجة نفسه ، وسافر الى فينا مستشفيا ، وهناك خدعه بعض
 الاطباء الدجائين وابتر منه ما كان قد هيا ودبر من المبالغ واجرى له عملية استئصال
 جزء من المثانة فخيّل اليه انه قد شفى او انه قد صار فى طريق الشفاء ، فكتب الى
 اصدقائه من هنالك يشرهم بنجاح العملية ، ويخبرهم بانه عائد اليهم فى ظرف
 شهر او اقل من ذلك . وقد كتب لى رسالة بهذا المضمون وزاد بان بعث لى بقصيدة
 نظمها فى وصف (فينا) وفتياتها يقول فيها :-

طبت على حسن الطبيعة فى عجائب من صور
 فلما من شمس الضحى بردا تصبب كالمطر
 بلد تخال سماء فى ارضه - عند النظر
 لله من ظيانه فى الحسن ازرت بالزهر

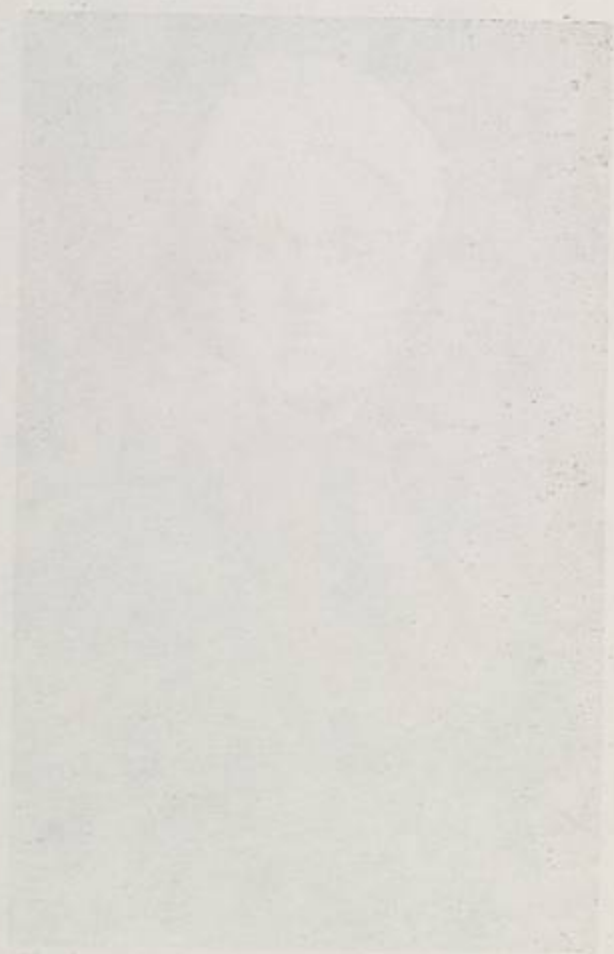
وكتبت له مهنتا وقلت له فى رسالتى ان على اذا ما عاد الى النجف معافى لاقمين
 شهرا كاملا عنده فى النجف ، ولاقمين المهرجانات الادبية مهرجانا بعد مهرجان
 واعيدها لىالى كالسابق واكثر ، ولم ادر ان الاقدار تجىء به الى النجف وهو فى

آخر مراحل حياته ، ثم يحول ضغط الدم عندي الذي يلازمى منذ زمن دون
حضورى النجف وهو فى إلامه الاخيرة • وقد كتب لى قبل وفاته باربعة ايام يقول لى
ان صحته تفتقر الى الدعاء الى الله وانه فى شوق ما بعده شوق الى رؤياى •••

مات الشيخ قاسم محبى الدين وبموته انطوت صفحة لامعة من صفحات
الفصل والادب ، وتقاوة الضمير والظرف ، ولحقت بالفضيلة خسارة كبيرة لانعوض
خسارة لم يكن احد يقدر مداها قبل ان يموت هذا الرجل ، وحين مات انهار آخر
بيت من بيوت النجف التى عرفت بذلك النحو من الجمع بين الفضيلة والادب
والمرح الذى عرفت به النجف فى الاجيال الماضية ، وان ذكره لتصابحنى وتماسينى
فى يقظتى ومنامى فتكند على عيشى بما تبعث فى نفسى من اسى لفقدانه وفقدان تلامذته ،
اللذة الروحية التى ذهبت بذهاب الشيخ قاسم ولن تعود •



الشيخ محمد كاظم الشيخ راضى



Faint, illegible text or a signature, possibly a date or name, located below the watermark.

الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي^(١)

لم تكن الشهرة وقفا على الكبار دون الصغار ، وذلك لان الشهرة مظهر من مظاهر الامتياز والشذوذ ، فحيثما كان الامتياز والشذوذ في الخلق او المزاج او الاستعداد او الرأي والعمل ، كانت الشهرة على قدر ما تستدعيه الامتيازات لا فرق بين رجل وامرأة وكبير أو صغير .

وكان لاطفال (آل الشيخ راضي) في النجف شهرة اكتسبوها بصفتهم ابناء اسرة لها مقام جليل ، وشأن كبير بين الاسر العلمية والادبية ، وقد زاد قيمتها ظهور غير واحد من هذه الاسرة بمظهر الزعيم الكبير لمدينة النجف في مختلف الادوار وكان آخرها دور الثورة العراقية ، ومطالبة الانكليز بالجملاء الذي لعب فيه (الشيخ عبدالرضا الشيخ راضي) دورا مهما في اشعال نار الثورة في وجه الانكليز فكان من أكبر زعماء الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ التي انتهت باستقلال العراق ، فلا غرو ان يرث الشهرة اولاد الشيخ راضي وهم صغار ، بل ويرثها خدمهم وعبيدهم فيقال : ان هذا هو ابن آل الشيخ راضي ، وان هذا هو العبد المملوك لآل الشيخ راضي ، وحتى الجيران كان الكثير منهم يعرفون بجوارهم لآل الشيخ راضي ، فكيف اذا مشت الى جنب هذه الشهرة شهرة اخرى تولدت من ميزة بعض هؤلاء الاولاد في الملكات الطبيعية والفطنة والذكاء ؟ وانقد كان لي - وانا طفل - بعض الاصدقاء من اطفالهم شدتني اليهم الزمالة ونحن طلاب في المدرسة ، وجذبتني منهم مزايَا ساحرة بالاضافة الى ما كانوا يتمتعون به من شهرة الاسرة وكان من هؤلاء الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي الذي امتاز وهو طفل صغير بشيء آخر غير ميزة نسبه

(١) مجلة النجف - ٢٤ مايس ١٩٥٨ .

لهذه الأسرة ، وغير ميزة ذكائه وفطنته ، فقد كان يعلو رأسه طربوش من جلود الحملان ذات الصوف المجدد الأعشم ، ولم يكن يومذاك من يلبس مثل هذا (الكلاو) كما يسمونه الا عدد قليل من الاولاد المدللين اذكر منهم الاخوين (مجيد الصراف وحسين الصراف) وادى الحاج رضا الصراف ، اما بقية الاولاد فاما ان يكونوا من لابسى القلائس المعروفة (بالعرفجين) أو من لابسى (اليشماغ) وحده ، او اليشماغ والعقال معا ، او العمام على اختلاف الوانها ، واغلب الاولاد المعممين هم من ابناء العلماء ، اما المذن العراقية الاخرى فلم يكن اتمام الصغار بالعمائم مألوفا عندها ، لذلك ربما كان هذا منار دهشة عندهم ، ولقد حدثني صديق ممن كتب عليه ان يعتم بالعمة وهو ابن سبع سنوات قال :-

« كنت فى رفقة ابي ونحن نجتاز احد ازقة بغداد وانا لم اتجاوز من العمر سبع سنين ، وكانت تعلق رأسى عمامة ربما كانت اقل نسبة مما يطبق رأس واحد مثلى ان يحمل ، وما كدنا نمر على زمرة من الاطفال اللاعين فى عرض الطريق حتى نهض احدهم فاعرا فاه من الدهشة وصاح :-
 - مشوفوا ها العالم شكذاته ؟ »

اي هلموا لرؤية هذا الطفل الذى بلغ رتبة العلماء وهو لم يزل صغيرا بهذه

السن .

اما اكثرية الاولاد ومنهم اولاد آل الشيخ راضى ومن هؤلاء الشيخ محمد كاظم فقد كانوا من لابسى العقال فى طفولتهم . وان الذى يمكن الصغار من التابيين الممتازين من الشهرة انما هى الدواوين على الغالب ، فالكثير من الزعماء ومشاهير النجف - كما هو الحال فى اغلب المدن والقصبات العراقية - يجلسون للناس فى بيوت خاصة ، او اخنحة منعزلة عن البيوت او فى غرف مستقلة تعرف فى النجف باسم (البرانى) فيضطر اولادهم بحكم احترامهم لابائهم الى ملازمة مجالس اباؤهم فى دواوينهم والظهور للناس والاصفاء لما يجرى فى هذه الدواوين من احاديث وقصص وشعر وثر يساعد كثيرا على الاسراع فى نضج هؤلاء الاطفال ويتيح لهم الفرص بعض الاحيان لاطهار مواهبهم ، فيعرف الممتاز من اولئك من اجوبته

وتعليقاته ورد الكلام بما يناسب المتكلم على قدر المستطاع ، لذلك كثيرا ما رافقت الشهرة النابيه من ادياء النجف وعلماؤها منذ عهد الطفولة .
وكان آل الشيخ راضى عدد من الدواوين فى عصر واحد ، وكان للشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ديوان عامر يرتاده كبار العلماء وفحول الشعراء والادباء ، وكانت للشيخ عبدالرضا ملكات متعددة يرجع اليها الفضل الاكبر فى نشأة اولاده ؛ الشيخ محمد كاظم وأخيه الشيخ محمد جواد وكثير من ابناء هذه الاسرة نشأة ممتازة من حيث دماثة الخلق ، ورهافة الحس ، وامتلاك ناصية الادب ، ونفاذ البصيرة فكان الشيخ محمد كاظم بحكم ملازمته لديوان ابيه كثير الاحتكاك بمختلف الطبقات من رجال العلم ورجال الادب الذين يقص بهم ديوان ابيه فضلا عن انكبابه على الدرس وطلب العلم .

وكانت هذه الدواوين او المجالس - كما قلنا من قبل - محك الملكات والمواهب اذ كثيرا ما تكون ميدان اختبارات للذكاء والقابليات ، ولقد عرف الكثير من اولاد آل الشيخ راضى وهم صغار عن طريق هذه الدواوين حتى أخرجهم - ، وهو عبدالغنى الشيخ جعفر وكان أخرسا - لم يعدم الوسيلة التى يبرهن فيها على انه موهوب ، وانه ممتاز ، وقد نقلت عن طفولته وشبابه قصص تثير الدهشة .
ومما نقل عنه انه ادرك يوما بثاقب بصيرته ان صبيا قد دخل ديوانهم برفقة ابيه وهو أخرس مثله ، فمشى اليه عبدالغنى وقعد الى جنبه ، ثم بدأ الحديث بينهما بالاشارات ، ولم يحس المجلس الا والصبى الاخرس الزائر يضع سبابته فى اذنه ويطلق صوته بتمتمة طويلة عالية هزت الديوان كما لو كان يعنى مقاما من الدشت العالى ، او البنج گاه ، اما عبدالغنى الاخرس فقد قفز من مكانه بعد انطلاق هذا الصوت من جلسه ، واما الصبى الاخرس فقد جمد لانجاه الانظار كلها اليه ، ونودى عبدالغنى للسؤال عن القضية ، وعبدالغنى يحسن التعبير بالاشارة لحد انه يستطيع ان يقص على الجمهور قصة طويلة ذات فصول ، وهو فوق هذا يكتب الكثير من الاسماء ، ويرسم رسوما تهر العيون ، لقد سئل عبدالغنى عن القضية فقال بلغته الخاصة :-

- حين علمت ان الصبي الذي ولج ديواننا اخرس مثلى ملت اليه بطبيعتى ، ثم ما لبثت ان اكتشفت انه ساذج بسيط قليل الذكاء ، فقلت له لنغن انا واياك ، فقال انه لا يستطيع ان يطلق صوته فى هذا الجمع ، فقلت ان الحاضرين جميعا لا يسمعون فدهش و صوب نظاره الى وجهى ليرى ما يرسم عليه فوجدنى جادا ، فقال لى ولكن فلتغن انت اولا :-

قال عبدالغنى - فوضعت سبابتى اليمنى فى اذنى ، وفتحت شدى ، وحركت لسانى دون ان اطلق صوتا ، فظن الصبي اننى قد غنيت ولم يسمعى احد ، وحين جاء دوره اندفع يبنى بأعلى صوته فكان الذى سمعتم ورأيتم

وسواء صحت هذه الحكاية أو لم تصح ، وسواء كان لها نظائر كما يروى البعض او لم يكن ، فانها لم تكن تروى لو لم يكن لعبدالغنى من المؤهلات التى تسوغ للراوين ان يضعوا مثل هذه الروايات على لسانه او ينسبوا قصة غيره له .
وحتى الذين لم يتح لهم من آل الشيخ راضى ان يتعلموا تعليما كافيا لم يخل بعضهم من مظاهر تشير الى مواهبهم .

قال الشيخ عبدالرزاق الشيخ راضى (وهو يحاول تعريف طبقة الشيوخ من الروحانيين ويسعى لخصر صفاتهم فى اقصر جملة وواقع مفعول) .
قال - (وهو يحدث السائل عن هذه الطبقة الروحانية) :-

• والله انهم - يقصد المشايخ من الروحانيين - ليستطيعون ان يقنعوا الحمار بان يحجم عن أكل الشعير والبرسيم اذا ارادوا .

والقارىء فى غنى عن لفت نظره الى ما تحمل هذه الجملة القصيرة من معانى كبيرة وكثيرة تكفى لتصور مدى القدرة التى اراد ان يصفهم بها الواصف .

* * *

سأل مرة الميرزا محمود الخليلي مازحا - وهو أحد اعمامى وقد عرفت اسرته اى أسرته بكثرة الاطباء منهم فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر - لقد سأل الميرزا محمود على سبيل المزاح الشيخ عبدالرضا الشيخ راضى ، او قيل انه سأل الشيخ جعفر الشيخ راضى معرضا بسرعة توثب ابناء (آل الشيخ راضى) الى مقام

الامامة والصلاة بالناس - وكانت هذه الاسرة قد عرفت بكثرة علمائها في القرنين
الاخيرين - قائلا :

- « أنت ترى كيف يقفز بعض ابناء اسرتكم في الزعامة الدينية ؟ كان العلم
مخزون في السقط ، فاذا مات احد افراد آل الشيخ راضى مد الاخر يده الى السقط
ففتحته وتناول العلم منه واصبح علما في اليوم الثانى بكل سهولة وبدون اى تعب ؟ .
فاجابه الشيخ عبدالرضا - وانت أترى كيف يقفز بعض ابناء اسرتكم فى ميدان
الطب ، فكان الطب موضوع على انرف فاذا مات أحد افراد اسرتكم مد الاخر يده
الى الرف فتأوله واصبح طبيا فى اليوم الثانى بكل سهولة وبدون اى تعب ؟ . »

* * *

والشيخ عبدالرضا جمع الى غزارة علمه وفقهه أدبا رفيعا ، ورجاحة فى العقل
والفكر ، وتجلت قيمته فيما حرر من بحوث فقهية منها كتاب فى (الوصية) وآخر
فى (النكاح) وفى هذين الكتابين يجد القارىء اراء جديدة فى الاستنباط
والتعليق تدل على أحكام فقهية محكمة ، والتفان بارعة اختص بها بين العلماء ،
ومع ذلك قلما شوهد شخص من طرازه وطراز الشيخ عبدالكريم الجزائرى
من حيث وفرة الادب ، والتبسط ، والتواضع ، وفوق ذلك فهو سريع البديهة ،
بارع النكته ، وقد رافقته هذه البراعة من صغره فكانت تفيض بالمرح منذ الطفولة
وبقيت تفيض الى آخر ساعات موته ، ولقد حدثنى مرة فقال :-

- كنت وبعض اترابى من طلاب الادب ونحن فى اول درجة من سلم الشباب
نعقب الشعر والشعراء كلما حدثت مناسبة شعرية ، ومناسبة الشعر فى النجف هى
الزواج ، والوفاة ، والقدوم من السفر وغير ذلك من أمور (١) ، فاذا تزوج شخص ،
او توفى شخص من ذوى الجاه انبرى الشعراء لاستغلال هذه المناسبة للتفيس عن
كروبهم ، وللمباهاة والمفاخرة بملكاتهم الادبية ، ولم تنزل النجف
لان ممتازة بهذه الظاهرة ، وكان المتأدبون والادباء يرتادون تلك المجالس ليسمعوا

(١) لقد اشير الى هذه المناسبات فى اكثر من محل واحد من هذا الكتاب .

الشعر ، وليجربوا مواهبهم ، وقابلياتهم الشعرية في (التقنية) والتقنية هي السبق في معرفة القافية قبل انتهاء كل بيت من الشعر واعلانها قبل الاخرين .
وقال الشيخ عبدالرضا ، وكنا نتنافس في النطق بالقافية عاليا ، نلقت اليينا الانظار ، وكان شاب من اولئك الشبان الذين يحسنون التظاهر بالمعرفة ، كان يعرف كيف يخطف من افواهنا القافية فيعلنها بصوت اعلى من اصواتنا ليلفت لنفسه الانظار ، بينما ليس له منها شيء او بعض شيء ، بل انه كان ابد ما يكون عن فهم الشعر وموازينه وقوافيه .

وقلت لرفاعي - قال الشيخ عبدالرضا - سأكيفكم شره ان هو ضايقنا بعد اليوم .

وجاء يوم تبارى فيه عدد من فحول الشعراء في قصائدهم ، وتبارى فيه عدد من الادباء والمتأديين في تقفياتهم ، وجاء هذا الشاب الغبي الوقح ودس نفسه بيننا كما كان يفعل من قبل ، وكانت القافية باء ممتوحة على وزن (بيابا) و (شعابا) فقطف من افواهنا بعض قوافينا وصرخ بها في ذلك المجلس مستغلا حياءنا ونحن في مقبل اشباب ، فتواصينا ان نهمس بقافية لاتسجم مع تلك القافية البائسة وعيناها بيننا فكانت (بيدا) فلقفتها من بين شفاهنا وصرخ بها صرخة مدوية قبل ان يصل منشد الشعر الى القافية فكانت نكته تلك السنة

لقد زرت الشيخ عبدالرضا في مرضه الاخير قبيل وفاته بيوم أو يومين ، وكان يحيط به بعض ارحامه وزواره وهو مضطجع في سرداب بيتهم الكبير ، وكنت قد سمعت بخطورة مرضه وخوف الاطباء عليه ، ولكني لم المح اي شيء يدل على تلك الخطورة في اثناء عيادتي له ، فلقد كان وجهه يفيض بشرا ، وكان ترحابه بعواده وهو سقيم لا يقل عن ترحابه بزواره وهو سليم ، ولم اعرف ان النفس متى كبرت استوت عندها الظروف والاقوات الا بعد ان مات ، اذ لم تطل حياته بعد ذلك الا يوما أو يومين

* * *

وشأ الشيخ محمد كاظم في رعاية هذا الاب وفي رفقته فتأثر به لجد بعيد ،

وانطبع بطباعه من حيث النهج والسيرة وطيب النفس والمرج وخفة الروح بالاضافة الى ترسم خطاه في طلب العلم والافعال على دراسة الادب والاحاطة به من جميع اطرافه . وقد ملك سليقة وذوقا انفراديا بهما في عالم دراسته الروحية وكان ادبيا من طراز خاص يجمع بين صحة التركيب وبراعة الفن وسرعة البديهة ، وعلى رغم انه كان يتجنب الاندماج في زمرة الشعراء فقد كانت شاعريته معروفة لدى رجال الادب ، وقد شهدت له بعض المناسبات الخاصة شعرا ينم عن اوسع الملكات في عالم الادب ، فلقد جمعنا ذات مرة مجلس عامر بمن حضره من العلماء وأهل الادب وتطرق القوم الى بحور الشعر واوزانه فانكر البعض من الحاضرين على الشيخ محمد كاظم ان يكون هنالك من الشعر ما يقوم شطره على كلمة واحدة !! فروي هنالك الشيخ محمد كاظم الشيء الكثير من الشعر الذي قام شطره على كلمة واحدة بدون زيادة وكان من ذلك ابيات اشوقني منها .

أعجبية بدت العرب

وعجب الحاضرون لهذا الالتفات وكثرة ما يروي من الشواهد العنصرية ، ولهذه الملكة الادبية التي لا يفوتها شيء من دقائق الادب ، واذكر انه جاء مرة ذكر البحور الشعرية التي تصعب فيها الاجادة في النظم واداء عرض الشاعر ما لم يتمكن الشاعر متمكنا من قول اشعر وسبكه تمكنا كليا وكان بحر (المديد) مما تطرق اليه القوم من البحور ، والمديد المبتور خاصة الوارد على وزن (فاعلان فاعلن فعلمن) فمضى الشيخ محمد كاظم وجاء في اليوم الثاني بقصيدة عصماء طويلة نظمها على هذا النحو وابتدأها بقوله :-

طال ليل المسهد المعرم فمتى تنجلي ليالى الهم ؟
 مل جنباي مضجعي ساما ساهر الليل كيف لم يسأم ؟

في مثل هذه المناسبات ينظم الشيخ محمد كاظم ويبدع ، ولا يضع القارىء ابداعه في الشعر حتى ولو كان بيتا او بيتين ولقد كان للسيد عبدالله المقرم الساكن في قضاء طويريج (مشروع) يتعلق بدائرة الري ، وكان صديقي السيد حسن الرفيعي

يوم ذاك مهندسا ارى فى طويريج ، فلم يحصل الانفاق فى الراى بين السيد عبدالله المقرم والسيد حسن حول ذلك (المشروع) ، وبلغ الشيخ قاسم محيى الدين خبر محيى السيد حسن من طويريج الى النجف زائرا فكتب لى مع السيد عبدالله رسالة يطلب منى التوسط للسيد عبدالله عند السيد حسن لانجاز مشروعه ، ثم استكتب الشيخ محمد كاظم لى يضم صوته الى صوت الشيخ قاسم فكتب لى الشيخ محمد كاظم البيتين التاليتين: فى ذيل رسالة الشيخ قاسم محيى الدين :-

يا حسن الخلق ومقياس العلى وخاطر نكل (مشروع) حسن
فكن بعون الله خير شافع ما بين (عبدالله ، والسيد حسن)

* * *

وعلى ذكر الشيخ قاسم اذكر انه ضمنا ذات يوم ونحن عنده ، مجلس حافل ببعض الادباء والعلماء ، وقد تلا علينا الشيخ قاسم ام بيت من الرجز فى نسب آل محيى الدين اوصل فيها نسبهم بادم ابى البشر على الطريقة اقدمية وعلى نحو انساب (سبائك الذهب) لنا مر جميع الحاضرين على ان يأتى كل واحد منهم فى اليوم الثانى بقصيدة يتناول فيها ناظمها هذه الطريقة من سرد الانساب بالهجاء على سبيل الدعابة والمزاح^(١) وكان معنا الشيخ محمد كاظم الشيخ راضى بل كان من المؤيدين لهذا الضرب من المزاح والمجون الادبى .

واصبح الصباح واجتمع القوم فى بيت الشيخ قاسم نفسه حول خوان الفقه (الصحنية) وهى الطعام العام الذى يسهم فيه المجتمعون يصحون طعام يأتون بها من بيوتهم^(٢) وقرأ القوم هنالك اشعارهم فكانت كلها عبارة عن هجوم رافع جاء كآية من آيات أدب المجون وصورة حية من صور ادباء النجف حين يهزلون ، وحين يسخرون ، وحين جاء دور الشيخ محمد كاظم اتقى هنالك مقطوعة تناول فيها الهاجمين على الشيخ قاسم بالتديد وفى هذه المقطوعة سخر من كل واحد منهم ،

(١) اشير اليها اشارة خفيفة فى معرض الحديث عن الشيخ قاسم .
(٢) لقد مر ذكر الصحنية وتعريفها فى مواضع اخرى من هذا الكتاب .

ووقف الى جانب الشيخ قاسم وقفة اذهلت القوم وعرفوا انها كانت دسيسة اديبة ، وكانت بحق من أروع الشعر الزاخر بالنكت والتفنن فى الفر والكر على الجمع ، وكان مجلسا من ازهى مجالس الادب فى وقته ، ومن المؤسف ان يتسلم الشيخ قاسم كل تلك القصائد والمقاطع فلم نعد نعرف عنها شيئا غير ارجوزة لى كنت قد طلبتها منه ونشرتها فى (الهاتف) تحت اشرافه ويرضى منه اذكر منها على سبيل المثال ما يلى :

اسمع حديثا من احاديث العرب	وقصة غريبة من النسب
فى ذات يوم والهواء بارد	والماء بل وكل شىء جامد
ضمت جماعة من الاخوان	وليمة فى غاية الاتقان
أقامها لهم صديق فاضل	وبحر جود ضاع منه الساحل
فاشعل الفحم لهم نيرانا	وكيف الجو لهم الوانا
فمن دخان عاقد فى الحجره	سحائب مصفرة محمرة
الى لهيب يخفى احيانا	ويغلى فيطرده الدخانا

وتمضى الارجوزة فى وصف الجو ووصف الوليمة الى ان تنتهى بالقول :

فشكر الرفاق هذا الكرما	لصاحب البيت ومن له اتقى
وعطروا مجلسه بالحمد	وفاح عطر مدحهم كالند
وكلما زاد مدحهم له	اغتر وغير الفرور شكله
فلم تعد تسمع منه ها هنا	الا انا انا انا انا انا
انا ابن شالغ انا ابن شفتى	اما المسيح الروح فابن اختى
انا ابن اخنوخ الهزبر القرم	والبحترى الشاعر ابن عمى

وتمضى الارجوزة فى مزاحها ومناقشتها النسب على هذه الطريقة الساخرة من

الدعابة الى ان تقول وهى تعنى الشيخ قاسم محبى الدين :

لو قال انى ابن يدى ورجلى	اعزو اليهما كريم اصلى
لكان من احسن اصل اصله	واطيب الفصل يكون فصله

الى آخر هذه الارجوزة المشبورة بكاظم في جريدة المهاتف كلون مفرق
الوان المجلس المذكور في ذلك اليوم .

* * *

وتعرفت بالشيخ محمد كاظم منذ الصغر ، واشتدت اواصر الصداقة بيننا في
الكبر ، وكلما تقدمت يوما انكشفت لي من امره ومن امر ملكاته مواهب زادتني تعلقاً
به ، فلقد كان يملك كل صفات النزاعة واخلاقها في مجتمع كالنصف من حيث
السعي للخير ، والبعد عن الشر ، والانصاف بسعة الصدر ، واخذ الناس بالحلم ،
وكان كبير النفس ، عالي الهمة ، بعيداً عن الرياء ، وقد رشح للصلاة بالناس عدة
مرات قاضي ، كما رشح الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي غير مرة قاضي هو الآخر ابا
شديدا وهذه امور وان بدت تافهة ولكنها تصلح ان تعطى عن هذين الرجلين اذا
لم تعط عن جميع الاسرة فكرة واضحة عن اتجاهاتهما وعلو نفسيهما
واستصغارهما لمقام الرياسة .

ولقد اصاب السيد مير علي (ابو طيخ) كل الاصابة حين وصف الشيخ محمد
كاظم في قوله :-

ارالك مقياس تشبيهي فمعدرة ان عنك قد ضاق ذرع الشعر تشبيهاً

وزادت من صلواتنا الزوحية صلوات اسرتنا من قبلنا ، صلوات تجاوزت حدود
الصداقة ودخلت نطاق القرابة والاخوة فكانت مصداقاً لقول القائل (رب اخ لم تلده
امك) وقد سبق لاحد اعمامى ان اثر الشيخ جعفر الشيخ راضي على عموم اسرته
فاحتراره وصيا على ميرائه بعد مماته .

وزحرت اقضى اغلب اوقات فراغى عند الشيخ محمد كاظم فاجد عنده متنفساً
لم اجده عند غيره ، وفي ايام المحنة ايام تألب الناس على لصرختي بوجوب الاصلاح
الديني وتهذيب فراءة المآثم عند خطباء المنابر ، ومقاومة ضرب الرؤوس بالسيف
في محرم ، لم يكن آل الشيخ راضي يتفقون معي في رأيي ، ولكنهم كانوا وكان
الشيخ محمد كاظم الشخص الوحيد الذي تركز اليه نفسي وتزاح اليه افكارى .

وحين مات ابني الوحيد (هاتف) وشملني الاصدقاء بالطفاهم وأبعدوني عن بيتي اياما ، لقيت من الشيخ محمد كاظم من الحذب على والاهتمام بي الشيء الكبير الذي سوغ لي ان استجيب له ، فأقضى عنده من الايام والليالي اكثر مما قضيت عند جميع الاصدقاء مجتمعا •

وولد للشيخ محمد كاظم توأمان قبل موعد ولادتهما الطبيعية واحسست بخوفه عليهما ، وكان خوفه من نوع غريب لا يشبهه خوف آخر اذ كان الشيخ محمد كاظم يحاول ان يجعل كل شيء مسودا للعقل ، وخاضعا للنواميس العلمية ومع ذلك فقد قال لنجرب ارادة القدر قبل الحقيقة العلمية الداعية الى الخوف على مصير هذين الطفلين ونهايتهما ماداما قد ولدا قبل اوان ولادتهما الطبيعية بشهرين او أقل قليلا •

قلت - فماذا نعمل ؟

قال - سمهما انت فمسي ان تكون التسمية فألا حسنا (وكانت قد اشيعت عن قالي الحسن اشاعات تجاوزت حدود المعقول) •

قلت - فليكن اسم الطفل (رجاء) وليكن اسم الطفلة (أملا) وقد كانا ... وعاشا ، ومرة اخرى آمن بعض الاصدقاء بانني رجل ميمون وان في قدمي بعض الخير ، وفي لساني مثلهما ، وهي شهرة ليس لها ولا ذرة من الواقع ، ولكن أليس من حسن الحظ ان يظن الناس بك الخير وانت لم تعمل شيئا بل ولا تؤمن بما يظنون ؟

وكررت في السنين الاخيرة اجتماعاتنا ، وكثرت المناسبات التي دعت الى تبادل الاراء في كثير من الشؤون التي تتعلق بمدينة النجف من جميع وجوها ، وكان الشيخ محمد كاظم ممن يعقب قراءة الصحف ويتعمق في الحوادث ، وكان لرأيه قيمته في الشؤون العامة وقلما جمع رجل من الفقه والادب وعلم الاجتماع والسياسة مثلما كان يجمع الشيخ محمد كاظم على ذلك النحو الخاص الذي عرف به وحده

بين أقرانه ، وكل ما كان يؤخره عن منزلة الزعامة هو انه كان يحاذر لحد بعيد ان يند منه ما يخذش احدا مهما كان شأنه ، وان صفة كهذه وان كانت تحببه للجميع ولكنها لا بؤوه مركز الزعامة التي ترفع وتضر ، فلقد كان لطيفا جدا مع الجميع وحتى مع اخشن الناس واكثرهم تعكيرا لصفاء الاخرين ، وكانت انكلمات التي يرسلها مزيجة بشيء كثير من الحلاوة واللين والعذوبة مما تصعب مجاراته فيها . كنا ذات ليلة في بيت محمد الخليلى وكنا قد اغرقنا في الضحك بسبب مباراة أدبية استدعتها (النكبة) التي وقعت بين الشيخ محمد رضا المظفر وبين الشيخ محمد جواد الشيخ راضى شقيق الشيخ محمد كاظم فاغرقنا جميعا في ضحكة لا يبعد ان تجاوز صداها عشرات البيوت فالتفت احدنا وقال :-

- فى مثل هذه الايام جرى هدم قبور ائمة البقيع فى (المدينة) وقد اتخذ البعض من هذا اليوم ذكرى حزينة ، فلو مرر من هنا (عبد المحمد) (رادود) حلقة (الشوشترية) ^(١) وهو الذى يعتبر مثل هذه الايام ايام عزاء لا ينبغي ثغر فيها ان يفتر عن ابتسامه فضلا عن ضحكة ، وضحكة طويلة كهذه الضحكات ، فماذا تستطيعون ان تجيئوه وبينكم عدد من العلماء والاتقياء امثال الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم اتقولون له : اتنا لانؤمن بعرف يصنعه عبد المحمد وجماعته ؟ ام تقولون له اتنا نستهر بمثل هذه الطقوس وهذه الايام لاننا اذا عيننا بها فمعنى ذلك اتنا لا نجد يوما بل ولا ساعة من الزمن تخلو من الذكريات المريرة . وهنا تحول الموضوع الى جد فقال الشيخ محمد كاظم :-

- خذوا الامر على سبيل الجد ، فلو فاجأكم عبد المحمد ، او من كان على شاكلته ، وقال لكم ما هو تفسير هذه الضحكات العالية فى مثل هذا اليوم فماذا كنتم تقولون ؟

لقد وجمنا ، لان العثور على جواب يلائم مزاج اخينا عبدالمجيد ، ويقنعه ويقنع اضرا به ليس من الامور الهينة ، ولكن الشيخ محمد كاظم قال :-

(١) عبدالمحمد شخصية ذات حول وطول فى الالتزام بالماتم الحسينية ومراعاة جداول الوفيات للائمة الاطهار .

- احسب ان المسألة ليست كما تظنون من التعقيد وصعوبة الحل ، اذ القضية لا تتجاوز اكثر من ان نقول له اذا ما قال :-

- لماذا اتم ضاحكون فى مثل هذا اليوم وهو يوم ذكرى مريرة ؟

ان نقول له - « انا كنا نضحك على يزيد ابن معاوية وتتهى الحكاية » .
ولست ادرى ما اذا كان امثال اخينا عبدالمحمد سيقنعون بهذا الجواب ؟
ولكنى ادرى ان هذا القول بالاضافة الى تلك الاشرافه التى يفيض بها وجه الشيخ محمد كاظم كما كان يفيض وجه ابيه كانت تخفف الشئ الكثير من غضب الرجل اذا غضب ، ان لم تسحره .

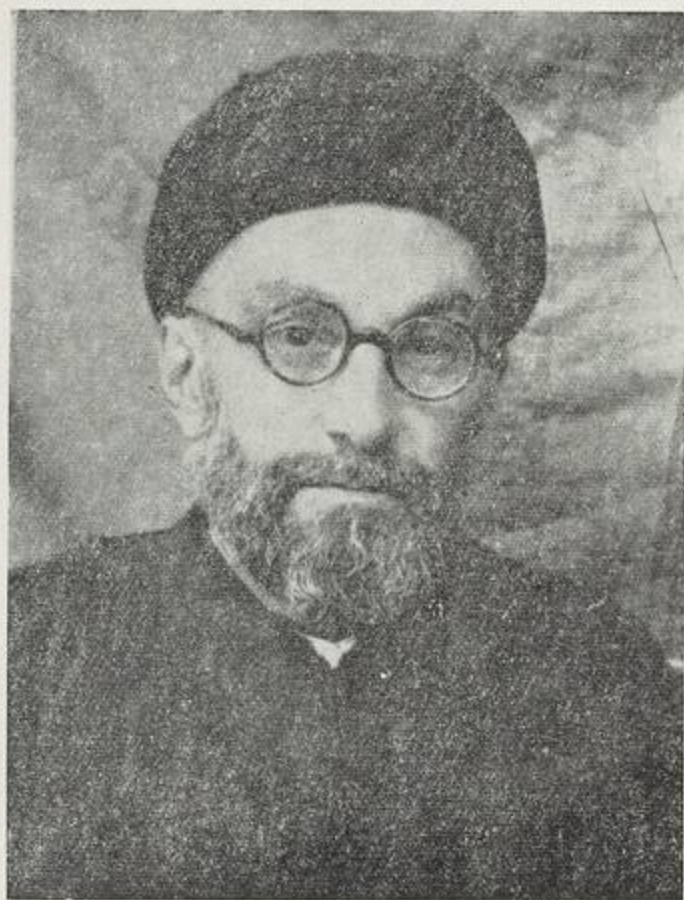
لقد كان لى ابن عمه هو السيد محمد باقر العظيمى وهو من العلماء الممتازين بمثل هذا الخلق الرضى وهذا السحر الناطق به وجهه ولسانه ، وقد كان اذا احتاج الى خادم فلا يحتاج الامر عنده الى اكثر من يوم يخرج فيه الى السوق او الحرم فيعود بخادم بدون اى عناء ، وكل رأسماله فى ذلك وجه بشوش ، وكلمات حلوة معسولة ، وطيبة نفس ، اما الشيخ محمد كاظم فلم احسب ان الامر يتطلب عنده اكثر من ساعة وليس اكثر من ذلك يخرج فيها خارج بيته ليعود بخادم يقوم بكل شؤون الخدمة حتى طبخ القهوة للضيوف يوميا وكيفية تقديمها ، وهكذا سحر خدامه فكانوا اخلص ما يكونون له نسييا .

ولقد زادنى الخدم معرفة بالكثير من اصدقائى ، وانكشف لى جانب كبير من اخلاقهم ، ومن طريق خدام الشيخ محمد كاظم عرفت الشئ الكثير عن علو نفسه ، وشممه وطيب سريره ، وحسن معاملته لخدامه والطبقة الثالثة من الناس حين كنت ازوره ولم اجده فافضى الوقت بمداعبة الخدم واختيار ملكاتهم ريشما يعود صاحب البيت .

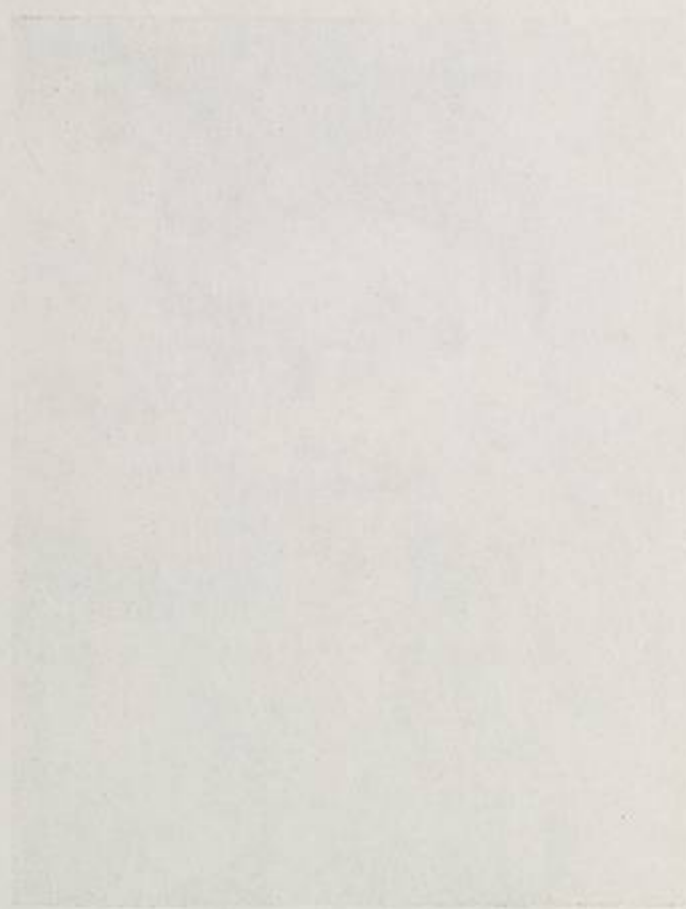
لقد عدت الى ذكرياتى استوحى منها صورة هذا الرجل الذى خسره العلم والادب وخسرته الاخلاق الكريمة الفاضلة وخسرته مدينة النجف ودواوينها فى هذا الوقت الذى طغت المادة فافسدت النفوس حتى عز تعويض الخسارة فلم اجد لى طريقا بين هذا المزدهم من الذكريات الملية بالحزن والفرح ، والمفعمة بالعبرة

والتأمل ، فهي ذكريات من الحرام ان تظل مطوية في الصدور ، قابضة في زوايا
النسيان ، ولكن اين لى الوقت لتتبع هذه الامور ، واستخراج كنوزها ، واستكناه
عبرها ، وعرضها على الانظار صورا مجلوة بجميع الوانها عن حياة كان لى من متعها
الشيء الكثير •

انى اذكر الان لىالى احينها فى النجف ، وفى مسجد السهلة ، وفى مدينة
الكوفة ، وقد شربنا فيها كووس الادب حتى الثمالة وان كل خاطرة منها تكفى
لتؤلف صفحة نقيه من صفحات تاريخ هذا البلد فى فترة من ذلك الزمن الذى خطه
عدد من فحول رجال العلم والادب وكان الشيخ محمد كاظم من اعلام تلك الزمرة •
فوجئت بموته مفاجأة غير منتظرة ، وفزعت فلم تدق عيني النوم لىالى طوالا ،
وقد حضرت مجلس الفاتحة ، وخلافا للمألوف ، وخروجا على العادة المتبعة ، رأيتنى
كالاطفال انفجر بالبكاء والنحيب بدون اختيار ، لانى كنت قد فقدت فيه صديقا
كريما • واخا وفيا ، ورفيقا رقيقا ولان النجف قد فقدت فيه هى الاخرى احد
رجالها الذين قلما تجود الايام بامثالهم من ذوى النفوس الكبيرة التى عاشت
ساعية للخير هادية للصرط المستقيم ، بعيدة عن الشر ، حبيبة الى النفوس •
من كان يظن ان ذلك الوجه المشرق الساحر ، وذلك اللسان الذئق الجميل ،
وذلك القلب الكبير الحنون سيخفيه الموت عن الانظار فى بضع ساعات كان لم يكن
هنالك قلب حساس ، ولا وجه حبيب ، ولا لسان درب ، لولا تلك الذكريات لتلك
المحامد التى عطرت اجواء النجف عشرات السنين •



السيد علي بحر العلوم



1892

السيد علي بحر العلوم^(١)

إذا رجعنا القهقري نحو أربعين سنة وأكثر قليلا واتيح لنا ان ندخل النجف زائرين فلن يستلفت نظرنا من النجف شيء غير هذه الحركة النشطة من دراسة الادب والفقه والاصول ، وهي حركة تتجلى في العشرات من المدارس الدينية ، وفي الجوامع ، والمساجد ، وفي عدد من (الدواوين) التي كانت تسمى (بالمجالس) وكان الزائر يستطيع ان يستعرض الكثير من ذلك في الصحن الشريف الذي كان يعج يومذاك بجموع غفيرة من المعتمين بالعمائم السوداء اشارة الى السلالة النبوية ، والمعتمين بالعمائم البيضاء التي تفصلهم عن غيرهم من العلويين وتجمعهم باكثرهم في حلقة واحدة من حلقات اندرس ، والى مثل هذه العمائم التي كانت ابرز ما يشاهد المشاهد في النجف يومذاك يشير الشيخ علي الشرفي (النجفي) في ضمن ما يريد أن يشير في قوله عن النجف قائلا :

بلدي رؤوس كلها رأيت مزرعة البصل؟

وكانت هذه العمائم من بيض وسود تتحلق حلقات هنا وهناك في الصحن الشريف وفي غيره مصفية بكل جوارحها الى استاذها الذي تنتهي عنده الحلقة كما ينتهي العقد عند رأس القلادة ، وأنا آخر تبدو مشتبكة في مناقشة تلين وتشدت حسب طبيعة المتناقشين وامزجتهم ، فقد زعموا ان حدة المناقشة كانت اكثر ما تجري عند الطلاب الاتراك الذين كانوا يفدون من تركستان وقفقاسية واذربايجان اما اللين والتؤدة في المناقشة فاكثر ما كانت تسود الطلاب الهنود والتيين ، والواقع ان المزاج الحاد في المناقشة كان مزاج الشبان من طلبة العلم على الغالب وكثيرا

(١) مجلة النجف - تشرين الثاني ١٩٦٠

ما كانت تؤول حدة هذه المناقشة في الدرس الى (ضرب المدس) فوق الرؤوس ••
اما الذين كان يتغلب عليهم الوقار في اغلب حركاتهم ومناقشاتهم فقد كانوا
من شيوخ الطلاب ومن الذين افنوا اعمارهم في الدراسة ، وقلما شوهدت في ناشئ
يستطيع ان يكبح جماح نفسه ويحد من غضبه وحماسه في اثناء المناقشة والحوار
العنيف انذى كانت تقتضيه دراسة العلم الحرة في ذلك العصر ، خصوصا وان
الصراع والعنف في النقاش كان بمثابة الاعلان ولفت الانتظار الى ان هذا المتحمس في
صرخاته والمشممر عن ذراعيه ، والضارب بكفه على جلد كتابه ، انما هو من الجادين
في الطليعة ، ولقد كان هذا المفهوم مطبوعا في اذهان الكثير حتى كان البعض من اولاد
الشوارع والاطفال يقومون بتمثيل حلقات الدرس في العابهم ويستعملون اللفظة
الغليظة المفخمة ، والصياح ، والعريضة ، فيقفز بعضهم في وجه بعض معترضا
محتجا على الاخرين كما يفعل بعض اولئك الطلاب المتحمسين تماما متخذين من
تقليد حركة البحث والمناقشة موضوع تسلية في لعبهم •

ولربما مر احد طلاب الدين على الاطفال في اشارة وهم منغمسون في تمثيل
حلقة البحوث فيدونو منهم هذا الطالب ويضحك ، وربما نقل تلك الصورة التي
شاهدها الى بعض اصحابه مازحا متندرا وقال لهم :

- لقد رايتكم اليوم بعيني واتم تحلقون في الشارع ، واصواتكم تشق عنان
السماء ، ورأيت رأس الشيخ محمود (مثلا) يكاد يتشم تحت وابل من (المدس
الناشفة) •

اقول قلما شوهد شاب يستطيع ان يتغلب على مزاجه في تلك الايام ويدخل
البحث ويخرج من حوزة الدرس فلا حدة في النقاش ، ولا غضب خارج الحدود
ولا عصبية تستلفت الانتظار ، ولا اى شيء مما اعتاد اغلب تلك الجموع من الشبان
ان يكون ، ومن هذه القلة كان شاب في نحو العشرين نحيف الجسم حلو السمائل
دلت عمامته الابنية السوداء وعباءته الفاخرة وحذاؤه الجديد الذي كانوا يسمونه
يومذاك (بالنخخة بابوج) والذي لم يلبسه الا القليل وجواربه البيضاء التي كان ينفرد
بلبسها الوجهاء لان الاغلبية في ذلك اليوم لم تعرف لبس الجوارب شتاء فضلا عن

الصيف لقد دل كل هذا على شيء غير قليل من الاناقة والنواحة وكان يدنف الى (الصحن) وهو متأبط كتابا قد يكون هو الآخر منفردا بين الكتب من حيث جلده ، ونظافته ، فاذا حضر درس استاذه ، واندس في حلقة البحث كان من اكثير الطلاب اصغاء ، واقلمهم شجارا ، واكثرهم وقارا كما لو كان في العقد الخامس او السادس من العمر !•••••!

وكثيرا ما كان يرافق هذا الشاب شاب اخر اكبر منه في السن قليلا حين يدخل الصحن وحين يخرج من الصحن ، وقد يكون هذا الرفيق مشابها له كل المشابهة ، ومجانسا كل المجانسة لولا شقرة بادية في وجهه ، وفي لحيته الخفيفة .

اما الاول فهو السيد على بحر العلوم، واما الثاني الاشقر فهو اخوه السيد ميرزه . وقد يرافق الاثنين بعض الاحيان شاب اصغر منهما سنا هو الاخر كان يستلفت الانظار باناقته ، اما هذا الشاب فهو السيد ضياء الدين بحر العلوم رئيس محكمة التميز الجعفرى اليوم .

ولم يكن السيد على بحر العلوم ليضيع على من يتسنى له ان يدخل حوزة طلاب العلم ويلج (المجالس) لانه كان متفوقا على أقرانه في الدرس والبحث ، وانما لانه كان نسيج وحده من سلوك يثير العجب ، فهو فضلا عن كونه عنوانا للاناقة والذوق فقد كان عنوانا لعدد من الفضائل والمحسن وكان طابعه الوقار في كل حركة يقوم بها ، وفي كل كلمة ينطق بها ، ولم يكن يعسر على الملاحظين ان يتوقعوا له زعامة اجتماعية ومكانة تجعل منه شخصية مرموقة ، وتجعل من بيته (مجلسا) عامرا باهل الفضل ، والعلم ، والادب ، وملجأ يلجؤ اليه ارباب الحاجات وطلاب المساعدة فالسنة الخصبة تعرف من ربيعها الخصب كما يقولون .

واصحاب المجالس (الدواوين) في ذلك اليوم^(١) كانوا كثيرين في النجف ، ولكن الدواوين المرموقة باصحابها المرموقين لم تكن تزيد على بضعة دواوين كان في

(١) وفي غير هذا المحل من الكتاب وردت اشارات كثيرة لمجالس النجف وماهيتها وقيمتها التاريخية والاجتماعية في حياة النجف العامة والخاصة ، ولاسيما في استعراض ايام الشيخ عبدالكريم الجزائري ومجلسه العامر .

مقدمتها ديوان انشيخ جواد الجواهرى وديوان الشيخ عبدالرضا الشيخ راضى
و ديوان الميرزا مهدي الاخوند وديوان الشيخ عبدالكريم الجزائري وديوان
السيد محمد على بحر العلوم وبعض الدواوين الاخرى •

والمجالس كانت عنوان النجف منذ كان تاريخ النجف ، وهى تمثل النجف
تمثيلا فيه الكثير من واقع البلد وحقيقته واهدافه ، وفى هذه المجالس كانوا يتبادلون
الاراء والافكار السياسية ، وفى هذه المجالس كانت توضع الخطط ، وتعد المناهج
العامه ثم هى بعد ذلك اشبه بقاعة المحاضرات ، والدرس ، والمباراة التشريعية ، بل
كثيرا ما قامت هذه المجالس بمهمة المحكمة فصلت بين المتشاكين ، وتوسطت فى
حل المشاكل على قدر ما لصاحب المجلس من لياقة وقابلية ، والمرتادون لهذه المجالس
وان كانوا من طبقات مختلفة ولكنهم كانوا عيون البلد ووجوههم لا يصلح غيرهم ان
يمثل النجف تمثيلا واقعا فى افكاره وآرائه وما هى عليه من مواهب أدبية فنية ،
والى مثل هذه المجالس يعود الفضل الاول فى بذرة الاستقلال ، ووضع اول خطة
لكيفية المطالبة باستقلال العراق ، ومن هذه المجالس انبثقت فكرة ثورة النجف
الاولى فى وجه الانكليز ، والى مثل هذه المجالس يعود الفضل فى تضييق دائرة
الحروب القبلية وحروب (الزكرت والشمرت) •

ولاهمية هذه المجالس فى تاريخ النجف - بل تاريخ جانب كبير من العراق وما
يدور فيها من الوان للحديث والافكار - سمي بعض المؤلفين فصول كتبهم (بالمجالس)
وقالوا ان المجلس الاول من الكتاب مثلا يتناول من المواضيع كذا ... وكذا ...
ولقيمة المجلس من هذه المجالس وحيويته قال المار على القبور وهو يسلم :-
سلام على اهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا فى (المجالس)
ومهمة اصحاب المجالس ممن اتيح لهم ان يتبوؤا زعامة البلد الاجتماعية شاقه وخطيرة
بالنظر لعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، ومع ذلك فقد كان هنالك ما يذلل هذه المشقة ،
ويخفف من صعوبتها ، فقد كان بين الناس عدد غير قليل ممن جملوا على حب
التضحية بالمال ، والتضحية بالمجهود ، والتضحية بالجاه ، وكان هؤلاء عادة ممن
المعجبين باصحاب تلك الدواوين ، والمأخوذين بسحرهم ، وكانوا يحضرون تلك

المجالس - وكثير منهم من يلازمها - فكان الزعماء الاجتماعيون من اصحاب الدواوين يستعينون بهؤلاء في سد ثغرة او تنفيذ امر او حل مشكلة كبيرة ، او تبرع بالمال لجهة من الجهات الخيرية ، خصوصا وان الناس كانوا يعافون دور المحاكم والقضاة ويرجعون في كل دعاوهم ومشاكلهم الى هذه الدواوين بحيث لم يبق هناك ما يشغل المحاكم الا القليل من الدعاوى المتعلقة بالجرائم ، والتي تؤول الى المحكمة على رغم اغلب اصحابها وذوى الشأن فيها ، ومما كان يروى عن قيمة هذه المجالس في فض النزاع وحل المشاكل بحيث تخلو دور القضاء الرسمية في تلك المهود من الدعاوى : هو ان قاضيا كان قد تعين لمحكمة النجف في العهد العثماني ، وكان قد تأخر دفع راتبه له وهذا ما كان يحدث كثيرا حينذاك فلم يجد هذا القاضي من يرجع اليه في دعواه مدة اقامته لكي يستطيع ان يفيد منه شيئا على حساب القيام بخدمة خاصة على الاقل اذا لم يكن على حساب الرشوة فطلب القاضي فراش المحكمة وامره بان يقف على الباب فيدخل عليه اول شخص يمر من هناك

وبعد ساعة مثل امام القاضي رجل كان قد مر فساقه الفراس الى المحكمة وسأله القاضي :-

- هل لك دين في ذمة احد لكي نبعث فنحلب مدينك الينا ونستحصل لك المبلغ لقاء شيء تدفعه لنا ؟

قال الرجل - لا ...

قال القاضي - وهل انت مدين لاحد لكي تتدخل في الامر ونحضر لك الدائن ونحمله بطريقة من الطرق على تصفية دينك واعفائك منه نهائيا ؟

قال الرجل - لا ...

فالتفت القاضي الى كاتبه وقال له :

- اكتب له « لا طالب ولا مطلوب » وقل له « جيب مجيدي » .

اي انه لقد ثبت لدينا انك لست دائئا ولا مدينا وعليه فيجب ان تدفع لنا (مجيديا) والمجيدى عملة عثمانية تساوي ما يقرب من ربع الدينار اليوم .

اقول لقد كان لتلك المجالس (الدواوين) فضلا عن قيمتها في حل المشاكل الخاصة والعامة وتمثيل النجف في مختلف ادوارها - شأن كبير في الثقافة العامة وصقل الافكار ، ولم يكن من الهين لكل من يستطيع ان يفتح بابه ، ويصف اباريق القهوة حول موقده ان يشغل تلك المكانة فيكون صاحب ديوان على هذه الشاكلة ، والا لكانت النجف كلها دواوين تسمع صوت فجاجينها على بعد مئات الامتار وانما كانت لتلك المكانة مؤهلات خاصة يرجع اصلها الى الفطرة اولا ثم الى مجموعة من الملكات التي تصقلها التجربة ، والدراسة ، والخبرة ، وتسندها اخلاق تمتاز على اخلاق الوسط باشواط ومراحل ، وان الجديرين بهذه المنزلة كانوا معروفين من اول نشأتهم •

وكان السيد على بحر العلوم في شبابه في الطليعة اذا ما اريد حصر الذين يمكن ان يكون لهم مثل هذا الشأن في المستقبل ، فقد كان يضع نفسه منذ اول نشأته موضع هذه الزعامة ، وكانت مؤهلاته كلها من حيث الاسرة والقابلية والجدارة تساعد على ذلك ، ويقول صديقنا الشيخ حسين الحلبي - ان المرء حيث يضع نفسه في النجف فاذا قال النجفي اني اريد ان يكون اسمي شيخ المشايخ مثلا قيل له : فليكن ذلك ، او قال اريد ان اتصدر المجلس ، قيل له ليس هنالك من بأس ، ولكن المؤهلات هي التي تعمل عملها بعد ذلك وان كان المرأ حيث يضع نفسه •
ولكى يدعم الشيخ حسين قوله هذا بالبرهان قال لي :

- لا اشك انك تعرف السيد جعفر بحر العلوم •

قلت - اعرفه •

قال - فما رأيك فيه ؟

قلت - عالم جليل ، وبجائه معروف ، وهو في الفقه والاصول ، والادبيين العربي والفارسي حجة من الحجج وتحفة من التحف •

قال الشيخ حسين - ولكن السيد جعفر قال - اريد ان اكون خاملا فكان •••

أفليس اذن حيث يضع المرأ نفسه •••؟

والسيد على بحر العلوم لم يضع نفسه حيث اراد فحسب وانما كانت تسند

زعامته مؤهلات عرفها فيه الناس يوم اول دخوله حوزة طلاب الدين ...
وسب السيد على وشبب معه هذه انخصال الحميدة ، محبة يغمر بها من يعرف
ومن لا يعرف ، وخير يريد للغير اولاً ثم لنفسه ، وغيره على الدين ربما تجاوزت
الحدود .

وتردد اسم السيد على في جميع الاوساط وبدأت شهرته تعمل عملها يوماً بعد
يوم .

- اين كنت ؟...

- في بيت السيد على

- ومن اين جئت ؟

- من بيت السيد على ...

ولم تلبث هذه الشهرة ان اخذت طريقها المستقيم فاذا بهذا البيت يعج
بالعلماء والادباء والتجار والعمال عصر كل يوم ومساء كل ليلة على الغالب ، واذا
بالمجائس النجفية تنقلص يوماً بعد يوم كلما مات زعيم من زعمائها الاجتماعيين
فينهض بيت السيد على بمهمة تلك الزعامة بعد مجلس الشيخ عبدالكريم الجزائري
ويصبح ديوانه الواجهة الوحيدة للنجف يطل منها الزائر الدارس على حياة النجف
العامة والخاصة بكل اتجاهاتها الاجتماعية والروحية واذا بهذا الرهط من خيار
الصحاب الذين يصاحبون السيد على ويماسونه ينشطون في اتجاهاتهم العلمية
والادبية فيختارون لانفسهم اسم (الصفوة) ، والحق انهم كانوا صفوة القوم في
بحوثهم وآدابهم واخلاقهم في جدهم وهزلهم ، ولقد قيل ان اسم (الصفوة) كان
اقدم من هذا التاريخ وانه كان يشمل عدداً من هذا العدد وكان من اعضائه الشيخ
محمد رضا الشيبسي وغيره وكيفما كان الامر فانه لم يبق من الصفوة اليوم الا الشيخ
حسين الحلبي وكانت هذه الصفوة تتخذ من بيت السيد على ندوة عامة وخاصة فهي
لاتفارق (ديوانه) صباحاً ولا مساءً ، فاذا ما انصرف الناس وقضيت بعض حاجات
المراجعين من طلب وساطة السيد على في امورهم لدى العلماء او لدى الحكومة أو
حل مشاكلهم الخاصة وفض النزاع فيما بينهم وانتهى المجلس فيما هو فيه من

مناقشات وانفرد. وعقد الاجتماع بقى اعضاء الصفوة فى اماكنهم وتحول المجلس العام الى مجلس خاص ، وعمر هنالك بالوان شتى من جد وسمر برىء كانت تسوده النكته والظرف والدعابة .

ومعرفتى الذهنية بال بحر العلوم مستمدة من التاريخ البعيد مما كان لابائى الاول من صلوات متينة وقد جددها ابى بصدافته للسيد محمد على بحر العلوم والسيد جعفر بحر العلوم ، ثم توثقت اكثر بقيام حزب سياسى سرى بأسم (النهضة الاسلامية) كان قوامه السيد محمد على بحر العلوم واخى عباس الخليلى والشيخ محمد جواد الجزائرى والشيخ محمد على دمشقى ، وهو الحزب الذى تبنى ثورة النجف سنة ١٣٣٦ هجرية وهى اول ثورة قامت فى وجه الانكليز واعتبرها البعض نواة الثورة العراقية الكبرى^(١) وقد قبض فيها على السيد محمد على والشيخ محمد جواد وغيرهما ونالوا فى سبيل (نهضتهم) الشئ الكثير من التعذيب والتشريد مما هو مذكور فى تاريخ هذه الحقبة من الكتب وفرّ أخى عباس الخليلى ونجا وكان الوحيد الذى نجا من جبل المشتقة .

اما معرفتى الشخصية بالسيد على بحر العلوم فانى لا اذكر متى بدأت لاول مرة وكلما اذكر هو اننى كنت والسيد ضياء الدين بحر العلوم زميلين وصديقين نجلس على رحلة واحدة فى المدرسة العلوية ، وظللنا سنين ونحن نصد صفوف هذه المدرسة معا ومن هذا الطريق عرفت فيما بعد الكثير من افراد هذه الاسرة ، ولم البث ان وجدتتى صديقا حميما للسيد على بحر العلوم يشدنى اليه اعجابى الشديد بالمزايا التى انفرد بها فى هذا المجتمع وزاد من توثيق صداقتى به صداقتى للسيد مير على ابى طيخ عضو (الصفوة) والشيخ محمد حسين المظفر وانا وان لم اكن عضوا رسميا فى (الصفوة) ولكنى كنت احتل منها جانبا مغمورا بمواظف الصفوة جميعها وكان يوم الاربعاء وهو اليوم الذى اتخذ منه السيد مير على ابو طيخ يوم (قبول) يسمح فيه لزواره الكثيرين بزيارته وهو كسيح مقعد فكان هذا اليوم يوم

(١) وفى مواضع اخرى ذكر عابر واشارة خفيفة لثورة النجف المذكورة لاسيما فى استعراض ايام الشيخ عبدالكريم الجزائرى .

تفيس لاعضاء اصفوة يحضروه كما يحضره غيرهم فاذا انصرف الزوار ظلت
اصفوة جميعها عند السيد مير على ابي طيخ فلا يحين الظهر الا ويصل غداء كل
عضو الى بيت السيد مير على فيمتد الخوان وتصف الصحون ولكن المعول الاكبر في
اغلب الايام ان لم يكن كل الايام على ما يأتي من بيت السيد على بحر العلوم من
غداء يجمع بين الوفرة والنفاسة وكثيرا ما كان يحجم بعض الاعضاء عن الاتيان
بغدايتهم مكفين بغداء السيد على الذي يكون قد استظهر على ما يجلب الآخرون .
وتأخذ هنالك اصفوة حريتها الكاملة ، وتأخذ من التكت والتعليقات والدعابة
نصيبا وافرا ، وحتى في هذا المكان يكون الوقار من اظهر مظاهر السيد على بحر
العلوم فلا يكون هنالك شيء غير طبيعي عنده . . . !!

وانحصرت بديوان السيد على بحر العلوم جل مهمات دواوين النجف ولم
يعد هنالك من الدواوين التي كانت تتعاون في اداء الخدمة الا القليل وزاد من
مشقة السيد على قلة اولئك الذين كانوا يضحون بالشيء الكثير من اوقاتهم ومجهودهم
في معاونة الزعماء فقل عبء السيد على ، واصبح يعمل اكثر مما كان يعمل اي
زعيم نجفي آخر .

وكان السيد على مجاملا باقصى حدود الجمالة . فكان لا يسمح لنفسه ابدا
بالتأخر عن تفقد من يعرف ، وكان وصولا لا اذكر انه سبقه احد في زيارة عاجز
او ضعيف او محتاج او انه توانى عن قضاء حاجة تخص البلد كله او تخص
الافراد ، وكما كان شديد الاحساس رقيق العاطفة مع الناس ، فانه كان شديد
الاعراض عن كل من يحس باستخفافه بحقوق الآخرين او الذين لا يقيمون وزنا
للفضيلة والكرامة ، وانني اعرف انه انقطع عن صديق له بعد صداقة ثلاثين سنة فلم
يذكر اسمه على لسانه ولم يسمح لنفسه حتى بالاشارة اليه ، لانه كان قد افتتح بان
هذا الصديق قد ارتكب خطأ فظيحا عن عمد وسبق اصرار ولكن عداوة السيد على
ما كانت لتجاوز حدود الاهمال والاعفان والاعراض التام عن يكره ويعادى فهو لا يذكره
بخير أو بشر ، وهو بعد ذلك مرهف الحس كثير الغيرة على كرامته لحد الخيال
تلك الكرامة التي يصعب ان تجد لها اليوم نظيرا ، والتي جعلت من يعرفه كثير

الحذر ، لئلا تبدر منه بادرة تساعد على ظن السيد على بانه من ان الذين لا يفهمونه اولا يعرفون قيمة كرامته كما ينبغي ان يعرفوا .

لقد اهدى لى ذات يوم (طاقة) من الترمه (الشال الكرمانى) العزيزة الوجود ، وكان هذا النوع من القماش وخاصة بلونه الترابى اجدر به مما هو بى انا لاختلاف ملبوسينا ، فاصررت على ان يدعه لنفسه واصر هو على ان أخذه انا لنفسى ، وعبثا حاولت ان اثبت له ان لونا كاشفا قريبا للبياض كهذا لا يمكن ان يكون لباسا شتويا لمن يرتدى السترة والبنتلون من امثالى بمقدار ما هو مناسب لمن يرتدى الجبة والقباء من امثاله ثم لمحت - وانا اصر - على وجهه سحابة اوحت الى انه ربما تصورنى مستكفا ، فاستدركت واخذت (الطاقة) وشكرته ، واسرعت فعملت منها سترة وبنتلونا ولبست البذلة مرة او مرتين حتى قنعت بانه قد رآها على ، ثم خلعتها بعد ذلك على صديق كانت البذلة اكثر ملائمة له منى .

وعلى ذاكر الهدية والاهداء فانى اعرف ان الهدايا التى كان يتلقاها السيد على فى بعض المناسبات كانت كثيرة ولكنى لا اعتقد انه قد سمح لنفسه مرة بان تتقبل أية هدية ممن لا يعرف ، ولا اعتقد انه تلقى هدية من احد دون ان يخص الكثير منها بالكثير من اصدقائه ، فقد كان كريم النفس ، سخي القلب ، لحد الجنون ، وهو بعد ذلك من اوفى الاصدقاء ، ومن اكثر الناس حرصا على ان لا يكون ثقيل على أحد .

* * *

لقد بلغنى انه قدم بغداد مستشفيا وانه يشكو من وعكة ليست بندى بال كما قال الاطباء وسرعان ما خففت الى زيارته ليلا بمدينة المنصور ، فالفيتة قد انتقل الى المستشفى ، وفى اليوم الثانى زرته فى المستشفى وقد وجدته قلقا على اكثر من قلقه على نفسه . . . !! فقد كان يعرف انى اعانى بعض الشيء من وطأة ضغط الدم وان الطيب كان قد الزمنى بقله الحركة فقال لى انه قد طلب من نجله السيد محمد بان يتصل بى تلفونيا حين علم بمجئى الى بيته فى المنصور ليلا ، ليقول لى

بانه يكفى منى بهذه الزيارة وانه لن يمنحني رضاه اذا ما فكرت بزيارته في
المستشفى .

* * *

وتكررت زيارتي له في المستشفى ورأيت الغرفة تكاد تتحول بل تحولت
الى ديوان آخر من تلك الدواوين المواجهة لرجال العلم والادب والسياسة في
النجف وكان السيد على في مرضه هو السيد على في شفاه وجه بشوش وذلاقة
لسان ، وفكر صائب ، وحديث حلو عذب ، وكان الازدحام على اشده من زائريه
الذين بدأوا يؤمنون المستشفى من جميع الاطراف .

وتماثل للشفاء حتى لقد تعين يوم خروجه من المستشفى وقد اعدت العدة
لاستقباله ان هو عاد من بغداد الى النجف ، وفي آخر زيارتي له في المستشفى قال
لي وهو يتسّم - قال لي - :

- ان الطيب المختص قد طلب منى ان اسجل وزني في كل ثلاثة ايام مرة هنا .
قلت - أهالك مانع لديك ؟

قال - اتظن اني باق هنا الى غد لكي اعيد نفسي بهذا القيد ؟

ثم اضاف قائلاً انه قد اتوى ان يترك المستشفى غدا مادام قد شفى تماما .
وفي الغد ... في الغد نفسه اتابته نوبة فجائية سلم على اثرها روحه لبارئته ،
وقد صدق حين قال لي انه اتوى ان لايمكث هنا اكثر من هذا اليوم .

* * *

مات السيد على بحر العلوم وبموته اغلقت آخر نافذة يستطيع الزائر ان يطل
منها على النجف فيراها على حقيقتها ، مات فانطفأت بموته شمعة ظلت تير السبيل
للتائهين عشرات السنين ، وانهار ذلك المثل الشامخ من الرجولة والزعامة الاجتماعية
الذي طالما اتخذه ارباب الحاجات والخائبون في آمالهم ملجأ تأوى اليه ارواحهم
وتلجج به صدورهم .

ربما كان الكثير قد ملك بسبب السيد على وعن طريقه افخم دار للسكن ،

ولربما كان الكثير قد تغلب على مشاكله المائية بسبب السيد على بحر العلوم ، ولربما
كان الكثير قد كسب راحة البال بسبب السيد على بحر العلوم ، ولكن السيد على
بحر العلوم نفسه مات ولم يرتح له بال ، ولم يملك عقارا ، ولم يكن له دارا ، وإنما
ملك شيئا قل الذين ملكوه من الزعماء الا وهو تلك الكرامة التي انفرد بها والتي
ستحدث عنها تاريخ التجف طويلا ، فواللهفتى عليه وما افجع قلبي بفقده .



عبدالستار القرغولى



رايشنقلا راتساليك

عبدالستار القرغولي^(١)

لا احسب ان تعيين الزمن بالضبط ضرورى هنا واذنك لن اكلف نفسى مشقة البحث عن تاريخ انتقالى المضبوط الى الحلة وانما سأترك لذاكرتى الحرية ان تسجل بعض ماهو مرسوم على صفحاتها من التواريخ والحوادث وكلما اذكر الان هو انى نقلت من مدرسة النجف الى مدرسة الحلة معلما فى نحو السنة ١٩٢٣ على اغلب الظن وكنت فتى فى مقتبل العمر لا اخلو من الغرور بالكلمتين من المعرفة السطحية بالتاريخ والجغرافية اللذين كنت اتقنهما على حد زعمى وانا طالب وصرت ادرستهما وانا معلم ، ومثلهما من اللغة العربية والادب العربى ، ولا يبعد ان اكون قد مدت قدمى اطول مما يتسع لهما بساطى ، ووضعت نفسى فى محل اين منه الواقع لولا هذا الغرور الذى يركب الشباب ، وكان من حقى على زعمى ان افعل ذلك .. الم استطع ان احمل القلم فاسطر بعض السطور من الاخبار وابعت بها الى جريدة الاستقلال والى جريدة العراق افرع فيهما كل رغباتى حقا ام باطلا ، متنيا على البعض او حاملا على البعض الاخر ، مستترا وراء اسم (المخبر الخاص) او (مندوب الجريدة الفاضل) وهو فى الواقع تستر صورى ليس له وجه الا فوق الصحيفة ، اذ لم يبق فى النجف احد لم يعرف منى (انا بالذات) بانى انا - وليس غيرى - المندوب الفاضل ، والمخبر الخاص ...

اضيف الى ذلك اننى كنت بحكم بيتى ومحيطى شديد التماس بمجالس النجف الادبية ، قريبا من الادباء اللامعين ، اراهم عن كتب ، واسمع احاديثهم عن قرب ، واتوخى الدعابة والمزاح على القدر الذى يألفه شاب نجفى مثلى يتطلب

(١) جريدة الاخبار - بغداد ١٢-٥-١٩٦١ .

السلو والمتعة فلا يجد في تلك الارض القاحلة الجرداء (النحف) غير الالتجاء لخلق
النكتة ، والسخرية ، والمزاح والمساجلات الادبية ، وغير ذلك من اندعابة البريئة
وغير البريئة ، واللذة الادبية الروحية الخالصة .

* * *

يمثل هذه الروح جئت مدينة (الحلة) قبيل افتتاح المدارس بأيام ، وعلى الرغم
من تنوع وسائل المتعة في هذا البلد يومذاك فقد وجدتنى اتهب هذه المتع كلها ،
بل اخافها كلها ، فانا لم اذق الخمرة ، ولم اجرّب حظى في القمار ، فرحت ابحت
عن محيط يشابه محيطى النجفى ، وبسته تحكى بيثى ، ومجموعة من الناس تهفو
اليهم نفسى ، وكان من حسن حظى ان وجدت في أحد ابناء عمومتى الذى كان
يسكن الحلة منذ زمن بعيد والذى نزلت في ضيافته ملجأ ، فقد كان هذا القريب على
صلة لا بأس بها بالادب والادباء في الحلة ، وقد كان نفسه يقرض الشعر ، ولربما
جود فيه بعض الاحيان فاتصلت عن طريقه بعدد من الادباء ، وقد تعرفت بهم عن
طريق قريبي هذا بزميل شيخ كان على جانب كبير من الخبرة بالادب وتاريخه ،
وبالشعر والشعراء ، بل كان في الواقع ممن يعتد برأيهم في مفاهيم الشعر ،
وطبقات الشعراء في جميع ادوارهم ، ذلك هو الشيخ عبدالرزاق سعيد ، او الشيخ
(رزوقي) كما تسميه الاكثريّة ، وقد رحب بي الرجل كثيرا وتولى القيام بتعريفى
للادباء ، وقد رأيت شيئا اكثر من العناية من هؤلاء الادباء حين عرفوا بانى انا وليس
غبرى المراسل المرموق ، والمندوب الصحافى ، واننى سأكتب عنهم وعن الحلة
فصولا طويلة في الصحف كما كنت اكتب قبل ذاك عن النحف ، ولم يكن يومذاك
من المؤلفون لكل أحد ان يزاول الكتابة فجل الناس كانوا يصبون الى قول الشعر
وحده ، كما لم يكن من الهين ان يتمرس الكاتب اساليب الصحافة وصياغة الخبر
يومذاك ، وهذا ما كان يزيدنى غرورا خصوصا وقد ظهرت لى بعد ايام فى الصحف
اخبار ذات اهمية عن الحلة وسمعتها التاريخية ، ومقامها الادبى ، اما الشعر
فيكفينى منه اتنى قد جربته من قبل وجودت فيه الى غير ذلك من المزاعم والادعاعات
التي كانت تقتضيها حالة الشباب الذى لا يكاد يعرف شيئا غير نفسه وما يحيط بها .

وانفتحت المدرسة وبدأ المعلمون يقدون اليها ، وكان من بين هؤلاء الوافدين من المعلمين شاب اسمر اللون ، حلو السمائل ، معتدل القامة ، فى شىء من القصر ، يعلو رأسه فيس أحمر ، ولم تخط بعد شارباه ، تطفح بشرته بهجة ووداعة تقولان لك انهما عنوان الخير والمجبة ، ذلك هو عبدالستار القرغولى ، وخلال ايام قصيرة استلفت نظر القرغولى قريبي من الشيخ رزوقى ، وعرضى عليه ما كنت استظهر من الشعر ، والامثال ، وما كان يعلق به الشيخ على ما يسمع منى كلما سبحت لنا فرصة من فرص الدرس ، او فى اثناء ملازمتى للشيخ عند انصرافنا من المدرسة ونحن فى طريقنا الى البيت فلم احس الا وقد اندمج معنا القرغولى متحسبا بهذه اللذة الادبية ، ومشتركا معنا فيما نكون فيه من طرافة فنية ، ومتعة شعرية ، وصرنا نحن الثلاثة نخرج معا من المدرسة ونظل ماشين حتى نقابل جسر الحلة انقديم فيفارقنا عبدالستار ليبر الى الجانب الثانى حيث يساكن احد معلمى المدرسة الاولى ، ونظل انا والشيخ عبدالرزاق ماشين فلا نفترق الا عند بيتنا فقد كان بيت الشيخ عبدالرزاق قريبا من بيت قريبي الذى استضافنى ، وكان علينا ان نخترق السوق فى طريقنا الى البيت والمدرسة كلما عدنا من المدرسة او ابنا اليها ، وفى السوق كانت زمرة اخرى من ادباء الحلة تعرفت بهم عن طريق قريبي الميرزا عبدالحسين الخليلى وعن طريق زميلى المعلم الشيخ عبدالرزاق سعيد وفى طليعة اولئك من الشعراء والادباء كان الحاج مهدي الفلوجى الذى كثيرا ما كنا نلقاه وقد اقتعد متجرا لاحد اولاده فى السوق ، ثم الشيخ حسن خصباك عم الدكتور شاكرك خصباك ، والسيد قاسم وهو من افاضل اهل الادب واشرفهم ديباجة واخلافا والحاج جواد فاتى ، والشيخ كاظم فاتى فقضى بعض الوقت من كل يوم ونحن ذاهبون الى المدرسة او آيون منها ، واتسعت دائرة معارفى واتصالاتى ، فعرفت فيمن عرفت الشيخ محمد امين عوض وكان من اوسع الادباء اطلاعا بتاريخ الادب ، ومن اكثرهم حفظا للنصوص ، ومع ذلك فلم يكن يستغنى الشيخ محمد امين عن ضبط الشيخ رزوقى وفصاحته فلقد عود الشيخ رزوقى نفسه على ان ينطق بالكلمة صحيحة التركيب ، مضبوطة الاعراب مفخمة حتى فى الكثير من الاستعمالات الاعتيادية ، وكثيرا ما كنا نسمعه وهو

يوجه كلامه لاحد الطلاب في الصف صائحا به :

«اجلس طاح حظك بضم الظاء» وهذا الضم هنا وان كان يعنى المحافظة على الضيطة ، ولكنه من جهة أخرى نوع من التوكيد على (طيح الحفظ) ، وكان القرغولى يشعر بحاجة ماسة الى تلقى مثل هذا الضبط فى كل كلمة يسمعها ، فلقد كان ينزع الى الادب بطبيعته ، ثم اتيح له هذا الظرف فراح يغذى نفسه بما كان يسمع يوميا وما كان يعرض هو الاخر على الشيخ رزوقى وقد كان من جبهه للادب ان قام بتدريس اللغة العربية فى بعض الصفوف فاقضى ذلك منه ان يزيد من الاتصال بالشيخ رزوقى وان يأخذ منه ما يتيسر .

والشيخ رزوقى يستعمل كلمة (الربط والمربوط) كثيرا ، شأن النجفين وطلاب العلم فى النجف كأن يعترض الشيخ رزوقى مثلا على قول وازد فى غير محله ، او رأى يبدو له غير منسجم مع الموضوع فيقول : (شلها ربط) ؟

ويبدو ان القرغولى لم يكن قد سمع الربط والمربوط قبل هذا اليوم فسألتنى قائلا ان الشيخ رزوقى يكثر من كلمة « لا مربوط ، وبلا ربط ، وشلها ربط » وانا اخجل ان اسأله عن ذلك فما هو الربط ؟ فشرحت له معنى هذه العكازة ومحل استعمالها ...

* * *

واشدت الالفة ما بيننا ، واذا بالقرغولى يصحبنا الى نهاية الخط فى كل يوم او فى اغلب الايام ، ويجلس معنا عند هؤلاء الاصدقاء فى السوق ، وكثيرا ما صحبني الى بيت قريبي ، وتناولنا غداءنا معا عنده خصوصا بعد ان عرف ان مثل هذا فضلا عن كونه لا يكلف مضيفي شيئا فانه يسره كثيرا لاسيما وان طعامه كان من البساطة بحيث لا يوصف حتى لقد قدموا لنا ذات يوم خبزنا وتمرنا ولبنا وقالوا لنا انهم لم يظهوا شيئا اليوم بسبب الغسيل وطلبوا منا ان نأكل ونعذرهم ، والقرغولى من الدمامة والخلق الرضى والمجاملة ما ليس الى وصفه سبيل ، لذلك لم يكن غريبا منه ان يقسم لاهل قريبي بان غداءهم هذا هو الذ غداء يأكله فى حياته ولقد بالغ الرجل كثيرا حتى صحت به مازحا وقائلا له : يا سيدى ويا اخى لقد نوبت انا ان ابقى هنا وعند قريبي

هذا الى ان اجد مسكنا مريحا انتقل اليه وانا اخشى ان يصدقك اهل قريبي وانت
تتنى عليهم وعلى طعامهم فيصاحبوني بالتمر واللبن ، ويماسوني بالتمر واللبن ، حتى
يهلكوني بالتمر واللبن ، اما انت فماذا يهملك وقد رتبت لنفسك كل شيء في بيتك
من سكن وطاهية وغير ذلك •

* * *

ونزل قريبي على رغبتى فى البحث عن مسكن لى بعد ان اخفق فى حملى على
البقاء عندهم الى النهاية وبعد بحث طويل بالنظر لقللة المساكن وجدنا بيتا يخص آل
النائب وقد تركوه منتقلين الى بغداد ، وكان قد سكنه رجل وامرأة على سبيل الحراسة
وهو بيت كبير ، يحتوى على عدة غرف ومرافق و (طوارم) ، وأبى آل النائب ان
يتقاضوا منى اجورا بالنظر لصلاتهم الوثيقة بقريبي الميرزا عبدالحسين وانتقلت اليه ،
ورحت اتناول طعامى فى المطعم الوحيد الذى يتناول الموظفون الغرباء فيه طعامهم
ما عدا بعض أيام الجمع التى كان قريبي يرغمنى فيها على تناول الطعام عندهم •

وكت اقتضى جانبا من الليل انا والشيخ زروقى فى بيت الشيخ محمد امين
عوض مجتمعين حول دة ما عرفت القهوة الجيدة من غير طريقها ، ولا ازال للان
اتذكر اننى لم اكن وحدى الذى كان يتحسس جودة هذه القهوة وانما حتى
الفنجان كان ثملا بها ، فكنا نقضى جانبا من الليل نقرأ جانبا من شعر الرضى أو
المتنبى او البحترى ، وما كان يحضرنا من تعليقات واقوال حول ما كنا نقرأ ، والحق
اننى افدت من مجلس الشيخ محمد امين الشيء الكثير وعرف القرغولى سمرنا هذا
فرافقنا الى هذا المجلس ، وفى هذا المجلس عرف القرغولى صناعة (التقفية) لأول مرة
والتقفية هى ان يمسك احد ديوانا من الشعر فيقرأ البيت الاول قراءة كاملة ثم يشرع
بقراءة القصيدة بيتا بيتا دون ان يذكر القافية لان ذكر القافية يكون من شأن المستمع
الذى يجب ان يكون قد عرف - بمقتضى سليقته واطلاعه - القافية التى ركبها
الشاعر وصاغها كنهاية لهذا البيت (١) •

(١) لقد تم شرح التقفية فى أكثر من مناسبة من فصول الكتاب •

ولقد فرح القرغولى بهذا اللون من (المتعة) واعتبرها السلم الاول لقول
الشعر ، وهنا فى بيت الشيخ محمد امين حبذوا للقرغولى قراءة العروض وشجعوه على
النظم ، واعتبروا تجربته فى التقيية ، وفى التشطير ، والتخسيس الذى مارسه قليلا
تجربة ناجحة دالة على ملكة ذات صلة بالمستقبل الانامع ، ومن هنا على اغلب الظن
بدأ تأريخ القرغولى الشعرى .

* * *

وفى العصر من كل يوم كنا نرتاد مقهى فى الحلة كان يضم السيد قاسم
والملا نافع ، والشيخ حسن خصباك ، وفى هذا المقهى كان يأتينا مراتدوه المذكورون
بكل طريف وجديد مغموسا بالدعابة والمجون وكان السيد قاسم هو المحلى فى هذا
الادب المرح وهو أدب كانت نفسى تهش له ولا يبعد ان أكون قد اتذذت به اضعاف
لذتى بالجد الوقور منه

وفى هذا المجلس من هذه المقهى عرفنا اشخاصا يشغلون مراكز ائمة فى
عدد من الجوامع المهمة لا تتاسب مراكزهم المرموقة مع ماكانوا يحدثوننا به عنهم
من ضعف المدارك وشدة البلادة ، وضحل المعلومات ، فكان هذا الجمع اى جمعنا
فى المقهى يتسقط اخبار اولئك النفر ويتخذ منهم موضوع شعر ساخر يتبارون فيه
ويظنون يتتدرون به الى ان تهى الحوادث لهم مواضع جديدة .

وانى لاذكر ان مستقعا كان يتصل بانحلة من جهة الغرب وقد ارتفع النزير
فى هذا المستقع حتى ضايق البيوت المتطرفة من المدينة فتصدى الحاج شكرى بك
الى هذا المستقع ودفنه فارخ له أحد اولئك الائمة اللامعين والذين طالما اتخذهم
الادباء موضوع دعابة ، لقد ارخ هذا الامام ردم المستقع بما يلى :

« سم عين نزت وشكرى بك عماها »

فتناول الرفاق هذا التأريخ وتفننوا فى تشطيره وتخسيسه والتعليق عليه ، ولم
ادر فى وقته كما لم ادر للان بعد ماهو معنى (سم) ويغلب على ظنى ان تأريخه كان
ينقصه مائة من العدد فاستعان بالسين والميم فى سد هذا النقص والله اعلم . . . واذكر

فيما اذكر ان احدا من اولئك الائمة العابرة كان قد نظم قصيدة طويلة هذا هو
مطلعها :

لا اله الا الله تجرى المقادير حكمة بالغة تعتبر

وقد نالت هذه القصيدة من اولئك الرفاق الشيء الكثير من اهتمامهم حسب

العادة .

وقد تلا مرة احد الرفاق ابياتا لاحد مدرسي جامع الهيتاويين في الرحلة علي
هذا النمط من اختلال الوزن والقافية وكان منها الشيء الكثير من (الدمدمة) فسامها
السيد قاسم بالقصيدة الدمامية واقترح الرفاق ان يشتركوا كلهم في مباراتها فابتدا
الملا نافع بهذا المطلع :

دوم ، دوم ، دوم طبلا بدمام قد حسن الصفع على الهام

ثم ضمنوا هذه القصيدة ابنت الهجائي الذي ظل يردده جميع ادباء الرحلة مدة

طويلة وهو :

افكاره تجذب اوساخها كأنها جرة حمام

واشترك الجمع واشترك القرغولي لاول مرة في هذا اللون من انفاكاهة

فقبول بالتهليل والترحيب . وهكذا كانت هذه الزمرة تجتمع كل عصر فتتدر بالجاد
من الشعر والنثر ، والهازل منهما فنحضر انا والقرغولي الندوة ونقضي وقتا نديدا
ثم نتقل ليلا لنسمر عند الشيخ محمد امين .

* * *

وتوسعت دائرة المتعة عندنا ففكرنا في اصدار جريدة أدبية نكتبها بالطابعة في

بضع نسخ وتولى توزيعها على المدرسين والاصدقاء على ان يشترك كل جمع في
قراءة عدد واحد وقد انضم اليها أحد زملائنا المدرسين وهو فريد توما ، وفريد توما
هذا ذو مواهب متعددة ليس من حيث اتقانه عددا من اللغات الحية فحسب وانما
لانه اديب متفنن وقد اسهم معنا في هذه النشرة ، وكان لشعر القرغولي في هذه
النشرة سهم كبير ، وكان الفضل في طبعا - كلما انجزنا مسودتها - يعود الى السيد



وكانت فكرة التعليم المسائي قد انتشرت يومذاك في العراق وقد تبناها ثابت عبد اثنور ببغداد فهبت الادارة والبلدية في كل مدينة تفتح مدارس مسائية على حسابها ومن ضمن اولئك كانت متصرفية الحلة وبلديتها ، وقبلنا انا وعبدالستار القرغولى العمل في هذه المدرسة الليلية غير راغبين وشبه مرغمين لان معارضة المتصرف لم تكن يومذاك هينة خصوصا وقد كان السيد ناجي شوكت من اقوى المتصرفين يومذاك ، والسبب في عدم رغبتنا هو اننا لم نرد ان نفرط باوقات فراغنا التي خصصناها لمتعتنا الادبية ، وكم سرنا ذات ليلة حين وجدنا لنا عذرا نقضى تلك الليلة عند الشيخ محمد امين عوض فقد انطقت مصابيح الكهرباء ، وكان يملك مشروع الكهرباء في الحلة آل سوسة ، وهم اهل الدكتور أحمد نسيم سوسة ، وكثيرا ما كانت تنطفئ الاضوية فجأة فيصبح اطفال الحلة (خدم سوسة خدم سوسة) فاذا ما اضاءت فجأة صاح الاطفال (اشتعل سوسة اشتعل سوسة) وفي تلك الليلة انطفأ الضوء فصرخ طلاب المدرسة المسائية على انهم لم يكونوا اطفالا لقد صرخوا (خدم سوسة خدم سوسة) ووجدناها فرصة ثمينة ، فخرجنا الى دار الشيخ محمد امين عوض ، وفي الطريق الفينا السوق مضيئا !! فهل يا ترى ان ضياء سوسة قد خمد في المدرسة وحدها !! ثم علمنا بعد ذلك ان هنالك طريقة يلجأ اليها الفراشون فيقطعون مجرى الكهرباء فتعطل الدراسة !! وعلم الفراشون اننا انا والقرغولى مرغمان على التدريس ليلا ، واننا نستطيع انقطاع الضياء ، فراحوا يراقبون سأمنا حتى اذا رأونا ذات مساء على غير ساجيتنا عمدوا الى المجرى فقطعوه ، فكنا نعرف القضية وتجاهلها بل طالما عمد احدنا فدعا الله على مسمع من الفراشين بان يبعث ملائكة تقطع التيار بعد انتهاء الدرس الاول مثلا ، فيرفع الثاني منا يده الى السماء قائلا : آمين اللهم آمين وسرعان ما ينقطع المجرى فتظهر الدهشة علينا امام الفراشين ، ونستغرب كيف ان الله قد استجاب

دعانا ، ويستغرب الفراشون هم الآخرون معنا ، ولكنهم كانوا يضحكون فى (عبثهم)
كما يقول الاصطلاح العامى انهم كانوا يضحكون فى سرهم منا ومن بلادتنا .

* * *

وجاء رشيد القرغولى الاخ الأكبر عبدالستار الى الحلة ونزل عند آل الحاج
شكرى بك فقد كانت بينه وبينهم مودة ، ولأول مرة رأيت المرحوم رشيدا وعلمت
ان رشيدا هذا لم يكن راضيا من الاسراف الذى كان يظهر به عبدالستار ، وعلمت
ان راتب عبدالستار لم يكن يكفيه ، وان السيد رشيد كان يعمده فى كل شهر بمقدار
آخر من النقود لذلك عوتب عبدالستار من لدن الحاج شكرى بك واخيه ، وافهم
ان مثل هذا الاسراف غير صحيح ، وقد عرض عليه ان يترك بيته وينتقل الى بيت
الحاج شكرى وقد قبل عبدالستار بان يترك بيته ويترك الخادمة المستأجرة من
قبله ومن قبل زميله ومساكنه ، ولكنه ابى خجلا ان ينزل فى بيت الحاج شكرى ،
وقال لآخيه بانه سيمثل امره ولكنه سينتقل الى بيت الاخ انذى لم تلده امه ، وقد
كان يعينى انا بذلك .

وهكذا تم انتقال القرغولى الى بيت آل النائب وأبى ان نختار له غرفة مستقلة
من تلك الغرف الكثيرة فى هذا البيت الواسع الذى لم يسكنه غيرى وغير حارس
وزوجته ، وانما فضل ان يشاركنى فى غرفتى ، فكنا نتناول طعامنا فى المطعم ، ونأوى
الى بيتنا هذا فنقضى بعض الوقت فى تحضير ادرس اما هو فكان يميل على أحد
الدواوين عند فراغه من تحضير الدرس وتصحيح التمارين المدرسية ويبدأ بقراءة
الشعر ولكنه كان يأبى ان يقرأ هذا الشعر لنفسه وانما يصر على ان يشاركنى معه
ولا يفيد معه قولى باننى مسبوق بهذه القصيدة ، واننى كنت قد قرأتها قبل سنوات ،
وكنت اقول ذلك صادقا بعض الاحيان وكاذبا حينا اخر لكى اتخلص من هذه المشاركة
فى قراءة الشعر وانصرف الى مطالعاتى الخاصة .

وذات ليلة ايقظنى القرغولى بعد ان كنت قد اطفأت الضوء ونمت ، وقال لى
انه قد حضره بيتان من الشعر وهو يريد ان ادلى برأى فىهما ، والحق انهما كانا
بيتين جميلين على ما اذكر ، ولكنى قلت له اننى لم اسمع اسخف منهما شعرا وان

الاصح هو ان يترك قول الشعر وقتلت له اننى كنت قد خدعته حين قلت له اننى
معجب بشعره وحين قلت له ان بينه وبين تبوأ مقام الشاعر ليس الا شبر أو أقل من
ذلك ... فسكت ولم ينطق بكلمة واحدة وفى الصباح صارحته بالحقيقة ، وقتلت
له اننى معجب كل الاعجاب بببيتك ولكن أفما كنت ترى من الانسب لو انك اجلت
عرض البيتين على الى الغد ؟

قال - ولكن اتردى كيف قضيت تلك الليلة وانت تجاهبنى بتلك الصراحة
التي لم اشك بها ؟

قلت له - لا ادرى

قال - لم تجف لى عين من الدموع !!

اذن فقد كان الشعر كل مبتغاه وامانيه فى حياته ، وقد ظن انه لن يظفر به
مادام احسن منظومه عندى هو اسخف ما سمعته الاذن على ما قلت له فقد كان يعتز
برأىي كثيرا ، ونكى ازيل الشبهة من نفسه تماما طلبت منه ان يعرض البيتين على
الشيخ عبدالرزاق ، والسيد قاسم ، والملا نافع ، ثم يعرضهما على الشيخ محمد امين
عوض ليتأكد من اننى كنت هازلا ، ولم يكن هؤلاء بالاستحسان بل عمد بعضهم
الى تشطيرهما وفى تلك الامسية تطرق الشيخ عبدالرزاق والشيخ محمد امين عوض
الى طائفة من المعانى المقاربة لبيتى القرعولى ، وفى تلك الليلة او فى ليلة اخرى طال
بنا السهر والسمر فى بيت الشيخ محمد امين فلم نلتفت الا وضوء الفجر يملأ
الكون !!

* * *

وافترقا بعد ذلك ، فقد عدت انا الى التجف وانتقل هو الى الغربى ثم
الى بغداد وابتدأت المراسلة بيننا ، وقد تضمنت هذه المراسلة الشيء الكثير من هواجسه
وافكاره وآلامه النفسية وقد وقع بينه وبين أخيه رشيد شىء من سوء التفاهم ، فقد
كان يريد هو السفر الى مصر للدراسة ، وكان اخوه يمانع ، ثم حدث بينه وبين
بعض اصدقائه ما ابعد الشقة بينهما وكنت انا فى كل ذلك اسعى على قدر الامكان
لتبديد آلامه واحزانه ، وكنت انا الذى سعيت الى اصلاح ذات البين برسائلى او

بمواجهتي له في اثناء العطل بينه وبين اخيه فقد كنت ازوره في بيته في القرغول
وكان يفتح لي نفسه على مصراعيها ليسمع من جديد ما كنت اسسطره له بقلمى
مشروحا بلساني وهذه احدى شكواه التي كان يبعث بامثالها الى الى النجف .

لا احد غيرك يا جعفر يسبر احوالى او يشعر
فانت لى خير نصير اذا داهم قلبى الفزع الاكبر
يامن يقولون له (جعفرا) وتستقى من فضله الابحر
وافى كتاب منك الفاظه يفوح منها المسك والعنبر
بدد بعض الحزن عن مهجة تكاد فى نيرانه تسعر
قد كنت لا اعرف معنى الاسى ولا اذم الدهر او اضجر
وكنت لا ابكى لخطب عرا وانيوم صارت ادمعى تشر

واشتدت ألفتنا اكثر واكثر ، وازداد اتصالنا فى أيام العطل المدرسية حتى لقد
فكرت اخته ان تخطب لنا معا وفى آن واحد وقالت لى : اننى اريد ان ازوجك امرأة
سنية لكيلا تبعدك عنا ولتظل قريبا منا الى الابد وبدأت تبحث لنا فعلا عن زوجتين .

* * *

وقد وقع القرغولى فى حب احدى الفتيات اللاتي اكملن دراستهن فى تلك
السنة بدار المعلمات وكنت قبل ان اعرف القرغولى لا اؤمن بما جاءت به القصص
عن العذريين على ذلك النمط من المبالغة بل كنت اعتقد ان ذلك ضرب من السفسطة
التي لفقها كتاب القصص لقضاء الوقت او لتحبيب المثل فى النفوس فاخرجوها عن
واقعها بتلك الصور التي مثلوا بها حب ليلي وقيس ، وحب ليلى وتوبه ، وحب جميل
وبشينة ، وغيرهم ، اقول لم اكن اؤمن بشيء من تلك المبالغات التي تجاوزت الحد
حتى رأيت القرغولى ، وحتى سبرت عواطفه ، وحتى فهمت قلبه فاذا بى اشد
ما اكون ايمانا بوجود هذا النوع من الحب العذرى .

وعارض اهله فى هذا الحب واطلعت انا على سر هذه المعارضة فالفيت نفسى
اكثر منهم حماسا فى الحيلولة دون تحقيق هذه الخطبة ، وحدثت هنالك امور كان
لها تأثير كبير على صحته ففضى صيف تلك السنة فى لبنان وسوريا استجماما للراحة .

فقد نزل على رغبة الجميع وطلق حبه نهائيا ومع ذلك فقد ظل يشن ويحزن ، ويبكى ، فهو من رقة العاطفة بحيث لا يستطيع ان يسمع قطعة تموء الماء ، او شاة تنغو استيحاشا وبعد زمن عرف تماما ان الخير كله كان في عدونه عن ذلك الحب وانصرافه عن الزواج بمن احب ، وهذه قطعة من قصيدة كان قد بعثها الى يوم كان الحب مسيطرا عليه :

اسر الحب فؤادى زمننا ونفى عن مقتلتي الوسنا
اصبح الدمع طليعا ولقد الف انجسم نحول وضنا
ارقب النجم وحيدا فى الدجى كحكيم باندرارى افتننا
ليس لى فى وحدتى من مؤنس غير انى اتسلى بالمنى
نكت المهمد اجائى الاولى كنت فى قريهم اجنى الهنا

وتزوجنا انا وهو فى زمن متقارب وانا وان لم اتزوج سنية كما احبت شقيقته ، ولكن زوجتى الشيعية كانت لآل القرغولى اكثر سنية من السنة من حيث قربها لهم فقد انتقلنا الى بغداد ، واتصلت العائلتان اتصالا اوثق وكثر التزاور بينهما ، وتعرف اولادنا بعضهم بعض ، ووجد كل منهم فى صديق ابيه ذلك الاخ الذى اشار اليه القرغولى ، وكنت قريبا من متوجه الادبى يقرأ على منه كلما قد تم قبل طبعه من شعر ، وتحقيق ، وتأليف ، وقد خلف شيئا غير قليل من نفايس بحوثه ، منها تاريخ القرغول ومنها تعليقات وبحوث ادبية لغوية ذات قيمة ، ومنها ديوان شعر يفيض بسوانحه ونزعه الوطنية الصادقة .

* * *

وشكا من علل قال الاطباء انها علل سببها الاجهاد ، فقد كان احرص من رأيت فى اداء واجبه كمدرس ، ومدير مدرسة ، ومفتش ، ومدير معارف وكان يقضى جانبا كبيرا من الامسيات والليالى فى انجاز الاعمال ، واستطيع ان اجزم انه كان احب الناس الى رؤسائه ومرؤوسيه ، واحب الناس الى كل من يتعرف به ، وكنت ازوره كلما حانت لى فرصة على الاخص فى ايام مرضه وقد طاللت هذه

الايام وكان عليه ان يتجنب القراءة والكتابة والاعمال الفكرية حسب نصيحة
الاطباء ، وقيل وفاته بشهر كنت قد تلفنت له سائلا عن حاله فقال مازحا :
- لك ان تقدر حال مريض لم يكتفوا بتحريم القراءة والكتابة عليه فراحوا
يغلقون في وجهه حتى ابواب المطبخ •

قلت - افشتهى ان تأكل شيئا ممنوعا عليك ؟

قال - لا ، وانما المانع من دخول المطبخ هو الخوف من فضولى وتطفلى ومن
التدخل فى شؤون الطهى بداعى التسلية اما الاكل فيا نيتى املك بعض الشهية •

* * *

وضافت نفسه بمرضه خصوصا بعد ان قضى زما غير قصير فى المستشفى
واذا كان هنالك من فضل على تلطيف مزاجه واحواله النفسية فالفضل كله يعود
لاهل بيته من زوجة واولاد فقد لقي منهم مدة ثلاث سنوات وهو معتل كل حدب ،
واهتمام ، وعناية ، وقبل وفاته باربعة ايام او خمسة قمت انا وكل اهل بيتى بزيارته
فى بيته وكان اثر التعب باديا عليه وقد اوحى لى حاله بشىء غير سار وقد قضيت
عنده ساعات قطعتها باستعراض الماضى وهى المرة الاولى التى نفيض فيها انا وهو
بهذه السعة من تذكر الماضى وقد قال لى فيما قال :-

- لم يبق ما يدخل على نفسى شيئا من السكينة واللذة غير انغماسى فى الماضى ،
فانا اليوم اتمثل ايام شبابنا كما لو كانت قد مرت امس فدمع عيناي واحسول ان
انهض فاتمسك بظلالها ، واجمع خطوطها ، واحتضن صورها ، ولكنى كمن يمسك
الهواء وهنا لاح لى دمة تترقرق فى عينيه فغيرت الحديث الى ناحية ثانية
وتناولت احد مخطوطاته التى كان قد عرضها على لمشاركه الرأى فيها وبدأت اقرأ
بصوت عال لاشغله عما هو فيه من استعراض للماضى •

* * *

وفى الساعة السادسة من صباح الاسبوع الثانى ايقظتنى احدى بناتى والعبرة
تخفقها وقالت :

— مات ٤٠٠ —

وقد قفزت من فراشي بهلع لا اطيع وصفه وقلت من ٤٠٠؟ من هذا الذي مات؟
قالت وقد انفجرت الطفلة في هذه المرة بالبكاء :

— لقد مات عمي عبدالستار ٤٠٠٠٠ —

مات عبدالستار القرغولى ، واذا كان له امثال من الشعراء ، والباحثين ،
والكتاب فقد والله عز وجود امثاله من حيث ظهارة النفس ، وسمو الذات ، وحب الخير ،
والانسانية التي عشقها فمشت في وجوده مشية الدم في عروق الانسان
فوا لهفتى عليه •



عبدالله القصاب



THE UNIVERSITY OF CHICAGO

عبدالله القصاب (١)

لست ادري متى كان ذلك بالضبط ، ولكنى اذكر اننى كنت قد رأيت عبدالله القصاب وهو معتم بعمامة بيضاء ، مشوبة بشيء خفيف من زرقة الجويت بين اثنين أو ثلاثة من زملائه المعممين الذين تدل بزتهم على انهم من طلبة العلوم الدينية ، لقد رأيتهم فى طريقى وانا امر مع صديق لى بدار المعلمين لاداء امتحان اللياقة ، وكانت دار المعلمين يومذاك فى مكان (ثانوية الكرخ للبنات) اليوم وعلى النهر تماما ، فسماهم لى الصديق الذى كنت ارافقه الى (الدار) فلم يعلق بذهنى من اسمائهم غير اسم عبدالله القصاب ، والسبب على ما أعتقد هو ما كان يبدو عليه بين زملائه من اناقة ملبس ، وصباحة وجه ، واعتدال قامة ، ولربما كان مما بقى فى الذهن عن ابيه من شهرة كسبها عن مسلكه الدينى وتقواه شأن فى رسوخ اسمه فى ذهنى ، أو ربما كان لما عرف به عمه السيد عبدالعزيز القصاب الذى كان قائممقاما فى السماوة على العهد العثمانى ونجاحه فى الادارة الذى اكسبه بعض الشهرة فى الفرات ثم ماجرى عليه وعلى أهله وحتى أمه من سلب عند انسحاب الادارة من لواء الديوانية فى الحرب العظمى شأن آخر فى انطباع اسم عبدالله القصاب فى ذهنى بمجرد ان نطق به الصديق ، فقد كان السلب والنهب الواقع على امتعة السيد عبدالعزيز فى طريق الديوانية حديثا تناقلته الالسن ، واستكرته النفوس ، لما كان لعبدالعزيز من تماس بالناس ، وقد لمس اثره المرحوم عبدالله القصاب يوم صار بعد زمن طويل قائممقاما فى (السماوة) فقد عرف اصدقاء عمه عن كذب هناك .

(١) جريدة الاخبار - العدد ٥٩٤٥ - ١٩٦٢/٢/٢٣

ومن الغريب انى رأيت الرجل الندى قام بهذا السلب بعد ذلك بزمن بعيد ،
وبما يقرب من خمس عشرة سنة ، لقد رأيت به بعينى يوم كنت مديرا لمدرسة الرميثة ،
فقد رأيت ذات يوم شيخا قرويا كبير السن فى لحية بيضاء وقد خرج به الشرطى
من سجن الرميثة الى حديقة السراى وانا مقتعد كرسيًا فى محل لا ابارحه من
مجلس مدير الناحية عصر كل يوم من حديقة السراى وكان مدير الناحية يومذاك
ابراهيم السالم •

اقول لقد رأيت الشرطى يقتاد شيخا كبير السن الى حديقة السراى ، ويسلمه
صفحة تلك ويأمره بان ينقل الماء من النهر بها ويرشه فى طريق الحديقة ، وفوق
الأشجار ، ورأيت السجين الشيخ ينقل الماء بدون فتور ذاهبا آيبا بين الشط والحديقة ،
وراقبه وانا اهم ان اتوسط له عند مدير الناحية ليعفيه ، بل لقد ترقرقت دموعه فى
عينى وانا اشاهد العرق يتصبب من رأس هذا الشيخ ، وانتظرت ان يتم المدير
حديثه مع احد مراجعيه لاعرض وساطتى اذا كان لوساطتى بعض شأن عنده ،
وكان ان فعلت ، ولكن المدير اعتذر وقال :-

- ان القانون لا يخولنى حبس أحد أكثر من سبعة ايام وقد اجهدت نفسى
لاحتال على القانون لعلى استطيع ان احبس الرجل واعذبه اكثر فما استطعت الا ان
اجزأ التهمة الى ثلاثة اجزاء لاسجنه واحدا وعشرين يوما افريد ان تخلصه منى
بهذه السهولة ؟•••••

قلت - ولكنه شيخ كبير السن ولا احسب ان ثمة ذنبا يستدعى مثل هذه
القساوة •••

قال - انه مجرم ، وقد كان قاطع طريق ، وسل عنه ليحدثك الناس عما
ارتكب هذا الشيخ من جرائم قتل وسلب فى أيام الفترة بين العهد العثماني والاحتلال
الانكليزى فراحت تلك الدماء والاموال هدرا وقد جرى سلب امّعة عبدالعزيز القصاب
ووالده على يديه فلم يترك لهم شيئا •• ولم يحجم عن سلب ثياب امرأة مخدرة مستنة ••

* * *

ورأيت عبدالله القصاب فى بزته الجديدة وهو مدير لناحية الحيرة يرتاد

النجف فى كل يوم جمعة تقرب ناحيته منها ، وكان هذا اول اتصاله بالنجف والنجفيين ، والحقيقة اننى لم اكن انا اول من التفت الى ان هذا الرجل لا يشبه بوجه من الوجوه الموظفين الاخرين من امثاله ، وانما كان جميع الذين يتصلون به يتحدثون فى ذلك ، فقد كان هنالك رجل من وجوه النجف هو الحاج عبدالرسول شريف ، وكان له مجلس عند دكانه يجتمع عنده بعض الشخصيات من الاهليين والموظفين ولاسيما فى أيام الجمع التى يقد فيها الى النجف اغلب حكام الادارة والمحاكم من الاقضية التى تحيط بالنجف ، فكان مجلسه عامرا ، وكان عبدالله القصاب من رواد هذا المجلس حين يتاح له ان يزور النجف ، ثم كان من اكثر المرتادين لمجلس المجتهد السياسى الشهير الشيخ عبدالكريم الجزائرى .

* * *

وفى هذا المجلس تعرف به الكثير من رجال العلم والسياسة والادب لما كان يضمه مجلس الجزائرى فى كل يوم من مختلف الشخصيات البارزة ، وزادت روابط القصاب بالنجف فيما كان لكثير من النجفيين من بساين واملاك فى الحيرة واشتدت صلته بالسيد محمد رضا الصافى خاصة ، وازدادت صلته بالنجف والنجفيين وثوقا بحكم زمالة البعض من النجفيين له فى كلية الحقوق وفى مقدمتهم السيد سعد صالح .

* * *

هنا عرفت عبدالله القصاب عن كتب ولكن دون ما حاجة الى درس واختبار ، فقد كان وجهه ناما على جميع احساسه لامن حيث الصباحة والانطلاق فحسب وانما من حيث الاشعاع ، فقد كان القصاب من القلائل الذين يصلحون ان يكونوا مصداقا لعلم الفراسة بجميع مشخصاتها فانت حين تراه لاتلبث بعد دقائق الا وتؤكد بانك امام مجموعة من صفات سلبية فهو رجل لا يكذب ، ولا يحقد ، ولا يسىء ، وانك امام مجموعة من صفات ثبوتية فهو صديق ، وهو وفى ، وهو حلیم لاقصى حدود الحلم .

ولا ابالغ اذا قلت انه قلما وقع نظر احد عليه دون ان ينجذب اليه ، فقد

كان كالفلته بل انه فلتة واكثر من فلتة في هذا الزمان .

وتنقل في الوظائف فلم اعد أراه الا مصادفة ، وحين مررت لاقتى بمض الوقت عند قريب لى فى السماوة كان هو قائمقاما فى السماوة ، وهنا تجلت مواهبه باجلى صورها فى اصلاح بعض المرافق ، فقد كانت السماوة ابعد جميع الاقضية عن الاصلاح ، وكان قد شغلها عدد من القائمقامين وفيهم عدد من الموهوبين ، ولكن الظروف لم تؤاتهم للقيام بما يتطلبه بلد كالسماوة من الاصلاح والمشاريع . يضاف الى ذلك ان السماوة قلما وجدت نظراء لعبدالله القصاب من حيث الدماثة والامتزاج بالاهلين كانه كان واحدا منهم ، فقد مرت على السماوة بل على جميع لواء الديوانية ادوار فرضت السياسة على حكامها الاداريين ان يكونوا خشنين مع الناس ، اشداء عليهم ، وان الخشونة والشدّة كانت ابعدا ما تكون عن خلق عبدالله القصاب ، لذلك وجد فيه الاهلون طرازا جديدا من الموظفين قل عهدهم بنظرائه .

* * *

خرجت معه عصر يوم بعد ان تناولت الغداء عنده ، فقطعنا مسافة ماشين على ضفة النهر وليس معنا احد ، فما مر بنا شخص الا وسلم عليه ، وهم البعض منهم ان يأخذ يده فكان يسحبها ، وان الموظف فى السماوة لايتوقع مثل هذا من الناس ، وان اهل السماوة لايعملون مثل هذا مع اى موظف ولو كان متصرفا او وزيرا ، فقد عرفت السماوة منذ عهد العثمانيين بالاعتزاز بالنفس وبعض الشموخ من دون اغلب مدن الفرات ، لذلك كانت سياسة الحكومة معها قائمة على المخاشنة ، وقد شهدت السماوة وعشائرها حروبا غير منقطعة بينها وبين الحكومة وبينها وبين بعضها ، وكان البعد بين السماوة وعشائرها من جهة وبين الحكومة من جهة ثانية كبيرا جدا بحيث اوشك ان يكون من المستحيل تبادل المحبة بين الحكومة والاهلين ، ولهذا دهشت انا لمثل هذا التفاهم ، ولم اخف دهشتى على القصاب ، وزدت بان طلبت ان يشرح لى السبب اذا كان الذى رأيتة صحيحا فقال :-

- دعنى اختصر لك الطريق ، ان العلة كلها كامنة فى الحالة الاقتصادية وفقدان العدل ، فاذا استطعت ان تضمن للناس توفر المعيشة بالقدر الممكن ، وتضمن لهم

العدل الذى يدخل الاطمينان الى النفوس أمن الناس شر الاعتداء ، والاضغاث ، والاحقاد ، وحينذاك لن تسمع للسيد (طفار) وأمثاله من المدنيين والعشائر اسما فى ميدان التمرد والخروج على الطاعة - والسيد طفار والقسم الشرقى من مدينة السماوة كان مضرب المثل فى العصيان - ثم قال : وان السر فى شهرة لواء الديوانية من حيث عدم الاستقرار بين جميع الالوية منعت من فقدان هذين العاملين فقدان العامل الاقتصادى ، وفقدان العدل ، وما انا الا قائممقام محدود السلطة ، وعلى قدر ما استطعت عملت لاوفر للبلد شيئا من الرخاء او قل حددت على الاقل مضايقة حكومة القضاء للناس فى معيشتهم وسعيت ان اتجنب المحاباة والجنوح والميل لبعض ضد بعض على قدر ما يتجه لى القانون ، ولا احسب شيئا غير هذا يستطيع ان يجعل من الناس جميعا او من لواء الديوانية خاصة لواء آمنا مطمئنا يسوده السلام والاطمينان .

* * *

والحق ان عبدالله القصاب كان يؤمن بما يقول ، ويجهد ليقرن القبول بالعمل فى كل ادارة انيط أمرها به . ومر زمن فاذا به يتولى متصرفية لواء الديوانية ، وهنا استطاع ان يعمل اكثر فى تحقيق الغرضين ، لان حدوده كانت اوسع ، وعند استعراض المستعرضين لتأريخ ادارة هذا اللواء الذى عرف منذ العهد العثمانى بالتمرد ، والحروب ، والعصيان ، سيجدون ان الفترة التى شغل بها عبدالله القصاب هذا اللواء كمتصرف كان اللواء اكثر هدوا ، واكثر اطمينا ، واقل مشاكل ، واقل اضطرابا .

* * *

وفى هذا الوقت كان السيد سعد صالح متصرفا فى الناصرية وكان يسعى لتأليف جبهة من متصرفى الالوية فى وجه صالح جبر الذى كان يشغل وزارة الداخلية يومذاك ، وكنت انا يومها مدعوا عند الشيخ محمد حسن حيدر فى سوق الشيوخ ، فاستبقانى السيد سعد صالح عنده فى الناصرية لقضاء ليلة هناك ، وكان عبدالله القصاب قد جاء من الديوانية ليقضى تلك الليلة عند سعد بناء على دعوته له

وعلى مائدة العشاء جرى الحديث بين السيد سعد والقصاب عما ينبغي ان يقوموا به للحد من تصرفات صالح جبر في الادارة ، وقال السيد سعد : انه مطمئن من ان عبدالهادي الظاهر متصرف الحلة ، وعبدالرزاق عدوه متصرف العمارة وقال وربما كان عبد الحميد عبدالمجيد متصرف البصرة ايضا سيكونون متفقين تمام الاتفاق في الوقوف معنا في وجه صالح جبر *

وهنا التفت لى السيد سعد صالح وقال :-

- « بالله جعفر تراه المجالس بالامانات » *

فقال عبدالله - كنت انتظر ان تكون اعرف منى بالخليلى

فقال سعد وهو يضحك - وهو كذلك ، ولكن الخليلى صحافى ، ولو كنت اشك فيه لما اصررت عليه بالبقاء عندنا وانا بانتظارك ، ثم لما فاتحتك بمثل هذه الصراحة امامه ، وضحك عبدالله ، وكثر الاخذ والرد بين سعد صالح وعبدالله فيما ينبغي ان يكون ، وما لاينبغي ان يكون ، ورويت امامى اشياء على لسان عبدالهادي الظاهر ، وعلى لسان عبدالرزاق عدوه ليس هذا محل ذكرها *

وقال عبدالله - اريد ان اضع النقاط على الحروف كما يقول الصحافيون - قال ذلك وهو يحدق الى وجهى ويضحك - فاشرح لك خطتى فى دنياى ونهجى كمتصرف او غير متصرف ، وهو انى لا اوقع شيئا لا اؤمن به ، واجهد ان لا انفذ شيئا لا اعتقد بصلاحه ، لذلك فان أى أمر يصل الى من أية جهة كانت سواء كان مصدرها وزير الداخلية أو غيره فلن يجد منى قبولا اذا وجدته مخالفا للاصول والواقع ... والفارق بينى وبين غيرى هو انى ارفض ذلك بدون ضجة واحتجاج وصراخ ، فانا معكم اذا كان الامر كهذا الذى اقول ...

* * *

والحق انه كان كذلك ، فقد وقع له اختلاف مع السلطات وهو متصرف فى الديوانية ، وفى الموصل ، ثم وهو وزير للداخلية ، وكان اختلافه مع ارشد العمري جوهريا وكبيرا يوم كان ارشد رئيسا للوزراء والقصاب وزيرا للداخلية ، ويوم كان ارشد رئيسا لمجلس الاعمار ، والقصاب امينا للعاصمة ، ولكن تلك

الاختلافات لم يدخل فيها شيء من الصخب ، والصراخ ، وانتديد ، فكان القصاب يخرج من المعمة والابتسامة لاتزال مطبوعة على ثغره ، والحلم ، والوداعة ، والطيبة ، والمجبة تغمر نفسه فلا يبقى لاحد في نفسه شيء الا الزين مسن الامور والطيب من الذكريات •

* * *

وجئته وهو وزير للداخلية اشكو له خطة مديرية الدعاية والنشر مع جريدة الهاتف ، وكان المدير حينذاك كمال عبدالمجيد وكان مدير المطبوعات ناجي القشطيني ، فقد كان ورق الصحف يوزع على الصحف بعضا دون بعض ، اما جريدة الهاتف فقد كانت تشتري ورقها من السوق السوداء ، وقد بلغ الامر بها ان اشترت البند الواحد بأحد عشر دينارا ، ولم تكف مديرية الدعاية بحرمان الهاتف من حصة الورق بل عمدت مرة الى الكتابة الى متصرفية لواء كربلا للقيام بالتحقيق عن كيفية حصول جريدة الهاتف على الورق من السوق السوداء واقامة الدعوى على الجريدة لحصولها على الورق بالطرق غير المشروعة ، وبالفعل اقيمت الدعوى عليها بناء على طلب مديرية الدعاية ، في حين كانت اكثر الصحف تسلم حصتها من الورق بقيمة نصف دينار للبند الواحد فتطبع صحفها ببعض الحصة وتبيع الباقي في السوق السوداء باضعاف ثمنه !!•••

* * *

لقد جئت عبدالله القصاب شاكيا سوء المعاملة والاجحاف ، وقد ساءه كثيرا ان تكون الاتجاهات غير عادلة في اقسام وزارته ، وسألني عما اذا كنت اعرف صحفا محرومة اخرى غير الهاتف فاجبت بالنفي ، فطلب مني ان اراه في الغد وفي نفس الوقت •

وجئته في الغد فقال لي :-

- والان بإمكانك ان تواجه مدير الدعاية لترى كل شيء كما يقتضيه العدل •
وجئت مدير الدعاية واخبرته انني قد جئته بناء على طلب الوزير ، فقال وانا

افول لك انه ليس لدينا ورق •

فقلت - كنت اعرف انه ليس لديكم ورق ، ولكن حسن ظني بعدل القصاب

قد حملني على مواجهته •

قال - كيف؟ كيف؟ (لقد قالها بشيء من الغضب والهياج) •

واعدت عليه نفس العبارة ••

فلم التفت الا وقد هب الرجل من مقعده واندفع بشدة الى خارج الغرفة ،

وتركني في مكاني مبالغة في الإهانة ••!

فقلت وانا اضحك ضحكة تجمع بين السخرية والاستغراب ، وسافرت توا

الى النجف دون ان أمر (بالقصاب) ودون ان اخبره بما وقع ••••

وبعد اسبوع تقريبا تلقيت من مديرية الدعاية كتابا تقول فيه انها قد خصصت

للهاتف حصة من الورق ••••!!

أما كيف تم ذلك؟ وما انذى قاله مدير الدعاية للوزير؟ وبماذا اجاب

الوزير؟ فليس لي بذلك علم وكل ما عرفت هو ان هذا الامر قد جرى على رغم

ارادة مدير الدعاية لان القصاب كان يعتقد ان التبعض مخالف للعدل ومجحف

بالحقوق ، وهادم للبناء •

* * *

وتوثقت العلاقة بيني وبين القصاب فقد كان من قراء الهاتف ، ومن متبعي

مؤلفاته ، وكانت له تعليقات على بعض ما كتبت اكتب واطبع ، فقد كان كثير القراءة ،

يقرأ كل شيء بشغف ، واكثر ما يحب من القراءة هو قراءة المذكرات وتراجم

مشاهير العصر الحديث والتعليقات السياسية العامة وكان يصغي الى محطات الاذاعة

دون ان يتقيد بمحطة دون اخرى ، ويؤلف لنفسه رأيا خاصا في السياسة والاجتماع

وحتى في الادب ، فكثيرا ما كان يختلف في الفكرة مع اصدقائه ولكن اختلاف

القصاب لا يشبه اختلاف احد ممن نعرف ، انه اختلاف لين ، هادي ، لطيف ،

يتحاشى ان يقول لمناظره انا مختلفان ، وقد ملك لسانا لم يعرف الشتم ، او البذاءة ،

أو أي شيء مما يعاب عليه المرأ عند الغضب ، بل قلما شوهد غاضبا بالمعنى الذي

شهد به اكثرية الغاضبين ، لقد طلب منه مرة خاند اندرة ان يصحبه الى على ممتاز ، وكان وزيراً للمالية - للتوسط في اطلاق مجلة الوادي من قيد التوقيف ، فمشى القصاب الى وزير المالية والتقيتهما في الطريق فسرنا معا ، فلم ار شخصا اكثر حماسا على مصلحة تخص غيره كما رأيت القصاب وهو يدافع عن (الوادي) وعن صاحبه ، وحين تناولت مجلة (الوادي) (القصاب) بالغمز والتنديد ذات يوم ، لم يبن والله على وجه القصاب ما ينم عن كدر ، او اسف ، او انزعاج ، وهذا جانب آخر مما حبب القصاب الى مختلف النفوس ، حتى لقد تضافر على حبه جميع من عرفه وان اختلفت نزعاتهم واراؤهم ، ولم اشهد رجلا احبه الناس جميعا حتى كاد يخلو من كارهين واعدا كعبدالله القصاب او كاد كارهوه على الاصح لايزيدون على عدد الاصابع .

وكان لهذه المحبة شأنها الكبير حتى في نفوس الحكومات المختلفة المشارب . ولقد حرصت التحقيقات الجنائية على ان يظل الامر مكنوما على القصاب حين حامت الشبهة حول عدد من الشبان وفي ضمنهم ولده (غازي) ، فقد كان يظن ان الحادثة التي ادت الى احتراق سيارة سمير الرفاعي امام قصر الزهور لم تكن حادثة احتراق طبيعية ، وانما هي قبلة جاءت من الاردن منقولة بالطيارة لتفجر بها ولتقضى على الرفاعي الذي كان يستقلها الى بغداد ، ولكنها لم تفجر فحملت في السيارة الى حيث القصر ، ولكن الرفاعي لم يكن في السيارة فانفجرت ، الا ان التحقيق يومذاك لم يؤيد هذه الرواية ، وكيفما كان فقد تناولت الشبهة عددا من الشبان وسعت ادارة التحقيقات ان تخفي الامر عن عبدالله القصاب بخصوص اتهام ابنه الى ان ينتهي التحقيق وذلك مبالغة منها في اكرام القصاب وتجنبيا له عن الالم والاذى وكان يعانى وعكة قلبية وهو غاية ما يبلغ انرا من المحبة ، وهكذا كان شأن حكومة الاردن فلم يند منها شيء امام عبدالله القصاب عن ابنه رعاية لشخصه .

* * *

وشغل القصاب أمانة العاصمة أمينا وهو أول من فسح في المجال لاشراك

الاهلين في عرض ما يهمهم ويعنيهم على الامانة وتداولهم معها فيما يرتؤون ، وكان قبل هذا قد عمل نفس العمل مع اصحاب البساتين ، واصحاب المكابس ، وتجار التمور يوم كان مديرا لجمعية التمور العامة ، وأسس شعبة للشكاوى في امانة العاصمة عهد اليها التعاون مع الاهلين في تذليل الصعاب وتجنب الحيف والاضرار ثم اصدر نشرات ضمنها أهم ما يفيد الاهلين من الشؤون البلدية فيما يخص نظافة البيوت وكيفية مكافحة الارضة وانصراصير وما ينبغي العمل فيما يخص مسارب المياه في البيوت ، وسمى النشرة (تعاون معنا) وقد حث الاهلين في كل نشرة على ايصال شكاواهم الى امانة العاصمة ، وقد عملت معه في اخراج هذه النشرات على قدر ما استطعت ولكن طلبات الناس كانت كثيرة ، والعمال والموظفين لم يألفوا بعد هذا النوع من المسؤوليات فتقلص عمل الشكاوى وتبادل الآراء بين (الامانة) والاهلين عند انتقال القصاب من امانة العاصمة .

وعند عودته الى جمعية التمور العامة مديرا عاما ، عاد ليواصل من جديد عمله في تنظيم شؤون التمور فقد كان القصاب من اول الداعين الى تصنيع التمور ، وتنظيم الكبس والتجارة على أساس المقايضة ، وعلى انه قد ترك في كل ناحية من النواحي التي عمل فيها اثرا محمودا فان اثاره في جمعية التمور كانت واسعة وكبيرة .

* * *

ودعاني ذات يوم وقال ان الجمعية بحاجة جد ماسة الى وضع كتاب استعراضى عن التمور على غرار الكتب العلمية يتناول كل ما يتعلق بالتمور من حيث الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، لغرض ايقاف التجار والموظفين والزراع والمستهلكين على مشاكل التمور عندنا وما يترتب على الجميع من الحكومة ، والمغاربة ، والمستهلكين ، والمتاجرين في مثل هذه الاحوال ، فضحكت وقلت له : يسرنى كثيرا ان يحسن الناس الظن بى باكثر مما انا استحققه ، ولكن مغالاة في الظن كهذه بحيث ينتظر منى ان اؤلف كتابا في موضوع لا اعرف منه شيئا امر

مستغرب وغير منتظر اذا لم اقل انه امر غير داخل في حيز الامكان •

قال - ولكنه ممكن لك ...

قلت - وهذا هو الغلو بعينه ...

ورحت اجسم له خطورة الموضوع بالنسبة لكاتب مثل يتناول قضية واسعة

الاطراف وبعيدة كل البعد عن مفهومه •

فقال انه مستعد ليضع تحت يدي كل التسهيلات اللازمة من السجلات

والتقارير والاضابير ويزودني بمن اريد من الكتاب اساعدتي •

وعبنا رحت اورد له الدليل بعد الدليل على انني جاد فيما اقول ، وان

اعتذارى لايشوبه شيء من التواضع ولكن احاحه كان قد تجاوز الحد وما زال

بى حتى قبلت هذه المهمة الشاقة على مضض ، ولكنى اشترطت على ان انفذ له

المطلوب واؤلف الكتاب دون ان اسمح بذكر اسمى فوق صفحة الكتاب وذلك

مبالغة في الاحتياط منى لئفى ولكنه أبى متذرعاً بانه انما يريد ان يستفيد من

الاسم والمسمى ، فكانت ثقة جاء بها حسن ظنه ، ولست ادري ما تى حسن ظنه

هذا الذى حملة على ان يطلب منى تأليف مثل هذا الكتاب •

وشرعت فى التأليف وبى شيء من الرهبة ، فهناك مواضيع تتعلق بفرس

النخيل ، وهناك مواضيع تتعلق بتركيب التمور الكيماوى وتحليلها ، وهناك مواضيع

تتعلق بصناعة التمور ، فكيف سأخوض هذه المواضيع ؟ وبأى نحو سأؤلف هذا

الكتاب ؟

ومضيت فى تألفى ، وكنت اعرض اى فصل مما كتبت اكتبه من الامور اننى

لا تدخل تحت اختصاصى على المتخصصين من بعض من اعرف ، وشجعنى ان

وجدت تأييداً عجيباً من هؤلاء بحيث ان التعليق على ما كتبت اعدده كاد يكون مفقوداً

الا ما ندر ولست انسى اننى حين عرضت القسم الكيماوى مما كتبت على الصديق

الدكتور غازى حمدى بارك لى هذه الخطوة ، وعدّها فوزاً كبيراً ، ومع كل ذلك

فقد قضيت في تاييف الكتاب نحو سنة وثلاثة شهور حتى اخرجته باسم (التمور العرافيه قديما وحديثا) ، وبين عشية وضحاها واذا بالكتاب يصبح مرجعا علميا مهما للدراسة ، وقد نثار عليه الطلب من الخارج فابتاعت منه الجامعة المصرية ، والجامعة العربية وكثير من المؤسسات العلمية الاجنبية كالجامعة الاميركية بيروت والجامعة السورية بدمشق عددا كبيرا وصار المعول عليه في كتابه بعض الاطروحات ذات المساس بالزراعة ، والصناعة ، والنخيل ، وقد اضاف هذا التاليف الى مجموعة افكارى عن عبدالله القصاب فكرة اخرى وهى انه ذو ملكة من شأنها عرس التشجيع وخلق الامل فى النفوس حتى ليوجد من اللاشى شيئا .

* * *

واشكى عبدالله القصاب من عوارض كانت تأتبه بين اونة واخرى فتحل بسببها صحته فيلازم ابيت بعض الايام ، وزادت الشكوى حتى اضطر ان يقضى شهور الصيف من بعض السنين ببلبان ثم اشتدت ازماته انقلبية فامتدت زيارته الى اوربا حتى لقد قضى ذات مرة ثلاثة شهور فى قرية على الحدود الالمانية تسمى (بادن بادن) مستشفىا فى حماماتها وكان عليه ان يخلف كل عاداته وراء ظهره ، وان يرضخ لتعاليم الاطباء ، فيأكل اكلا خفيفا منافيا لذوقه من حيث الطعم ، وان ينام مبكرا ، ويقلل من القراءة ، وزاد على ذلك ان فرضت هذه القرية التى لاتعرف سوى اللغة الالمانية الصوم عن الكلام عليه ، ولكن عبدالله القصاب القادر على الكبت ، والصبر ، وتحمل الشدة ، قد تحمل هذا النوع من الحبس بشىء كثير من الرضى .

* * *

وزادت آلامه ، فزاد صبره ، وطفح حلمه ، وتوثق ايمانه بالله وبالأقدار فراح يتقبل كل ذلك بشىء من الدعة والرضا والتسليم .
وفى ايامه الاخيرة كان يحب ان يكون اصدقاؤه المقربون الى جانبه طويلا كأنه كان عالما بانه لن تطول اقامته بينهم أكثر من هذا وحتى لقد كان يعتب اذا تخلف محبوبه الخاصون عن زيارته ليلة من الليالى ، ولقد تأخر الشيخ على الشرقى ذات ليلة

و كنت انا عنده ، فتلفن له قائلا :

- يا ولفى ليش ٠٠٠؟

وقلت له - اتمم الجملة لتكمل الاغنية المعروفة (يولفى ليش هاجرني) وكان من رقة العتب والدمائة والمجاملة انه لم يطق ان يقول للشرقى على لسانه (يولفى ليش هاجرني) وانما قال له ذلك على لساني كما لو كنت انا المتكلم مع الشرقى . وقال له يقول الخليلي : يولفى ليش هاجرني ؟

* * *

وقبل وفاته ببلتين جئى له بصورة زيتية بريشة الرسام الشهير (صميمي) كان قد رسمها له قبل عدة سنوات فلم تصل اليه الا في تلك الليلة ونحن عند صديقه الدكتور ضياء جعفر فقال اتنى لم اعد بحاجة اليها خصوصا وانها لم تحكني بواقعي اليوم .

قلت - ولكنها صورة حية تصلح ان تكون ذكرى طيبة .

قال - وما فائدة الذكرى ؟

وقد ارتج على فلم اعرف كيف اصور له فائدة الذكرى لاننى انا نفسى كنت قانعا بعدم جدواها لصاحبها اذا غادر الدنيا ، ولكنى لم اكن اتصور انه سيفادر الدنيا بمثل هذه العجالة ، فقد كان في ايامه الاخيرة كأحسن ما يكون صحة وراحة بال نسبية .

* * *

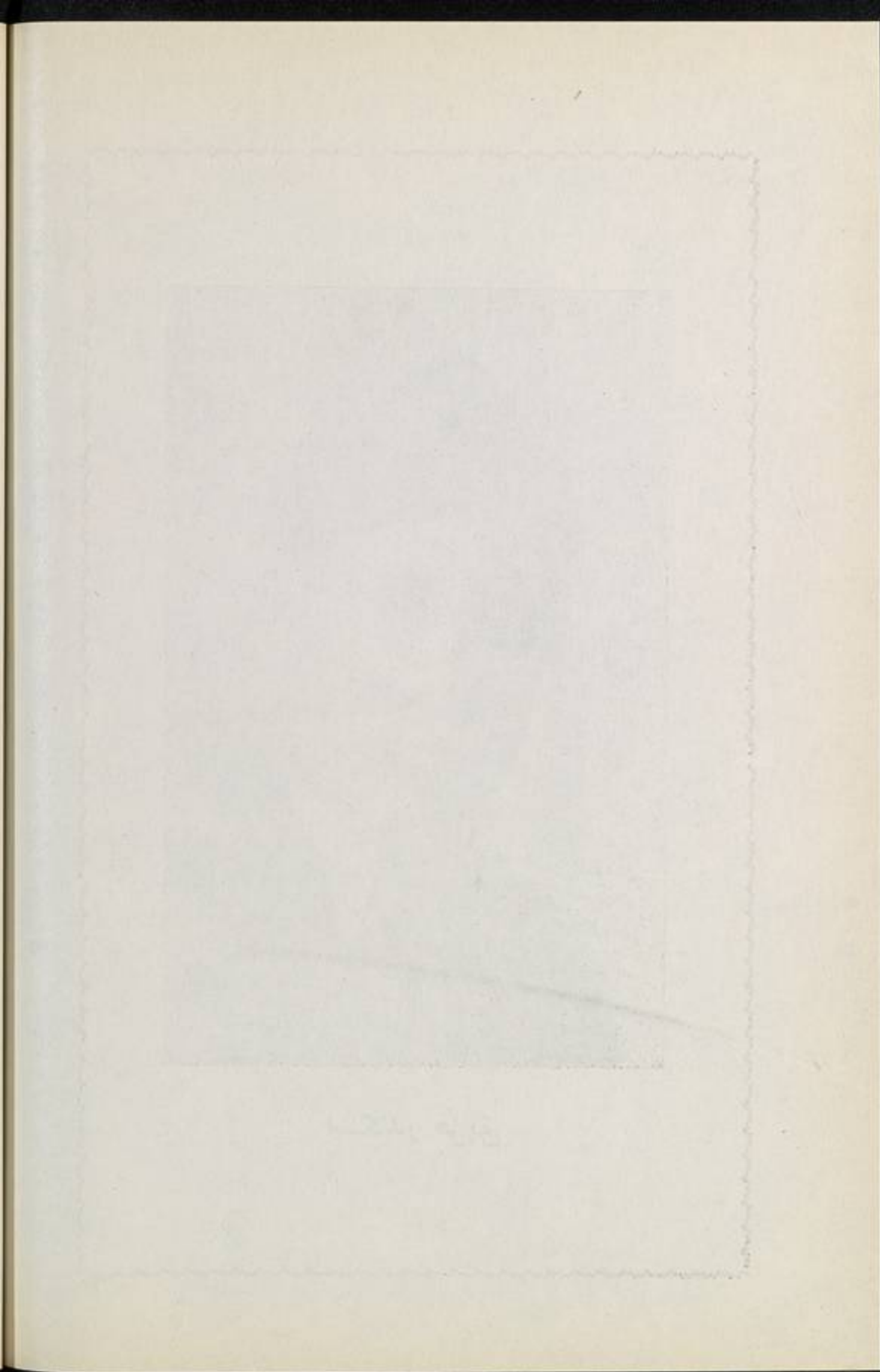
ما سافر مرة الى الخارج وعاد الى بغداد الا وجاءني بهدية من هناك ، وكانت هديته لى في هذه السنة قمصانا ولست ادري الى كم ستظل هذه القمصان معلقة في خزانة ثيابي ؟ ولكنى اريد ان تظل معلقة امام عيني الى الابد .

ولم ار لئان من يستسيغ تقطيع كبده مثلى على هذه الحالة ذلك لاننى وانا

اعصر روجى لاستقطرها دموعا سخينة لاحس ان كل دمة منها تحكى قصة عما
كان لى فى يوم من الايام مع هذا الصديق الذى راح ولن يعود ، من ذكريات
غالية ، فاحس وكأنى فى عالم آخر ما اشبهه بالاحلام ولن استيقظ الا حين تكون
دموعى قد جفت وهذا ما لا احسبه سبق مادمت مليئا بذكراته •



اسكندر حريق



اسكندر حريق^(١)

قبل ثلاثين سنة وأكثر كانت ثانوية النجف وثانوية الموصل مئاة دهشة رجال العلم والمعرفة لما كان يبدو على هاتين المؤسستين من جد ، ونشاط ، ومنافسة في التقدم العلمي استدعى وزارة المعارف ان تخصصهما بشيء من الرعاية التي كانت تخصص بها الثانوية المركزية ببغداد ، وان تختار للمدرستين اساتذة اكفاء ممن كانوا يعملون عندها من ابناء مصر ولبنان وسوريا .

وكانت وزارة المعارف في حيرة ووجل من امر النجف ، لان خيرة اساتذة المعارف لم يكونوا من المسلمين ، وهي تخشى ان يكون رد الفعل في هذه المدينة المقدسة عنيفا اذا هي ارسلت لها مدرسين مسيحيين وغير مسلمين ، وعلى رغم ان الواقفين على حقيقة النجف من ابنائها قد نفوا وجود ما يستدعى الحذر من ايفاد اى مدرس من أية طائفة فقد تأنت وزارة المعارف في ذلك ، ثم بالغت في حذرهما بحيث راحت تستعرض جملة من اللبنانيين لتختار ألينهم عريكة ، وابعدهم عن التعصب الاديبي والطائفي ، واكثرهم انغماسا في التربية والتعليم ، وكان اسكندر حريق في صدر القائمة ، ولو كان رجل غير اسكندر حريق قد ولد مثله في ضهور الشوير عروسة مصايف لبنان ، ودرس في الجامعة الاميركية بيروت ، وتخرج من جامعة كلمبيا باميركا ، وطاف باغلب اقطار اميركا الشمالية والجنوبية دارسا ، لا تمتع من المجيب الى بلد كالنجف عدمت فيه الوسائل الصحية الكافية من المياه الجارية في الانابيب ، والنور الكهربائي في البيوت ، والكثير من الحاجات الضرورية التي

(١) جريدة الايام - بغداد - العدد ٤ - ١١/٤/١٩٦٢ .

تقتضيها المدينة الحديثة ، فقد كانت النجف آنذاك كسائر المدن العراقية قريبة عهد بكل تلك الوسائل ، وجاء اسكندر الى النجف ، وقد وضع هذه الامور كلها نصب عينيه ، وكان يقول انه لم يكن يفكر فى شىء من هذه الاشياء بقدر ما كان يفكر فى كيفية اندماجه فى المجتمع النجفى وكسب رضاه ، فاذا بكل شىء يتلاشى فى ذهنه ، واذا باسكندر يتبوأ فى ايام قليلة محلا من القلوب قلما ظفر به احد من ابناء المسلمين فكيف بمسيحى ينتقل رأسا من عاصمة الكفار على حد تعبير بعض الجهلة الى عاصمة المسلمين ليتولى تعليمهم وليقوم بتدريس علم الاجتماع !!

ولكن الواقع هو ان النجف عن كئب غيرها عن بعد ، وعلى ان قسما من موقعية اسكندر فى النظر برضا الناس جميعا يعود الى مكائنه وسيرته الخلقية فان النجف كانت ولم تزال تضم طوائف غير قليلة من النفوس السمحة الرضية التى تتصل بالكثير من الافكار الحديثة وبينها من تفوق جرأته فى الفلسفة حد التصور بحيث يندم فى نظره اى فرق يأتى من الانجسيات والاديان والمذاهب ، والغريب من أمر اسكندر ان أصبح فى ايام قليلة صديقا لعدد غير قليل من رجال الدين كان من بينهم الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الجزائرى والشيخ محسن شرارة ومن الادباء كان موسى كاظم نورس ، وعدد من أدباء شباب الشيوخ آنذاك امثال حسين مروه ، ومحمد شرارة ، ولم تكن يومئذ مبادئ تفرق بين الناس ، وانما كان الادب اقوى حلقة وصل بين حلقات المجتمع ، وقد كان اسكندر على جانب كبير من الادب ، يحسن فهم تاريخه ، ويتقن قواعده ، ويفهم خواصه حتى لقد قل ان تجد له زلة فيما يقرأ ، وفيما يكتب ، وفيما يناقش من قواعد البلاغة ، وقد ساعدته اللغة الانكليزية ، والفرنسية ، والاسبانية على الاجادة فيما يقرأ وفيما يكتب .

* * *

وكتت يومها مدرسا بناوية النجف ، ولا احسب ان التقائى اياه قد تجاوز مرة او مرتين حتى شعرت بانى اكاد اعرفه منذ زمن بعيد ، وان نفسى قد كانت تبحث عن امثاله بين الناس ، وبين الكتب ، وبين الصور الخيالية التى ينسجها الذهن

لتأنس بها الروح فإذا به يحكى الكثير مما كنت أشد •

روح خالصة ، وسريرة طيبة ، وأدب جم ، وظرف يطفح على لسانه ووجهه
فيدخل على نفسك السرور لأول مرة تثقيه فيها ، حتى لقد دعا الشاعر الكبير
رشيد سليم الخورى (الشاعر القروى) ان يرتجل وهو فى اعلى السلم مستقبلا
اسكندر حريق وهو يصعد السلم بساينولو فى البرازيل ووجهه يفيض بالبشر
واللطف قائلا :-

يا رفيق الاحرار اهلا وسهلا (بحريق) بيل صدر (الخورى)

والتورية فى كلمة (حريق) و (الخورى) واضحة لاحتاج الى توضيح ، وقد
رد عليه اسكندر قائلا : بل بيل ذقن الخورى وهى الاخرى تورية واضحة يقصد
بها الواحد من الخوارنة بيل ذقنه ليحلقه له •

كنا مرة على مائدة ابراهيم انسالم وكان معنا نايف نصر فاشير اليه بالتعود الى
جانب اسكندر حريق فقال نايف ولكنى لا اخاف شيئا كخوفى من (الحريق) فرد
عليه اسكندر قائلا :-

- تذكر يا نايف انا فى بيت ابراهيم ، وقد اراد بذلك ان النار لاتمس
ابراهيم وآله مصداقا للآية الكريمة (يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وآل
ابراهيم) •

★ ★ ★

وتوفى والده (منصور حريق) واسكندر فى النجف ، فضاقت الدنيا فى عينيه ،
وادركت انا عمق جرحه لاسيما وهو من رهافة الحس بحيث تسيل عواطفه سيلا ،
واشفقت عليه من الشعور بانقرية ، واستعراضه لحياة أبيه ، ثم تفكيره فى
احتضاره وهو بعيد عنه ، فبالغت فى دنوى منه ، وحدثنى عليه ، ونقلته الى بيتى
لقضاء يومين او ثلاثة تحاشيا من شدة الصدمة ، وفى بيتى زاره الكثير من معارفى
ومعارفه معزين ، وهنا رأى لونا جديدا من التعزية والسلوان والعواطف مما
خفف عليه الالم ، والنجف من هذه الناحية ناحية سبك العواطف فى الادب

وصياغة التعزية تكاد تكون منفردة وقد سمع اسكندر امثالا كثيرة سيقت له على سبيل العبرة والموعظة ، وسمع حكايات كثيرة نقلت له على سبيل التسلية انتزعها من تاريخ ابي عبدالله الحسين (ع) وسمع عبارات كادت النجف تنفرد بها في مقام التعزية من قبيل :-

• عظم الله لك الاجر •

• وجعلها الله خاتمة الارزاء •

• وصبرك الله على بلواه •

• وقد عملت مثل هذه التعابير والحكايات عملها في نفس اسكندر •

واسكندر من كتاب القصة اللامعين ، وهو من المحدين البارعين يتقن لحد كبير حبك الحديث وتطعيمه بالثكنة والتفنن في السيطرة على السامع اذا تحدث ، واستلفات انظار القراء اذا كتب ، ونقل السامع والقارىء الى عالم زاخر بالادب والمرح الجذاب ، لذلك كان اسكندر اكبر قوة استعنت بها انا يوم استقلت من التدريس واصدرت جريدة (الراعى) ثم اصدرت (الهاتف) حين اغلقت الحكومة جريدة (الراعى) ، وقد ترجم اسكندر في (الراعى) سلسلة من مقالات برتراند رسل ، ومواضيع اجتماعية ذات شأن كبير نقل بعضها من الانكليزية والبعض الاخر من الفرنسية •

وحين زرت كمبرج بعد مرور ست عشرة سنة على ترجمة اسكندر حريق لمقالات برتراند رسل ونشرها في (الراعى) اسعدنى الحظ برؤية الفيلسوف العظيم برتراندرسل في مقر جامعة كمبرج ، وفي سياق الحديث ذكرت له قيام جريدتي بنشر سلسلة من مقالاته ، فقال رسل انه يذكر انه قد كتب له يومذاك بان جريدة تصدر في العراق قد قامت بترجمة بعض مقالاته ، وقال انه لايعرف العربية ولكنه قد قيل له ان المترجم قد وفق توفيقا باهرا في نقل افكاره من الانكليزية الى العربية وقد حملنى اسنى تحياته وعميق شكره الى المترجم ، وحين نقلت حديثه

الى اسكندر حريق قال - لقد كنت انا الذى كتبت له بشروعى بترجمة مقالاته
ونشرها فى (الراعى) وقد بعثت له بعض الاعداد من الجريدة •
قلت له مازحا - اذن فانت الذى كتبت لبرتراندرسل مادحا نفسك ، ومطريا
ترجمتك ؟

قال وهو يضحك - ولم لا •••••

ثم تحول الحديث الى جد وقال اسكندر - انه قد تلقى من (رسل) كتابا فى
وقته يقول فيه انه قد قرأ ترجمته لمقالاته عن طريق احد طلابه العرب فى الجامعة ،
ويسره ان يعرف بانه كان موفقا كل التوفيق فى نقل افكاره الى العربية وانه يشكره
كثيرا على ذلك •

* * *

وكتب اسكندر فى (الراعى) و (الهاتف) عشرات القصص والمقالات وقد نقل
الشيء الكثير من أدب الانكليز والفرنسيين مما لم ينقل من قبل الى العربية ، وقد
قمت انا بنشر مجموعة من قصصه جمعتها من جريدة (الهاتف) باسم (عشرون قصة)
كان قد ترجم بعضها عن مكسيم غوركى ، وهانس اندرسن ، وتولستوى ، وجان
نروادا ، واوسكار ويلد ، وانطون تشيكوف ، وميخائيل لرمنتوف ، ووضع بعضها
بقلمه ، وبلغ به التواضع ان ذكر لى يوم نويت ان اطبع كتابه هذا قائلا انه لا يرى فيما
ازمعا عليه أية فائدة مرجوة للبلاد او للجيب من طبع كتابه هذا ، وبالغ فى تواضعه
وظرفه قائلا وياليت فى قدرة هذا الكتاب ان يحقق أمل ابى يوسف حين لم يستطع
ان يسدى للمعلم والوطن شيئا ، فسألته عن قصة ابى يوسف فقال :-

« كان صديق يقرأ مقدمة كتاب لابى يوسف وقد قرأ فى هذه المقدمة قول

ابى يوسف :-

« والذى دعانا الى تأليف هذا الكتاب هو خدمة العلم والوطن » فقال له

الصديق :-

أهى خدمة العلم والوطن ام خدمة ام يوسف والاولاد ؟ »

ثم اورد اسكندر الحكاية المقدمة فى مقدمته من كتاب (عشرون قصة) ،
ونفدت الطبعة من كتابه هذا فى شهر واحد •

* * *

وفى سنة ١٩٣٦ كنت مصطافا بضمهور الشوير بلد اسكندر حريق الجميل ،
وكان اسكندر كعادته فى كل صيف يبحث جادا عن زوجة تلائمها فلم يوفق وذلك
لما كانت تكلفه التى كانت تقع تحت اختياره من شروط ثقيلة لا قبل له بها وقد هدد
ذات يوم مازحا ، لقد هدد ونحن فى مجلس حافل بعدد من عائلات ضهور
الشوير قائلا :-

- لعنى الله ان نم ادخل فى الاسلام واتزوج بمئات النساء نكايه بعنصر
المرأة المسيحية واطل اتزوج واطلق الى ما شاء الله •

ولكن اسكندر فى هذه المرة عثر على بغيته وكانت الشروط ملائمة ، والفتاة
جميلة ومؤدبة ، وقد اعدت العدة لعقد الاكليل الزواج فى اليوم التالى ، ولاسكندر
حقوق كثيرة عند الكثير من بلده وغير اهل بلده لما اتصف به من دماثة وخلق كريم
فلا بأس ان يكون لزواجه وقع فى النفوس وتحفز لحضور الاكليل •

وجاءنى رسول منه يستعجلنى الى بيته قائلا انه قد تركه فى حال من
الاضطراب لا يوصف ، وكان الوقت ظهرا وكنت قد القيت بنفسى على سريرى
فى اوتيل سنترال بضمهور الشوير ، فخففت اليه واذا به يتقلب فى فراشه كمن
لدغته افعى والدموع تتحادر من عينيه ، والى جانبه اخته الانسة (زلفا حريق) تصب
الدموع صبا واخته (مارى) وكانت اقدر من اختها زلفا على الجلد أو أنها لم تكن
تعرف سبب هذا النحيب وكانت تقدم له شيئا من الدواء الذى وصفه له الطبيب قبل
ساعة لتهدئة الاعصاب - ، وظلمت اكثر من ساعة وانا احاول ان اعرف الطارىء ،
وظل الاخ والاخت يسعيان لتتغلب على ثورتها النفسية حتى اتيح لى ان اعرف

الحكاية ، والحكاية ليست مشكلة مستعصية ، ولكن خلق اسكندر يجعلها من
المشاكل المستحيلة الحلول ، فقد علم اسكندر قبل ساعة بان ابنت التي خطبها كان
لها خطيب من قبل وانها

قلت - افلم تسأل عنها من يعرفها حين اقدمت على خطبتها ؟
قال - لقد سألت السماوات والارضين ، والناس لا يصدقونك القول ،
ولسان الحال منهم يقول :-

« شوبدى منو » .

فيكمون عنك كل ما يعرفون ، وتعدم النصيحة ، وهذا هو كل ما وقع
قلت - وهب انه كان للفتاة خطيب فما الضائر ؟
- قال ولكن لماذا احقني اهلها عنى الخبر ؟ ثم ألم تقولوا اتم (النجفين) فى
كل شىء من هذا القبيل - ألم تقولوا :

قد قيل ما قيل ان حقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قبيلا
ألم تستشهدوا بهذا البيت فى كل مناسبة من مثل هذه المناسبات ؟
قلت - بلى ولكن

قال - ولكن ماذا ؟ لقد قيل لى اليوم عنها اشياء كثيرة وانا لا اعرف
كيف اعمل لكى اجنبها هذه الاهانة اذا اردت ان الغى الزواج ؟ انها اساءة كبيرة
ان لم تكن جريمة ، فانا لا استطيع بعد هذا ان اتزوجها ، ولا استطيع ان اعلن
فسخ الخطوبة لاعرضها للاهانة ، ولا جعلها مضغة فى افواه الغادين والرائحين ؟
ترى ما الذى سيقول الناس عن هذه المسكينة ؟

وهدأت من قلقه ، وحملته على ان يواجه الكارثة بالحلم ، وان يفسخ
الخطوبة بطريقة معقولة مقبولة وليس هذا محل ذكرها ، وقد ضحى بكل ما انفقه
فى هذا السبيل من مال ، ولم يزل كلما يتذكرها يشعر بتأيب لا يستطيع ان يعرف
مداه من لم يعرف اسكندر بحقيقته حتى بلغه زواج الخطيبة بعد ثلاث سنوات ونجاحها
فى زواجها وهنالك استراح من تعذيب الضمير

وأحسن الله الى هذا الرجل الطيب الطاهر فهياً له بعد عدة سنوات زوجة

جمعت بين جميع مؤهلات الزوجة الصالحة ، من حسن تربية وأدب و إخلاص
وحدثت عليه وزاد حد بها عليه شيئاً كثيراً من مزاياه فقد سمت عاطفته أكثر ورق
طبعه أكثر وأكثر ...

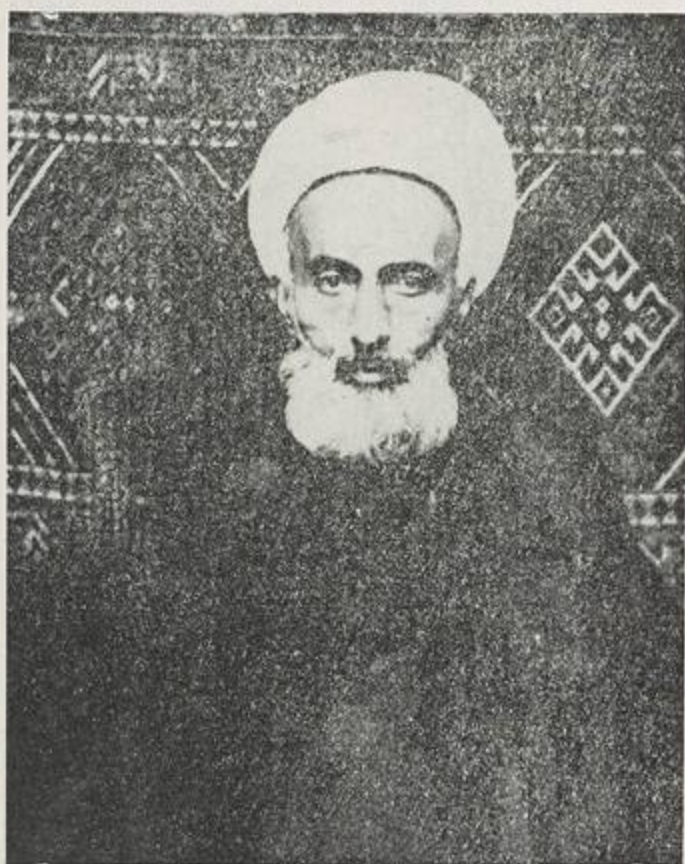
وحين ترك العراق بعد خدمة طويلة للمعارف والأدب عاد إلى الجامعة
الأميركية ببيروت وعمل فيها استاذاً من جديد ، ثم عمل بعد ذلك في شركة نفط
العراق ببيروت ، وانيطت به رئاسة تحرير مجلة أهل النفط وكانت الأقسام العربية من
مختلف الأقطار في هذه المجلة تتزاحم بحيث لم يكن مجال في المجلة إلا للقليل من
الكتاب العراقيين قبل أن يتولى أسكندر رئاسة التحرير ولكن أسكندر هو الذي
فج هذا الزحام وزاد من عدد الكتاب العراقيين في هذه المجلة على رغم قصر
المدة التي أدار فيها تحرير مجلة أهل النفط .

وزرت بيروت في ربيع سنة ١٩٥٧ وسررتني أن أجد أسكندر حريقاً متمتعاً بجو
عائلي بهيج ، وأنه استطاع أن يجد الزوجة الحبيبة دون حاجة لأن يضحى بمسيحيته
ويدخل الإسلام على حد مزاحه .

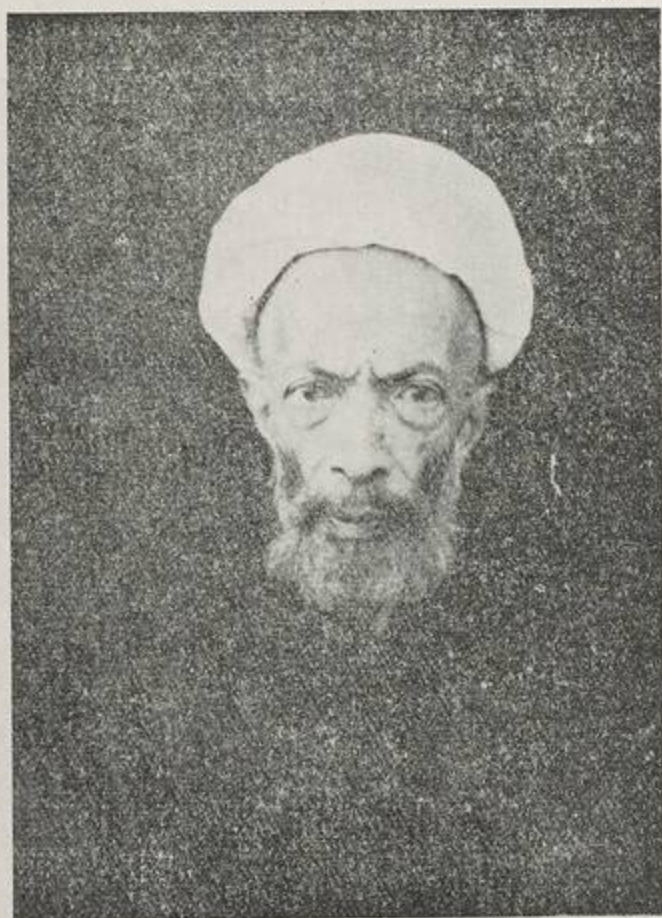
وتناولنا أنا والصديق حسن الأمين طعام العشاء في بيته واستعرضنا هناك
الماضي فإذا به يحن إلى العراق ، وإلى ناسه ، وإلى النجف وحياتها الحشنة حيناً
عميقاً ، وإذا به يقول أنه يحس بحاجة ما بعدها حاجة إلى استجمام روحه يضمه
له قضاء شهر واحد في ربوع العراق ، ولكنه توفي قبل أن يتسنى له الظفر
بتحقيق هذه البغية .

وأنا أقرأ خبر نعيه في الصحف كانت دموعي تحوط الخبر من جميع
أطرافه فكانت هذه الدموع أشبه بالاطرار الذي يحيط بالصورة .

لقد مات أسكندر ، وكان من القلائل الذين لم يكن له قبر واحد في بقعة
واحدة ، وإنما ترك في كل صدر من صدور عارفيه قبراً لمن يعفى ، وفي مقدمة
أولئك طلابه الكثر في الجامعة الأميركية ببيروت وناونيات العراق ودار المعلمين
ببغداد وصدور حملة الأقسام العربية الذين تعرفوا به من طريق أدبه ، رحمه الله ووفاه
حقه من خدمته الصادقة للعلم والأدب .



الشيخ عبدالكريم الجزائري



الشيخ محمد جواد الجزائري

الشيخ عبد الكريم الجزائري^[١]

كان ملء السمع والبصر يوم وعيت ، وكانت لمجلسه شهرة خاصة بين عشرات المجالس النجفية لاقتصاره في الغالب على طبقة تجمع بين العلم ، والادب ، والسياسة وتزن الامور بموازين تختلف مقاييسها عن موازين الكثير من مجالس النجف ، ومن هذه المجالس اى (الدواوين) كانت تنتشر الاخبار السياسية ، وغير السياسية ذات العلاقة بالعالم الداخلى والخارجى ، البعيد والقريب ، وكان المنبع الذى تستمد منه المجالس الاخبار الخارجية يومذاك هو بعض الصحف التى كانت تصل الى النجف بين آونة واخرى من اسطنبول ، وايران ، وبيروت ، والقاهرة ، وبغداد ، فتدخل بعض المجالس وتظل الالسن تلوك اخبارها الى ان تصل رزمة جديدة منها بعد اسبوع او اسبوعين ، واحيانا بعد شهر واكثر لعدم انتظام وصول البريد يومذاك وكان المنبع الاخر الذى تستقى منه هذه المجالس اخبارها هم (الجنّازون) والجنّازون هم حملة الجنّاز الذين يأتون بالجنّاز من مختلف الاصقاع وبغاية ما يستطيعون من السرعة خشية تفسخ الجثث ليدفنها في النجف فينقلون ما يعرفون من اخبار اصقاعهم ومواطنهم الى مضيفهم ومعارفهم ، ينقلها هؤلاء رأسا الى تلك المجالس بحكم العادة ، ومن هناك تنتشر في جميع اطراف النجف بسرعة البرق .

وعن طريق هؤلاء (الجنّازين) كثيرا ما تتضارب الاخبار وتتناقض ، ولكنهم كانوا كالراديو اسرع وسيلة يومذاك لوصول اخبار المدن وحروب القبائل وما كان يجد هناك ، وكانت هذه الاخبار تصل صحيحة تامة الصحة حيناً ، وملفقة بعض التلفيق او كل التلفيق احيانا اخرى .

(١) جريدة الايام - بغداد - العدد ١٠٠ - ١٢/٨/١٩٦٢

وكثيرا ماتعوز رواة الاخبار غير الصحيحة النجفة فيما يروون فيتكثون على
الجنّازين ويتخذون منهم سندا فيما يروون قائلين :-

« روى ذلك جنّاز ورد على آل العادلي مثلا او آل حموزي »

وللسخرية بالاخبار غير المنطقية او الحوادث المستحيل وقوعها يقول النجفيون
عنها : انها اخبار (جنّازين) ، وذلك كثيرا ما يتفكّهون في صوغ الاخبار الفكهية
على السنة (الجنّازين) فيقولون مثلا ان البابا الاعظم ينوي ان يؤسس في الفاتيكان
مقبرة واسعة يعارض بها مقبرة النجف ، ويدعو أهل الجنّاز ان يدفّنوا جنّازهم
فيها بدلا من دفنّها في النجف ، ثم ينسبون الخبر الى (الجنّازين) قائلين - روى
ذلك جنّاز جاء من ايطاليا حديثا ونزل على (آل الملك) أو (آل مال الله) مثلا ،
وآل الملك وآل مال الله اسرتان من الاسر النجفية المعروفة .

ومع ذلك فكثيرا ما تصل الى النجف اخبار صحيحة وسريعة عن المدن
العراقية والقبائل وما كان يجد في الاطراف بواسطة هؤلاء الجنّازين .

وهناك عامل آخر ذو شأن في اتصال النجف بالعالم الخارجي وهو كثرة من
يخرج من النجف من طلاب الدين والمشايخ ومن يرد اليها منهم وكثرة الزوار
الذين يؤمّون النجف من مختلف الاطراف ثم الرسل الذين يحملون المكاتب من
العلماء والرؤساء في الخارج الى العلماء والرؤساء في النجف بقصد الاستفتاء أو
التوسط في قضاء بعض الحاجات العامة والخاصة ، فكان كل هذا عاملا خطيرا في
نقل الاخبار الى تلك المجالس وانتشار تلك الاخبار عن طريق المجالس ، هذا
مضافا الى العدد الكبير من الوجوه وكبار الشخصيات الرسمية والاهلية ورؤساء
القبائل الذين يؤمّون النجف في مختلف المواسم فيصدون اول ما يقصدون - بعد
زيارة مرقد الامام - اصحاب تلك المجالس توددا لهم وتكريما لشخصياتهم أو
لداع من مصالح واستشارات وتبادل اراء بين ارباب تلك المجالس حول المسائل العامة
أو الخاصة لذلك كانت النجف اكثر مدن العراق على الاطلاق اتصالا بالعالم الخارجي
البعيد والقريب لكثرة ما كانت تعطى ، وكثرة ما كانت تأخذ من الاخبار والحوادث ،

وهذا ما ساعد النجف على ان تكون موضع التفات الاقطار الاسلامية والاقطار العربية فضلا عن قيمتها الروحية والعلمية والادبية ، وهذا ما جعل النجف اسرع المدن في تجاوب الافكار لذلك لم يكن غريبا ان يكون الشيخ محمد رضا الشيبسي والشيخ على الشرقي من اوائل من أبّن الباخرة (تيتانك) ووصف غرقها واحاسيس ركابها في اثناء الغرق ، وكان لتلك الاتصالات او الصادرات والواردات كما يسميها أحمد الصافي النجفي متفكها شأن كبير في قيمة مجالس النجف يومئذ وما كان لها من اثر سياسي ، وعملي ، وادبي في الاوساط مما قد اشرنا اليه في هذه المجموعة من قبل :

فصادرات بلدتي مشايخ وواردات بلدتي جنائز

ومجلس الشيخ عبدالكريم الجزائري كان في الطليعة من حيث اتصال الخارج به ، ومن حيث زيارة الوجوه له ، ومن حيث تلقيه الرسائل من مختلف الجهات وما كان له من قيمة في تكوين الرأي العام وتوجيهه والوقوف به مواقف مشرفة في دنيا الوطنية والتحمس لقيام المشروطة في ايران والانقلاب العثماني ، والمطالبة باللامركزية للعراق في العهد العثماني والتحفيز لطلب الاستقلال التام بعد الاحتلال البريطاني ذلك لان الشيخ عبدالكريم كان ذا جوانب متعددة ، ووجوه متنوعة ، وملكات ، ومواهب ، وقابليات ظهرت باجلى مظاهرها في ميادين البحوث العلمية والادبية والتجديد فضلا عن النضج السياسي المعروف .

فاذا عدّ العلماء كان للجزائري مقامه المرموق بينهم واذا عدّ الادباء كان الجزائري في الرعيّل الاول منهم واذا عدّ كبار ساسة النجف كان الاول بعد ان مات الشيخ جواد الجواهري ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ، لذلك كان لمجلس الجزائري شأن خطير في تاريخ المجالس النجفية .

وكنت اسمع باسم الشيخ عبدالكريم الجزائري واسمع باسم مجلسه وانا صبي ، اسمع به مرددا على لسان ابي وعلى السنة اعمامى حينما تجيء المناسبة ، اما اين هذا الجزائري ؟ وما هي اوصافه من حيث الشكل والهيكل والصورة ؟

فهذا ما تم اكن اعرف عنه شيئاً لاني لم ادلف بعد الى المجالس النجفية لارى هؤلاء بعيني بعد ان سمعت باسمائهم باذني ، ولكنني استطعت ان اعرف بعد زمن ان الشيخ محمد جواد الجزائري ، هذا الذي يندفع كالسيل اذا ما تحدث ، والذي لم تهدأ ثورته ، ولم تخمد جذوة حماسه الوطني ، هذا الشيخ لم يكن الا الاخ الاصغر للشيخ عبدالكريم ، لا لاني كنت قد رأيت الشيخ محمد جواد غير مرة في بيتنا وفي حجرة اخي الاكبر عباس الخليلي بمدرستنا فحسب وانما لان ثورة النجف التي اشترك في تنظيمها كل من السيد محمد علي بحر العلوم ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والشيخ محمد علي الدمشقي ، واخي عباس ، وأججوها نارا حامية ، وقد جعلت اسم الشيخ عبدالكريم يحتل من ذهني اكبر مجال عن طريق ذكر اخيه الشيخ محمد جواد الجزائري •

اما ثورة النجف فهي الجذوة والشرارة التي اراد هؤلاء الاربعة ان تكون مبعث الثورة العراقية الكبرى ففشلوا ، وكانوا قد دبروا الامر تديرا اعوزه الكثير من الاحتياط والعمل ، اذ اكنفوا بالاتصال ببعض القبائل وعلى الاخص (العوابد) و (آل علي) و (الحواتم) وادخلوا في اليمين بعض رجالات القبائل مثل مرزوق العواد ووداي العلي ، وسلمان الفاضل ، ومشكوف من شيوخ بني حسن (الحواتم) وعدد كبير من شيوخ النجف وحملة السلاح كالبوگلل ، وكاظم صبي ، وكريم الحاج راضي ، وعباس علي الرماحي ، والحاج نجم الذي كان له شأن يذكر وغيرهم مثل محسن ابي غنيم ، واقسم الجميع على ان يحملوا السلاح في وجه الانكليز ساعة تنطلق اول رصاصة من النجف وادار المؤتمر السري المؤامرة ادارة متقنة ، وعينوا يوم النوروز موعدا للثورة ، ولم يكن ذلك كافيا ، لان ثورة يراد لها النجاح المضمون لتتطلب دراسة اعمق ، وخبرة اوسع للناس ومدى تضحياتهم وما يملكون من استعداد قبال تلك القوة ، وكيفما كان الامر فقد ثارت النجف في الموعد المضروب وقتل الحاكم الانكليزي (الكابتن مارشال) ولكن الثورة ظلت ثورة محلية ، ذلك لان سلطة الاحتلال كانت قد احست في الوقت المناسب بالثورة

وتغلغلها بين العشائر فأسرعت لاتخاذ التدابير والاحتياطات الكافية لحصر الحركة في محلها والحيولة بينها وبين اشتراك القبائل فيها .

وفشلت الثورة وحارب النجفيون وحدهم ، وأبلوا بلاء حسنا . ودخل الانكليز المدينة بعد حصار دام اكثر من شهر ونصف شهر فتم القبض على زعماء الحركة ، وكان السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري في مقدمة المقبوض عليهم وحوكم الثوار عسكريا ، وتم اعدام احد عشر شخصا منهم وزج اكثر من مائة رجل في السجن وتقرر نفيهم الى سمريور في الهند ، اما اخي عباس الخليلي فقد كان الشخص الوحيد الذي فرّ ونجا باعجوبة فحكم عليه بالاعدام غيابيا ، ولكيفية اختفائه وهروبه قصة طويلة ليس هذا محل شرحها .

واما الشيخ محمد جواد الجزائري ، وبحر العلوم فقد انجاهما من الحكم بالاعدام توسط أمير المحمرة الشيخ خزعل في أمرهما فصفدا بالسلاسل وارسلا ليقضيا سجنهما في الهند عن طريق بغداد وعند مرورهما بالبصرة جدّد الشيخ خزعل توسطه فاطلق سراحهما ، وبقي عند الشيخ خزعل بخرم شهر (المحمرة) نحو سنة الى ان اذنت سلطة الاحتلال لهما بالعودة الى النجف فعادا .

ويعتبر الشيخ خزعل من أكثر المخلصين للشيخ عبدالكريم الجزائري ، ومن مقلديه والمقتدين به والآخذين برأيه والمطيعين لامره ، لذلك كثيرا ما كان الجزائري بتوسط لدى الشيخ خزعل في حل الكثير من الازمات العامة والخاصة وما كان يقع بين الحكومة العثمانية والایرانية والقبائل في تلك الجهات بل كثيرا ما استعمل الجزائري وساطته لحمل الشيخ خزعل على الاسهام في المشاريع العامة فكان الشيخ خزعل اطوع له من بنانه ، حتى وقعت الحرب العامة الاولى ، واعتبرت هذه الواقعة حربا بين الكفار والمسلمين بنظر رجال الدين ، اضافة الى كره الشيخ عبدالكريم الشديد للانكليز ، فكتب الجزائري الى الشيخ خزعل يأمره بوجود تجهيز حملة من القبائل ودخول الحرب الى جانب العثمانيين ، ولكن الشيخ خزعل كان على خلاف تام من هذه الناحية مع الشيخ الجزائري فرد عليه معتذرا وشارحا له استحالة

قيامه في وجه الانكليز فقطع الجزائري علاقته بالشيخ خزعل منذ ذلك اليوم ولم يعد يذكره بخير أو شر كما هي عادته في القطيعة ، وسعى الشيخ خزعل لاسترضاء الشيخ الجزائري بمختلف الوسائل والوجوه فلم يوفق ، حتى حدثت ثورة النجف ، وسبق الشيخ محمد جواد الى المحكمة العسكرية فوجد الشيخ خزعل في هذا الحادث الفرصة الصالحة التي كان ينشدها للصلح مع الجزائري وسعى بكل ما في وسعه لاطلاق الشيخ محمد جواد ، ثم تودد وتوسل ، ولكنه اخفق ولم يفز حتى بكلمة شكر واحدة من الشيخ الجزائري على توسطه لانقاذ اخيه ، ولكن صلات الشيخ خزعل بالشيخ عبداللطيف الجزائري وهو الاخ الاصغر للشيخ عبدالكريم قد ظلت على حالها ، وعلى اساس هذه الصداقة قد شاع في اوساط النجف حينما خطر للشيخ خزعل ان يرشح نفسه لعرش العراق انه قد دفع للشيخ عبداللطيف الجزائري مبلغا قدره عشرون الف ليرة عثمانية لينفقها في بث الدعاية وتهيئة الرأي العام لهذا الترشيح وشاع ان الشيخ عبدالكريم ما كاد يسمع بهذا الخبر حتى ثار وقامت قيامته في وجه اخيه الشيخ عبداللطيف ولم يعرف بعد مدى صحة هذه الاشاعة ، ولكن المؤكد ان قطيعة ما لزم من ما كانت قد حدثت بين الشيخ عبدالكريم والشيخ محمد جواد من جهة وبين اخيهما الشيخ عبداللطيف من جهة اخرى ، بيد انه ليس هناك من يستطيع ان يعين السبب الحقيقي لتلك القطيعة ، وهل كانت بداعي تلك الاشاعة ، او بداع اخر ، ذلك لان الشيخ عبدالكريم الجزائري لا يدع لاحد مجالا ان يستشف كوامنه ، فقد كان عف اللسان ، كثير الاحترام لخصومه بحيث لا يكون من السهل الوقوف على رأيه اذا كان غير مرضى في الاخرين ، وانا من القلائل الذين يعرفون ان العلاقات بين الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء لم تكن حسنة ، كما لم تكن العلاقة بينه وبين المرجع الروحاني السيد محسن الحكيم على ما يرام ولكن ليس هناك من قد عرف هذا من الشيخ عبدالكريم الا القليل القليل .

ولشدة تعلق الشيخ خزعل بالشيخ عبدالكريم قبل القطيعة كان قد شاع في

وقته ان الكتاب الذى تم تأليفه باسم (الرياض الخزعليه) والمنسوب الى الشيخ خزعل انما الفه الشيخ عبدالكريم الجزائرى ونسبه للشيخ خزعل والواقع ان الشيخ عبدالكريم اكبر بكثير من ان ينسب له مثل هذا الترتلّف وانما الكتاب هو من تأليف الشيخ محمد الهر ، أو الشيخ محمد خشاف كما حققته بنفسى فى حينه ونسيت الان ايهما كان المؤلف لبعد عهدي بذلك والكتاب المذكور - وقد قلت الان نسخه - نفيس جدا من حيث مواضيعه وابوابه واهدافه الادبية ولقد قرأته فى مقبل شبابى قراءة ممعن يطلب الافادة والمتعة الادبية .

ومن داخل السجن بغداد وهو فى طريق المنفى نظم الشيخ محمد جواد الجزائرى بعض الشعر الوطنى الذى يفيض بالحماسة ومن ضمنه القصيدة التونية التى يشير فيها الى الثورة النجفية فى قوله :-

عشقنا المنون وهما بها	وعفنا باطحنا والحجونا
وقمنا بها عزمات مضاء	ابت ان نسييس الردى او نلينا
وصنا كرامة شعب العراق	وكنا لعلياه حصنا حصينا
وخضنا المعامع وهى الحمام	ندافع عن حوزة المسلمينا
وجحفل اعدائنا الانكليز	يملا سهل الفلا والجزونا
وما ضامنا ثقل ذلك الحديد	اذا ما قضى للعلاء الديونا

ومن طهران يشير عباس الخليلى الى هذه الثورة من قصيدة مطلعها :

أما وغمام يشبه الظلم اسودا ورعد حكى قصف المدافع بالصدى

الى ان يقول :

رويدا رجال الانكليز ومهله	ان اليوم أسرفتم فان لنا غدا
وان قصرت اقدامنا عن خطاكم	مددنا الى ما فوق هامكم يدا
يحييكم اهل العراق على النوى	فتى فى سبيل المجد أمسى مشردا
تحية عان كلما هبت الصبا	ينوح كما ناح الحمام مغردا

ان اليوم اطلقت اللسان بحكم
عواطف لا تنفك تغلى بمهجتي
فبالاس عنكم قد سللت المهندا
الى ان ارى فوق الصعيد موسدا

وحين جرى نفى عباس الخليلي من ايران الى العراق من قبل السلطة الايرانية
لسبب سياسي آخر وذلك في سنة ١٩٣١ على ما اذكر شرع وهو يلقي أول نظرة
على ارض العراق بعد خروجه منها بنظم قصيدة بدأها عند اجتيازه الحدود الايرانية
العراقية في السيارة واتمها قبيل دخوله بغداد وكان لهذه القصيدة يومها وقع كبير
في النفوس تقطف منها هنا بعض ما يتعلق بحادث الثورة المذكورة اذ يقول :

قبلت منك بعيني الارض لا يفمي
وجف دمي فرواك الحشا بدمي
عفرت بالترب وجهي اذ سجدت ضحي
فاب للسعي رأسي فيك عن قدمي
وكاد ينطق طرفي بالسلام على
ارض العراق فهذي أدمعي كلمي
ما ادمع واللفظ الا لؤلؤ رطب
خلطت متشرا منه بمنتظم
ارخصت درا غلامن ذا وذائك على
معالم للعلى والعز والكرم
رضعت فيك لبان المجد من صغر
فلمست حتى الردى عنه بمنفطم
ما الرافدان وان ساغا بعذبهما
يبردان غليلي منك بالشميم
ضحيت انسان عيني بالبكاء على
ثرى كفاه دم القتلى عن الديم
كم من كمي تردى فيك ثوب ردى
وكم أبي بسهم الثابتات رمى

وكم طريد مضي والويل رائده
 فاتابه الحثف في الاجام والاكم
 قد شردتني منك الحادثات وقد
 ردتي اليوم ، فلتبتك عن همي
 انا الذي هدّ ركنا من عدك كما
 قد شاد للمجد ركنا غير منهدم
 جدنا بانفسنا نحمي حماك فلا
 نرضى لك الذل ان قيل العراق (حمي)
 متى تربى لك الايام مثلى من
 ان خانه السيف يوما قام بالقلم
 يا حسنها ساعة ردت اليك فتي
 ما كان يرجو اليك العود في الحلم

وازيح الستار وعرف الناس رجال الثورة النجفية ، ولع اسم الشيخ عبدالكريم
 الجزائري اكثر باعتباره الاخ الاكبر للنائر الكبير الشيخ محمد جواد ، بل قال
 الكثير ان الثورة النجفية لم تكن خالية من اصبع للشيخ عبدالكريم ، وحتى اليوم
 والكثير يعتقد ان الشيخ عبدالكريم قد اسهم في الثورة النجفية من خلف ستار ،
 وكان لمجلسه وتردد القبائل والرؤساء عليه شأن في ربط اولئك الزعماء بالثورة
 النجفية وقد أيد هذا الرأي ما اصاب الجزائري بسبب فشل هذه الثورة من هياج
 وعدم استقرار والتوجه بكله الى السعي لجمع الكلمة وتنظيم الامر من جديد والعمل
 مع الميرزا محمد رضا الشيرازي ابن الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي مفجر
 الثورة العراقية من جهة ومع قبائل القرات من جهة اخرى
 للقيام بثورة جديدة اذا بقي الانكليز مصرّين على عدم اجابة مطالب الشعب ، والحق
 انه لم يكن الشيخ عبدالكريم الجزائري وحده الذي نهض بالثورة ومهد لها في
 النجف وانما كان الشيخ عبدالكريم من اشدّ العاملين في بثها ومن اكثرهم حماسا

وحرارة وانفماسا تحت ظل الامام ميرزا محمد تقى الشيرازى ، وكان ممن افاد من فضل الثورة النجفية فائدة جنبت الثورة العراقية الكبرى كثيرا من مواقع الزلزل، وكان مجلسه فى هذه المرة بمثابة مجلس القيادة السرية التى وضعت الخطط وهيأت الرأى العام للمطالبة بالاستقلال حتى كان احد المندوبين الاربعة الذين انتخبوا لتقديم المطالب الشعبية الى سلطة الاحتلال باسم الشعب العراقى .

وحين تألفت اول حكومة عراقية كان نشاط الشيخ عبدالكريم الجزائرى مضرب المثل فى الميدان السياسى فقد وقف منذ اليوم الاول موقفا سليبا تجاه ما يسمى بالوصاية والانتداب والحماية من حيث اللفظ والمعنى ، وهو اول من ندد بمقام المستشارين الانكليز بالصورة التى وجدوا بها ، فقد كان يرى ان وجود المستشارين كفتنين ترجع اليهم الحكومة بقصد الاستشارة فى الامور الادارية والفنية والعلمية امر صحيح ، بل ولازم لدولة فنية لم تمارس عملا خطيرا كهذا ، ولكنه لم يكن يؤمن بان المقصود من ايجاد الاستشارة هو الاستشارة الصحيحة والا لما داخل الناس الشك فى حقيقة الحكومة العراقية خصوصا وقد كان للمندوب السامى كل القيمة فى كيان الدولة والحقيقة هى ان مفهوم الاستشارة كان كل شىء فى الحكومة يومها ولذلك تلقى الناس قول الشيخ باقر الشيبسى :

المستشار هو الذى شرب الطلا فعلام يا هذا الوزير تعربد

لقد تلقى الناس قوله هذا بالشىء الكثير من الايمان بالواقع

وحين مرّ الملك فيصل فى اول طوافه بالفرات هزجت قبيلة آل قنلة

(بالهوسة) المعروفة وهى تخاطب رئيسها الشيخ عبدالواحد هازجة :

« يوحيد صبح يومجبعينه »

اى هل ان هذا الملك ملك حقا ام انه مغطى ومستور بالعباءة ؟

اما الشيخ محمد جواد فانه كان يذهب الى ابعد من ذلك فانه لم يكن يعترف

حتى بوجود الحاجة العلمية والفنية والتجربة الادارية للمستشارين لذلك سمع مرة

وهو يصيح بعلى صوته امام الملك فيصل الاول وأكابر العلماء مجتمعون عنده في الحرم المقدس حيث جرت العادة ان يجتمع العلماء مع الملك كلما قدم النجف لقد سمع الشيخ محمد جواد يصيح :-

- اطرودوا هؤلاء المستشارين ، اطرودهم فليس لاستقلالكم حقيقة وهؤلاء موجودون في مراكز الالوية ، ولم تعجب هذه الطريقة من الكلام الهائج النائر اخاه الشيخ عبدالكريم خصوصا وانه كان يرى وجوب تحديد عمل المستشارين تحديدا صحيحا واقعيا الى ان يحين الوقت الذي يتم الاكتفاء منه بقدرة العراق على ادارة شؤونه لذلك حال بعدها بين اخيه وبين حضور مجلس الملك حين كان يقدم الملك الى النجف وكان الملك فيصل يسأل عن الشيخ محمد جواد فيجاب في كل مرة بعذر من الاعذار •

وظل الشيخ عبدالكريم يلح على وجوب تحديد سلطة المستشارين الى ان حمل هو وليس غيره حمل الحكومات العراقية على الاسراع في تقليص نفوذ المستشارين ، ولعل ياسين الهاشمي الذي نال تأييد الشيخ عبدالكريم في جميع خطواته السياسية كان قد اشترى هذا التأييد بانتهاج سياسة الشيخ عبدالكريم قبال الانكليز ونفوذهم ومعارضته للمعاهدة بناء على معارضة الجزائري العيفة ، فلقد ايد الشيخ عبدالكريم سياسة الهاشمي تأييدا يكاد يكون مطلقا ، وحمل العشائر على الالتفاف حول الهاشمي نتيجة لتفاهم السياسي الذي كان قد تم بينه وبين الهاشمي في النجف وفي بيته نفسه •

واتهمت سياسة وزارة الهاشمي الداخلية بالتحيز الطائفي ، ونال الشيخ عبدالكريم شيء من لوم الناقمين على الهاشمي لتأييده اياه ، وذات مرة وانا عنده وجدت احد حضار مجلسه جريئا في انتقاد الهاشمي وفي لوم الجزائري على تأييده قائلا :- ان وزارة الهاشمي قد اغلقت ابواب الوظائف في وجوه الشيعة ، فقال الشيخ عبدالكريم وهو يضحك :

- ألم تر ان ذلك حق من حقوقهم ، فلقد كان العهد العثماني ، وكانت الوظائف كلها لهم ، ومقتصرة عليهم ، وكان الشيعة زاهدين فيها ، اما اليوم فلم يدع الشيعة طريقا لم يلجوه لاختطاف هذه الوظائف من ايدي اصحابها ، فهام اولاء الداخلون عليهم من الابواب ، والوالجون من الشبايك ، والمتسلقون للحيطان والنازلون عليهم من السطوح ، فلم لانسمى الدفاع عن مصالحهم ضربا من ضروب تنازع البقاء ؟ افلم يكن هذا اصح من تسميته بالطائفية ؟

لقد قال ذلك وهو يضحك ، وكان لوصفه و اشاراته بيديه حاكيا كيفية نزول طلاب الوظائف من السطوح والدخول من الشبايك وثقوب الحيطان والولوج منها داع آخر لضحكت حضار مجلسه .

وظل الشيخ عبدالكريم الجزائري زمنا طويلا وهو موضع استشارات كبار الساسة العراقيين ورجال الحكومة خصوصا في الادوار الاولى من تشكيل الحكومة العراقية وخصوصا في اثناء عقد اول معاهدة عراقية وبروتوكولها ، وكان له في هذه المعاهدة رأى أخذ ببعضه ولم يؤخذ بالبعض الاخر .

الى هنا كان ذهني مشحونا باخبار الشيخ عبدالكريم الجزائري الوطنية والسياسية وكانت بطولة اخيه الشيخ محمد جواد وجرأته وايمانه قد شغلت كل فراغ في نفسي ، وانا الان في نهاية العقد السادس استطيع ان اؤكد اني لم اشهد حتى اليوم من يشبه الشيخ محمد جواد وطنية ، وشجاعة ، وتدقفا كالسيل في ميادين الثورة على الفساد ، وعلى الضلال والظغيان ، دون ان يمازج نفسه خوف من اى شىء .

ونقلتني السنين من صبي صغير الى شاب يافع وبدأت اخطو بعض الخطى في قراءة الادب والتعرف بالادباء التحفيين عن بعد وعن قرب وصرت ارتاد المجالس واسمع ما يدور فيها من احاديث أدبية وطرائف فنية ومناظرات ومساجلات يرجع اليها وحدها فضل صقل الذهن ونمو القابليات الفكرية والفنية عند المتأديين فتعرفت عن طريق هذه المجالس بالكثير من الادباء الذين ماتوا ولم ادركهم ، والادباء

الاحياء الذين كان يتألف منهم الرعيل الاول من ائمة الادب النجفى وكنت ارى كيف كان هؤلاء يدخلون المجالس وكيف كان يحتمى بهم ، ويبالغ فى احترامهم ، ويهمس البعض من الشبان فى اذن البعض بان الداخلى الى المجلس انما هو فلان صاحب القصيدة العصماء الفلانية ، والمساجلات الادبية المعروفة ، ويكاد الناس كلهم يعرفون لاولئك مزايهم حتى وان كانوا قد هجروا تعاطى الادب وزهدوا فيه ، ذلك لان كثيرا منهم ولاسيما العلماء كان يطلق قول الشعر ويصفى حين يضع اول قدم له فى مرحلة الكهولة ومع ذلك فان ذكريات شبابه الادبى تظل شاغلة اذهان الادباء والمتأدبين على قدر مالها من قيمة فى عالم الادب ، وفى هذه الذكريات يكون الشئ الكثير انذى يحفظ ولا ينشر من مساجلات ، ومناظرات ، ومدائح وغزل ، ومهاجاة واقعية وغير واقعية ، ودعابات لها قيمة كبيرة فى بناء الادب الحى وكان الشيخ عبدالكريم الجزائرى فى شبابه وحتى الى اوائل دور الكهولة من هذه الزمرة فى الطليعة وقد ترك حين طلق قول الشعر الكثير من الاثار التى تستشهد بها النجف فى موضع الاستشهاد الفنى فكان لشعره ثمن كثيرا ما حمل الادباء على مدارسته والتفكه بمناوشاته وتجرشاته الشعرية .

وكانت مجالس التهانى والاعراس ، ومجالس الفواتح والتأبين والمناظرات والمساجلات التى كثيرا ما يثيرها التباهى والتنافس والدعابة والتنفيس عن النفس هى السوق الذى يستغله الادباء ويتخذون منه مناسبة لعرض متوجههم الادبى فى النجف ولشد ما كان يفرح الشعراء حين يسمعون بعرض احد الوجاهة وخصوصا اذا كان هذا الوجيه ادبيا ، ولشد ما كانوا يفرحون حينما يسمعون بموت احد العلماء او الافاضل لان مباراة الشعر ستكون باوسع حدودها حتى وان لم يكن للشاعر كبير صلة بالعريس او الميت ، فقد كانوا يخلقون المناسبة خلقا ، وكانت هنالك طبقات وجماعات كل جماعة تضمها حلقة مستقلة يجمع بين افرادها التجانس النسبى ، وكان الشيخ عبدالكريم الجزائرى جزءا من حلقة تضم الشيخ جواد الشيبى والسيد جعفر الحلى والشيخ اغا رضا الاصفهاني والسيد باقر الهندى

والشيخ هادي الشيخ عباس واخرين ليرين وان لل واحد من هؤلاء وهم في دور اسباب علما من اعلام الادب الحى ، ولانت النكت وافكاهه الادبيه تلازمهم حتى في اشد الازمات فلقد لانوا مرة في الحوفه وقد نزلوا النهر سباحين ولم ينتقوا الا وقد اخذ الموج السيد جعفر الحلى واعرفه ، ولم يكن احد منهم يعرف السياحه فعلا صراخهم وعويلهم طالين النجدة وسمع هذا الصراخ رجل هناك من ال مواش يعرف سليمان ال كريم ، فاندفع الى النهر وبجهد جهيد انقذ السيد جعفر الحلى من الغرق فكان هذا الحادث موضوع مباراة بين تلك الحلقة عملت فيها الظرافة والدعابة عملها حتى السيد جعفر نفسه قد اسهم في تلك المباراة وكان من نظمه وهو يصور منقذه سليمان ال كريم قائلا :-

فسخر الريح سليمان له من ال مواش كريم معرفه

ثم انتهى آخر البيت من شعره بتاريخ هذه الواقعة وقد تضمنت القافية هذا التاريخ بكلمة واحدة هي (يفرقه) واقسم السيد جعفر ان التاريخ قد صنعه وهو بين الحياة والموت ولم يخرج الى البر ويتنفس حتى كان قد اكمل التاريخ ، والغريب في الامر ان تاريخ هذه الحادثة التي تجمعها كلمة (يفرقه) في حساب الجمل وهو سنة ١٣١٥ هجرية هو نفسه الذي صار تاريخ وفاة السيد جعفر الحلى فقدمات الحلى في تلك السنة نفسها التي ارخ فيها تاريخ مماته بنفسه !!

والدعابة عند النجفين بوجه عام وعند الشعراء بوجه خاص تكاد تكون طبيعة ثابتة ، وان الشعر النجفي الخاص مشحون بالوان من تلك الدعابات التي قد تفرغ احيانا في قالب من الهجاء المقذع بينما هي ليست غير دعابة ومزاح يحسن النجفي تمييزها ويصفق لها حتى وان كان هو المقصود منها بالذات *

سأل مرة احد شيوخ اسرة كاشف الغطاء الافاضل : السيد محمد القزويني - وآل كاشف الغطاء هم اخوال آل القزويني - لقد سأله جادا -

- ترى من هو العلووى الذى تناول التاريخ خؤولته بالطنن والتلب من حيث

النسب ؟

فاجاب السيد - نا!!

وكان بين الشيخ عبدالكريم الجزائري وبين السيد جعفر الحلبي كثير من هذه الدعابات المفرغة في قوالب يخالها السامع هجاء مرا في حين ليست باكثر من صور للمزاح عند الشباب من شعراء النجف في الجيل الماضي الذين كان يعوزهم التنفيس عن النفس في بلد قاحل كالنجف لا ماء فيه ولا خضرة ولا رواء فكانوا يستعيضون عن كل ذلك بالشعر وبالمزاح وما اصدق قول احمد الصافي مرة اخرى في وصف النجف حين يقول :-

صدق الذي سمآك في وادي طوى يا دار بل وادي طوى وعراء
جلست على الانهار بلدان السورى فعلام انت جلست في الصحراء

قرأ مرة الشيخ جواد الشيبسي ابياتا له كان يزعم ارسالها الى السيد جعفر الحلبي - وكان الحلبي يومها في زيارة لاحدى قرى الحلة - وكانت الابيات فائية القافية فوجد فيها الشيخ عبدالكريم الجزائري مناسبة مستملحة لاعادة نغمة (الكشفية) على سبيل المزاح ، والكشفية مذهب كان بعض اصدقاء السيد جعفر الحلبي ينسبونه له فكان الحلبي يهيج ويشتم ويتصل من الكشفية ويرميهم مقابل ذلك بما يجرى على لسانه فيضحكون ، وقد اخذ الجزائري الابيات الفائية من الشيخ الشيبسي ودس فيها هذا البيت :-

لئن اكشف غطاء الهجو يوما لساءك جعفر الحلبي (كشفي)

وليس من شك ان الشيبسي قد اشار الى السيد جعفر الحلبي بان البيت مدسوس من الشيخ الجزائري توقيا من هجوم الحلبي العنيف عليه وخوفا من شتائه . وبعد ايام تلقى الشيخ جواد الشيبسي رسالة من السيد جعفر وفي ضمنها البيتين التاليين :-

نح عبدالكريم عن حلبة الشعر فعار على ذوى الالباب
أعليك الحبول ويحك قلت فشددت السروج فوق الكلاب

ولم ينتشر هذان البيتان الا على لسان الشيخ عبدالكريم الجزائري نفسه . .
وبمناسبة هذه الدعابة اذكر ان الشيخ محمد جواد الجزائري كان قد
عارض قصيدة الطلاس لابي ماضي التي ينهى فيها ابو ماضي كل مقطع من موشحه
بكلمة (لست ادري) ، لقد عارضها الشيخ محمد جواد الجزائري بقصيدة على نفس
النمط معارضة رد فيها على فلسفة اللا ادريين ، وانهى كل مقطع من الموشح
بكلمة : (انا ادري) وما كاد الشيخ محمد جواد الجزائري ينشر هذه المعارضة
حتى تلقى رسالة في البريد وفيها بيت مغفل من التوقيع يقول فيه صاحبه :-

انت مجنون ولكن نست تدري انا ادري

وليس من شك ان الشيخ محمد جواد الجزائري لم يتلق البيت تلقى الرضا
وليس من شك انه لم يرتح من قائله ولكنه ما كاد يعرف فيما بعد ان قائل البيت
هو الشيخ على الشرقي حتى سكن وراح يروي الحكاية بنفسه لانه يقن ان المزح
في هذا القول هو الهدف الاول لقائله خصوصا اذا علمنا ان الشيخ على الشرقي كان
ممن درس على الشيخ محمد جواد الجزائري بعض الحين .

ولست ادري من قائل هذا البيت مزاحا في آل الطريحي ؟ ولكني ادري ان
آل الطريحي انفسهم لا يحجمون عن الاستشهاد به اذا ما دعت المناسبة وهو :-

اذا شئت الدلاوة تشتريها فقم واستنق من بيت الطريحي

ذلك لان الدعابة او الروح الرياضية تكاد تكون صفة ملازمة للتجفين كما
ذكرت :-

ومن المؤسف ان يفوت مؤرخي الادب النجفي تسجيل مثل هذه الصور
فيفوتنا بسبب ذلك الشيء الكثير من ابرع واروع الصور الادبية التي كانت تؤلف
جانبا له قيمته الكبرى في تعيين مدى الاستعداد الفنى والملكات والمواهب عند الاديب
النجفي في الجيل الماضي .

* * *

وكنا نحضر مجالس الاعراس والفوائح بقصد الاستماع الى ما كان يتلى فيها من الشعر ونكى نرى كبار الادباء عن كتب ونسمع تعليقاتهم على ما كان يتلى هناك، فقد جرت العادة ان تكون هذه المجالس عامة في مثل هذه المناسبات ، وكنا نعالج تقنية القصيدة المنشودة ، بان نعيّن القافية قبل وصول المنشد اليها بكلمة ، وحيانا نعيّن القافية ومنشد الشعر لم يزل في صدر البيت من انشاده متوصلين اليها من سياق المعنى ومقتضيات الشعر بل كثيرا ما كنا نتخذ من التقنية وسيلة تسلية وأنس كما قد اشرت الى ذلك في مكان آخر من هذه الصور واني لاذكر مرة ان مهدي الجواهري وكنا حوزة واحدة قد راهن بان يقفى من كل عشرة ابيات ثمانية ابيات من أية قصيدة وعرة القافية لم يسبق له ان قرأها من قبل كائنا من كان شاعرها على ان يكون الرهان نصف اقة او ما يقاربها من حلاوة كانت تعرف بالحلاوة المسقطية وكان لمهدي الجواهري مثل هذا الرهان فيما يتعلق باستظهار الشعر ، وتم الاتفاق فاستطاع ان يقفى الشعر بنسبة تسعة ابيات الى عشرة وكسب الرهان وأكلنا الحلاوة معا .

اجل لقد كنا نرى ونسمع كيف كان يقفى الذين سبقونا في نضجهم الادبي ، وكيف كانوا يعترضون طريق الانشاد اذا ما ورد البيت مغلوطا من حيث لغته واعرابه ووزنه ، وكيف كانوا يصححون البيت آتيا وبدون تأخير فيستلقون بذلك الانظار الى قابلياتهم ومواهبهم ، وقد تحدث بسبب هذه الاعتراضات مناقشات طويلة فتستمر اياما تقلب فيها المعاجم والكتب التاريخية والدواوين الشعرية رأسا على عقب بنية التحقيق والبحث عن اصل هذا الاعتراض وصحته، وقد عجمت هذه المجالس اعواد مرتاديا في الادب وجعلت لهم اذهانا حادة لفهم اية اشارة ادبية وارادة مهما خفيت خصوصا في الجنس والتورية والتواريخ الشعرية التي كثيرا ما تضمنت وجوب حذف عدد أو أكثر أو إضافة عدد أو أكثر الى التاريخ الشعرى ليستقيم التاريخ وينطبق على السنة المطلوبة فكان الجميع يدركون المقصود في الغالب بدون اي عناء .

حدث ذات مرة الشيخ عبدالرضا الشيخ راضى :-

ان السيد محمد العاملى وهو صديق حميم للشيخ عبدالكريم الجزائرى كان قد تزوج بالسيدة (هدى) فكانت مناسبة اديبة حملت الكثير على المباراة فى التهانى الشعرية بالنظر لمقام آل العاملى الادبى وكان الشيخ عبدالكريم الجزائرى من ضمن المتبارين وقد زاد الشيخ الجزائرى فيما فعل بان انهى البيت الاخير من قصيدته بايراد تاريخ الزواج فى الشعر ولكن حساب تأريخه الوارد فى عجز البيت كان يزيد اربعة على السنة المعينة لذلك كان قد تدارك الامر و اشار الى هذه الزيادة فى صدر البيت اشارة فنية وجعل التاريخ يتضمن اسم العروس تورية فكان بيته كما يلى :-

مذ طاح قلب (هدى) فى عرسكم جدلا

ارخت شمس (هدى) زقت الى القمر

قال الشيخ عبدالرضا : فصاح احد الادباء الحاضرين وكان قد حسب التاريخ آتيا وفاته الاشارة البديعية فظن ان فى التاريخ زيادة قد فامت الشاعر لقد صاح هذا الاديب باعلى صوته فى المجلس :-

- ان فى هذا التاريخ زيادة قدرها اربعة اعداد ، ووجم المجلس
وانشغل بالحساب بعض من لم يلتفت للاشارة فى حساب التاريخ ، ولكن الشيخ جواد الشيبى قطع هذا الوجوم بان صاح موجها الكلام للمعترض - قائلا :

- ولكن فهمكم للاشارة ينقصه اربعة ليستقيم التاريخ •

ودوى المجلس بالضحك ومااسرع ما استوضح الذين لم يلتفتوا لهذده الاشارة فواضحها لهم الآخرون ، وكان الدكتور عبدالرزاق محيى الدين حاضرا مجلس الشيخ عبدالرضا وهو يروى هذه الحكاية فى معرض الحديث من التواريخ الشعرية وما تستلزم من ادراك فنى حين يكون فيها شئ من الزيادة او النقصان فقال الدكتور عبدالرزاق وهو يضحك -

- يبدو ان فهمى ينقصه ثمانية ليستقيم الحساب لاني انا الاخر لم التفت
للنكته .

وهنا شرح الشيخ عبدالرضا الاشارة ابديعية فالمقصود (بقلب هدى) هو حرف
الذال الذى يؤلف القلب وهو الوسط من كلمة (هدى) والذى يساوى حسابه
اربعة فاذا (طاح) هذا العدد وحذف من مجموع العجز من البيت فى قوله :

مذ طاح قلب (هدى) فى عرسكم جذلا

ارخت شمس هدى زفت الى القمر

يكون مجموع ما بقى هو تاريخ السنة التى تم فيها عرس السيد محمد

العاملى .

وعلى ان الشيخ عبدالكريم الجزائرى قد طلق قول الشعر مع الشباب فقد
ظل الكثير من الادباء يروى الشيء الكثير من شعره دليلا على ما كان يمتاز به شعر
الجزائرى من براعة التصوير ، وجمال الاخراج ، وعمق الفكرة ، وقد ظلت
قصيدته فى رثاء المرجع الاكبر السيد حسن الشيرازى متلوة على افواه الكثير من
متبعي الشعر لسلاستها وحسن صياغتها ومن هذه القصيدة قوله :-

أصبت بسهم واترة المنايا فى اخطى البرية من اصابا
أرى كاسا سقيت الحنف فيه تحسى منه كل الناس صابا
فلو ان الدموع تبل وجدا لاجريت الدموع حشى مذابا
ولو رد المنون هديل نوح لصيرت الحنين عليك دابا

ويوم رأيت الشيخ عبدالكريم الجزائرى لأول مرة بعد ان ملأت مسموعاتى
عنه كل فراغ فى نفسى دهشت ، لقد دهشت لاني لم اجد الرجل كما كنت اتصوره
عملاقا بدينا ذا صوت أجش خشن كما ينبغى ان يكون العظماء فى مخيلة السذج
البسطاء وانما رأيت رجلا نحيفا هادىء الصوت رقيق الحاشية فى صورة جذابة
ذات سحر خلاب ، وظللت بعيدا من حيث الدنومنه ، قريبا من حيث مسموعاتى
عنه ، وعن مجلسه العامر بما يسد حاجة الوطنى ، والعالم ، والاديب ، حتى بعنا

دارنا الاولى ، واشترينا احدى دور اسرتنا المتصل بعضها ببعض ، واتى لاتفصلها عن دار الشيخ عبدالكريم الجزائري غير ثلاث دور لاغير ، وحتى قامت قيامة السيد صالح الحلبي في وجه المصلح السيد محسن الامين الداعي الى حرمة التطير ، وما كان يجرى في شهر محرم من كل سنة باسم عزاء الحسين من ضرب السلاسل ، ودق الطبول والصنوج ، فكان الشيخ عبدالكريم الجزائري في مقدمة مؤيدي السيد محسن الامين بعد المرجع الروحاني الكبير السيد ابي الحسن الاصفهاني ، ولكن الاكثرية المطلقة من العلماء والناس وفي طليعتهم السيد صالح الحلبي الخطيب المعروف بلباقته وقدرته على تسيير دفة الدعاية كانوا ضد حركة الاصلاح التي نادى بها السيد محسن الامين فلم يكن في ميدان الدعوة الاصلاحية الا فئة قليلة من بعض العلماء وفئة من الشباب لاحول لها ولا قوة الا فيما كانت تكتبه من المقالات وتشره في بعض الصحف العراقية واللبنانية وفي وسائل قام بتأليفها ونشرها الشيخ محمد الكنجي مما كانت تعد اكبر اثر نسبي في القضية .

وكان لابد لهذه الاقلية المؤيدة لفكرة الاصلاح الديني ان تتكلم ، وان يتعرف بعضها ببعض ، فكان الشيخ محمد جواد الجزائري هو المحور لهذا التكتل ولما كنت واحدا من الشباب المتحمسين لفكرة الاصلاح التي نادى بها السيد محسن الامين فقد الفيتني في زمرة آل الجزائري وتحت شعاع الشيخ محمد جواد الذي كان يساكن اخاه الكبير الشيخ عبدالكريم في بيته ويشاركه في مجلسه .

وبدأت اتردد على بيت الجزائري واحضر مجلسه منذ ذلك اليوم تردد الغريب المتهيب على رغم اني كنت اعلم ان ابي قلما فارق مجلسه وانني كثيرا ما التقيته عنده ثم صار ترددي على الجزائري تردد الجار القريب ، ولم يطل الزمن حتى صار ترددي عليه تردد الصديق الحميم ، وعلى الاخص حين اصدرت جريدة (الفجر الصادق) ، وحين وضعت نصب عيني محاربة السيد صالح الحلبي ، وحين بنيت الدعاية للدعوة الاصلاحية على اوسع وجوهها وعلى قدر ما كانت تصل اليه يدي طبعا .

وبلغ قربي من الشيخ الجزائري ان صرت اناقشه رأيه ، واعلن له مخالفتي اذا وجدتني مخالفا لرأيه في شيء ولقد شجعتني فاعطاني شيئا من الحق والايتار في ان اتوسط لديه ، ولست بناس ما كان قد حدث بينه وبين السيد جعفر حمندى من سوء تفاهم ربما كان من الصعب ان يزول لو كان قد ترك لشأنه زمنا اطول وتوليت انا بناء على رغبة السيد جعفر حمندى التوسط في الامر ، وصحبت السيد جعفر الى بيت الشيخ الجزائري وكان هناك اعتذار من حمندى ، وظرف وتندر وتفكك من الجزائري ، شأنه في اغلب مجالسه العامة •

وحدث بينه وبين الحاج محسن شلاش شيء مثل ما حدث بينه وبين السيد جعفر حمندى واكثر بعد صداقة متينة كانت قد امتدت جذورها الى سنوات بعيدة ودعاني الحاج محسن شلاش ذات يوم وقص على ما كان قد وقع بينه وبين الشيخ الجزائري من جفوة ، وقال انه لم يشأ ان يسعى لازالة ما قد علق بذهن الشيخ عنه قبل اليوم لانه - اى الحاج محسن - كان وزيرا فخشي ان يحمل تودده للشيخ على سبيل الحاجة ، اما اليوم وقد خرجت من الوزارة - كما قال - فليس ثمة ما يحمل توددى على شيء وانا اريد ان تمهد لى الامر فازور الشيخ وانت معي ••• فكان الذى اراد •••

واشتدت ثقة الجزائري بى حتى لقد كان يمر بى فى البيت اذا ما خطر له خاطر فنبحث معا امورا كان يعتقد - مصيبا كان ام مخطئا - ان لى فيها خبرة ورأيا ، واذا لم يجدنى هناك اوصى لى بان اقصده فى بيته ساعة وصولى الى البيت •

وحين اقتضت سياسة الحكومة ان تفرض الرقابة على بيته ، وان تصارح الناس برغبتها فى الابتعاد عن مجلسه ، فر الجميع فلم تعد ترى الا واحدا او اثنين فى عرض الاسبوع ممن يمر به دقائق معدودات ليسأل عنه ، وفى هذه الفترة كنت من اكثر الناس اتصالا به فلا اكاد افرغ من تناول العشاء فى اغلب الليالى حتى كنت اقصده فى بيته فاجده وحيدا او مع أخيه الشيخ محمد جواد فنقضى قسما من الليل بالاحاديث المختلفة ، ودعاني الشيخ محمد جواد الجزائري مرة للاسهام معه

في قضية سياسية لم استسغها فامتعت وغضب علي ، وحاول احتقاري غير مرة فلم اهتم ، وقد ظهرت بمظهر من لا يعنيه الرضا والغضب واحسن الشيخ عبدالكريم مرة بهذه الجفوة الحاصلة بيني وبين أخيه وانا عنده وفي بيته فكشف لي ولاخيه عن احساسه وطلب ان تذكر له السبب ، أما انا فسكت ، واما اخوه فقد قال والشرر يقدح من عينيه - قال :

- انه - وهو يعينني ويشير الي - يختلف عن اخيه عباس في كل شيء .

فقال الشيخ عبدالكريم - وانا يا اخي اختلف معك في كل شيء . وای اخ لا يختلف مع اخيه في الجبلة والطبيعة والخلقة ؟ لابل متى اتفقت انا وایاك تُطلب من جعفر ان يتفق مزاجه ومزاج اخيه . . . ؟

والحق انهما كانا يختلفان في كل شيء . وعلى الاخص في طريقة معالجة الامور وفي الحلم والغضب وكل شيء آخر وكثيرا ما كان الشيخ محمد جواد يلقف الحديث من اخيه في المجلس ليسير به في الاتجاه الذي يعاكس اتجاه اخيه وعقيدته ، وفي هذا المكان لا تسمع من الشيخ عبدالكريم غير حوقلة يرددها مع شيء من هزة الرأس علامة عدم الرضا ، ويظل يحوقل حتى يسكت الشيخ محمد جواد ، وكم كان يبدو برما حين يكون عنده أحد رجال الدولة وهو يحاول ان يعالج امرا باسلوبه الخاص فيتلقف الشيخ محمد جواد الحديث ويحيله الى ثورة يخرج بعدها الشخص الزائر وهو غارق في بحر من الخجل ، ولا يمنع الشيخ عبدالكريم وجودي انا - اذا كنت موجودا - ان يلوم اخاه بمحضر مني حين يدخلو المجلس ويؤاخذة على طريقة اشتراكه في الحديث ولكن الشيخ محمد جواد أتون مشتل ، لا يمكن ان يخفف اللوم من حرارة ايمانه وطريقة حديثه وان جاء اللوم من اخيه الاكبر ، وهو على خلاف طبيعة اخيه الدافئة الحليمة التي تغفر الزلة وتخلق العذر للخائب الفاشل لتحيي فيه الرجاء من جديد .

وذات يوم والشيخ محمد جواد في مثل هذا التجهم والمزاج الحاد وجه الى الشيخ نوري الجزائري - وكان الشيخ نوري حينذاك صيبا وفي اول مراحل

تعلم النحو - لقد وجه اليه بيتا من الشعر ليعر به ، فتدلجج الشيخ نوري واصفر لونه
 ••••• ولمح الشيخ عبدالكريم المشهد فقال يخاطب اخاه الشيخ محمد جواد :
 « والله لو انك لقيت سيويه بمثل مالقيت الشيخ نوري وانت تلقي عليه
 السؤال بمثل هذه الصرامة والحملقة وجحوظ العينين لارتج عليه ، ولا ضاع طريق
 الصواب ، فما حال الشيخ نوري وهو صبي ولم يقرأ النحو الا منذ شهر ؟ » .
 وكنت ذات يوم عنده وتطرق الحديث الى احد الزعماء وكان قد ارتكب خطأ
 لايمكن ان يرتكبه شخص في مثل تجربته واختباره ومركزه وقد أنحيت انا عليه
 باللائمة ، وكان الشيخ محمد جواد حاضرا فايدني واندفع بما عرف به من بلاغة
 وفصاحة وحلاوة حديث يصور خطيئة ذلك الزعيم تصويرا بارعا وحين سكتنا قال
 الشيخ عبدالكريم :

- الامر طبعي جدا فان كل انسان مهما تقدم في العمر وعجم اندهر عوده
 وكثرت تجاربه فان ناحية من الطفولة تظل كامنة فيه فلا تستغربوا اذا بدرت ذات
 يوم من كبير بادرة تدل على هذه الطفولة وخذوا العبرة من نفسي فقد عدت ذات
 يوم من الحرم الشريف بعد ان اديت الصلاة وادي خلفي المؤمنون صلاتهم
 حتى اذا كدت ابلغ البيت ألبيت في الطريق قطعة قحف من جرة مكسورة ، وقد
 جذبني وضعها من حيث ظهور سطحها المحدب الى الاعلى وانتصاب هذا القحف
 من الخزف على هيئة نصف قبة صغيرة في وسط الشارع ، ولذلي ان اسحق هذا
 القحف بقدمي لمجرد سماع طقطقته وهو يتكسر ويتفتت تحت قدمي ، وهكذا فعلت ،
 وظللت نحو دقيقة وانا اضغط بقدمي على سطح القحف وهو يتكسر وانا متلذ بهذه
 الطقطقة الموسيقية التي لا اشك انها من بقايا لذائذ الطفولة ونحن نسحق
 مثل هذه الاقحاف في الشوارع وما كدت اخطو خطوة او اثنتين حتى اتبعت الى
 نفسي *

- ترى ماذا يسمى مثل هذا العمل اذا لم يسم بالعمل الصبياني ؟
 ان شيخا كبيرا يشغل مقاما روحانيا وقبل بضع دقائق كان يأتهم به العشرات
 من المقتدين به والمؤمنين برجحان عقله يقفه قحف من كوز مكسور في قارعة

الطريق فيتخذ منه لعبة يلهو بها ولو لعدة ثوان بماذا ترى يفسر مثل هذا
إذا لم نفسره بتيقظ روح الطفولة في الانسان ؟
وهنا التفت لى و لآخيه وقال :

- لا لوم على الرجل إذا ما تيقظت روح الطفولة في نفسه ذات يوم فأنتى بعمل
الصق بالصبيان منه بالرجال وانما يجوز اللوم إذا تعدد مثل هذا التيقظ وكثر
قال ذلك وهو يضحك *

والشيخ عبدالكريم الجزائري يكاد يفرد ببعض ما يستعمل من الكلمات
والاصطلاحات فينتقى اجمل الكلم ويصوغها اجمل صياغة فاذا اقسم مثلا فانه يقول :

« والله الذى لارب سواه »

وإذا استقبل زائرا مثلا قال -

« أضاء البلد »

وإذا عزى احدا في مصيبة قال -

« احسن الله لك العزاء »

ولكنه لا يجمد على مثل هذه التراكيب وانما يتكر الافوال المناسبة في
وقتها بحيث تظل كلمته راسخة في الذهن فقد التقانى مرة وانا اضع نظارة سوداء
على عيني فقال لى :

- ارجو ان تكون هذه النظارة (للغوه وللوهو ، وليست للدوه) *

فقلت : وهى كذلك ، وزاد تعلقى به فزاد نطفه على وغمرنى بمحبته ، واعطانى
من عطفه الشيء الكثير الذى طالما اعترزت به ، وكثيرا ما اتخذت من هذا العطف
وسيلة لقضاء بعض الحاجات للناس عنده ، وحين ازعمت النية على الانتقال من
التجف الى بغداد كان الشيخ عبدالكريم ممن عارض ومانع وحاول بكل جهده
ان يحول بينى وبين هذا الانتقال ولكنى كنت مصمما فودعنى بكلمة واحدة لاتزال
طالقة بذهنى وهى قوله -

- حار الله لك في الامر .-

وانقطعت عن زيارة النجف طويلا وحين كان يتاح لي ان ازور النجف كان اول عمل اعمله هو ان ازور الشيخ عبدالكريم الجزائري في مجلسه ، فلا اجد ترحيبا اشد من ترحيبه وهو يلتقيني ، ولا فرحة اوسع من فرحتي وانا التقيه .
وكانت لي في النجف قطعة ارض وهي كل ما بقى لي فيها من روابط مادية شاءت الظروف ان تقطعها فسافرت قبل شهر قليلة الى النجف لبيعتها ، ومررت كالعادة بالشيخ الجزائري ولشد ما حزنت ان رأيت صحته قد تدهورت ، وان نقل المائة من السنين التي قضاها في خدمة متواصلة للعراق عن طريق السياسة ، والعلم ، والايمان الوطني الخالص ، كان قد ظهر باشد ما يظهر على صحته وتمثل لي الماضي كله ففاضت عيناى بالدموع ، وترآى لي اننى لم آت لاقطع علاقتى بالنجف من الناحية المادية فحسب ، وانما اوشك ان اقطع علاقتى الروحية بها ، وهي كل ما املك من لذة في هذا الوجود القاحل ، فلقد كان الشيخ عبدالكريم كل ماضى النجف الروحي وصورته الحية وكان اخر من مثل السلف الصالح وختم تلك السلسلة المتصلة الحلقات بحكاية قل من استطاع ان يحكيها مائة سنة واكثر كما حكاها الشيخ عبدالكريم الجزائري .

وقبل زيارتى الاخيرة له كان قد تزوه صديقى السيد احمد الهندي وحين سأله الهندي عن صحته قرأ الجزائري عليه هذا البيت الفارسي :

دلم گرفته بحدى كه فكر باغ ندارم

بحد انكه گلى بوكنم دماغ ندارم

ومعنى ذلك اننى اعانى من انحسار الطبع وضيق الصدر بحيث يتعذر على حتى ذكر الخميلى وتصورها وتخييل ازهارها ، وبحيث يتعذر على حاسة الشم عندي حتى شم الوردة الذكية العطرة .

وهكذا انتهى الشيخ عبدالكريم وطواه التاريخ فطوى به صفحة من السجل

لنحافل بالماثر ، وجلائل الاعمال كما توقعت ذلك قبيل وفاته •
وفى بحة من الصوت الذى تخنقه العبرات وجدتنى اردد قول الجزائرى
نفسه فى رثاء استاذہ لاننى وجدته خير ما يصور لوعتى ويحكى وجدى وأنا اقطع
آخر علاقة روحية لى بالنجف -

فلوان الدموع تبلى وجدا لاجريت الدموع حتى مذابا
ولو رد المنون هديل نوح لصيرت الحنين عليك دابا
ولم تبق لى من تلك العلاقة غير الذكريات المشحونة بالاهاات والالام
والحسرات •

اهذار

بالنظر لعدم امكان قيام المؤلف بالاشراف التام على تصحيح كتابه
هذا فقد وقعت فى الكتاب عدة اغلاط اقتضت المطبعة ان تستمىح عليها عفو
المؤلف وعفو القراء وغفرانهم •

مطبعة الزهراء

فهرست الاعلام

- بهرور البناء ۲۷۸
- ت -
- تقی الشیخ راضی ۸۷ ، ۸۹
- تومان عدوه ۱۹۵ ، ۱۹۶
- ج -
- جابر الکرمانی ۶۹
- جعفر الاعسم ۲۳۸
- جعفر بحر العلوم ۳۱۸ ، ۳۲۰
- جعفر البیدری ۲۰۹ ، ۲۱۰ ، ۲۶۱
- جعفر الحلی ۵۷ ، ۶۲ ، ۶۸ ، ۸۳ ، ۱۶۲
- ۳۸۲ ، ۳۸۳
- جعفر حمندی ۱۸۶ ، ۳۸۹
- جعفر الشیبی ۷۱ ، ۱۲۶ ، ۱۲۷
- جعفر الشیخ راضی ۶۵ ، ۳۰۶
- جعفر نقدی ۸۵
- جمال الدین الافغانی ۲۶۰
- جمیل المدفعی ۲۳۹
- جواد الجواهری ۴۷ ، ۲۶۰ ، ۳۱۶ ، ۳۷۱
- جواد الحیدری ۱۹۶
- جواد شبر ۲۴۶
- جواد الشیبی ۵۷ ، ۹۵ ، ۱۴۴ ، ۱۴۵
- ۱۵۱ ، ۱۶۲ ، ۲۵۵ ، ۲۶۳ ، ۳۸۶
- جواد علیوی ۶۶
- جواد فاتی ۳۲۹
- جواد الطیب ۱۱۷ ، ۱۱۸
- جواد موسی ۲۰۱
- ح -
- حسن الاسدی ۱۹۷
- حسن الامین ۳۶۶
- حسن البجنوردی (المیرزا) ۱۱۴
- حسن الرفیعی ۱۵۲ ، ۳۰۳ ، ۳۰۴
- حسن زینی ۱۶۴
- حسن خصبک ۳۲۹
- حسن الشیرازی (المیرزا) ۵۸ ، ۳۸۷
- حسن الفراش ۱۷۳ ، ۱۷۴ ، ۱۷۵
- حسن الماقمقانی ۱۱۷ ، ۱۱۸
- حسن محمد علی ۱۹۴
- حسین جریو ۲۰۱
- ا -
- ابراهیم الاطیش ۶۳ ، ۶۴ ، ۶۶ ، ۷۴
- ابراهیم السالم ۳۴۴ ، ۳۶۱
- ابراهیم العریض ۱۳۱
- ابراهیم الوائلی ۱۵
- ابو الحسن الاصفهانی ۶۷ ، ۹۹ ، ۱۲۵ ، ۱۵۴ ، ۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۱۵ ، ۲۱۶ ، ۲۳۲
- ۲۳۳ ، ۲۴۶ ، ۲۹۰ ، ۳۸۸
- احمد امین ۱۵۴ ، ۲۴۰ ، ۲۴۱
- احمد الجلبي ۲۰۰
- احمد الصافی ۱۳۱ ، ۱۸۱ ، ۲۶۸ ، ۳۷۱ ، ۳۸۳
- احمد کاشف الغطاء ۱۵۱ ، ۲۲۷
- احمد المظفر ۷۷
- احمد الملا زکی ۹۹
- احمد نسیم سوسه ۳۳۴
- احمد الموسوی الهندی ۱۰ ، ۱۶ ، ۳۲
- ۲۷۷ ، ۲۸۰ ، ۲۸۲ ، ۲۸۳ ، ۳۹۳
- احمد الوائلی ۲۴۶
- ارشید العمری ۲۴۹ ، ۲۵۰ ، ۳۴۸
- اسد خان ۴۲
- اسکندر حربق ۱۲۴ ، ۱۳۱ ، ۳۵۹
- اسماعیل الخلیلی ۶۲
- اسود شیر علی ۴۴
- اغا رضا الاصفهانی ۲۵۵
- اغا صدری ۴۲
- اغا عباس ۴۲
- امان محیی الدین ۲۷۳
- امین خالص ۲۴۲
- امین الربحانی ۲۳۰
- امین الهلالی ۱۳۱
- انیس العاملی ۱۲۴
- ب -
- باقر احمد الحسنی ۱۱۶
- باقر حیدر ۸۱ ، ۸۳
- باقر الشیبی ۳۷۸
- باقر الهندی ۶۲
- برتداند رسل ۳۶۲ ، ۳۶۳
- بشاره الخوری ۱۳۱

- حسين الخليلي (الميرزا) ٧ ، ٥٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ .
 حسين الصراف ٢٩٨ .
 حسين القزويني ١٥١ ، ٥٧ .
 حسين كمال الدين ١٩٦ ، ١٩٧ .
 حسين مروه ٣٦٠ .
 حسين النائيني (الميرزا) ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ٢٠٧ ، ٢٥٩ .
 حمدي ال حمدي ٩٠ ، ٩٥ .
 حمد السني ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .
 حمودي عبدالمجيد ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ .
 حميد خان ٤١ .
- خ -
 حاجي البناء ٢٠٠ .
 خزعل (الشيخ) ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
 خوام العبدالعباس ٢٣٥ .
- د -
 داود السعدي ١٨٤ .
- ذ -
 ذو النون ايوب ١٣١ .
 ذيبان الغبان ١٨٦ ، ٢٣٥ .
- ر -
 رؤوف شلاش ١٦٦ ، ١٦٧ .
 رئيس (الحاج) ١٦٩ .
 رجب علي ٢٨ .
 رايح العطية (الحاج) ٢٣٩ .
 رشيد سليم الخوري ٣٦١ .
 رشيد الصوفي ١٨٦ .
 رشيد عالي الكيلاني ٢٣٦ .
 رشيد القرغولي ٣٣٤ .
 رضا الاصفهاني ٥٧ ، ٦٢ .
 رضا الهندي ٢٣ ، ٦٨ ، ٢٥٥ .
- ز -
 زلفا حريق ٣٦٤ .
- س -
 سالم الحسنون ٩٠ .
 سامي خونده ١٨٤ .
 سعد صالح ١٨١ ، ٢٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ .
 سعد عباس علي دوش ٢٩١ .
 سعد عمر ١٩٣ .
 سعيد الخليلي ٢٦٠ .
- سعيد عجينه ٦٩ .
 سعيد كمال الدين ٨٧ ، ٨٨ ، ١٨٢ .
 ١٨٣ ، ١٨٨ .
 سعيد ناجي ٦٨ ، ٦٩ .
 سلمان البراك ٢٠٠ .
 سلمان الصفواني ٢٧٤ .
 سلمان الفاضل ٣٧٢ .
 سمير الرفاعي ٣٥١ .
- ش -
 شاكر خصباك ٣٢٩ .
 شبلي باشا ١٤٦ ، ١٤٧ .
 شكري بك ٣٣٢ ، ٣٣٤ .
- ص -
 صادق الكتبي ٤٩ ، ٥١ .
 صالح جبر ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .
 ١٩٨ ، ٢٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ .
 صالح الجعفري ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
 صالح الحلبي ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ .
 ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٣ ، ٢٧٧ ، ٣٨٨ .
 صالح حمام ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ .
 صالح الخليلي ٢٨١ ، ٢٨٣ .
- ض -
 ضياء بحر العلوم ٣١٥ ، ٣٢٠ .
 ضياء جعفر ٣٥٥ .
- ط -
 طفار (السيد) ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
 طلب (السيد) ٢٠١ .
- ع -
 عاصم الحناني ٢٠٠ .
 عباس الخليلي ٤٨ ، ١٠٣ ، ١٨١ ، ٣٢٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٠ .
 عباس شبر ٨٥ ، ٨٦ ، ١٣١ .
 عباس عدوه ٧٥ ، ٧٦ .
 عباس علي الرماح ٣٧٢ .
 عباس كاشف الغطاء ٥٧ .
 عبادي الحسين ١٧٢ ، ١٧٣ .
 عبايه ١١٧ .
 عبدالحليل العادلي ٢٨٠ ، ٢٨١ .
 عبدالحسن الشبري ١٠٧ .
 عبدالحسين الجواهري ٥٧ ، ٦٠ .

- عبدالحسين الحلي ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٥٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٥٥ ، ٣١٨ ، ٢٥٥
- عبدالحسين الحياوي ٥٨ ، ٥٩ ، ٢٥٧
- عبدالحسين الخليلي ٣٢٩ ، ٣٣١
- عبدالحسين الشيرازي ١٠٦
- عبدالحسين شرف الدين ١٢٧ ، ٢٠٧
- عبدالحسين صادق ٢٠٧
- عبدالحميد السنيد ٩٠
- عبدالحميد شلاش ١٦٢
- عبدالحميد عبدالحميد ٣٤٨
- عبدالحميد علي ٨٧ ، ٨٨
- عبدالرحيم ابو شهري ٩٩
- عبدالرزاق الازري ٥٤
- عبدالرزاق السعيد ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
- عبدالرزاق شمسه ١٧٢ ، ١٨٥
- عبدالرزاق الشيخ جعفر ٦٥
- عبدالرزاق عدوه ٣٤٨
- عبدالرزاق محيي الدين ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٣٨٦
- عبدالرسول شريف ٣٤٤
- عبدالرسول الشكرجي ١٦٤ ، ١٦٥
- عبدالرسول ١٠٣
- عبدالرضا الشيخ راضي ٥٨ ، ٦٦ ، ٢٥٥
- ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢
- ٣٧١ ، ٣٨٦
- عبدالستار القرغولي ٣٢٦ ، ٣٢٧
- عبدالصاحب السيد ادريس ٨٢ ، ٩٠ ، ١٨٩
- عبدالظاهر ١٧٢ ، ١٧٣
- عبدالعزیز الشواف ١٤٨ ، ١٥٠
- عبدالعزیز القصاب ٣٤٣
- عبدالغفار كاتبه ٣١٩
- عبدالغفور البدری ٥١
- عبدالغنى الخضري ٨٧
- عبدالغنى الشيخ جعفر ٢٩٩ ، ٣٠٠
- عبدالكريم الجزائري ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥
- ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٥ ، ٣٦٠
- ٣٦٩ ، ٣٨٦
- عبدالكريم الزنجاني ٢١٨
- عبدالله السيتي ١٢٧
- عبدالله القصاب ١٨٨ ، ٣٤٣
- عبدالله الماقياني ٢٦٠
- عبدالله المكرم ٣٠٣ ، ٣٠٤
- عبداللطيف الجزائري ٣٧٤
- عبدالمجيد محمود ١٣١
- عبدالمحسن القصاب ١٣١
- عبدالمحمد ٣٠٨ ، ٣٠٩
- عبدالمحمد زاير دهام ٦٦
- عبدالمعتم العكام ٨٦ ، ٢٧٦
- عبدالمهدي المتفكي ٩٤
- عبدالواحد الحاج سكر ٢٣٤ ، ٢٣٨
- عبدالوهاب الصافي ٩١
- عبدالوهاب المالكي ٢٦٤
- عبدالوهاب محمود ١٩٩
- عبدالهادي الظاهر ٣٤٨
- عبود شلاش ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥
- عبيد آل عبدالسادة ٢٣٨
- عطيه ابو كلل ٢١٣
- علي اغا ٤٢ ، ٤٣
- علي البازي ١١١
- علي بحر العلوم ١٢ ، ٦٨ ، ٣١٣
- علي البهبهاني ١٦٤
- علي ثامر ٢٨٣
- علي جودة الايوبي ٢٣٩
- علي الدشتي ١٨٢
- علي الشرقي ٦٠ ، ٧١ ، ١٣١ ، ١٩٣
- ١٩٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٣١٣ ، ٣٥٥ ، ٣٧١
- علي العلاق ٥٧ ، ٥٩ ، ١٥١
- علي القمي ٢٠٩ ، ٢١٠
- علي كاشف الغطاء ١٤٣ ، ١٥٢ ، ٢٢٧
- ٢٢٨ ، ٢٢٩
- علي محمود الشيخ علي ١٨٦
- علي الخليلي (الملا) ٤٤
- علي مردان ١١٨
- علي ممتاز ١٩٩
- علي الوردی (الدكتوراه) ٢٤٩
- علوان الحاج سعدون ٢٣٧ ، ٢٣٩
- عمران الحاج سعدون ٤٩ ، ٥٠
- عمران الدجيلي ١١٢ ، ١١٣
- عيسى الخلف ١٧٢

محمد تقى الشيرازى (الميرزا) ١١٤، ١٠١،
 ٣٧٨ .
 محمد جمال الهاشمى ٨٥ ، ٨٦ ، ٩١ ،
 ٩٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ .
 محمد جواد الجزائرى ٤٨ ، ٣٢٠ ، ٣٧٢ ،
 ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ .
 محمد جواد الشيخ راضى ٢٨٠ ، ٢٨٣ ،
 محمد جواد قسام ١٧ .
 محمد جيوان ٢٦٨ .
 محمد حسن حيدر ١٢ ، ٨١ ، ١٢٧ ، ١٨٨ ،
 ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٣٤٧ .
 محمد الحسنى ٢٠٠ .
 محمد حسين الجواهرى ١٢ ، ١٥ .
 محمد حسين الشيبى ٧٥ ، ٧٦ .
 محمد حسين كاشف الغطاء ٧٤ ، ١١٠ ،
 ١٢٥ ، ١٥٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٩٠ ،
 ٢٩١ ، ٣٦٠ .
 محمد حسين الكيشوان ٢٥٧ .
 محمد حسين المظفر ١٢ ، ٣٢٠ .
 محمد خشاف ٣٧٥ .
 محمد الخطيب (الملا) ٨٢ .
 محمد الخليلى ٢١٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٣٠٨ .
 محمد رشاد عجينة ١٦٤ .
 محمد رضا ذهب ١١٢ ، ١١٣ .
 محمد رضا الزين ٢٨٠ .
 محمد رضا الشيبى ٩١ ، ١٣١ ، ١٨٧ ،
 ٣١٩ ، ٣٧١ .
 محمد رضا الصافى ١٨٨ ، ٣٤٥ .
 محمد رضا كاشف الغطاء ١٤٣ .
 محمد رضا المظفر ٢٤٦ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨٢ ، ٣٠٨ .
 محمد سعيد الحبوبى ٢٦ ، ١٦٣ ، ٢٥٥ .
 محمد السماوى ٣٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٤٨ ،
 ١٤٩ ، ٣٥٨ .
 محمد شرارة ٢٦٠ .
 محمد الشريعة ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ .
 محمد شلاش ١٧٨ .
 محمد طاهر الشيخ راضى ١٤ ، ٢٢٧ ،
 ٣٠٦ .
 محمد طه نجف ٢٠٦ .
 محمد العامل ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

- غ -

غازى القصاب ٣٥١ .

- ف -

فاضل عباس معله ١٩٤ .
 فرحان حماده ١٣١ .
 فيصل الاول ٥٢ .

- ق -

السيد قاسم ٣٢٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٦ ،
 قاسم محبى الدين ١٤ ، ١٩٢ ، ٢٤٠ ،
 ٢٧٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
 قريون على ٢٨٩ .

- ك -

كاظم الخراسانى (الملا) ١٠٩ .
 كاظم الخليلى ٢١٣ .
 كاظم السبتى ١٠٨ ، ١٠٩ .
 كاظم السودانى ٢٧٨ .
 كاظم صبى ١٠٩ ، ٣٧٢ .
 كاظم على بيچ ١٢ .
 كاظم فاتى ٣٢٩ .
 كاظم القزوينى ٨٧ .
 كاظم اليزدى ٤٧ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ٢٦٠ .
 كامل الجادرجى ١٩٩ .
 كريم الحاج راضى ٣٧٢ .
 كلو الحبيب ٢١٦ .
 كمال عبدالمجيد ٢٥٠ ، ٣٤٩ .

- م -

مارى حريق ٣٦٤ .
 مجيد الصراف ٢٩٨ .
 مجيد كاشف الغطاء ١٤٧ .
 محسن ابو طيبخ ٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ .
 محسن ابو غنيم ٣٧٢ .
 محسن الامين ٣١ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ٢٠٥ ، ٢٣٢ ، ٣٨٨ .
 محسن الحكيم ٢٥١ ، ٣٧٤ .
 محسن الحضرى ١٤٧ .
 محسن شراره ١٢١ ، ٢٠٩ .
 محسن شلاش ٤١ ، ١٥٩ ، ٣٨٩ .
 محمد الاردبيلى (الميرزا) ١١٨ .
 محمد امين عوض ٣٢٩ ، ٣١١ .
 محمد باقر العظمى ٣٠٩ .

- محمد عبدالحسين ٥١ ، ١٨٢ .
 محمد عبده ٢٦٠ .
 محمد علي بحر العلوم ٤٨ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٢ .
 محمد علي الجعفري ٢٧٩ .
 محمد علي الحوماني ٨٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ .
 محمد علي الدمشقي ٣٢٠ ، ٣٧٤ .
 محمد علي الكاظمي ٨٦ .
 محمد علي كمال الدين ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٧ .
 محمد علي اليعقوبي ٢١٤ ، ٢٤٥ .
 محمد قره علي ٢٨٥ .
 محمد كاشف الغطاء ١٤٦ ، ١٤٧ .
 محمد كاظم الشيخ راضي ٢٧٤ ، ٢٨٠ .
 محمد مهدي الجواهرى ٦٠ ، ١٨٧ ، ٢٢٩ .
 محمد الهر ٢٧٤ ، ٣٨٥ ، ٢٦٨ .
 مهدي الهندي ٣٠ .
 محمود الجبوبي ٧٥ .
 محمود الخليلي (الميرزا) ٤٦ ، ٥٨ ، ٣٠٠ .
 مرزا بحر العلوم ٣١٥ .
 مرزا القزويني ٢٠٠ .
 مرزوق العواد ١٧٢ ، ٢٢٨ ، ٣٧٢ .
 مسعود ٤٤ ، ٤٦ .
 مشكور ٢٧٨ .
 مشكوف ٣٧٢ .
 مصطفى خان ٥٣ .
 مصطفى الصراف ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٩١ .
 مدوح افندي ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ .
 منصور حريق ٣٦١ .
 موسى شرارة ١٢٨ .
 موسى كاظم نورس ١٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
 ٢٦٠ .
 مولي الطريحي ٧٥ .
- مهدي الاخوند (الميرزا) ٤٧ .
 مهدي البهبهاني ١١٥ .
 مهدي زرندی ١٨١ .
 مهدي سميسم ٧١ .
 مهدي الصندوق ٢٠٠ .
 مهدي الفلوجي ٣٢٩ .
 مهدي القزويني ٢١٠ .
 مهدي المحلاتي ٤٩ .
 مير علي ٧ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ٢٦٨ .
 ٣٠٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ .
 - ن -
 ناجي شوكة ٣٣٣ .
 نافع ١٨٥ .
 نافع (الملا) ٣٣٢ ، ٣٣٦ .
 نايف نصر ١٣١ ، ٣٦١ .
 الحاج نجم ٣٧٢ .
 نور الياسري ٢٩ ، ٣٠ .
 نوري الجزائري ٣٩٠ ، ٣٩١ .
 - و -
 وداي العلي ٣٧٢ .
 وناس ٦٨ .
 - ه -
 هادي الخضري ٢٢٩ .
 هادي الشيخ عباس ٥٧ ، ٦٢ ، ١٤٤ ، ٢٥٥ .
 هادي الفياض ٢٨٠ .
 هاشم الزامل ٢٣٨ .
 هاكوب ١٢٦ .
 حبة الدين الشهرستاني ٢١٠ .
 هدي ٣٨٦ .
 - ي -
 ياسين الهاشمي ١٨٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .
 ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣٧٩ .
 يحيى قاسم ١٩٩ .

الفهرست

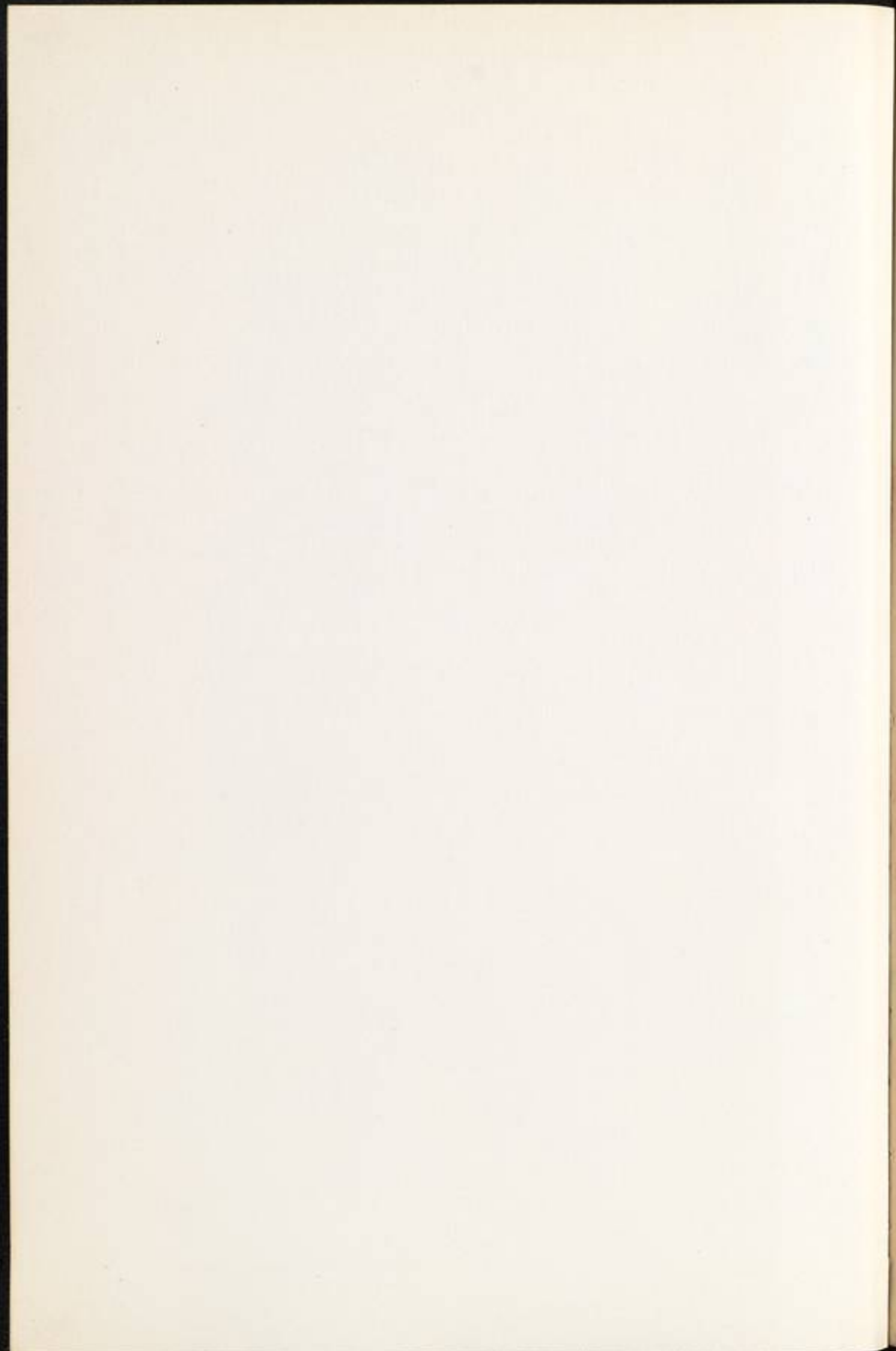
الموضوع	الصفحة
هكذا عرفتهم *	٣
كيف عرفت السيد مير علي ابي طيخ *	٧
السيد رضا الهندي *	٢٣
حميد خان *	٤١
الشيخ جواد انشيبيني *	٥٧
الشيخ محمد حسن حيدر *	٨١
السيد ابا الحسن الاصفهاني *	٩٩
الشيخ محسن شرارة *	١٢١
المحامي عبدالمحسن القصاب *	١٣١
الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء *	١٤٣
عبدالمحسن شلاش *	١٥٩
السيد سعد صالح *	١٨١
السيد محسن الامين *	٢٠٥
الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء *	٢٢٧
الشيخ عبدالحسن الحلي *	٢٥٥
الشيخ قاسم دحيي الدين *	٢٧٣
الشيخ محمد كاظم الشيخ راضي *	٢٩٧
السيد علي بحر العلوم *	٣١٣
عبدالستار القرغولي *	٣٢٧
عبدالله القصاب *	٣٤٣
اسكندر حريق *	٣٥٩
الشيخ عبدالكريم الجزائري *	٣٦٩
الشيخ محمد جواد الجزائري *	٣٦٩
فهرست الاعلام *	٣٩٠

من مؤلفات الخليل المطبوعة

- ١ - اولاد الخليلي - « مجموعة قصص » .
- ٢ - الضائع - « قصة » - طبعة ثانية .
- ٣ - على هامش الثورة العراقية الكبرى - حقائق لم يسبق نشرها عن الثورة العراقية ، من سنة ١٩٢٠ .
- ٤ - عندما كنت قاضيا - « استعراض مقتضب للاحوال الشخصية في العراق ، من زواج ، وطلاق ، وموارث ، واوقاف » - طبعة ثانية .
- ٥ - يوميات : جزآن - « صورة عابره من الحياة الاجتماعية » - طبعة ثانية .
- ٦ - جغرافية البلاد العربية للدراسة المتوسطة - طبعة ثانية .
- ٧ - حديث القوة - « مجموعة قصص قصيرة » - طبعة ثانية .
- ٨ - اعترافات - « مجموعة قصص قصيرة » - طبعة ثانية .
- ٩ - تسواهن - « ريبورتاج عن الجمال والغناء والرقص في العراق » .
- ١٠ - من فوق الراية - « مجموعة قصص قصيرة متنوعة » .
- ١١ - مجمع المناقضات - « قصص موضوعة و مترجمة » .
- ١٢ - في قرى الجن - « قصة موضوعة على غرار المدينة الفاضلة » - طبعة ثانية .
- ١٣ - مقدمة عن القصة العراقية - « استعراض موجز لتاريخ القصة القديم والحديث » .
- ١٤ - كنت معهم في السجن - « دراسة واستعراض عن السجن والاجرام في العراق » .
- ١٥ - هؤلاء الناس « مجموعة قصص قصيرة » .
- ١٦ - التمور العراقية قديما وحديثا - « بحث شامل عن النخيل والتمور العراقية من اول نشأتها الى آخر مراحل استهلاكها » .
- ١٧ - القصة العراقية قديما وحديثا - « استعراض مجمل لتأريخ القصة العربية ثم القصة العراقية قديمها وحديثها » .
- ١٨ - هكذا عرفتهم - « خواطر عن اناس افذاذ عاشوا بعض الاحيان لغيرهم اكثر مما عاشوا لانفسهم » .

7511

2



18
1880
1881



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 02809 5068

BP193 .K53n

Hakadna '2